

المعاني
علاء الدين

علاء الدين

محمد الحكيم

محمد الحكيم

BOBST LIBRARY

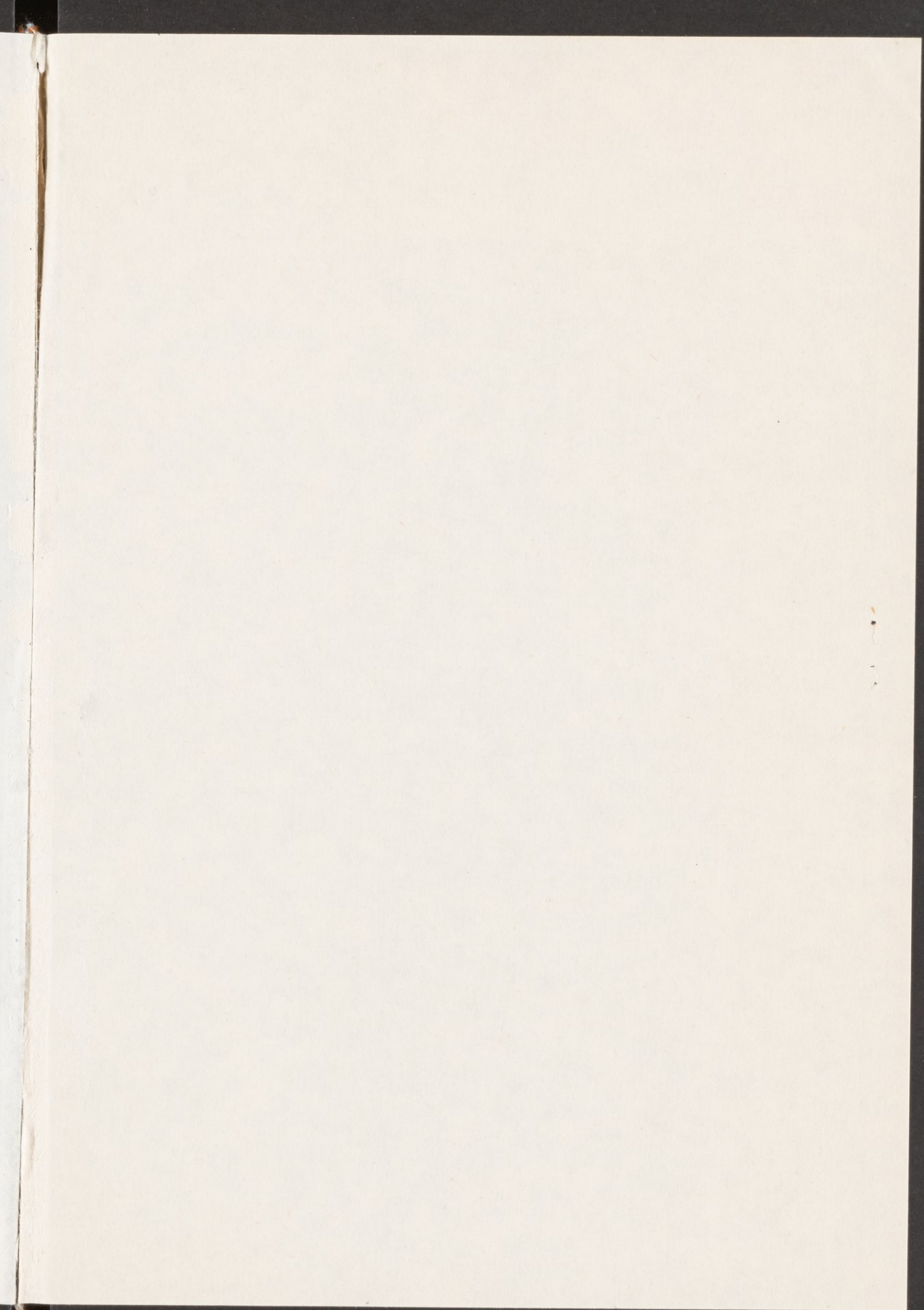


3 1142 01423 8623

AM 0004665 Code I-AR-85-930368 Vol 5

29 NEW YORK UNIVERSITY


دار نشر الفرقان اسلامی



الحياة

1130

Hakīmī, Muḥammad Riḏā



/al-Hayāh/

الحياة

موسوعة، إسلامية، علمية، موضوعية،
تُخطِّطُ مناهج الحياة الحرة الصاعدة، للفرد
والمجتمع، وتدعو إلى دعم نظام إنساني
صالح، في جميع آفاق الأرض.

الجزء الخامس

علي الحكيمي

محمد الحكيمي

محمد رضا الحكيمي

BP
161
. 2
• H 235
1981
V, 5
C, 1

- * الحياة *
- * محمد رضا الحكيمي، محمد الحكيمي، علي الحكيمي.
- * الجزء الخامس.
- * ١٠٠٠٠ نسخة.
- * الطبعة الاولى (١٤٠٨ هـ.ق - ١٣٦٧ هـ.ش).
- * مكتب نشر الثقافة الإسلامية (دفتر نشر فرهنگ اسلامي) - طهران.
- * حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين.

الفهرست

- ٢٧ الفصل ٤١- الغنى، اطاران وحدان
- ٢٩ أ- الغنى المقتصد والملتزم (الغنى كوسيلة)
- ٣٢ ب- الغنى غير المقتصد وغير الملتزم (الغنى كغاية)
- مسائل :
- ٣٣ الاولى : التحديث بالنعمة
- ٣٤ الثانية : الردع عن التظاهر بالفقر
- ٣٥ الثالثة : لا تحديث بالفقر
- ٣٦ نظرة الى الفصل
- ٣٩ - الاحاديث التي تشجب التكاثر وتحذ الغنى والامتلاك
- ٤٤ - تنبيه
- ٤٧ - دفع لوهم
- ٥٣ - بحث آخر
- ٥٤ - تأشير رئيسي بات نثير الاهتمام به
- ٥٩ الفصل ٤٢- الاقتصاد وصلته بالعمودين (الاخلاق، القوة)

أ - الاخلاق الفاضلة :

- ٥٩ ١ - التقوى والحياة المادية
- ٦١ ٢ - الدنيا معمل ومتجر
- ٦٢ ٣ - رفض التقشف الباطل
- ٦٤ ٤ - اهمية التجميل والتزين وحسن الملبس والهيئة واستعمال الطيب،
دون تذيير وبذخ وسرف
- ٦٧ ٥ - من اسباب السعادات
- ٦٨ تنبيه هام
- ب - القوة الغالبة :
- ٦٩ ١ - القوة والعزة الشعبية
- ٧٠ ٢ - القوة والمنعة العسكرية
- ٧٣ نظرة الى الفصل
- ٧٤ - تذييل
- ٧٧ الفصل ٤٣ - اصالة التذرع بالمواهب الطبيعية والاستمتاع الملتزم منها للفرد والمجتمع
- ٧٨ أ - قيمة الحياة واهميتها
- ٧٩ ب - حث و تحضيض
- ٧٩ ج - التزام وتيقظ
- ٨٠ د - اغتنم، ثم اغتنم
- ٨٠ هـ - المحاولة ودورها الهام
- ٨١ نظرة الى الفصل
- ٨٥ الفصل ٤٤ - الاقتصاد، اصالة اسلامية
- ٩٢ نظرة الى الفصل
- ٩٦ - تذييل : عمود العمود عمود
- ٩٩ الفصل ٤٥ - الاخوة الاسلامية والاقتصاد

- نبذة من مظاهر الاخوة الاسلامية في الحقل الاقتصادي :
- أ- اداء حاجة المسلم ١٠٠
- ب- المؤاساة لاهل الحاجة ١٠٠
- ج- الاخوة والحق العظيم الاقتصادي والمعيشي ١٠١
- د- الاخوة والايتار المالي ١٠١
- هـ- الملكية الاخوية ١٠١
- و- رفض الاستئثار على الاخ الديني ١٠٢
- ز- حفظ الاخوة بالمؤاساة ١٠٢
- ح- نظام الدين بمؤاساة الاخوان ١٠٢
- ط- الاخاء الصادق والمستوى المعيشي ١٠٣
- ي- المساواة المالية ١٠٣
- يا- لا يظلم الاخ المسلم، اجيراً كان او غيره (١) ١٠٤
- يب- لا يظلم الاخ المسلم، اجيراً كان او غيره (٢) ١٠٤
- يج- لا إغسار ولا تضيق ١٠٤
- يد- ثواب معونة المسلم وعقاب تركها ١٠٤
- يه- مسرة رسول الله «ص» بقضاء الحاجات ١٠٦
- نظرة الى الفصل ١٠٧
- تذييب ١٠٩
- الفصل ٤٦- المؤاساة، اصل عظيم ١١١
- أ- المؤاساة والايمان ١١١
- ب- المؤاساة، الرشد العقلي ١١٢
- ج- المؤاساة، العمل الصالح ١١٣
- د- مساءلة الاخوان وزيارتهم وتعاهدهم ١١٣
- هـ- دور الواقع الاقتصادي في فعالية الايمان واستقراره ١١٤
- و- حب الاخوان واهميته من الجهة الاقتصادية ١١٤

- ١١٥ ز- هذه هي الاخوة ..
- ١١٦ ح- الاخوة الاسلامية والتحذير من الخيانة الاقتصادية فيها
 ايقاظ هام : الاسلام العلوي، بعض ملامحه وسماته في المجالات
 الاقتصادية والمعيشية، ممّا يجسد الاسلام المحمدي المحض :
- ١١٧ ١- الايثار على النفس (الاقتصاد والمعيشة)
- ١١٧ ٢- تعهد الجبران (الاقتصاد والمعيشة)
- ١١٧ ٣- التواسي المالي (الاقتصاد والمعيشة)
- ١١٨ ٤- حب الانفاق على الآخرين (الاقتصاد والمعيشة)
- ١١٨ ٥- العبادة والصلة (الاقتصاد والمعيشة)
- ١١٨ ٦ - القناعة، حتى تصل المعاش الى الآخرين (الاقتصاد
 والمعيشة)
- ١١٨ ٧ - نيل الولاية بالمؤاساة (الاقتصاد والمعيشة)
- ١١٩ ٨- المؤاساة ترادف الصلاة في المواقيت (الاقتصاد والمعيشة)
- ١١٩ ٩- المؤاساة مما يمتحن به (الاقتصاد والمعيشة)
- ١٢٠ ١٠- المؤاساة مما امروا به (الاقتصاد والمعيشة)
- ١٢٠ تربيته عظيمة
- ١٢٢ نظرة الى الفصل
- ١٢٣ الفصل ٤٧- مبدأ المساواة في الاسلام
- ١٢٤ أ- ان الله تعالى يدعو الى المساواة
 ب- ان اولياء الله تعالى يدعون الى المساواة، او واقع التسوية
 في العهود الاسلامية :
- ١٢٥ ١- في العهد النبوي
- ١٢٤ ٢- في العهد العلوي
- ١٢٩ ٣- خط ذهبي في جبين التاريخ
- ١٢٩ تنبيهان هامان

الفهرست

- ١٣١ ٤- شعاع الهي على قمة الاعصار ٧٥١
٥- تعاليم وهدايات : ٧٥١
- ١٣٢ - من التعليم السجادي ٨٥١
- ١٣٢ - من التعليم الباقرى ٨٥١
- ١٣٢ - من التعليم الصادقى ٨٥١
- ١٣٣ تنبيه ٩١
- ١٣٧ - من التعليم الكاظمى ٩١
- ١٣٧ - من التعليم الرضى ١٠١
- ١٣٩ ٦- فى العهد المهدي ١٠١
- ١٣٩ ج- معلم وضاح (١) ١٠١
- ١٤٠ د- معلم وضاح (٢) ١٠١
- ١٤١ هـ- الوضع المطلوب للنظام الاقتصادى فى الاسلام ١١١
- ١٤٢ و- ايقاظ دينى وتربوى واجتماعى واصلاحى هام ١١١
- ١٤٥ ز- الفقه القديم يؤكد على تبني «مبدأ المساواة» ١١١
- ١٤٦ ح- الثورات الدائمة تتبنى «مبدأ المساواة» ١١١
- ١٤٧ ط- مثال اعلى ١١١
- ي - اصلاان تربويان عظيمان : ١١١
- ١٤٨ الاصل الاول : المساواة فى التعليم ٥٩١
- ١٥٠ الاصل الثانى : المساكن ولزوم تعليمهم وتثقيفهم ٩٩١
- ١٥١ نظرة الى الفصل
- الاصول الرئيسية التى تدعو الى «المساواة» : ٢٢١
- ١٥٣ ١- اصل التوحيد ٧١
- ١٥٥ ٢- اصل تساوى الناس فى الخلق ٢٧١
- ١٥٦ ٣- اصل كرامة الانسان ٢٧١
- ١٥٧ ٤- اصل الاخوة الايمانية ٢٧١
- ١٥٧ ٥- اصل محدودية الانسان التكوينية فى استغلال المواهب ٢٧١

- ١٥٧ ٦- اصل رفض التكاثر (الاقتصاد الحر)
- ١٥٧ ٧- اصل البنية الاسلامية
- ١٥٨ ٨- اصل شجب الاثرة والمحابة
- ١٥٨ ٩- اصل تعميم المواهب المعيشية
- ١٥٩ ١٠- اصل قوامية المال وتساويها لكل
- ١٦٠ ١١- اصل محدودية الامتلاك في التشريع الاسلامي
- ١٦٠ ١٢- اصل محدودية الاستهلاك في التشريع الاسلامي
- ١٦١ ١٣- اصل الانفاق
- ١٦١ ١٤- اصل الاقتصاد في المعيشة
- ١٦١ ١٥- اصل العدل (التوازن الاقتصادي) وتقريب مستوى العيش للجميع
- ١٦٢ ١٦- اصل الاحسان (الانسجام المعيشي)
- ١٦٢ ١٧- اصل اسناد الفضل والميزة الى التقوى
- ١٦٢ ١٨- اصل رابطة العدل والتسوية
- ١٦٣ ١٩- اصل رفض الاسراف والتبذير والتقتير
- ١٦٣ ٢٠- اصل كفاح الفقر واستئصاله
- ١٦٤ ٢١- اصل شجب الاستضعاف
- ١٦٤ ٢٢- اصل تمويل الفقير لان يلحق عياله بالناس
- ١٦٥ - تنبيه
- ١٦٦ - تذكير
- ١٦٧ الفصل ٤٨- القسط الاسلامي
- القسط القرآني، تجسيد و تجسيد:
- ١٧٠ ١- النبي الاعظم «ص» والقسط
- ١٧٤ ٢- الامام علي بن ابي طالب «ع» والقسط
- ١٧٧ ٣- ثورة عاشوراء والقسط
- ١٨٢ ٤- الامام الصادق «ع» والقسط

- ١٨٤ ٥- الحكم المنتظر والقسط
- ١٨٦ الماح الى سر كبير
- ١٨٨ الحيف يدعو الى السيف
- ١٨٩ المقياس الفاصل بلاريب
- ١٩١ نظرة الى الفصل
- ١٩٤ - ايقاظ هام (١) : الحكم الاسلامي والقسط
- ١٩٩ - ايقاظ هام (٢) : التقنين الاسلامي والقسط
- ٢٠٠ - ايقاظ هام (٣) : العدل والتوحيد علويان
- ٢٠٠ - ايقاظ هام (٤) : الايمان بالبعض والكفر بالبعض الآخر
- ٢٠١ - ايقاظ هام (٥) : اهمية توعية الناس بواقع الدين
- ٢٠٣ - ايقاظ هام (٦) : القوامية بالقسط واجب من؟
- ٢٠٣ - ايقاظ هام (٧) : القرآن، كله لا بعضه
- ٢٠٨ - ايقاظ هام (٨) : النضال ضد الجوع
- تنبيهات هامة :
- ٢١٦ ١- اشباع الجائعين، اصل وتعميم (١)
- ٢١٧ ٢- اشباع الجائعين، اصل وتعميم (٢)
- ٢١٧ ٣- اشباع الجائعين، صور فاضلة
- ٢١٨ ٤- اشباع الجائعين ودوره في تحكيم الصلات الاقتصادية
- ٢١٩ ٥- اشباع الجائعين ودوره في صيانة الكيان السياسي
- ٢٢٠ ٦- اشباع الجائعين، الواجب الكبير
- ٢٢٠ ٧- اشباع الجائعين ودوره في بناء الانسان الخلقي
- ٢٢١ ٨- اشباع الجائعين ودوره في الكيان الديني
- ٢٢١ ٩- اشباع الجائعين واطعام الآخرين، مكارم وآداب
- ٢٢٢ ١٠- اشباع الجائعين، تجسيد مستوعب
- ٢٢٣ الفصل ٤٩- مضادة التكاثر والفقير للقسط الاسلامي

٢٢٥	نظرة الى الفصل
٢٢٧	- تنبيه
٢٢٧	- توضيحان
٢٢٨	- تذييل هام: تفسير الطبقات بمقياس التعاليم الاسلامية، والتكاثريه
٢٢٩	١- تفسير الطبقيه في مفهومها الاسلامي
٢٣٥	٢- تفسير الطبقيه في مفهومها التكاثري
٢٤٠	الفصل ٥٠- الاصلاح الاجتماعي، مقاطعة ودفاع
٢٥٦	نظرة الى الفصل
٢٥٨	- اصل وتنبيه
٢٦١	- اخطار: السيدة خديجة في الجاهلية وفي الاسلام
٢٦٣	الباب الثاني عشر: المدخل الى دراسة الاقتصاد الاسلامي (اصول عامة)
٢٦٥	الفصل ١- صور المالكية
٢٦٥	أ- مالكية الله تعالى
٢٦٦	ب- مالكية الحكم الاسلامي
٢٦٧	ج- مالكية الناس عامة
٢٦٩	د- مالكية الناس خاصة
٢٧١	نظرة الى الفصل
٢٧٢	الفصل ٢- الارض .. موضوعة للانام
٢٧٧	نظرة الى الفصل
٢٧٩	- تنبيه
٢٨١	- اشارة
٢٨٢	الفصل ٣- المواهب والاموال، تعميم وتأميم
٢٩٠	نظرة الى الفصل

- الفصل ٤- العمل والعمالة، ودورهما الرئيسي في البناء الاقتصادي (١)
- ٢٩١ أ- العمل في سنة التكوين
- ٢٩١ ب- العمل في سنة التشريع
- ٢٩٤ ج- الحث على العمل (١)
- ٢٩٥ د- الحث على العمل (٢)
- ٢٩٧ هـ- اتقان العمل
- ٢٩٨ و- انتظام العمل
- ٢٩٩ ز- العمل بالعلم والاختصاص
- ٢٩٩ ح- العمل بالالتزام
- ٣٠١
- ٣٠٢ نظرة الى الفصل
- شرح الجهات الهامة التي تركز قيمة العمل :
- ٣٠٣ ١- الجهة الطبيعية
- ٣٠٤ ٢- الجهة الانسانية الجسمية
- ٣٠٤ ٣- الجهة الانسانية الروحية
- ٣٠٥ ٤- الجهة الحياتية
- ٣٠٥ ٥- الجهة التربوية
- ٣٠٥ ٦- الجهة التعليمية
- ٣٠٦ ٧- الجهة الاخلاقية
- ٣٠٦ ٨- الجهة التكاملية
- ٣٠٧ ٩- الجهة الاجتماعية
- ٣٠٨ ١٠- الجهة البيئية
- ٣٠٨ ١١- الجهة الاقتصادية
- ٣٠٩ ١٢- الجهة التشريعية
- ٣١٠ ١٣- الجهة الثقافية
- ٣١٠ ١٤- الجهة السياسية
- ٣١١ ١٥- الجهة الدفاعية

٣١١	١٦- الجهة الفنية
٣١٢	١٧- الجهة الصحية
٣١٢	١٨- الجهة التقدمية
٣١٣	١٩- الجهة الصناعية
٣١٣	٢٠- الجهة الرفاهية
٣١٤	الفصل ٥- العمل والعمالة، ودورهما الرئيسي في البناء الاقتصادي (٢)
٣١٤	أ- تقسيم الوقت
٣١٦	ب- تقسيم العمل
٣١٦	ج- العمل ودوره في مطاردة الفقر
٣١٨	د- العمل ودوره في صيانة الدين
٣١٨	هـ- السعي والمثابرة في العمل
٣١٩	و- الاغتراب في طلب الرزق والتماس العمل
٣٢٠	ز- لا يستجاب دعاء الفارغ والعاطل
٣٢١	ح- الانبياء والاوصياء والعمل
٣٢٥	تنبيه
	تذييلان :
	أ- العمل، اخلاق و آداب :
٣٢٦	١- رعاية الاعتدال
٣٢٧	٢- لا حرص ولا ضعف
٣٢٧	٣- الحذق واستعماله
٣٢٧	٤- الالتزام بالامانة
٣٢٧	٥- حسن التعامل
٣٢٨	٦- التحذير من التسويف وتضييع اوقات الناس
٣٢٨	ب- لا عمل للحكم الجائر
٣٣٠	نظرة الى الفصل
٥	١٤

- ٣٣٢ الفصل ٦- العطل والكسل، استنكار ورفض
- ٣٣٢ أ- العطل
- ٣٣٤ ب- الكسل
- ٣٣٦ نظرة الى الفصل
- ٣٣٨ - تدليل
- ٣٤٢ - تكميل : النبي «ص» يقبل يد العامل
- ٣٤٣ الفصل ٧- الفلاحة والزراعة
- ٣٤٧ - تدليل : الزراعة، آداب و حقوق
- ٣٤٩ نظرة الى الفصل
- ٣٥٠ الفصل ٨- الرعي وتربية المواشي
- ٣٥٢ الفصل ٩- البحر، صيده واستخراج فوائده والصناعة البحرية واهمية طرق البحر
- ٣٥٤ نظرة الى الفصل
- ٣٥٦ الفصل ١٠- الصناعات والاختراعات
- ٣٥٩ اشارة : الكشوف والاختراعات التي تكون رهينة العصور وتطوراتها
- ٣٦٠ نظرة الى الفصل
- ٣٦١ الفصل ١١- الاخصائية الملتزمة
- ٣٦٤ نظرة الى الفصل
- ٣٦٦ الفصل ١٢- الاجراء، الفلاحون، العمال، لا ظلم ولا استغلال
- ٣٦٩ نظرة الى الفصل
- ٣٧١ الفصل ١٣- الاستيراد والبيع

- ٣٧٣ أ- الحرض على الكسب والاستيراد
- ٣٧٣ ب- الفقه ثم المتجر (الكسب والاستيراد)
- ٣٧٤ ج- السنة في البيع والشراء
- ٣٧٧ د- تحديد الربح
- ٣٧٧ هـ- شجب الارباح الضخمة والتكاثرية
- ٣٧٩ و- السماح والسهولة في البيع
- ٣٨٠ ز- البيع في الظلال غش
- ٣٨٠ ح- الغش ورفضه الحاسم
- ٣٨١ ط- غبن المؤمن والمسترسل ربا
- ٣٨١ ي- الصدق واخذ الحق واعطاؤه، والافالفجور
- ٣٨٣ يا- شراء الجيد وبيع الجيد
- ٣٨٣ يب- لايمين في البيع
- ٣٨٣ يج- لا يبخس لاشياء الناس
- ٣٨٤ يد- لا تطفيف ولا اخسار
- ٣٨٤ يه- لا تسويف ولا تأخير
- ٣٨٤ يو- مجادلة السيوف اهون من طلب الحلال
- ٣٨٤ يز- بيع المضطرين ممنوع
- ٣٨٥ يح- رفض الوساطة في البيع
- ٣٨٥ يط- حق الميزان والوفاء به
- ٣٨٦ ك- لا يباع السلاح من اعداء الاسلام
- ٣٨٦ تنبيه
- ٣٨٧ كا- اي كاسب حبيب الله؟
- ٣٨٧ كب- تدنُّ وسقوط
- ٣٨٧ كج- قيم مثلى للحياة الاسلامية في الاسواق
- ٣٨٨ كد- اوقات وحقوق
- كه - السوق سوقان

الفهرست

- ٣٨٩ ١ - مسيرة الى الله ومغفرته وجنته
- ٣٨٩ ٢ - ميدان الشيطان ومحضره
تتميمات :
- ٣٩٠ ١ - التعريف بشر الناس
- ٣٩١ ٢ - الظلم الذي لا يترك
- ٣٩١ ٣ - خلط الطعام في البيع
- ٣٩٢ نظرة الى الفصل
- ٣٩٤ - الاحاديث المؤثرة للبيع والاستيراد الاسلامي
- ٣٩٨ - تذييلات
- ٤٠٠ الفصل ١٤ - الربا، سحق جبار
- ٤٠٠ أ - اكل الربا عمل شيطاني
- ٤٠٠ ب - اذان الحرب من الله تعالى
- ٤٠٠ ج - الربا يمحق
- ٤٠١ د - المؤمن لا يأكل الربا
- ٤٠١ هـ - اكل الربا سيرة يهودية
- ٤٠١ و - الربا مضاعفة وتكاثر
- ٤٠٢ ز - شر المكاسب واخبثها
- ٤٠٣ ح - الوزر الاكبر
- ٤٠٣ ط - اخوف ما يخاف منه على الامة
- ٤٠٤ ي - اكل الربا بالحيلة
- ٤٠٤ يا - الربا وفساد الاموال والتجارات وتعطيل حركة العمل
- ٤٠٥ يب - آكل الربا ملعون
- ٤٠٥ يج - آكل الربا يقتل
- ٤٠٦ يد - اوزار وعظام
- ٤٠٧ يه - احوال عظيمة

- ٤٠٨ يو- الربا يمحق الدين
- ٤٠٨ يز- الربا ظلم
- ٤٠٨ يح- ذهاب المعروف
- ٤٠٩ يط- الربا هلاك فردي
- ٤٠٩ ك- الربا هلاك اجتماعي
- ٤١٠ نظرة الى الفصل
- ٤١٢ الفصل ١٥- الاحتكار
- ٤١٢ أ- احتكار الاموال
- ٤١٣ ب- احتكار الارزاق
- ٤١٣ ج- الاحتكار وإضراره بدين المحتكر
- ٤١٣ د- الاحتكار وإضراره بدنيا المحتكر
- ٤١٤ هـ- الاحتكار وإضراره بالمجتمع
- ٤١٤ و- الاحتكار وإضراره بالحكم
- ٤١٤ ز- الاحتكار خطأ، دناءة، رذيلة وشرارة
- ٤١٥ ح- الاحتكار فجور
- ٤١٥ ط- المحتكر آثم
- ٤١٥ ي- المحتكر ملعون
- ٤١٦ يا- المحتكر شرمن السارق
- ٤١٦ يب- التجار والاحتكار
- ٤١٧ يج- المنع من الاحتكار
- ٤١٧ يد- لا كفارة للاحتكار
- ٤١٧ يه- عذاب المحتكرين :
- ١ - عقوبتهم في الدنيا:
- ٤١٨ أ- بما يناسب فعلهم
- ٤١٨ ب- باظهار ما يحتكرون

- ٤١٩ ج- باحراق اموالهم و ابادتها
- ٤١٩ ٢- عذابهم في الآخرة
- ٢٢٧ تذييل : مسؤولية الحكم الاسلامي بالنسبة الى المحتكرين
- ٤١٩ و عرض اموالهم على الناس و اجبارهم على البيع
- ٢٢٨ تميمان :
- ٤٢٢ ١- تعيين موضوعات الاحتكار
- ٤٢٥ ٢- التسعير
- ٤٣١ تذييب
- ٤٣٣ نظرة الى الفصل
- ٤٣٩ - تنبيه
- ٤٤٠ - ايقاظ
- ٤٤١ الفصل ١٦- الانفاق (١)
- ٤٤١ - نظرة عامة
- ٤٤٢ أ- الانفاق، مبني واصل
- ٤٤٤ ب- الانفاق، من اركان الايمان
- ٤٤٥ ج- الانفاق، من دعائم الحياة الاجتماعية وبقائها
- ٤٤٦ د- الانفاق، زينة اليقين
- ٤٤٦ هـ- الانفاق، اعظم نعمة
- ٤٤٧ الفصل ١٧- الانفاق (٢)
- ٤٤٧ - عظمته واهميته :
- ٤٤٧ أ- رديف الايمان بالغيب
- ٤٤٧ ب- رديف اقامة الصلاة
- ٤٤٨ ج- رديف القتال في سبيل الله و الجهاد بالنفس

- ٤٥٠ د- رديف السهر لصلاة الليل والتجافي عن المضاجع
- ٤٥١ هـ- رديف الصبر والقنوت والاستغفار بالاسحار
- ٤٥٢ و- رديف النصح لله وللرسول «ص»
- ٤٥٢ ز- رديف الاستجابة للرب تعالى
- ٤٥٣ ح- احد ملاكات الايمان الحق
- ٤٥٣ ط- من علائم الصدق والالتزام
- ٤٥٤ ي- من سمات المتقين
- ٤٥٤ يا- درجات ومغفرة ورزق كريم
- ٤٥٥ يب- النجاة من الخوف والحزن اللازمين للانسان في احواله الآتية
- ٤٥٦ الفصل ١٨ - الانفاق (٣)
- أ- آثاره الخالدة :
- ٤٥٦ أ- مكتوب عند الله محسوب
- ٤٥٧ ب- إخلاف الله له
- ٤٥٨ ج- اجور مضاعفة
- ٤٥٩ د- شكران للنعمة
- ٤٦٠ هـ- عمل لنفسك
- ٤٦١ و- حمل الزاد ليوم المعاد
- ٤٦٣ ز- تجارة لن تبور
- ٤٦٣ ح- شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة
- ٤٦٤ ط- لا ضرر ولا نقصان في الانفاق
- ٤٦٥ يا- لا توفيق الا في الانفاق
- ٤٦٥ يب- ليس لك الا ما انفق
- ٤٦٦ يج- لا ينفع المال بلا انفاق
- ٤٦٦ يد- شر المال ما لم ينفق منه (١)
- ٤٦٦ يه- شر المال ما لم ينفق منه (٢)

- الفصل ١٩ - الانفاق (٤)
- ٤٦٧ - احوال و اوقات :
- ٤٦٧ أ - سرّاً
- ٤٦٧ ب - علانية
- ٤٦٨ ج - بالليل
- ٤٦٨ د - بالنهار
- ٤٦٨ هـ - في السراء
- ٤٦٨ و - في الضراء
- ٤٦٨ ز - فرص مؤاتية والتحذير من فواتها
- ٤٧٠ ح - الانفاق، بذل و بذل
- ٤٧٠ ط - هم الاخسرون الا المتقين
- ٤٧١ ي - اهمية الانفاق في ازمنة العسرة واليأس من غلبة الحق

- الفصل ٢٠ - الانفاق (٥)
- ٤٧٣ - بعض مناشئ اهماله و تركه :
- ٤٧٣ أ - سوء الظن بالله تعالى
- ٤٧٤ ب - النفاق والكذب
- ٤٧٥ ج - الكفر
- مغبات ترك الانفاق و اهماله :
- ١ - المغبات الفردية :
- ٤٧٥ أ - الدنيوية
- ٤٧٦ ب - الاخروية
- ٢ - المغبات الاجتماعية :
- ٤٧٧ أ - الدنيوية
- ٤٧٨ ب - الاخروية
- ٤٧٩ ٣ - المغبة الكبرى : الابتعاد عن الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...

القرآن ٢٤-٨

«الباب الحادي عشر»

مجمع المؤلفات

سنة ١٢٠٠ هـ
من تصانيفه

١٢٠٠ هـ

الفصل الحادي والأربعون

الفن: إظهار وحيدان

يتبع:

«الباب الحادي عشر»

في هذا الباب من الشؤون التي يواجها هو أنه كيف يولي
بين هاتين الطائفتين من العالمين يقول: لقد أرى كيف لاكم
العالمين نفساً إلى ذلك الترتيب، فعالم الحق والصدق، وعالم
شائناً، وبينهما ما الكفاية يعني أرى كيف أرى العالمين بالخطأ والصدق
وهو من سببها بالحق والصدق كما أن العالمين بالحق والصدق
أرى كيف أرى العالمين بالخطأ والصدق من حيث أرى العالمين بالخطأ
في حالة مثل بعض الحكام بالحق والصدق والصدق والصدق

مبني:

«مشهد رده لكتاب لسان»

* سلف من فصول «الباب الحادي عشر» أربعون فصلاً، في الجزءين، الثالث والرابع؛ وإلى القارئ، الفصل الحادي والأربعين إلى الفصل الخمسين، من الباب المذكور، وعشرين فصلاً من «الباب الثاني عشر»، في هذا الجزء:

الفصلُ الحادي والأربعون

الغنى، إطاران وحدان

لقد وَرَدَتْ في التَّعاليم، مقاطعٌ تَمَدِّحُ الغنى وتُؤهِّ بِشأنه،
وتَحْضُّ عليه وتَدُلُّ على مطلوبِيَّته، وتَعُدُّ سَعَةَ المالِ من النِّعم، كما
وَرَدَتْ في الأَدِيعَةِ الشَّرِيفَةِ جُمْلٌ طُلِبَتْ بها السَّعَةُ والغنى . وهناك
آياتٌ تُنَدِّدُ بالموسرين والمُتَرَفِّين - وهمُ الاغنياءُ طبعاً - وبالاموالِ
الكثيرةِ والقناطيرِ المُقَنْطَرَةِ من الذَّهَبِ والفضَّة، واحاديثٌ كثيرةٌ
تُدِّمُ الغنى ذِمًّا حاسماً وتَمَقِّتُ الاغنياءَ والموسرين وتزَدِّرِيهم وترَسِّمُ
ذمائمَ صفاتِيهم، وتُحذِّرُ المُجْتَمِعَ منهم ومن نَزَعَاتِيهم المُعْتَدِيَةِ، ومن
الاقترابِ منهم، بل تدعو النَّاسَ الى رِفْضِهِم ومَحَارَبَتِيهم - ولقد مرَّت
نبذةٌ منها في سالفِ الفصول - وهناك في الاحاديثِ ما يدَعُو الى
الاحترازِ من سَعَةِ المالِ والافتتانِ بها .

في هذا الضَّوء، إِنَّ السُّؤالَ الَّذِي يُواجِهنا هو أَنَّهُ كَيْفَ يُوفَّقُ
بين هاتين الطَّائفتين من التَّعاليم؟ فنقولُ : لقد أَرشَدَتْنا تِلْكَمُ
التَّعاليمُ نَفْسُها الى ذلك التَّوفيقِ؛ فمَعالِمُ الحَقِّ واضحة، وتعاليمُ دينِ
اللَّهِ الحَنِيفِ مُبَيَّنَةٌ . وعلينا أَن لا نَميلَ يَمِيناً وشمالاً، وَأَن لا نَحيدَ عن
المُهَيِّعِ اللَّاحِبِ، وَأَن نَتَحَرَّرَ من الانحيازِ، وَأَن نَسْتَقِيَّ العِلْمَ من
يَنابيعِهِ، وَأَن نَتَفَقَّهَ في الدِّينِ بِشكلٍ موضوعيٍّ مجموعيٍّ، اذ الدِّينُ
في حالةِ صلَةٍ بعضِ احكامِهِ بالبعضِ الآخِرِ (ورعايةِ «المركزِ»

و«الترباط» في الاحكام)، يَهْدِي الانسانَ وَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فِي مَعَاوِرِ
 الْحَيَاةِ الشَّاسِعَةِ، وَيَصْنَعُ الْمَجْتَمَعَ الْانْسَانِيَّ وَيُحَلِّقُ بِهِ إِلَى أَوْجِ
 الْفَضِيلَةِ وَالْحَقِّ، وَالْعِظْمَةِ وَالْعَدْلِ، وَالْمِثَالِيَّةِ وَالْقِسْطِ. وَلَا جِلَّ ذَلِكَ
 نُسَاهِدُ أَنَّ النَّبِيَّ الْاَعْظَمَ «ع» حِينَمَا يُرْسِلُ الصَّحَابِيَّ الْمَعْرُوفَ،
 مَعَاذَ بَنِ جَبَلٍ، إِلَى الْيَمَنِ لَصْنَعِ مَجْتَمَعِ اِسْلَامِيٍّ، يَسُوْدُهُ الْاِسْلَامُ
 وَيَحْكُمُ فِيهِ الْقُرْآنُ، يُوصِيهِ بِأَنْ يُظْهَرَ «أَمْرَ الْاِسْلَامِ كُلَّهُ، صَغِيرَهُ
 وَكَبِيرَهُ»^١. وَالتَّأَكِيدُ عَلَى هَذَا الْمَوْقِفِ، يَعْنِي اِظْهَارَ اَمْرِ الْاِسْلَامِ كُلِّهِ،
 صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ، فِقْهِيَّةً وَاخْلَاقِيَّةً،^٢ هُوَ مَلَاكُ صُنْعِ الْمَجْتَمَعِ الْاِسْلَامِيَّ
 وَارِسَاءِ قَوَاعِدِ حُكُومَتِهِ؛ فَلْتَكُنْ لَنَا فِي رِسُولِ اللَّهِ «ص» أُسُوَّةٌ حَسَنَةٌ.
 وَامَا الْغِنَى، عَلَى حَسَبِ مَا نَفَهَّمَهُ مِنْ مَجْمُوعِ التَّعَالِيمِ
 الْقُرْآنِيَّةِ وَالْحَدِيثِيَّةِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ، فَهُوَ قِسْمَانِ كَمَا،
 وَنُوعَانِ كَيْفًا، اِمَا الْاَوَّلَانِ فَهَمَا :

١ - الْغِنَى الْمُقْتَصِدِ .

٢ - الْغِنَى الْمَفْرُطِ .

وَامَا الثَّانِيَانِ فَهَمَا :

١ - الْغِنَى الْمُلتَزِمِ .

٢ - الْغِنَى اللَّامُلتَزِمِ .

وَالْاَوَّلَانِ مِنَ الْاَوَّلِيْنَ وَالثَّانِيَيْنِ مَمْدُوحَانِ . وَهَمَا مُتَّحِدَانِ
 بِحَسَبِ الْوَاقِعِ وَالْمَصْدَاقِ فِي الْاِغْلَبِ . وَالثَّانِيَانِ مِنَ الْاَوَّلِيْنَ
 وَالثَّانِيَيْنِ مَرْفُوضَانِ، وَهَمَا اَيْضًا مُتَّحِدَانِ بِحَسَبِ الْوَاقِعِ وَالْمَصْدَاقِ
 فِي الْاِغْلَبِ .

فَكُلُّ مَا كَانَ مِنَ الْغِنَى مُطَابِقًا لِمَوَازِينِ الْاِعْتِدَالِ وَالْقَصْدِ كَمَا
 وَامْتِلَاكًا، رَاجِعًا إِلَى الْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْعَدْلِ وَالْاِحْسَانِ وَالْحَقِّ

١ - تحف العقول / ٢٥ .

٢ - على حسب المصطلح .

كيفاً واستهلاكاً، فهو ممدوحٌ مطلوب . وكلُّ ما جاوزَ تلك الموازين
كماً وامتلاكاً، وكان راجعاً الى التفاخرِ والاعتدائِ والتكاثرِ ومنعِ
الحقوقِ واستغلالِ النَّاسِ كيفاً واستهلاكاً، فهو مذمومٌ مرفوض .
فللغنى إطاران كيفاً وحدان كماً، ولعلَّ الآياتِ والاحاديثَ
المذكورةَ في الفصولِ السَّالفةِ، تكفي لآن ترسَّم هذين الإطارين
وتحدَّ هذين الحديين، وتُجسِّدَ امامَ القارئِ أنَّ الغنى قد يُنظرُ اليه
كوسيلةٍ، مع رعايةِ الحدِّ فهو مطلوب، وقد يُنظرُ اليه كههدفٍ فهو
مذموم، ومأله الى عبادةِ الدينارِ والدرهمِ واتخاذِ المالِ صنماً .
فعلاوةً على ما مرَّ تقدِّمُ الى القارئِ في هذا الفصلِ شدرةً أُخرى من
تلك التعاليم :

أ - الغنى المقتصد والملتزم (الغنى كوسيلة)

الكتاب

- ١ وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تُقربكم عندنا زُلْفى إلا من آمنَ وعَمِلَ صالحاً،
فأولئك لهم جزاءُ الضَّعْفِ بما عَمِلُوا، وهم في العُرْفَاتِ آمِنون *^١
- ٢ تُوْمِنون باللهِ ورسوله وتُجاهِدون في سبيلِ اللهِ بأموالكم وأنفُسِكُم، ذلكم
خيرٌ لكم إن كُنتم تَعْلَمون *^٢
- ٣ انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً وجاهِدُوا بأموالكم وأنفُسِكُم في سبيلِ اللهِ، ذلكم خيرٌ

١ - سورة سبأ (٣٤) : ٣٧ .

٢ - سورة الصَّفِّ (٦١) : ١١ .

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: طوبى لِمَنْ اِكْتَسَبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَالاً مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَأَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ..^٢
- ٢ الامام علي «ع» - دخل على العلاء بن زياد الحارثي، وهو من اصحابه يَعودُه، فلَمَّا رَأَى سَعَةَ دَارِهِ قَالَ: مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجُ؟ وبلى، إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتَطْلُعُ مِنْهَا الْحَقُوقَ مَطَالِعِهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ.^٣
- ٣ الامام علي «ع»: .. إِنْ مِنَ النُّعْمِ سَعَةَ الْمَالِ.^٤
- ٤ الامام علي «ع»: .. أَمْسِكِ الْمَالَ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ.^٥
- ٥ الامام الباقر «ع»: وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ «ع»: «أَلَا! إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ؛ إِذَا أَدُّوا فَرَائِضَ اللَّهِ، وَأَخَذُوا بِسُنَنِ

١ - سورة التوبة (٩): ٤١.

٢ - تحف العقول / ٢٨.

٣ - نهج البلاغة / ٦٦٢ - ٦٦٣: عبده ٢ / ٢١٣.

٤ - نهج البلاغة / ١٢٧١: عبده ٣ / ٢٤٧. راجع أيضاً: الفصل ٣١، من الباب ١٢، فقرة «ب».

٥ - نهج البلاغة / ٨٧١: عبده ٣ / ٢٣.

رسول الله، وتَوَرَّعُوا عن محارمِ الله، وَزَهَّدُوا في عاجلِ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَرَغِبُوا فيما عند الله، وَاكْتَسَبُوا الطَّيِّبَ من رزقِ الله - لا يُرِيدُونَ التَّفَاخَرَ والتَّكَاثُرَ - ثم أَنفَقُوا فيما يَلْزَمُهُمْ من حقوقِ واجبة؛ فأولئك الَّذِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَهُمْ فيما اكْتَسَبُوا، وَيُثَابُونَ على ما قَدَّمُوا لآخِرَتِهِمْ»^١.

٦ الامام الصادق «ع»: غَنَى يَحْجُزُكَ عن الظلم، خَيْرٌ من فقرٍ يَحْمِلُكَ على الإثم^٢.

٧ الامام الصادق «ع» - ذَكَرَ رجلٌ عندَ ابي عبد الله «ع» الاغنياءَ وَوَقَعَ فيهم، فقال ابو عبد الله: أَسْكُتْ! فَإِنَّ الغنَى إذا كان وَصُولاً لِرَجِيمِهِ، بَارَأً بِاخْوَانِهِ، أضعفَ اللَّهُ له الاجرَ ضَعْفَيْنِ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تُقَرَّبُكُمْ عندنا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالحاً، فأولئك لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بما عَمِلُوا، وَهُمْ في الغُرُفَاتِ آمِنُونَ»^٣.

٨ الامام الكاظم «ع»: يا هِشام! مَنْ أكرَمَهُ اللهُ بثلاثٍ فقد لَطَفَ له: عقلٌ يَكْفِيهِ مؤونةَ هواه، وعلمٌ يَكْفِيهِ مؤونةَ جهله، وغنىٌ يَكْفِيهِ مخافةَ الفقر^٤.

* مقتضى الجمع، هو تبريرُ الغنى المقتصدِ الَّذي يُوافقُ الحدَّ القواميَّ للمال، لغايةِ دفعِ الفقرِ ورفعِ الكلِّ عن الناسِ، والانفاقِ والبذلِ وصلةِ الرَّجِيمِ وِبِرِّ الاخوانِ واداءِ سائرِ الحقوقِ الظَّاهِرَةِ والباطنة.

١ - تفسير نور الثقلين ٢ / ٣٠٩.

٢ - الكافي ٥ / ٧٢.

٣ - تفسير القمي ٢ / ٢٠٣.

٤ - تحف العقول / ٢٩٥.

٩ الامام الرضا «ع»: إِنَّ الَّذِي يَطْلُبُ مِنْ فَضْلٍ ، يَكْفُ بِهِ عِيَالَهُ ، أَعْظَمُ اجْرَاءً مِنَ الْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

* يَقِيدُ الْإِمَامُ «ع» كَلَامَهُ فِي طَلْبِ فَضْلٍ ، بَأَن يَكُونَ لَكَفٍّ الْعِيَالِ . وَهَذَا هُوَ الْغِنَى الْمَقْتَصِدُ الْقَوَامِيُّ الْمَلْتَزِمُ .

ب- الغنى غير المقتصد وغير الملتزم (الغنى كفاية)

الكتاب

- ١ أَهْلَاكُمْ التَّكَاثُرَ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * ٢
- ٢ كَلَّا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى * ٣
- ٣ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ .. ٤

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ ٥ .

-
- ١ - تحف العقول / ٣٢٨ .
 - ٢ - سورة التكاثر (١٠٢) : ١ - ٢ .
 - ٣ - سورة العلق (٩٦) : ٦ - ٧ .
 - ٤ - سورة الانفال (٨) : ٢٨ .
 - ٥ - نهج البلاغة / ١١١٣ : عبده ٣ / ١٦٤ .

- ٢ الامام علي «ع» : .. اِعْلَمُوا أَن كَثْرَةَ الْمَالِ مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ، مَقْسَاةٌ لِلْقُلُوبِ .
- ٣ الامام علي «ع» : .. فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدَ، جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ وَالِاخْتِبَارِ، فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى وَالِاقْتِنَارِ ..^٢
- ٤ الامام الصادق «ع» : فيما ناجى الله عزَّ وجلَّ به موسى : يا موسى ! لا تَرَكَنْ الى الدُّنْيَا رُكُونَ الظَّالِمِينَ، وَرُكُونَ مَنْ اتَّخَذَهَا اَبًا وَاُمًّا .. وَاَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ فِتْنَةٍ بَدُوْهَا حُبُّ الدُّنْيَا، وَلَا تَغْبِطُ احِدًا بِكَثْرَةِ الْمَالِ، فَإِنَّ مَعَ كَثْرَةِ الْمَالِ كَثْرَةَ الذُّنُوبِ لِوَاجِبِ الْحَقُوقِ ..^٣
- ٥ الامام الصادق «ع» - العَقْرُ قُوفِي قَالَ : قُلْتُ لِابِي عَبْدِ اللَّهِ «ع» : شَيْءٌ يُرَوَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : ثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهَا النَّاسُ وَأَنَا أُحِبُّهَا، أُحِبُّ الْمَوْتَ، وَأُحِبُّ الْفَقْرَ، وَأُحِبُّ الْبَلَاءَ؟ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا لَيْسَ عَلَى مَا تَرُونَ،^٤ إِنَّمَا عَنِي : الْمَوْتُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَالْفَقْرُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَالْبَلَاءُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّحَّةِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ..^٥

مسائل

الاولى : التحديث بالنعمة

١٠ - تحف العقول / ١٤٦ .

٢ - نهج البلاغة / ٧٨٩ : عبده ٢ / ١٦٨ .

٣ - الوافي ١ (٣م) / ٧٧ .

٤ - في بعض النسخ : «برون»، وفي بعضها : «بروون» .

٥ - معاني الاخبار / ١٦١ : و ١٦٥ ، من طبعة الغفاري المصححة .

الكتاب

١ وأما بنعمة ربك فحدّث * ١

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَيُحِبُّ أَنْ يُرَىٰ أَثَرَ النِّعْمَةِ عَلَىٰ عَبْدِهِ»^٢.
- ٢ الامام علي «ع» - فيما كتبه الى الحارث الهمداني: «.. وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ؛ وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ؛ وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ»^٣.
- ٣ الامام الصادق «ع» - في تفسير قوله تعالى: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»: معناه فَحَدِّثْ بِمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ وَفَضَّلَكَ وَرَزَقَكَ وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ وَهَذَاكَ^٤.

الثانية: الردع عن التظاهر بالفقر

٤ النبي «ص»: «مَنْ تَفَاقَرَ افْتَقَرَ»^٥.

١ - سورة الضحى (٩٣): ١١.

٢ - الكافي ٦ / ٤٣٨.

٣ - نهج البلاغة / ١٠٦٧؛ عبده ٣ / ١٤٢.

٤ - مجمع البيان ١٠ / ٥٠٧.

٥ - تحف العقول / ٣٥.

الثالثة : لا تحديث بالفقر

٥ الامام الكاظم «ع» : لا تُحَدِّثُوا انْفُسَكُمْ بِفَقْرٍ، وَلَا بِطَوْلِ عَمْرٍ، فَإِنَّهُ مِنْ حَدَّثِ
نَفْسِهِ بِالْفَقْرِ بَخْلٌ، وَمَنْ حَدَّثَهَا بِطَوْلِ الْعَمْرِ يَحْرِصُ^١.

نظرة الى الفصل

الغنى، إطران وحدان : إنَّ الغنى قد يُقال في مقابل «الفقر»، ويراد به اصابة المال بالمقدار اللازم للعيش ومستلزماته، والتمكُّن من الاستجابة لحاجات الحياة، فيوصفُ صاحبه بـ «الغني» في مقابل «الفقر»، فيقال : فلانٌ غنيٌّ، اي مُكْتَفٍ في رزقه ولا يحتاج الى غيره . وقد يُقال بمعنى التكاثر والافراط في تملك الثروة والمال، فيوصف صاحبه بـ «الغنيُّ المُتْرَف»، و«الغنيُّ المُتكاثر»، في مقابل «الغنيُّ المُقتصد»، فيقال : فلانٌ غنيٌّ، اي رأسماليُّ تكدَّست لديه الاموال الطائلة .

والغنى، بمعناه الحقيقي^١، الذي يُقره الاسلام، هو الغنى بالمعنى الاول، وهو في مقابل «الفقر»، كما يقول الامام الصادق «ع» : «الغنى وضده الفقر»^٢. هذا هو الغنى الذي يبرره الاسلام ويرتضيه بل يحضُّ على طلبه من الحلال . وهذا هو الغنى الذي يُعين الانسان على التقوى والصلاح، كما يقول النبي «ص»، فيما رواه الامام الصادق «ع» : «نعم العون على تقوى الله الغنى»^٣.

وهذا الموضوع - الذي دعت اليه الاحاديث وتبنته كتعليم بناء - يعني كون الغنى مُعيناً على التقوى والخير، إنما هو اتخاذ موقفٍ اصيلٍ لاثارة كفاحين صامدين :

١- إنما قلنا : «بمعناه الحقيقي»، لأن الغنى التكاثري والاترافي ليس هو في الحقيقة غنى، بل هو امتصاص واستغلال وسرقة واغتصاب .

٢- الكافي ١ / ٢٢ .

٣- الكافي ٥ / ٧١ .

١ - كفاح في وجه الفقر والحاجة .

٢ - كفاح في وجه التكاثر والاطراف .

فليس من الانصاف الديني والعلمي والثقافي والفقاهي والتربوي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي والدفاعي، ان نجعل الموضوع المذكور دعاية لتبرير الغنى التكاثري والاطرافي وتعبيد طرقه وتحسين غايته . ولعل في مفكري المسلمين من يعد هذه الدعاية المزيفة من تبعات الجهل، او عملاً للتغطية على الضمائر والعقول، اذ المدائح الواردة بحق الغني المعين على التقوى والآخرة، كيف يمكن ان تكون مبررة لعملية تضاد التقوى وتطرح الآخرة خلف ظهرها، في مسيرها ومسربها ..؟ فاي شكل من اشكال التكاثر - الملهي بنص القرآن والمستلزم لاستغلال الناس وامتصاص دماء المحرومين وحيارة الحرام بنص الاحاديث - يجتمع مع التقوى حتى يكون عوناً عليها؟ فضلاً عن ان يكون نعم العون؟ فالتعاليم المادحة للغني - المعين على التقوى والآخرة - الداعية الى طلبه من حله، إنما تدعو الى تبني امرين موضوعيين، الأوهما :

١ - سببية الفقر للسينات وما نعيته من الصالحات .

٢ - سببية التكاثر للسينات وما نعيته من الصالحات .

وان كون الغنى عوناً على التقوى، يشير بوضوح الى ان الفقر مانع منها، مضيق لها . فلمجابهة آثار الفقر السلبية - من التي مر ذكرها في الفصول السالفة ذات الارتباط بهذا الموضوع - يمدح الاسلام الغنى ويقول : «غنى يحجزك عن الظلم، خير من فقر يحملك على الإثم» .^١ فيأتي بكلمة «غنى» منكرة منونة - وهي تدل على القلة والمحدودية - ثم يصفه بما يكون حاجزاً عن الظلم، ومطلوباً لهذه الغاية، فيعد هذا الغنى المحدود، لتلك الغاية المعلومة، خير من فقر يحمل الانسان على الإثم .

١ - الكافي ٥ / ٧٢، من حديث الامام الصادق «ع» .

ولعمرِ الحقِّ والعدل، إنَّ الوافِّ على تعاليمِ الاسلامِ القرآنيّةِ والحديثيّةِ، بصورةٍ مجموعيّةٍ ذاتِ تنظيمٍ حكيمٍ، يَعْلَمُ أنَّ الغنى المنشودَ في الاسلامِ، الَّذي حَصَّ عليه، ليس إلا ما كان مقتصدًا منه، يَسْتَعْنِي صاحبه عن النَّاسِ، فَيَمُونُ هو بنفسه عائلته، وَيَصِلُ رَحِمَهُ وَقُرْبَاهُ، وَيُنْفِقُ فَضْلَ مَالِهِ على المحتاجين .

وبكلامٍ آخر: إنَّ الاسلامَ يَذْكُرُ بنفسه فلسفته لإقرارِ الغنى وقبوله . وهي كونه مُعِينًا على التَّقوى والصَّلاح، مع أنَّ الغنى التَّكاثريُّ يَضَادُ كُلَّ ذلك - كما جاءَ في التَّعاليمِ - بل إنَّ مانعيّةَ الغنى التَّكاثريِّ للتَّقوى والالتزامِ الدِّينيِّ، أشدُّ من ما نعيّةِ الفقرِ لهما . إنَّ الاسلامَ يَحْضُّ النَّاسَ على طَلَبِ الحلالِ، وهو لا يُجامِعُ الغنى التَّكاثريُّ ايضًا . إنَّ الاسلامَ يَدْعُو المكتسبين وطلَّابَ المالِ الى الاعتدالِ في الطَّلَبِ، وهو لا يُجامِعُ التَّكاثَرَ بوجه . فالاسلامُ إذا مَدَحَ الغنى يَقْضُدُ غيرَ التَّكاثريِّ والإترافيِّ منه. وبذلك يَبْحَثُ النَّاسَ على السَّعيِّ والعملِ والكَدِّ، وطلبِ الرِّزقِ الحلالِ، حتى لا يَكُونَ المسلمُ عاطلاً فارغاً، مُلقياً كُلَّهُ على الآخرين، ولكي لا يَفْشُو الكَسَلُ والتَّعَطُّلُ والحاجةُ في المجتمع، ولأنَّ يُحْتَفَظُ على كرامةِ المسلمِ وحرمةِ باستغنائهِ عن الغير . ففي ضوءِ ما أَوْضَحْنَاهُ، لا يَظُنُّ أيُّ مسلمٍ نابه، أنَّ الاسلامَ حينما يَمْدَحُ الغنى، يَمْدَحُ ذلك السَّرطَانَ المُهْلِكَ المبيد .

والَّذي يَنْتِجُهُ هذا البحثُ، هو أنَّ للغنى حَدَّينِ وإِطارينِ، وهو ممدوحٌ في حدِّ ومرفوضٌ في حدِّ آخر . وهذه النِّظرةُ الَّتِي يَنْظُرُ بها الاسلامُ الى الغنى فيقسِّمُهُ الى قسمينِ، وَيُقِرُّ احدهما ويرفُضُ الآخرَ، إِنَّمَا تَبَعٌ من اصلٍ رِئِيسِيٍّ قد قَرَّرَهُ في تعاليمِهِ . وهو أنَّ للمالِ حَدًّا الهَيِّاً وهو حدُّ القوامِ، وأنَّ للمالِ مواضعَ يَجِبُ أن لا يُحَرَّفَ عنها، وحقائقَ يَجِبُ أن لا يُصَرَّفَ عنها - كما ذَكَرْنَاهُ وَذَكَرْنَا آيَاتِهِ واحاديثَهُ في الفصولِ الاولي من هذا الباب ونظراتنا اليها، فراجعها اذا شئت .

والذي نُعيدُ التذكيرَ به هنا، أنَّ الواجبَ على الباحثين - من فقهاء وغيرهم - عندما يرومون الفحصَ عن حقيقة الملكية في الاسلام وما يُعطيه الاسلامُ للمالِ من الدورِ في الحياة الانسانية والمجتمع، وتعيينِ حدودِ المَالين: «المقبول» و«المرفوض»، في التَّصوُّرِ الاسلاميِّ، أن يَجْمَعُوا كُلَّ آياتِ هذا البابِ واحاديثه ويضمُّوا بعضَها الى بعض، بصورةٍ علمية، وباعمالٍ ما هناك من القواعدِ الاجتهادية، حتى يتسنى لهم التفقُّهُ الصَّحِيحُ المَطمئنُّ، والوصولُ الى واقعِ التعاليمِ الاسلامية في هذا الحقلِ المصيريِّ بقدرِ الامكان .

ولعلَّ النَّابهين لا يَدَهَبُ عليهم أنَّ الموضوعَ وتنقيحُه، هو من اهمِّ المواضيعِ الاسلامية اليوم، التي تقومُ عليها تربيةُ الافراد، وبناءُ المجتمعات، وتركيزُ الحكوماتِ الاسلامية، وشجْبُ الحكوماتِ المُعاديةِ للاسلامِ والمسلمين، وصيانةُ الاستقلالِ الاسلاميِّ بمعناه الواقعيِّ، وسَحْقُ التَّبعيةِ الاقتصادية، واعلاءُ كلمةِ الحقِّ والعدل، واقامةُ القسطِ في النَّاسِ، والاشادةُ بالتعاليمِ الاسلامية كَمَثَلٍ هاديةٍ للبشرية، وبرمجةٍ لحياةٍ فاضلةٍ ومنهاجٍ ناجح .

الأحاديث التي تشجب التكاثر وتحد الغنى والامتلاك

ونحن الآن نُشيرُ - بصورةٍ كَلِّية - الى أقسامٍ من الاحاديث التي يَجِبُ أن تُجَعَلَ مستندَ الاستنباطِ الشرعيِّ والفقاهةِ الاسلامية، في هذا الموضوع، حتى يحضَلَ الاطمينانُ بما هنالك من فتوى او رأي :

- ١ - الاحاديثُ التي تأمرُ بالعملِ والكَدِّ لطلبِ المعيشةِ والرِّزقِ .
- ٢ - الاحاديثُ التي تأمرُ بالاعتدالِ في الطَّلَبِ والكسبِ وتمنعُ من السَّعيِ التَّكاثريِّ وطلبِ المزيدِ والحرصِ وظلمِ النَّفسِ .

- ٣ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ المالَ ذريعةً لتأمينِ الحياةِ الماديّةِ والمعنويّةِ (المعاشِ والمعاد) وقواماً لهما، لاغير .
- ٤ - الاحاديثُ التي تَمَدِّحُ الغنيَ مشروطاً بعملِ البرِّ وصلةِ ذوي الارحام، وتُعَدُّ الغنيَ بهذا الوصفِ عوناً على التّقوى والصّلاح .
- ٥ - الاحاديثُ التي تحضُّ على جمعِ المالِ لتموينِ العائلةِ والانفاقِ في سبيلِ الله، لاغيرهما .
- ٦ - الاحاديثُ التي تَدُمُّ المالَ وحبّه وجمعه وتبيّه غايةً وهدفاً .
- ٧ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ المالَ سبباً لحياةِ المسلمين وبقائهم وتغلُّلِ المعتقداتِ الصّحيحةِ وبقائها في نفوسهم .
- ٨ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ المالَ قاعدةً الظلمِ والاستغلال .
- ٩ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ المالَ مادّةَ الشّهواتِ وسببَ التميّعاتِ الخلقيةِ وعاملاً على تسرّي الفسادِ في قطاعاتِ الأُمّةِ .
- ١٠ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ المالَ يعسوبَ الكفّارِ والمنافقين ومِعْوِلاً هداماً لِأُسُسِ الحقِّ والمعتقد .
- ١١ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ اصحابَ الاموالِ اعداءَ الحقِّ والعدلِ ومُكذّبي الدّعاةِ المصلحين .
- ١٢ - الاحاديثُ التي تُشيرُ الى أنّ اصحابَ الاموالِ ينفذون الى الحكمِ ، ويحرّفون القوانينَ على حسبِ ما يشاؤون .
- ١٣ - الاحاديثُ التي تدلُّ على أنّ اصحابَ الاموالِ يُعادون عبادَ الله وعياله الفقراءَ والمحتاجين ويُبغضونهم ولايُحبونهم ولايُجالسونهم .
- ١٤ - الاحاديثُ التي تُعرّفُ اصحابَ الاموالِ الدّ اعداءَ الانبياءِ وشرائعهم المُدافعةِ عن الضّعفاءِ والمحرومين .
- ١٥ - الاحاديثُ التي تُعَدُّ الظلمَ الاقتصاديّ الظلمَ الرئيسيّ، وتَجعلُ سائرَ المظالمِ ناشئةً منه .

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

١٦ - الاحاديثُ التي تُعدُّ اصحابَ الاموالِ والاغنياءَ غاصبي حقوقِ الفقراءِ واموالِهِمْ، وتَجْعَلُ الفقرَ معلولاً لذنوبِ الاغنياءِ ومنعِهِمْ حقوقَ المحرومينِ .

١٧ - الاحاديثُ التي تُصرِّحُ بأنَّ اللهَ اشْرَكَ الفقراءَ في اموالِ الاغنياءِ، وقَدَّرَ ارزاقَ الفقراءِ في اموالِ الاغنياءِ .

١٨ - الاحاديثُ التي تُسمِّي اصحابَ الاموالِ المتكاثرين طاغين وطواغيتَ وهالكين واشراراً .

١٩ - الاحاديثُ التي تُذمُّ الترفَ والبذخَ والافراطَ الاستهلاكيَّ كماً وكيفاً .

٢٠ - الاحاديثُ التي تُعدُّ القلقَ والتوترَ الاجتماعيَّ من آثارِ اعمالِ الاغنياءِ وسلوكِهِمْ الترفيِّ وعَجْرَقَتِهِمْ الاخلاقيةَ واهمالِهِمْ اداءَ ما عليهم من الحقوقِ .

٢١ - الاحاديثُ التي تُنددُ بمخالطةِ الاغنياءِ والمُتموِّلين ومجالستِهِمْ وتأكيدي الصَّلَاتِ بِهِمْ .

٢٢ - الاحاديثُ التي تشجُبُ الكنزَ وادخارَ الاموالِ .

٢٣ - الاحاديثُ التي تُعدُّ المالَ الزائدَ اسرافاً وكنزاً .

٢٤ - الاحاديثُ التي تُعدُّ الاموالَ امانةً في ايدي الاغنياءِ لا يصالها الى اهلها ومستحقِّيها ويُعدهمُ امانةً على المحتاجينِ .

٢٥ - الاحاديثُ التي تزدري حياةَ الاغنياءِ المُتموِّلين واخلاقَهُمْ وَاَعْرَافَهُمْ .

٢٦ - الاحاديثُ التي تُعدُّ الاغنياءَ آكلي الضعفاءِ والمحرومينِ، وسارقي ارزاقِهِمْ .

٢٧ - الاحاديثُ التي تُعدُّ التجارَ والمستوردين ذئاباً والناسَ شياهاً، وتقولُ إِنَّ الذَّابَّ تَجَزُّ شعورَ الشِّبَاهِ .

٢٨ - الاحاديثُ التي تُعدُّ المالَ الكثيرَ سبباً لهلاكِ الانسانِ وشِقائِهِ

الابدي .

٢٩ - الاحاديثُ التي تُؤكِّدُ على الانفاقِ بصورةٍ حاسمةٍ ولحنٍ شديدٍ،

وتتوعَّدُ على تركِهِ واهمالِهِ .

٣٠ - الاحاديثُ التي تنددُ بالفقرِ وتهتمُّ بتعدادِ سلبِيَّاتِهِ .

٣١ - الاحاديثُ التي تشطِّبُ على الحديينِ : التكاثرِ والفقرِ، وتعدُّ

الاولَ افراطاً مُضراً والثانيَ تفريطاً مُفسداً .

٣٢ - الاحاديثُ التي تعدُّ الفقرَ - المنتجَ من عملِ الاغنياءِ وذُنوبِهِم -

سبباً لهلاكِ الانسانِ وشِقائِهِ الابدي .

٣٣ - الاحاديثُ التي تعدُّ الزكاةَ زكاتينِ : ظاهرةً وباطنةً، وتجعلُ

النَّصَابَ للباطنةِ وجودَ السائلِ والمحرومِ في الناسِ .

٣٤ - الاحاديثُ التي تدلُّ على أنَّ المؤمنَ الملتزمَ لا يتكَّدسُ لديه

المال .

٣٥ - الاحاديثُ التي تقولُ إنَّ المالَ الحلالَ لا يكونُ كثيراً، ولا يجتمعُ

الكثيرُ من حلالٍ، فالمالُ الكثيرُ لا بُدَّ من أن يكونَ من غيرِ الحلالِ، من

مغصوبٍ او ما ضاهاه، فهو مالُ الآخريينِ بحسبِ الواقعِ .

٣٦ - الاحاديثُ التي تأمرُ بالاقتصادِ والاعتدالِ في المعيشة - وهي

تشمُلُ بعمومِها الامتلاكَ والاستهلاكَ - وتؤكِّدُ على رعايةِ الحدِّ والتقديرِ

في الاستهلاكِ .

٣٧ - الاحاديثُ التي تنهى عن الاستهلاكِ الزائدِ ولو من مالِ

الانسانِ نفسه .

٣٨ - الاحاديثُ التي تحدُّ للمالِ والثروةِ حدَّه التَّكْوِينِيَّ والقَوَامِيَّ،

وتجعلُ له موضعاً يجبُ أن لا يعدَّوه .

٣٩ - الاحاديثُ التي تأمرُ وتَحضُّ على المُواساةِ و«المساواة» .

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

٤٠ - الاحاديثُ التي تمنعُ صيرورةَ المالِ دولةً بينِ الاغنياءِ

والموسرين .

٤١ - الاحاديثُ التي تقولُ إنَّ المسرفين يأكلون ما ليس لهم و ..

٤٢ - الاحاديثُ التي تحضُّ على الأخوةِ الاسلاميَّةِ ورعايتها، وهي

تشملُ المسائلَ المعيشيَّةَ والحوائجَ الحياتيَّةَ والاقتصاديَّةَ بطريقِ اولي .

٤٣ - الاحاديثُ التي تقولُ : «لو عدلَ في الناسِ لاسْتغْنَا». وتؤسُّسُ

اصلاً رئيسياً هاماً (العدلُ في الناسِ يساوقُ استغناءهم).

٤٤ - الاحاديثُ التي تؤكدُ على تركيزِ العدالةِ والقسطِ، برعايةِ حقوقِ

الآخرين .

٤٥ - الاحاديثُ التي تقولُ : «لا يصلحُ المجتمعُ الا العدلُ».

هذه خمسةٌ واربعونَ قسماً من الاحاديثِ - ولعلَّ هناك اقساماً أخرى

- التي يجبُ أن تجعلَ قاعدةَ الاستنباطِ في قضايا الملكيةِ والاموالِ، بما

فيها من التعاليمِ، ممَّا لا يسعُنَا أن نوضحها هنا . ولقد جاءت ايضا حاتُ

بصددها في مختلفِ فصولِ هذين البابين . ومن البينِ أنَّ المسائلَ

المطروحةَ في هذه الاحاديثِ - التي اشرنا الى عناوينها - قد وردتْ بصددِ

العديدِ منها آياتُ في القرآنِ الكريمِ ايضاً، تدلُّ عليها بصورِ الدلالاتِ،

مثلما شاهدَ القارئُ أنَّ النبذةَ التي أوردنا من الاحاديثِ، في فصولِ

الكتابِ، انما أوردناها في ذيلِ آياتِها الوشيحةِ الصلِّةِ بها . والاحاديثُ هي

شارحاتُ القرآنِ ومُفسِّراته، ومبيِّناتُ ما جاءَ فيه مجملاً او عامماً او كلياً .

فالتأكيدُ على الرجوعِ الى الاحاديثِ انما يكونُ لاجلِ ما جاءَ فيها من

ذكرِ المغازي والمصايقِ والمواردِ، بصورةٍ أكثرَ تفصيلاً .

والذي يتحصَّلُ من التفقُّهِ الموضوعيِّ في تلكِ الاحاديثِ مع آياتِها

القرآنيَّةِ، بالجمعِ بينِ مفاهيمِها وتعاليمِها الهادفةِ، أنَّ الاصلَ الرئيسيَّ في

مذهب الاسلام الاقتصادي، هو شجب الامرين: التكاثر والفقر، والوقوف على حدّ الغنى المقتصد القوامي - كما قلناه كراراً، لتركيز هذا الاصل الاسلامي - فالغنى المقبول هو الذي يُؤمن به العيش، لا ما يمتصّ به الناس.

تنبیه

جاء في الحديث الصادقيّ قوله «ع»: «لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال، يكفّ به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه». والحديث بنفسه كفانا البحث عنه، لانه قيّد الجمع بالحلال. والجمع في هذا الحديث وامثاله، بمعنى الطلب والكسب. وقد ذكر الغاية له وهي كف الوجه وقضاء الدين وصلّة الرّحم. ولعلّ في قوله «ع»: «يقضي دينه»، ايماء الى من ترك الكسب والطلب حتى استقرض وبقى عليه دين. فهذا الحديث وامثاله لا يرمي الى غرض جمع المال الكثير وتبرير التكاثر المرفوض بوجه^٢ بل يرمي الى شجب الفقر ورفضه والتّحذير من إلقاء الكلّ على الآخرين.

والقارئ قد أشرف بنفسه على امثال هذه الاحاديث المادحة للغنى وعلى مغزاها (وهي قليلة ومقصودها معلوم)، بفضل الآيات والاحاديث التي مرّت عليه في الفصول وتمرّ، والاصول المتخذة منها. وجاء في الحديث الباقرّيّ قوله «ع»: «من طلب [الرّزق في] الدنيا استعفاً عن الناس وتوسيعاً على اهله، وتعطفاً على جاره، لقي الله عزّ

١ - الوسائل ١٢ / ١٩.

٢ - وقد عقد كل واحد من الشّيخين، صاحبي «الوسائل» و«المستدرک»، باباً بهذا العنوان: «عدم جواز جمع المال وترك الانفاق منه»، فلاحظ: الوسائل ١٥ / ٢٦٥، المستدرک ٢ / ٦٤٥.

وجلَّ يومَ القيامةِ ووجهه مثلَ القمرِ ليلةَ البدر^١. وهذه التعلّيمُ كلّها تحدُّ المالَ كسباً وجمعاً وغايةً.

فعلى هذا، إنّ الذي وردَ في الادعية الشريفة ايضاً، من ذكرِ المالِ وطلبِ العيشِ الواسعِ، يُحمَلُ على ما أوضحناه، اذ من الواضح أنّ التعلّيمَ لا يَنقُضُ بعضها بعضاً، وأنّ مضمون الادعية لا يخرج عن حدِّ القصدِ الذي أقرّه الاسلام، ولا تشمل ما عدّه القرآن الكريم ملهياً، والاحاديثُ مُطغياً، فإنهما مرفوضان بالضرورة^٢، ضرورة مرفوضيّة «مادّة الشّهوات»، و«يعسوب الكفار» و«ميراث الفراغنة» .. فجمعُ المالِ الذي يُؤدّي الى هذه الامور لا يمكنُ أن يكونَ مورداً لأمْرٍ وجوبيٍّ او نديبيٍّ، بل لا يمكنُ أن يُعدَّ مباحاً، او يُضَيِّحَ مسؤولاً من الله في الدّعاء، بل نُشاهدُ أنّ الائمة «ع» يسألون الله تعالى ان لا يترّفهم - كما مرّ؛ وقد تَعَوَّدُوا بالله من كثرة المال - كما مرّ. فالاسلام لا يدعو الى ما يبعُدُ الانسانَ من الالتزامِ ويُقرِّبه من الانحلالِ العقيدّي والعمليّ. وإنّ القرآن الكريم قد شنّ الحربَ في وجهِ طُلابِ المالِ وكانزيهه، من المتكاثرين والمُسرفين والمُترفين والمستكبرين والطواغيتِ الاقتصاديّين.

وإنّ الهداة الذين يُلْقون مسؤوليّة فقرِ الناسِ وحرمانهم وعريهم ومسكنتهم على عاتقِ الاغنياء، كيف يسوّغون اِكثارَ المالِ وامتلاكَ الكثيرِ منه، الخارجَ عن الحدودِ القواميّة، الموجبَ لفقرِ الآخرين؟ وإنّ المُعلّمين المصلحين الذين يعدّون حرمانَ المحرومين من ذنوبِ اصحابِ الاموالِ الكثيره، كيف يحضّون على جمعِ المالِ بذلك المعنى او يطلّبونه، حتى يجِدَ المتكاثرون ومدافعُوهم في كلامهم لذلك مُبرراً؟^٣ أضف الى ذلك أنّ

١ - الكافي ٥ / ٧٨.

٢ - وإنّ السّعةَ غيرَ الكثرة، كما مرّ في الفصل ٣٠، من هذا الباب.

٣ - راجع بهذا الصّدّد: الفصل ٣، فقرة «يا»، والفصول ٢٣ الى ٢٩، من هذا الباب ايضاً.

الاسلام يأمر بدفع المال الزائد والكثير، حيث يرى أن كثرة المال توجب أن تعظم الحجة على صاحبه، كما جاء في الحديث: «كنا عند أبي - عبدالله «ع»، إذ دخل عليه سدير الصير في، فسلم وجلس. فقال له: يا سدير، ما كثر مال رجل قط إلا عظمت الحجة لله تعالى عليه، فإن قدرتم أن تدفعوها عن أنفسكم فافعلوا». فقال له: يا بن رسول الله بماذا؟ قال: «بقضاء حوائج إخوانكم من أموالكم». ثم قال: «تلقوا النعم يا سدير بحسن مجاورتها». وإنك ترى أن حسن مجاورة المال الكثير إنما هو بدفعه للإخوان، كما يصرح به هذا التعليم، لا بجمعه وامساكه وإخراجه من أيدي الجماهير.

وإن القول الفصل في هذا المقام، الذي يجمع به بين ماورد في الاحاديث والادعية، من مدح الغنى والمال وطلبه، وما جاء في ذمه، هو ما جاء عن الامام الرابع، علي بن الحسين السجاد «ع»، من بعض اقواله وادعيته الشريفة: «اللهم اني اسألك خير المعيشة، معيشة أقوى بها على جميع حاجاتي، واتوصل بها اليك في حياة الدنيا وفي آخرتي، من غير أن تترفني فيها فأطغي، او تفترها علي فأشقى، وأوسع علي من حلال رزقك .. ولا تشغلني عن شكر نعمتك علي باكثر منها تلهيني عجائب بهجته، وتفتنني زهرات نصرته، ولا بالاقبال علي منها فيقصر بعلمي كده، ويملاً صدري همم؛ واعطني من ذلك يا الهي غنى عن شرار خلقك، وبلاغاً به الى رضوانك ..». ٢. فيحذر الامام «ع» من الاكثار المالي، في حين أنه يسأل المعيشة والنعمة.

وحيث انتهى بنا الكلام في هذه النظرة، في البحث عن حدّي الغنى وإطاره، يعني قسميه الممدوح والمرفوض، الى هنا، نرى من المناسب

١ - امالي الطوسي ١ / ٣٠٩؛ البحار ٧١ / ٤٧ - ٤٨. مع اختلاف يسير.

٢ - البحار ٩٠ / ٣.

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

أَنْ نُورِدَ كَلَامًا لِلْعَلَامَةِ الْمَجْلِسِيِّ : «وَأَعْلَمُ أَنَّ مَجَامِعَ الْهُوَى خَمْسَةٌ أُمُورٍ، وَهِيَ مَا جَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ : «.. أَمَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، لَعِبٌ [١]، وَلَهُوَ [٢]، وَزِينَةٌ [٣]، وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ [٤]، وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ [٥] ..» .
وَالْأَعْيَانُ الَّتِي تَحْصُلُ مِنْهَا هَذِهِ الْأُمُورُ سَبْعَةٌ، يَجْمَعُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : «زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ [١]، وَالْبَنِينَ [٢]، وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ [٣]، وَالْفِضَّةِ [٤]، وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ [٥]، وَالْأَنْعَامِ [٦]، وَالْحَرْتِ [٧]»، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ * ٢» فَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ لِلَّهِ فَلَيْسَ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَدْرُ ضَرُورَةِ الْقَوْتِ وَمَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنْ مَسْكِنٍ وَمَلْبَسٍ فَهُوَ لِلَّهِ، إِنْ قُصِدَ مِنْهُ وَجْهُ اللَّهِ . وَالِاسْتِكْنَارُ مِنْهُ تَنَعُّمٌ وَهُوَ لِعَبْرِ اللَّهِ . وَبَيْنَ التَّنَعُّمِ وَالضَّرُورَةِ دَرَجَةٌ يُعْبَرُ عَنْهَا بِالْحَاجَةِ . وَلِهَا طَرَفَانِ وَوِاسِطَةٌ، طَرَفٌ يَقْرُبُ مِنْ حَدِّ الضَّرُورَةِ فَلَا يُضِرُّ، فَإِنَّ الْاِقْتِصَارَ عَلَى حَدِّ الضَّرُورَةِ غَيْرٌ مُمْكِنٌ . وَطَرَفٌ يَتَأَخَّمُ جَانِبَ التَّنَعُّمِ وَيَقْرُبُ مِنْهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُحْذَرَ . وَبَيْنَهُمَا وَسَائِطٌ مُتَشَابِهَةٌ . وَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْجَمِيِّ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ . وَالْحَزْمُ فِي الْحَذْرِ وَالتَّقْوَى، وَالتَّقَرُّبُ مِنْ حَدِّ الضَّرُورَةِ مَا امْكِنَ، اقْتِدَاءً بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ» ٣ .

دفع لوهم

لقد وردَ في كلامِ أميرِ المؤمنين «ع» في «نهجِ البلاغة» هذا المقطع : «.. إِنْ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْتُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْتُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ ..» ٤ . وَرَبَّمَا يَتَوَهَّمُ الْبَعْضُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَرْمِي إِلَى

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٠ .

٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٤ .

٣ - البحار ٧٣ / ٢٩ .

٤ - نهج البلاغة / ٨٤ : عبده ١ / ٥٦ - ٥٧ .

أَنَّ الْمَالَ الْكَثِيرَ الدُّنْيَوِيَّ، يُمَكِّنُ أَنْ يُجْمَعَ عِنْدَ شَخْصٍ مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ
الْأُخْرَوِيِّ ..

والجوابُ عن هذا الوهمِ معلومٌ ممَّا سَلَفَ،^١ وعندَ منِ أَنْصَهَرَ بِرُوحِ
التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّا لِأَنَّ نُلَقِّيَ ضَوْءًا عَلَى الْمَوْضُوعِ أَكْثَرَ مِنْ ذِي
قَبْلِ، نَقُولُ: لَا يَلَائِمُ هَذَا الْوَهْمُ التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تَقُولُ بَأَنَّ الْمَالَ
الْكَثِيرَ يُلْهِي الْإِنْسَانَ عَنِ الْإِلْتِمَازِ وَلَا يُجَامِعُ التَّقْوَى وَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ
وَيُوهِنُ الدِّينَ، أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ مِنْ حَلَالٍ. وَمِنْ جَمَلَةِ هَذِهِ
التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، تَعَالِيمُ عَلِيِّ «ع» نَفْسِهِ، وَهُوَ يُكْرِّرُ الْقَوْلَ فِيهَا عَنِ
التَّضَادِّ بَيْنَ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْمَالِ وَبَيْنَ الْآخِرَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ لَهَا. وَهَذَا
مَشْهُورٌ مِنْ كَلَامِهِ وَخُطْبِهِ وَمَوَاعِظِهِ. وَمِنْهَا قَوْلُهُ الَّذِي يَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ:
«وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ»^٢ - يَعْنِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ. فَلَنُوضِحَ الْكَلَامَ الْعُلُويَّ
بِالْإِشَارَةِ إِلَى أُمُورٍ:

١ - لَعَلَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ هُوَ الْمَجْتَمَعَاتُ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِرُشْدٍ
اِقْتِصَادِيٍّ سَالِمٍ وَكَمَالٍ خُلُقِيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ. وَيُدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَعْبِيرُهُ «ع»:
«لِاقْوَامٍ» (لِأَفْرَادٍ).

٢ - يُمَكِّنُ أَنْ يُجْمَعَ اللَّهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ لِاقْوَامٍ، بَأَنَّ يَعْمَلُوا بِمَا فِي
أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْمَالِ الْحَلَالِ لَطَلْبِ الْآخِرَةِ وَكَسْبِهَا، بِالْإِنْفَاقِ وَالبَدْلِ،
فَلَا يَتَكَدَّسُ الْمَالُ عِنْدَ ذَلِكَ طَبْعاً وَلَا يَخْرُجُ عَنِ مَاهِيَّتِهِ الْقَوَامِيَّةِ.

٣ - أَنَّ الْمَالَ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَجْتَمَعَ امْتِلَاكُهُ مَعَ آخِرَةٍ صَالِحَةٍ، لَا يَدُّ مِنْ
أَنْ يَكُونَ مَشْرُوعاً حَلَالاً. وَهُوَ لَا يَكُونُ كَثِيراً مُتَكَدِّساً، كَمَا رَأَيْتَ فِي

١ - خصوصاً ممَّا أوردناه في شرح كلام الامام الصادق «ع»، المشابه لهذا الكلام، فراجع: التنبيه ١،

من التنبيهات التي مرّت في الفصل ٢٣، من هذا الباب.

٢ - نهج البلاغة / ١١٣٣؛ عبده ٣ / ١٧٣.

التعاليم .

٤ - أن الامام الذي يُؤكّد في تعاليمه - بتعابير مختلفة وكثيرة - على أنّ «الدنيا والآخرة ضرّتان»، كيف يقول: «وقد يجمعها الله لا قوام؟» إلا أن يكون المراد صورة خاصة من الامر، ممّا تَصيرُ فيه «الحياة العاجلة» بما فيها، ذريعة لطلب «الحياة الآجلة» بما فيها. وذلك لا يكون - وفقّ التعاليم - إلا ما أشرنا اليه، من كون الغنى غير تكاثريّ وغير اترافيّ، وكان فضل المال مبدولاً في سبيل الخير، لا مجموعاً متكدّساً لمقاصد رأسمالية واستغلالية، ولم يكن ما يبيدُ الممتلكون ذريعةً للإبقاء على دخولهم وامتصاصهم، وليشقّ الطريق امامهم لأرباحٍ ودخولٍ كثيرةٍ أُخرى تصاعديّة .

٥ - أنّ كلمة «قد» في التعبير المذكور، تَقْلِيلِيَّةٌ - كما هو واضح . فالكلام ناظرٌ الى صورٍ مخصوصة، ممّا يُوافق الموازين الشرعيّة في الامتلاك . فليس في هذا الكلام ايّ مستندٍ لاصحاب الثروات الكبيرة، اذ المقصود من المال الذي قد يجمعه الله مع العمل الصالح لا قوام، ليس إلا ما يكون بنفسه عملاً صالحاً ايضاً - امتلاكاً واستهلاكاً - وليس هو إلا ما كان مشروعاً محدوداً يمكن اجتماعه من حلال .

ففي هذا الضوء، لا يتصوّر أن يكون هناك مؤمنٌ صالح، قد اجتمع لديه الكثير الوافر من المال، مع حضور الفقر في الناس وعمق وجوده فيهم .

١ - ولعله لا يكابرنا ايّ مسلم نابه أن نقول: إن المؤمن الصالح منفقٌ بذال، قد اكتسب مالا من غير معصية، وانفق في غير معصية، لا رأسماليّ مُستثمر، ولا صاحب معمل مستغل، ولا مستورد مغال بالائمان، ولا محتكر شرّ من السارق، ولا مُمْتَلِك الاراضي الفسيحة والدور الكثيرة والبساتين الكبيرة، من الذين يُحرقون المال عن مواضعه، ويُخرجونه من كونه قواماً للناس عامّة ويجعلونه دولةً بينهم .. وما الى ذلك .

ومما يدلُّ على المعنى المذكور، مَقْطَعَانِ مِنْ كَلَامِهِ الشَّرِيفِ فِي هَذِهِ

الخطبة:

١ - «فَاَحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ
بِتَعْذِيرٍ، وَأَعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكَلِّهُ اللَّهُ
لِمَنْ عَمِلَ لَهُ ..»^١.

٢ - «أَلَا يَعِدُ لَنْ أَحَدِكُمْ عَنِ الْقِرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ، أَنْ يَسُدَّهَا
بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَه، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَه ..»^٢.

فَالْمُنْذِرُ الَّذِي يَقُولُ: «وَأَخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ»، وَالْمُرَبِّي الَّذِي
يَقُولُ، إِنَّ أَمْسَاكَ الْمَالِ لَا يَزِيدُهُ وَأَنْفَاقَهُ لَا يَنْقُصُهُ، كَيْفَ يُقَرُّ أَمْتَاكَ الْكَثِيرِ
مِنَ الْمَالِ حَتَّى نَسْتَدِلَّ بِبَعْضِ كَلَامِهِ عَلَيْهِ؟

وَنَحْنُ دَفْعًا لِمِثَالِ هَذِهِ التَّوَهُّمَاتِ النَّاشِئَةِ مِنْ عَدَمِ الْإِمْعَانِ فِي مَغَازِي
هَذَا التَّعْلِيمِ وَأَمْثَالِهِ الْوَارِدَةِ فِي بَعْضِ الْإِحَادِيثِ - أَوْ مِنَ الدَّجْلِ وَالتَّمْوِيهِ
حُبًّا لِلْمَالِ وَجَمْعِهِ - وَلِأَنَّ نَصُونَ التَّعَالِيمِ وَالْمَبَانِي الْإِسْلَامِيَّةَ عَنِ
التَّحْرِيفِ، أَوْ التَّجْرِئَةِ فِي الْإِسْتِنْبَاطِ، أَوْ التَّسَامُحِ فِيمَا لَا يَجُوزُ التَّسَامُحُ
فِيهِ، وَشَجْبًا لِأَنَّ يَتَمَسَّكَ بِهَذَا الْكَلَامِ وَمَا يُضَاهِيهِ عِبَادُ الْمَالِ وَمُحَامُوهُمْ،
تَزِيدُ الْمَقَامَ إِضَاحًا فَنَقُولُ:

أ - إِنَّ الْأَمَامَ يَصْرِّحُ فِي مُسْتَهْلٍ هَذِهِ الْخُطْبَةَ بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَهَا نَصِيبٌ
مِنَ الرِّزْقِ وَالْمَعَاشِ (.. فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزُلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، كَقَطْرَاتِ
الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ، بِمَا قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ وَنَقْصَانٍ)، فَيَكُونُ الْأَمْرُ الْإِلَهِيِّ
(وَهُوَ تَقْدِيرُ الْأَرْزَاقِ وَانزَالُهَا إِلَى كُلِّ نَفْسٍ)، نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ
إِلَى كُلِّ نَفْسٍ - لَا إِلَى بَعْضِ النُّفُوسِ دُونَ بَعْضِهَا - كَمَا أَنَّ قَطْرَاتِ الْمَطَرِ
تَنْزُلُ حِينَمَا تَنْزُلُ إِلَى كُلِّ نَقْطَةٍ مِنْ نِقَاطِ الْأَرْضِ، مِنَ الصَّحَارِيِّ وَالْبَرَارِيِّ
وَالسُّهُولِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ وَالْبِحَارِ وَالْقُرَى وَالْأَمْصَارِ .. فَهَذَا التَّشْبِيهُ

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

البليغ يقول إن لكل واحد نصيباً من الرزق والمعيشة . وإنما الفرق بالزيادة والنقصان، لا بالعدم والتكاثر والاملاق والترف .

ب- كما أن المطر أو الثلج اذا تجمّع في قلة من قلال الجبال أو بقعة من بقاع الارض اكثر من غيرها - لما هناك من اسباب ومقتضيات - لا يبقى ذلك المقدار محبوساً عنده، بل يُستخرج منها ويوصل الى غيرها، او توصله هي بنفسها الى قطع تحتاج اليه، فكذلك تكون الاموال اذا تكدّست عند اشخاص او فئات - لما هناك من اسباب ومقتضيات - يجب أن تُخرج منهم الى غيرهم،^٢ ممّن يحتاج اليها :

(١) - إنفاذاً لأرادة الله سبحانه وحكمه؛ و

(٢) - إقامة لنظام العالم (حيث يقول الامام عليّ «ع»): «بتقدير

أقسام الله للعباد قام وزن الامور للعالم^٣..»؛ و

(٣) - تمويناً لعيال الله وعباده؛ و

(٤) - صيانة لدين الله وشرائعه؛ و

(٥) - تجسيداً للأخوة القرآنية في الواقع العيني؛ و

(٦) - سيراً على مقتضى العدل؛ و

(٧) - تركيزاً للأسس القسط؛ و

(٨) - إبقاءً للمال على حالته القوامية التي جعلها الله له؛ و

(٩) - تحكيمياً للصلوات الانسانية، و

(١٠) - تحصيناً لعزّ الأمة (ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين) .

١- وقد وردت التعبير المذكورة عن النبي الاعظم «ص» ايضاً، فيما رواه الامام الباقر «ع»: «إن الرزق لينزل من السماء الى الارض، على عدد قطر المطر، الى كل نفس بما قدر لها..» - راجع: «الفصول المهمة» / ٢٨؛ «سفينة البحار» / ١ / ٥١٨ .

٢- ولعلّ هذا سرّ ما جاء في الاحاديث، من «أن الله أشرك الفقراء في اموال الاغنياء» - راجع: الفصل ٣٧، من هذا الباب .

٣- غرر الحكم / ١٤٨ .

ج - إنَّ الامامَ عليّاً «ع» يفسِّرُ النُّقصانَ والزَّيادةَ ببيانٍ متعلِّقاتِهِما، كالاهلِ والنَّفْسِ، فيُومي بذلك الى مقاديرِهِما وأنَّهُما لا يخرُجانِ عنِ الحدودِ المعقولةِ إنَّ كانا جارِيينِ في مجراهِما الطَّبيعيِّ، من غيرِ أيِّ عدوانٍ او اغتصابٍ او حرمانٍ. ولعلَّ في كلمةٍ «غفيرةً» (النَّكْرَةُ المُنَوَّنة) ايضاً ايماً الى قِلَّةِ ذلك الفرقِ بحسبِ الموازينِ الاصليةِ الاوليَّةِ.

د - جاءَ في هذه الخطبة، بعد المقاطعِ المذكورة، قوله «ع»: «... المرءُ المسلمُ البريُّ من الخيانةِ يَنْتَظِرُ من اللهِ اِحدىَ الحُسْنَيْنِ: اِمَّا داعيَ اللهِ فما عندَ اللهِ خَيْرٌ له، واما رزقُ اللهِ فاذا هو ذواهلٍ ومالٍ ومعه دينُه وحسبُه...»، فيصِفُ المسلمَ بالبرائةِ من الخيانة؛ ولقد وردَ في عدَّةٍ من الاحاديثِ عَزُّوا الاغنياءِ والتُّجارِ - الا المتقين منهم - الى الغصبِ والخيانةِ وسرقةِ ارزاقِ المحرومينِ واكلِ الضُّعفاءِ، كما مرَّ في الفصولِ الماضية، من هذا الباب. فأيُّن هؤلاء من الذين جَمَعَ اللهُ لهم الدُّنيا والآخرة، ان كان امثال هؤلاء مرادَ اميرِ المؤمنين «ع»؟

هـ - ولعلَّ في تعقيبِ الكلامِ بذكرِ المسلمِ البريِّ من «الخيانة» (مع أنَّه «ع» وَصَفَ التُّجارَ بـ «الخيانة» في كلامٍ آخر، وهو قوله: «انَّ اللهُ يُعَذِّبُ سِتَّةً بسِتَّةٍ... والتُّجارَ بالخيانة...») ومع قوله بصددِهِم في العهدِ الاِشترِيِّ: «... انَّ في كثيرٍ منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمناعِ، وتحكُّماً في البياعاتِ»، ممَّا لا يجتمعُ مع آخرَةٍ سالحةٍ، ايماً بيئاً الى انَّ مراده «ع» ليس اولئك المتكاثرين الطواغيتِ.

و - فمعنى كلامِ اميرِ المؤمنين «ع» في هذا المقام، لا يَخْتَلِفُ عن

١ - الكافي ٨ / ١٦٣: تحف العقول / ١٥٧. وقد وردت هذه التعبيرةُ بصددِ التُّجارِ، عن الامامِ الصادقِ «ع» ايضاً، حيث قال: «يُهلِكُ اللهُ سِتَّةً بسِتَّةٍ: الأُمراءَ بالجورِ، والعربَ بالعصبيَّةِ، والدُّهَّاقينَ بالكِبَرِ، والتُّجارَ بالخيانةِ، وأهلَ الرُّستاقِ بالجهلِ، والفُقهاءَ بالحسدِ» - (البحار ٧٢ / ٢٠٧، عن «كشَفِ الغُمَّة»).

٢ - نهج البلاغة / ١٠١٧: عبده ٣ / ١١٠.

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

معاني كلامه في سائر المقامات . وهو ايماء الى فواصل معاشية بين الناس لا تخرج عن الحدود الاسلامية، ولا تنتهي الى حد التكاثر والترّف والسرف، فلا صلة لكلامه بتبرير تلكم الادواء الكبيرة، وقبول الهوة الاقتصادية السحيقة بين قطاعات الناس .

بحث آخر

لقد ورد في بعض الآيات والاحبار نسبة التوسيع والتضييق في الارزاق الى الله تعالى وتقديره . وهذا ثابت، غير أنه لا يثبت قبول الاسلام لحضور الفقر في الجماهير (بصوره المختلفة واضراره الساحقة للدين والدنيا) واقراره كظاهرة مجتمعية مقبولة وغير مكافحة - كما اشرنا اليه ايضاً .

وذلك لأنه من الضروري، أن الله تعالى قد جعل - بمقتضى الرحمة والحكمة والعدل - لكل فرد من افراد الانسان والحيوان رزقاً ومعاشاً، كما ورد في صريح الآيات القرآنية والاحاديث الكثيرة . هذا بحسب التكوين . واما في التشريع فقد أمر بالعدل والاحسان واداء الزكّاتين واطعام الجائعين واغناء البائسين، وسلب الايمان - بلسان اوليائه - عن بيت شعبان وجاره جائع، وما الى ذلك من الكثير الوارد، حتى التّديد بالذين يمنعون الماعون .

فالله - جلّت اسماءه وعمّت آلاؤه - قد رزق الجميع، وقسم بينهم معاشهم، وجعل رزق بعض من بعض؛ وإنه يوسع ويضيق على حسب الحكمة، لكن الامر يجب ان لا ينتهي - استناداً الى الموازين الاسلامية وعملاً برضا الله تعالى والرسول «ص» - في التوسيع الى حد التكاثر وفي

١ - وجاء في «الحديث القدسي» ايضاً، راجع: الفصل ٣٧، من هذا الباب .

التّضييق إلى حدّ العُدْم لولا اعتداء المعتدين، لأنّهما خلاف العدل. وربّنا حكيمٌ عادلٌ لا يظلمُ أحداً شيئاً، ولكنّ النَّاسَ انفسهم يظلمون. ولقد ورد عن الامامِ امير المؤمنين «ع» قوله: «أيها النَّاس! اعلّموا أنّ كمال الدّين طلبُ العلم والعمل به. ألا! وإنّ طلب العلم أوجبّ عليكم من طلب المال، إنّ المال مقسومٌ مضمونٌ لكم، قد قَسَمَهُ عادلٌ بينكم وضمّنه، وسيّفي لكم؛ والعلمُ مخزونٌ عند اهله، وقد أمرتم بطلّيه من اهله فأطلّبوه». فقسمة العادل امرٌ قطعيٌّ لا ريب فيه، والعدل لا يُؤدّي إلى الافراط والتّفريط، أي التّكاثر والفقر.

وهذا ما يُبلّره جوهر التّعاليم القرآنيّة والحديثيّة، وقد اشتملت على لمعٍ منها فصولُ هذا الباب. وهنا نُوردُ حديثين ونُشيرُ إلى مؤداهما من التّعليم التّربويّ:

١ - ما رواه الشيخ بهاء الدّين الإربلي، في «كشف الغمّة»، عن الامام الصادق «ع»: «... والله عزّ وجلّ.. يُنزِلُ الرزقَ على قدرِ المؤونة»^٢. وهذا صريحٌ في كفاية القسمة والتّقدير، لكلٍّ من له مؤونة. فكلما وُجدَ ذومؤونة محتاجٌ وعائلٌ فقير، فما هو إلاّ من ظلم الظّالمين، من المجتمع أو الحكم.

٢ - ما رواه الشّيخ ابو محمد الحسن بنُ شعبة الحرّاني، في «تحف العقول»، عن الامام الصادق «ع»: «ألا! وإنّ أحبّ المؤمنين إلى الله، من أعان المؤمن الفقير من الفقر، في دنياه ومعاشه»^٣. ومن اللاّحِب أنّ الانسان إنّما يصيرُ أحبّ، بعد أن أتى باحبّ الاعمال. فالنتيجة أنّ اعانة المؤمن الفقير من الفقر في حاجياته الدّنيويّة والمعاشيّة المختلفة،

١ - الكافي ١ / ٣٠.

٢ - كشف الغمّة ٢ / ٣٩٦، البحار ٧٢ / ٢٠٤ و ٢٠٨.

٣ - تحف العقول / ٢٧٧.

نظرة الى الفصل الحادي والاربعين ..

وتخليصه من برائن العوزِ باعطائه مالاَ ومعوثةً وباعدادٍ ما يحتاجُ اليه، وإغنائِه وإخراجه من حدِّ الحاجةِ الى حدِّ الاستغناء، هو أحبُّ الاعمالِ الى الله تعالى .

ففي ضوءِ هذا التعليمِ وامثاله، هل يوجدُ مجالٌ لآن يُظنَّ أنّ الفقرَ امرٌ يرتضيه الاسلامُ ويُقرُّ بقاءه في الناس، وإن كان في اصله تقديراً تكوينياً؟ فالفقرُ في ذلك يكون كالغرقٍ مثلاً، فإننا اذا صادفنا انساناً أشرفَ على الغرق، يجبُ علينا انقاذه لا تركه، وإن كان ما وَقَعَ له من كسرِ سفينته وسقوطه في البحرِ تقديراً تكوينياً البتة .

ومن هنا نجدُ تعاليمَ المعصومين «ع»، تنسبُ الفقرَ وبقائه في الناس الى الظلمِ الاجتماعي والاقتصاديِّ والسياسيِّ والثقافيِّ، فترى احتياجَ المحتاجين وفقرَ الفقراء من ذنوبِ الاغنياء^١، وتقول: «إنَّ الناسَ يسْتَغْنون اذا عُدِلَ بينهم»^٢، و«لو عُدِلَ في الناسِ لاسْتَغْنوا»^٣. فاستغناءُ الناسِ دليلُ العدل، والفقرُ دليلُ الظلمِ. وهل يُنسبُ الظلمُ الى احدٍ غيرِ الناسِ

١ - وقد شجبت تعاليمهم «ع» الظلمَ الثقافي في صورِ حاسمةٍ ايضاً. ومن تلكم التعاليمِ كلامُ الامام جعفر بن محمد الصادق «ع» في تصنيف العلماء وتقرير من يتصدى منهم لتعليم ذوي العزة والشرف ولا يعتدُّ بتعليم المساكين وتثقيفهم، فيقول: «... ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف ولا يرى له في المساكين ضعاً؛ فذلك في الدرك الثالث من النار» - (روضة الواعظين / ٧: البحار ٢ / ١٠٨، عن «الخصال». راجع ايضاً: الفصل ٦، من الباب ٨، من هذا الكتاب، فقرة «بط»).

وهذا التعليمُ بدوره يسوقُ العلماءَ الملتزمين والمتقنين النابهين لان يضعوا العلم عند الفقراء والمساكين ايضاً، وان يعلموا هؤلاء ويربوا ناشئتهم ويتقنواهم ويوعوهم، لكي يقدرُواهم بانفسهم على التدخُل في مجالات الحياة المختلفة، فيظفروا باسترداد حقوقهم وازالة الحرمان والمسكنة عن انفسهم وذويهم .

٢ - الوسائل ٤/٦، من حديث الامام الصادق «ع»، راجع: «التصدير»، البند ٩.

٣ - الكافي ٢ / ٥٤٨، من حديث الامام الصادق «ع»، راجع: الفصل ٤٦، من الباب ١٢.

٤ - الكافي ١ / ٥٤٢، من حديث الامام الكاظم «ع»، راجع: الفصل ٤٦، من الباب ١٢.

انفسهم؟ فالفقر الباقي مولودٌ للظلم الذي ارتكبه الاغنياء والحكم والنظام
 بحق الفقراء والمحتاجين والبُوساء والمساكين .
 والكلمة النهائية في هذا المقام، انا لا نقول ان الفقر يجب ان لا يوجد
 (فهو يوجد في الافراد والقطاعات، في احوالٍ مختلفة ولعللٍ متفاوتة،
 وخصوصاً عند الحوادث والنوازل)، بل نقول انه يجب ان لا يبقى، لان
 بقاءه يدل على وجود الظلم، والظلم لا يرضاه الله والرسول، ولا يقره الإسلام .
 وكل هذه المسائل واضحة، لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد .

تأشير رئيسي بات نشير الاهتمام به

إن الذي يُستفادُ كـ «تأشير رئيسي بات»، ويُستنبطُ من الآيات والأخبار
 التي وُردت بصدده «نظرة الإسلام إلى الأموال وكيفية تداولها بين
 الجماهير»، ومن مقارنتها والجمع بينها، هو أن الإسلام يرى أن لصلة
 الإنسان بالمال والمال بالإنسان خمس صور، لكل منها حكمها الذي لو
 تجسّد بشكلٍ صالح، لا يبقى مجالٌ بعده للمفاسد المدمرة التي تستتبعها
 قضية الأموال في الناس؛ فدونك الصُّور:

- ١ - الغنى التكاثري.
- ٢ - الغنى الوافر.
- ٣ - الغنى الكفا في (الغنى المشروع).
- ٤ - الفقر.
- ٥ - المسكنة.

وإليك الإيضاح بصدده الصُّور:

أما المسكنة فهي واجب الإزاحة فوراً، يعني أن يُعطى المسكين ما
 يلزم لمعايشه بلا تراخ، بحيث إن بات رجلٌ شبعان وفي جواره جائع، ولم
 يسع هو لإشباعه، فليس الشبعان ممن آمن بالله تعالى؛ ومن اكتسب وأخوه

عريان، فما آمن بالله تعالى^١ (وهل هناك ملائكة سوى الإيمان؟).
وأما الفقر (وهو قلة المستلزمات المعيشية لا عدمها)، فهو أيضاً
واجب أن يكافح ويُزاح، في برمجة تجسدية سريعة (ناثية عن الشعار
الفارغ كل النأي)، وذلك لأن المجتمع الإسلامي مجتمع بلا فقر، لامع الفقر،
لأنه مجتمع «لا يوجد فيه عائل ولا محتاج، ولا يُظلم فيه مسلم أو معاهد» -
على حدّ تعبير مولانا أمير المؤمنين «ع»^٢.

وأما الغنى الكفافي (وهو ما حصل من الطرق المشروعة، ويجعل
صاحبه يعيش على مستوى مُعترف به من جهات مختلفة، فيأكل ويُطعم
ويتزوّج ويتصدق ويحجّ وينفق في سبل الخير الفردي والمجمعي)، فهو
الغنى الممدوح شرعاً، المرغوب فيه، وهو عون على التقوى والآخرة
باكتساب الصالحات به.

وأما الغنى الوافر، فهو مرفوض، وقد ذمته التعاليم بتعابير حاسمة -
كما مرّت في الفصول وتمّر - ودعت صاحبه إلى الإنفاق فالإنفاق، يميناً
وشمالاً وقُدّام وخلف، وباليدين المفتوحتين، لكي يصير متبداً بين
الناس، ولا يبقى متكدّساً على حالته المهلكة في الدنيا والآخرة^٣.

وإذا كان هناك داعٍ صحيح - من الحاجة الفردية أو المجتمعية - ولم
يُنْفَقْ الغني نفسه، فللحكم الإسلامي أن يأخذه منه بالحكومة والولاية،
ويستهلكه في الإنفاق على المحرومين، وفيما يُنوبه من النفقات.
وأما الغنى التكاثري، فهو الطامة الكبرى، وهو واجب الدفع فوراً
أيضاً كالمسكنة، حيث إنهما طرفا الإفراط والتفريط. وهو المُطغي والمُلهي
- بنصّ الكتاب - وهو غدة سرطانية لا يحتملها الإسلام بوجه.

١ - راجع: الفصل ٤٦، من هذا الباب. ولاحظ أيضاً: كلام الفقيه الكبير، العلامة السيّد محمد مهدي
بحر العلوم الطباطبائي (- آخر الجزء الثاني)، في تكفير من لا يهتم بأمر المحتاجين.

٢ - الكافي ٨ / ٣٢.

٣ - راجع: فصول الإنفاق، من الباب ١٢.

وإذا نظرنا إلى تعريف الإسلام للمال بأنه القوام والقيام، وما جاء من الإمامين، الصادق «ع» والكاظم «ع»، في حديث «جُنودِ العقل والجهل» من أن «المكائنة» ضدّ «القوام»،^١ نَعْلَمُ بوضوحٍ أن المال التّكاثريّ لاماليّة له، لأنّه يُضادُّ ما يُعدّه الإسلام مالاً .

ولقد جاء من الإمام الباقر «ع»، بصدّد «تعريف المال»، أنّه مِصْحَةٌ لشؤون الخلق؛^٢ والمال التّكاثريّ مفسدةٌ عظيمةٌ وإفسادٌ كبير - كما هو واضح - أضف إلى ذلك أنّه - بل الأقلُّ منه أيضاً - لا يجتمع من حلالٍ ومشروع - كما ورد في الأخبار^٣، وصدّقته التجربة الموضوعيّة؛ فهو يُصادرُ فوراً، ويُرَدُّ إلى أهله المغصوبين المحرومين بلا تأجيل، حتى يراح عنهم الحرمان ويُلحِقوا مستوى معيشتهم بالآخرين، ثمّ يُستهلك ما بقي منه في سائر النفقات. وإنّ حكمة هذا التّعجيل والتّخصيص غير خافية، وأثره في بناء الأفراد وصورته عن السّفوطِ والتّميعِ وكذلك في صنْع المجتمعات وتحسينها غير مجهول.

وقد يشترك الغنيان (التّكاثريّ والوافر) في الحكم الأخير، إذا ظهر هناك للأسلام وللمجتمع الإسلاميّ صالحٌ يدعُو إلى حركةٍ تغييريةٍ. ولقد أحسّت البلاد الرّأسماليّة مضارّ الامتلاكات التّكاثريّة بجلاء، فكافحتّها بفرض الضّرائب الباهظة على الإرث وأمثاله، ولكنّ الإسلام قد عالَج الموضوعَ قبل أربعة عشر قرناً، فلم يعدد المال التّكاثريّ مالاً. وهذا كُله في «الامتلاك»، أمّا «الاستهلاك»، فمطلوب الإسلام فيه هو أن يصل الجماهير - في مجتمع يصنّعه هو - إلى مُستوى معيشيّ متساوٍ أو متقارب.^٤

١ - الكافي ١ / ١٢؛ تحف العقول / ٢٩٦.

٢ - راجع: الفصل ١ و ٢٣ و ٢٤، من هذا الباب.

٣ - راجع: الفصل ٣، من هذا الباب.

٤ - راجع: الفصل ٤٧، من هذا الباب.

الفصل الثاني والأربعون

الاقتصاد وصلته بالعمودين (الاخلاق، القوة)

أ - الاخلاق الفاضلة

١ - التقوى والحياة الماديّة

الكتاب

١ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ .. ١

٢ .. كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ .. ٢

الحديث

١ النبي «ص»: مَنْ أُعْطِيَ خَمْسًا لَمْ يَكُنْ لَهُ عِذْرٌ فِي تَرْكِ عَمَلِ الآخِرَةِ :

١ - سورة المائدة (٥) : ٨٨.

٢ - سورة سبأ (٣٤) : ١٥.

- زوجةٌ سالحةٌ تُعينه على امرِ دنياه وأخرته، وبَنون ابرارٌ، ومعيشةٌ في بلده،
وحسنٌ خلقٍ يُداري به الناس، وحبُّ اهلِ بيتي ١.
- ٢ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الصادق: نِعَمَ العونُ على تقوى الله الغنى ٢.
- ٣ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الكاظم: إِنَّ النَّفْسَ اذا أَحْرَزَتْ قوتَهَا
اسْتَقَرَّت ٣.
- ٤ النبي «ص»: من السُّنَّةِ اذا خَرَجَ القومُ في سفرٍ اَنْ يُخْرِجُوا نَفَقَتَهُمْ، فَإِنَّ
ذَلِكَ أَطْيَبُ لَأَنْفُسِهِمْ واحسنُ لآخِلَافِهِمْ ٤.
- ٥ الامام علي «ع»: ... واعلّموا - يا عبادَ الله - اَنَّ المَتَّقِينَ حازُوا عاجلَ الخَيْرِ
وآجلَه، شارِكُوا اهلَ الدُّنيا في دنياهم، ولم يُشارِكْهُم اهلُ الدُّنيا في
آخِرَتِهِمْ؛ اَباحَهُمُ اللهُ في الدُّنيا ما كَفاهم به واغناهم، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: «قُلْ:
مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي اَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ: هِيَ لِلَّذِينَ
آمَنُوا في الحِياةِ الدُّنيا خالصةً يَوْمَ القِيامَةِ ..»، سَكَنُوا الدُّنيا بافضلِ ما
سُكِنَتْ، وَاكَلُواها بافضلِ ما اُكِلَتْ، شارِكُوا اهلَ الدُّنيا في دنياهم،
فاكَلُوامعَهُم مِنَ طَيِّبَاتِ ما يَأْكُلُونَ، وشَرِبُوا. مِنَ طَيِّبَاتِ ما يَشْرَبُونَ ٥.
- ٦ الامام الصادق «ع»: من دعائِهِم (يعني آباءه «ع»): اللّهُمَّ! اِنِّي اَسْأَلُكَ مِنْ
فَضْلِكَ الواسِعِ، الفاضلِ، المُفَضَّلِ، رِزْقاً واسِعاً حلالاً طَيِّباً، بلاغاً لِلآخِرَةِ
وَالدُّنْيَا ٦.

١- البحار ١٠٣ / ٢٣٨، عن «دَعَوَاتِ الرَّاوِندي».

٢- الوسائل ١٢ / ١٦.

٣- الكافي ٥ / ٨٩.

٤- البحار ٧٦ / ٢٦٩، عن «المحاسن».

٥- امالي الطوسي ١ / ٢٥ - ٢٦، طبعة النجف، مطبعة النعمان (١٣٨٤ هـ. ق).

٦- المستدرک ٢ / ٤٢١.

- ٧ الامام الصادق «ع»: قال سلمان .. إِنَّ النَّفْسَ قَد تَلَّتْ عَلَى صَاحِبِهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنَ الْعَيْشِ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هِيَ أَحْرَزَتْ مَعِيشَتَهَا أَطْمَأَنَّتْ ١.
- ٨ الامام الصادق «ع»: اللَّحْمُ يُنْبِتُ اللَّحْمَ، وَمَنْ تَرَكَ اللَّحْمَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا سَاءَ خُلُقُهُ ٢.
- ٩ الامام الصادق «ع» - لِمُصَادِفِ مَوْلَاهُ: اِتَّخِذْ عُقْدَةً أَوْ ضِيعَةً، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ النَّازِلَةُ أَوْ الْمَصِيبَةُ، فَذَكَرَ أَنَّ وِرَاءَ ظَهْرِهِ مَا يُقِيمُ عِيَالَهُ، كَانَ أَسْخَى لِنَفْسِهِ ٣.

٢ - الدُّنْيَا مَعْمَلٌ وَمَتَجَرٌ

الكتاب

- ١ وَأَبْتَعِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ٤.
- ٢ .. فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا، وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ *
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * ٥

١ - الكافي ٥ / ٨٩.

٢ - البحار ٦٦ / ٦٦، عن «المحاسن».

٣ - الوسائل ١٢ / ٤٤.

٤ - سورة القصص (٢٨).

٥ - سورة البقرة (٢): ٢٠٠ - ٢٠٢.

الحديث

- ١ الامام الحسن «ع»: «إِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا»^١.
- ٢ الامام السجاد «ع» - فيما رواه الامامُ الباقر: ليس مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ^٢.
- ٣ الامام الصادق «ع»: لَا تَدْعُ طَلَبَ الرِّزْقِ مِنْ حِلِّهِ، فَإِنَّهُ عَوْنٌ لَكَ عَلَى دِينِكَ . وَأَعْقِلْ رَاحِلَتَكَ وَتَوَكَّلْ^٣.
- ٤ الامام الكاظم «ع»: .. إَجْعَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ حِظًّا مِنَ الدُّنْيَا بِاعْطَائِهَا مَا تَشْتَهِي مِنَ الْحَلَالِ، وَمَا لَا يَتَلُمُّ المُرُوءَةَ، وَمَا لَا سَرْفَ فِيهِ . وَاسْتَعِينُوا بِذَلِكَ عَلَى أُمُورِ الدِّينِ، فَإِنَّهُ رُوي: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِدِينِهِ، أَوْ تَرَكَ دِينَهُ لِدُنْيَاهُ»^٤.

٣- رفض التَّقشُّفِ الباطل

الكتاب

- ١ قُلْ: مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ: هِيَ

١ - البحار ٤٤ / ١٣٩؛ الوسائل ١٢ / ٤٩.

٢ - الوسائل ١٢ / ٤٩.

٣ - الوسائل ١٢ / ٢٠.

٤ - تحف العقول / ٣٠٢.

لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *^١

٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ *^٢

٣ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ *^٣

الحديث

١ النبي «ص» - في قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا، لا تحرموا طيبات ما أحلَّ الله ..»، الآية، نزلت في .. عدَّة من اصحاب النبي «ص»، إنهم اتفقوا على أن يصوموا النهار، ويقوموا الليل، ولا يناموا على الفراش، ولا يأكلوا اللحم، ولا يقرَّبوا النساء والطيب، ويلبسوا المسوح، ويرفضوا الدنيا ويسبحوا في الارض .. فخطب النبي «ص» : فقال : «ما بال أقوام حرَّموا النساء والطيب والنوم وشهوات الدنيا؟ أما إنني لست أمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً، فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي ورهبانيتهم الجهاد ..»^٤.

٢ الامام علي «ع» : قال له العلاء بن زياد الحارثي، وهو من اصحابه : يا امير المؤمنين، أشكو اليك أخي عاصم بن زياد . قال : وما له؟ قال : لبس

١ - سورة الاعراف (٧) : ٣٢

٢ و٣ - سورة المائدة (٥) : ٨٧ - ٨٨.

٤ - البحار ٤٠ / ٣٢٨، عن «المناقب».

العِبَاءَ وَتَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا. قَالَ : عَلِيٌّ بِهِ . فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : يَا عُدَيُّ نَفْسِيهِ، لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ؟ أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟ ..

٣ - الامام الصادق «ع» - مرّ سفيان الثوري في المسجد الحرام فرأى أبا- عبد الله «ع» وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان. فقال: واللّه لآتينه ولأوبخنه، فدنامنه فقال: يا ابن رسول الله! ما لبس رسول الله «ص» مثل هذا اللباس، ولا علي «ع»، ولا أحد من آبائك؟ فقال له ابو عبد الله «ع»: كان رسول الله «ص» في زمن قتر مقتر .. وإنّ الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها، فأحق أهلها بها أبرأها .. غير أنّي يا ثوري! ما ترى علي من ثوب، إنّما البسه للناس. ثم اجتذب يد سفيان فجرها اليه، ثم رفع الثوب الأعلى وأخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً، فقال: هذا البسه لنفسي وما رأيته للناس، ثم جذب ثوباً على سفيان اعلاه غليظ حشن وداخل ذلك ثوب لين، فقال: لبست هذا الأعلى للناس ولبست هذا لنفسك تسرها ٢.

٤ - اهمية التّجمل والتّزيّن وحسن الملبس والهيئة واستعمال الطيب، دون تبذير وبدخ وسرف

الكتاب

١ - نهج البلاغة / ٦٦٢ - ٦٦٣: عبده ٢ / ٢١٣.

٢ - الكافي / ٦ / ٤٤٢ - ٤٤٣.

- ١ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ..^١
- ٢ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * .. يَخْرُجُ مِنْهَا الْكُؤُوفُ وَالْمَرَجَانُ *^٢
- ٣ .. وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ..^٣
- ٤ وَالخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ..^٤
- ٥ قُلْ: مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ؟ ..^٥

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن ابيه: وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى بَابِ النَّبِيِّ «ص» يَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَخَرَجَ النَّبِيُّ «ص» فَوَجَدَ فِي حُجْرَتِهِ رُكُوعًا فِيهَا مَاءٌ ، فَوَقَفَ يُسَوِّي لِحِيَّتَهُ وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا . فَلَمَّا رَجَعَ دَاخِلًا قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنْتَ سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَقَفْتَ عَلَى الرُّكُوعِ ، تُسَوِّي لِحِيَّتَكَ وَرَأْسَكَ؟ قَالَ : يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا خَرَجَ عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ إِلَى أَخِيهِ ، أَنْ يَتَهَيَّأَ لَهُ وَأَنْ يَتَجَمَّلَ .^١
- ٢ الامام علي «ع»: لِيَتَزَيَّنَ أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ إِذَا آتَاهُ ، كَمَا يَتَزَيَّنُ لِلْغَرِيبِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَرَاهُ فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَةِ .^٢

١ - سورة الاعراف (٧) : ٣١ .

٢ - سورة الرحمن (٥٥) : ١٩ و ٢٢ .

٣ - سورة فاطر (٣٥) : ١٢ .

٤ - سورة النحل (١٦) : ٨ .

٥ - سورة الاعراف (٧) : ٣٢ .

٦ - مكارم الاخلاق / ١٠٩ - ١١٠ .

٧ - مكارم الاخلاق / ١١١ .

٣ الامام علي «ع»: فيما خاطب به عاصم بن زياد الحارثي: .. وَيَحَكْ يَا عاصم! اَتَرَى اللَّهَ اَبَاحَ لِكَ اللِّذَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ مَا اخَذْتَ مِنْهَا؟ لَأَنْتَ اَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. اَوْ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ»، ثُمَّ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ»؟ وَقَالَ: «وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لِحِمَاً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا»؟. اَمَّا وَاللَّهِ، ابْتَدَأُ نَعْمَ اللَّهَ بِالْفِعَالِ احْبُ اِيهِ مِنْ ابْتَدَأَهَا بِالْمَقَالِ. وَقَدْ سَمِعْتُمْ اللَّهَ يَقُولُ: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» وَقَوْلُهُ: «مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ». إِنَّ اللَّهَ خَاطَبَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا خَاطَبَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ»، وَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً» ..

٤ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الصادق، عن آباؤه: الدُّهْنُ يُظْهِرُ الْغِنَى، وَالنِّيَابُ تُظْهِرُ الْجَمَالَ ..

٥ الامام علي «ع» - فيما وَصَفَ بِهِ الْمُتَّقِينَ: .. وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ ..

٦ الامام الحسن «ع» - كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ «ع»، إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ لَيْسَ أَجْوَدَ ثِيَابِهِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! لِمَ تَلْبَسُ أَجْوَدَ ثِيَابِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، فَاتَّجَمَّلُ لِرَبِّي، وَهُوَ يَقُولُ: «خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ»، فَاحْبُبُوا أَنْ تَلْبَسُوا أَجْوَدَ ثِيَابِكُمْ ..

٧ الامام الصادق «ع»: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ وَالتَّجَمُّلَ، وَيُبْغِضُ الْبُؤْسَ

١ - البحار ٤٢ / ١٧٣ - ١٧٤.

٢ - الخصال / ٩٢.

٣ - نهج البلاغة / ٦١٦: عبده / ٢ / ١٨٨.

٤ - تفسير العياشي / ٢ / ١٤.

الفصل الثاني والاربعون: الاقتصاد و..

والتبأؤس، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ أَحَبَّ أَنْ يَرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرَهَا.
قِيلَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: يُنْظَفُ ثَوْبُهُ، وَيُطَيَّبُ رِيحُهُ، وَيَجْصَصُ دَارُهُ، وَيَكُنُّسُ
أَفْنِيَّتَهُ، حَتَّىٰ أَنْ السَّرَّاجَ قَبْلَ مَغِيبِ الشَّمْسِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَيَزِيدُ فِي
الرِّزْقِ ١.

٨ الامام الصادق «ع»: رَكَعَتَانِ يُصَلِّيهِمَا مُتَعَطِّرًا، أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكَعَةً يُصَلِّيهِمَا
غَيْرَ مُتَعَطِّرَةً ٢.

٩ الامام الصادق «ع»: مَا أَنْفَقْتَ فِي الطَّيِّبِ فَلَيْسَ بِسَرْفٍ ٣.

١٠ الامام الرضا «ع»: كَانَ يُعْرِفُ مَوْضِعَ جَعْفَرِ (الصَّادِقِ) فِي الْمَسْجِدِ، بِطَيْبِ
رِيحِهِ وَمَوْضِعَ سَجُودِهِ ٤.

٥- من اسباب السعادات

الحديث

١ النبي «ص»: مِنْ سَعَادَةِ الْمُسْلِمِ سَعَةُ الْمَسْكَنِ، وَالْجَارِ الصَّالِحِ، وَالْمَرْكَبِ
الْهَنِيِّ ٥.

٢ الامام الصادق «ع»: ثَلَاثَةٌ هُنَّ مِنَ السَّعَادَةِ: الزَّوْجَةُ الْمُؤَاتِيَةُ، وَالْوَلَدُ الْبَارُّ،

١- الوسائل ٣ / ٣٤١.

٢ و ٣ - مكارم الاخلاق / ٤٤ و ٤٣ - ٤٤.

٥- الوسائل ٣ / ٥٥٨.

والرَّجُلُ يُرْزَقُ مَعِيشَتَهُ، يَغْدُو عَلَى إِصْلَاحِهَا وَيَرْوَحُ إِلَى عِبَالِهِ ١.

* هذه التّعاليمُ ايضاً تَشْجُبُ الْفَقْرَ وَتَرْفُضُهُ، اذْ مِنْ شَأْنِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ أَنْ يَكُونَ فَقْرًا وَمَسَاكِينًا اَيْضًا مُتَمَكِّنِينَ مِنَ التَّجَمُّلِ وَالتَّعَطُّرِ، وَلَا سِيَّمَا فِي الصَّلَاةِ وَالْجَمَاعَاتِ (لأنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ، بَنَصُ الْقُرْآنِ، وَهَلْ تَكُونُ هَذِهِ الْأَخُوَّةُ أَمْرًا لَفْظِيًّا يَتَقَلَّبُ عَلَى اللِّسَانِ؟ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَكَذَا فَالْيَ أَيِّ مَدَى يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ؟) فَلَا يَسَعُنَا أَنْ نَدَّعِيَّ أَنْ هَذِهِ الْمَزَايَا تَكُونُ وَقْفًا عَلَى الْإِغْنِيَاءِ وَالْمُوسِرِينَ . وَلَقَدْ رَأَيْنَا الْإِمَامَ جَعْفَرَ الصَّادِقَ «ع» يَقُولُ بِحَقِّ الْفَقِيرِ: «... فَلْيُعْطِهِ مَا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَكْتَسِي وَيَتَزَوَّجُ وَيَتَصَدَّقُ وَيَحِجُّ» ٢ . وَحِينَمَا سَأَلَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَابِرٍ: يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَأْخُذَ الرِّزْقَ وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فَيَتَصَدَّقُ بِهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» ٣ .

تنبیه هام

إنَّ الْإِخْلَاقَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ رُكْنَ إِسْأَسِيٍّ فِي أَيِّ مَذْهَبٍ اِقْتِصَادِيٍّ . وَلَعَلَّنَا لِنَحْتَاجُ إِلَى عَقْدِ فِصْلِ أَوْ فِصُولٍ خَاصَّةٍ لِرَسْمِ خُطُوطِ تِلْكَ الْإِخْلَاقِ فِي الْإِسْلَامِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَ فِصُولِ هَذَيْنِ الْبَابَيْنِ تَرَسَّمُ هَذِهِ الْخُطُوطُ وَتُبَيِّنُ حُدُودَهَا وَمَحْتَوَاهَا بِوَضُوحٍ . وَلَعَلَّ هُنَاكَ فِصُولًا يَجْدُرُ بِهَا أَنْ تُسَمَّى «الْإِخْلَاقَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ»، غَيْرَ أَنَا نِكُلُّ تَدْوِينَهَا وَأَعْدَادَهَا بِصُورَةٍ عِلْمِيَّةٍ مَنْظُومَةٍ، إِلَى مَنْ لَهُ الْإِهْلِيَّةُ لِذَلِكَ - مِنْ مَخْتَلِفِ الْجِهَاتِ - مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْإِسَاتِذَةِ

١ - أمالي الطوسي ١ / ٣٠٩ .

٢ و٣ - الوافي ٢ (٦) ٢٥ .

الباحثين والاختصاصيين . ولاتوفيق الآ من الله العليم الحكيم .

ب - القوة الغالبة

١ - القوة والعزة الشعبية

الكتاب

- ١ وُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَأَنْبِيَاءٍ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * ١
- ٢ .. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ .. ٢

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع»: آتت الموالى امير المؤمنين «ع» فقالوا: نشكو اليك هؤلاء العرب: ان رسول الله «ص» كان يعطينا معهم العطايا بالسوية، وزوج سلمان وبلالا وصهيبا، وابوا علينا هؤلاء، وقالوا: لا نفعل . فذهب اليهم امير المؤمنين «ع» فكلّمهم فيهم، فصاح الاعراب: آيينا ذلك يا

١ - سورة نوح (٧١): ١٢.

٢ - سورة هود (١١): ٥٢.

٣ - اي: الى العرب.

ابا الحسن، آيينا ذلك! فخرَجَ وهو مُغْضِبٌ يَجْرُ رِداءه، وهو يَقُولُ: يا معشرَ الموالِي، إِنَّ هؤُلاءِ قد صَيَّرُوكمُ بِمَنْزِلَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، يَتَزَوَّجُونَ الْيُكُمَ وَلَا يُزَوَّجُونَكُمْ، وَلَا يُعْطُونَكُمْ مِثْلَ مَا يَأْخُذُونَ؛ فَاتَّجِرُوا بِأَرْكَ اللَّهِ لَكُمْ..^١

٢ الامام الصادق «ع» - عن المُعلّى بنِ خُنيس قال: رَأَى ابُو عَبْدِ اللَّهِ «ع» وَقَدْ تَأَخَّرَتْ عَنِ السُّوقِ، فَقَالَ: أَغْدُ إِلَى عِرِّكَ.^٢

٣ الامام الصادق «ع» - الْفُضَيْلُ بْنُ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ ابُو عَبْدِ اللَّهِ «ع»: «أَيُّ شَيْءٍ تُعَالِجُ؟ قُلْتُ: مَا أُعَالِجُ الْيَوْمَ شَيْئاً. فَقَالَ: «كَذَلِكَ تَذْهَبُ أَمْوَالُكُمْ»، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ.^٣

٤ الامام الصادق «ع» - عَنِ مَعَاذِ بْنِ كَثِيرٍ، بَيَّاعِ الْأَكْسِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي - عَبْدِ اللَّهِ «ع»: «إِنِّي هَمَمْتُ أَنْ أَدَعَ السُّوقَ، وَفِي يَدِي شَيْءٌ. فَقَالَ: إِذَا يَسْقُطُ رَأْيُكَ، وَلَا يُسْتَعَانُ بِكَ عَلَى شَيْءٍ.^٤

٢ - القوّة والمنعة العسكريّة

الكتاب

١ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ، تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ، اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي

١ - الكافي ٥ / ٣١٨ - ٣١٩.

٢ - الوسائل ١٢ / ٣.

٣ و٤ - الكافي ٥ / ١٤٩.

سبيل الله يُوفِّ اليكم وأنتم لا تظلمون*^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: إنَّ القُوَّةَ الرَّمِّيَ.^٢
- ٢ النبي «ص»: اِرْبَطُوا الخيلَ فَإِنَّ ظُهُورَهَا لَكُمْ عِزٌّ، واجوافها كنز.^٣
- ٣ الامام علي «ع» - في العهد الاشرى: .. فالجنودُ باذنِ اللهِ حصونُ الرعيَّةِ، وزينُ الولاةِ، وعزُّ الدينِ، وسبُلُ الأمنِ، وليس تقومُ الرعيَّةُ الا بهم. ثم لا قوامَ للجنودِ الا بما يُخرجُ اللهُ لهم من الخراجِ، الَّذي يَقَوُّون به على جهادِ عدوِّهم، وَيَعْتَمِدُونَ عليه فيما يُصلِحُهم، ويكونُ من وراءِ حاجتِهم..^٤
- ٤ الامام علي «ع»: كلُّ مَقْدَرَةٍ يَحْتَاجُ الى بَدَلٍ.^٥
- ٥ الامام السجاد «ع» - جاءَ في دعائه لاهلِ الثُّغورِ ما يَدُلُّ على اهميةِ المالِ ودوره في تجسيدِ الأمنِ والسَّلامِ وحفظِ ثُغورِ الاسلامِ: اللهم! صلِّ على محمدٍ وآله، وحصِّنْ ثُغورَ المسلمين بعزَّتِكَ، وأيدِّ حُماتها بقوَّتِكَ، وأسبِغْ عطاياهم من جدَّتِكَ .. وواترِ بين ميريهم .. وأسبِغْ عليه (الغازي) في النِّفقة .. اللهم! وأيُّما مسلمٍ خَلَفَ غازياً او مُرابطاً في دارِهِ، او تَعَهَّدَ خالفيه في غيبتهِ، او أعانَه بطائفةً من ماله، او أعَدَّه بعتادٍ .. فأجر له مثل أجره وزناً

١ - سورة الانفال (٨): ٦٠.

٢ و٣ - مجمع البيان ٤ / ٥٥٥.

٤ - نهج البلاغة / ١٠٠٣: عيده ٣ / ١٠٠.

٥ - البحار ٧٨ / ٧: عن «مطالب السُّؤل».

بوزنٍ ومِثلاً بمثلٍ ١.

* بما أنّ هذه الدّار دارُ الاسباب، نُشاهد أنّ إمدادَ الله لاهلِ
التُّغورِ والمُرابطينِ ايضاً يَكونُ باموالٍ تَجري لهم على ايدي
النّاسِ، فيكونُ المالُ، من هذه الجهة، ايضاً قواماً للنّاسِ وقياماً.
ومن هنا، يدعُو القرآنُ الكريمُ النّاسَ الى الجهادِ في «سبيلِ الله»،
بالأموالِ (يعني: «الإنفاق»)، و بالأنفسِ (يعني: «الجهاد»).

نظرة الى الفصل

١ - الاقتصاد وصلته بالعمودين (الاخلاق والقوة): إن صلة الاقتصاد بالاخلاق والقوة، وتساؤك المادّة والمعنى والمعنى والمادّة في حياة الانسان، الفردية والاجتماعية، والدينية والسياسية، والتربوية والثقافية، امرٌ واضح لا يحتاج الى تجسّم التّدليل عليه؛ إذ الانسان يعمل كل ما يعمل، بوجوده الطبيعيّ، وهو يحتاج الى ما في الطبيعة من الموادّ والمواهب، ولا فرق في ذلك الاحتياج الفطريّ المُبرم، اكان ذلك العمل مادياً ايضاً ام معنوياً. فمادام الانسان حياً، يسكن روحه في بدنه، فهو يحتاج الى المادّة والغذاء، حتى للفكر والخلوّة والمناجاة، فضلاً عن غيرها. ولا بيان لهذه الحقيقة الراهنة اصرح واكد واكثر حسماً من قول النبيّ المرشد الاكبر «ص»: «اللّهم بارك لنا في الخبز، ولا تفرّق بيننا وبينه، فلو لا الخبز ما صُمنا، ولا صلّينا، ولا ادينا فرائض ربنا عزّ وجلّ»^١.

فوجود الصّلات الطبيعيّة الجذرية بين المؤمن المادّية والحياة الروحية، امرٌ مسلم لا ينكر،^٢ حتى انّ التعلّم الصادقيّ يقول: «ركعتان يُصلّيهما متعطّراً افضل من سبعين ركعةً يُصلّيهما غير متعطّرة»^٣. وهل العطر والطيب يحصل بلا مؤونة ودفع ثمن. وهل يصح ان تكون هذه الامور موقوفة على الاغنياء، ولا يكون للفقراء فيها نصيب؟

١ - الكافي ٦ / ٢٨٧.

٢ - راجع: الفصل ٥، من هذا الباب ايضاً.

٣ - مكارم الاخلاق / ٤٤.

٢ - القوّة والمُنعة العسكريّة: نُشيرُ هنا في اقتضابٍ، الى دورِ المالِ في تحصيلِ القوّةِ العسكريّةِ. من المعلومِ أنّ القوّةَ العسكريّةَ الجاهزةَ من أهمِّ ما يلزمُ لحفظِ الاسلامِ وكيانهِ وتحصينِ المسلمين وعزّهم وبلادهم ومناجمهم وكلِّ ما يكونُ بحضرتهم من حولِ وطول. وهذه القدرة لا تُحصَلُ الا بالتقدّمِ البالغِ في العلومِ والصناعاتِ العسكريّةِ والتقنيّةِ الحربيّةِ، وبصنُعِ واعدادِ احدثِ الآلاتِ الحربيّةِ المعاصرةِ وأقدرها وأدقّها. وهذه القوّة، هي التي يُحفظُ بها سائرُ قوَّاتِ المسلمين وقدراتهم، من الدنيّةِ والثقافيّةِ والاقتصاديّةِ والعلميّةِ والفنيّةِ والزراعيّةِ والصناعيّةِ. فالتأكيدُ الذي جاءَ به الاسلام، بهذه القولةِ المُرنّةِ في جوِّ عالمِ الاسلام: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ»، إنّما جاءَ به ليقاظِ الشعورِ ولتفتِ النظرِ الى هذه الناحيةِ العظيمة، من كسبِ القوّةِ العسكريّةِ وأجهزتها، فإنَّ القوّةَ الرمي، كما روي عن النبي «ص». وإن رمي كلِّ زمانٍ ما يناسبه، وهو ما يكونُ مانعاً حريزاً، بل على المسلمين وحُماةِ القرآنِ أن يكونوا اشدَّ تقدماً في كسبِ القوّةِ والمُنعةِ من غيرهم، واجدين لاحدثِ الاسلحةِ العصريّةِ، وان يزودوا الشعوبَ المُستضعفةَ ويسلّحوها أيضاً، حتى تُثورَ في وجهِ المستكبرين.

تذييل

لقد تكلمنا في الفصلِ الأوّل، من هذا الباب، عن اهميّةِ المالِ وقواميته، وفي الفصلِ الثاني عن دورِ المالِ في بقاءِ المجتمع، في جريانه المتوازن، وفي الفصلِ الثالثِ عن حرمةِ المالِ وعن الغاياتِ الصّالحةِ لطلبه، واهميّةِ كسبه وصيانتِه، وبعضِ آثاره الايجابيةِ الفرديّةِ والاجتماعيّةِ، وفي الفصلِ الرابعِ عن الإمدادِ الالهيِّ بالاموال، وفي

الفصل الخامس عن دور المؤمن المادية في الحياة الروحية وفي اداء الفرائض واقامة الشعائر؛ وكل ذلك قد عقدنا له فصلاً لاهميته المسلمة، فراجع تلك الفصول والنظرات اليها اذا شئت .

والآن نقول ايضاحاً لهذه المسائل، إن للغنى والمال دوراً ايجابياً يجب أن لا ننساه، وإن الاسلام لا يرفض المال وطلبه وجمعه اذا كان لغاياتٍ صالحة وفي حدودٍ قوامية من غير ظلم ولا عدوان، وأما ما خالف ذلك فلا يقره . فكلما وجد اغنياء متمولون، اكتسبوا اموالاً وحازوها وتجنبوا سلبيات التكاثر والارستقراطية، ووعوا احكام دين الله في المكسب والمتجر وفي الجمع والانفاق وراعوها، ولم يظلموا احداً في الاستيراد والانتاج والتوزيع والاستثمار والتسعير، ولم يستغلوا الكادحين، ولم يضيّقوا على الأجراء والعمال ولم يبخسوا حق احد، ولم يسرفوا ولم يقتروا وكان امرهم بين ذلك قواماً، إن هؤلاء اذا كانوا غير متكاثرين ولا مدّخرين وكانوا متجنبين الآثرة، ولم يجنحوا الى الاستكبار والبخل، ولم يعنوا ولم يفسدوا ولم يبطروا، وأنفقوا جميع ما عليهم من الحقوق الفردية والعائلية والاجتماعية، الظاهرة منها والباطنة، واجتنبوا الترف والبدخ، ولم يفرضوا شيئاً على الحكم والتشريع، فعمل الاسلام لا يرفضهم، غير أن هذا النوع من الغنى لا يبلغ حد التكاثر والراسمالية المصطلحة ابداً، لا كمّاً ولا كيفاً^١، وان بلغ فهو ليس هذا المذكور .

١ - جاء في «النالي الاخبار» (ص ١٦٤ - ١٦٥) : «... ومن مفسده (الغنى)، أن فيه الخطر من ترك مواسة الإخوان سيما الفقراء والمساكين والارحام .. قال بعض الاكابر: "لولم يكن في الغنى الآ الخطر من ترك مواسة الفقراء والمساكين ومساعدة الضعفاء، لكان كافياً: إن هو قام بها ذهب بمامعه وصار في الناس فقيراً..." وقال بعض آخر: "الاغنياء اشقى الاشقياء واحمق الحمقاء، يجمعون الاموال بانواع المراتب والزحمات وصرف الاوقات التي هي اعز الاشياء، ويحفظونها بانواع المشقات والخطرات والصدمات، وتكونها بالف حسرة..." . ومن الواضح، أن هذه التنديدات والتقريعات، إنما ترجع الى جمع المال وجهه والأدخار، لا الى الكسب والطلب للاستهلاك السالم والانفاق .

ولأجل استثناء ما ذُكِرَ من الغنى المحدود، الحائز للشرائط، المؤدّي للحقوق، يقول النبي «ص» عند ذمّ الغني والغني: «كلُّ غنيٍّ مُتَرَفٍّ»، فيُضِيفُ الى الغنيِّ وصفَ الاتراف، ويُسمِّي كلَّ غنيٍّ مُتَرَفٍّ مِتْنًا. ويقول الامام عليُّ بنُ ابي طالب «ع»: «مَنْ يَسْتَأْتِرُ مِنَ الْاَمْوَالِ يَهْلِكُ»، فيُنِيطُ الهلاكَ بالاستتار.

نعم، بهذا القسم من الغنى المشروع، الذي يُشَدُّ به ظهْرُ المجتمع، حيث يُحَفَظُ فيه موضِعُ المالِ الالهيِّ القواميِّ، ويكونُ مبدولًا لادولة، يُقَامُ العمودان:

١ - الاخلاقُ الفاضلة.

٢ - القوَّةُ الغالبة.

١ - راجع أيضاً، بروح الملاحظة والإمعان: «التأشير الرئيسيّ البات»، الذي مرّ في منتهى النظرة إلى الفصل السابق.

الفصل الثالث والأربعون

أصالة التذرع بالمواهب الطبيعيّة والاستمتاع الملتزم منها
للفرد والمجتمع

الكتاب

- ١ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ ذَلُولًا، فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ..
- ٢ .. هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ..
- ٣ وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ..
- ٤ .. وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ *^٤

الحديث

-
- ١ - سورة الملك (٦٧) : ١٥.
 - ٢ - سورة هود (١١) : ٦١.
 - ٣ - سورة القصص (٢٨) : ٧٧.
 - ٤ - سورة النحل (١٦) : ٣٠.

أ - قيمة الحياة واهميتها

١ النبي «ص»: لا تَسْبُوا الدُّنْيَا، فَنِعَمَتْ مَطِيَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَعَلَيْهَا يَبْلُغُ الْخَيْرِ، وَبِهَا يَنْجُو مِنَ الشَّرِّ.^١

* يعني: بطلب المعرفة الصحيحة عن الله تعالى وعن النفس والعالم، والحصول على علم صادق، وبفعل الصالحات وترك السيئات.

٢ النبي «ص» - لابي ذر الغفاري: كُنْ عَلَى عَمْرِكَ اشْحَ مِنْكَ عَلَى دَرْهِمِكَ.^٢

٣ الامام علي «ع»: إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صَدَقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهَمَ عَنْهَا، وَدَارُ غَنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللَّهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ، وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، اِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهِ الْجَنَّةَ..^٣

٤ الامام الباقر «ع» - في تفسير قوله تعالى: «وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ»، قال: الدُّنْيَا.^٤

٥ الامام الباقر «ع»: نِعَمَ الْعَوْنِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ.^٥

١ - البحار ٧٧ / ١٧٨، عن «اعلام الدين».

٢ - سفينة البحار ٢ / ٢٥٨.

٣ - نهج البلاغة / ١١٤٨؛ عبده ٣ / ١٨٢.

٤ - المستدرک ٢ / ٤١٦.

٥ - الوسائل ١٢ / ١٧.

ب - حثّ وتحضيض

- ٦ الامام السجاد «ع» : مَنِ اتَّخَذَهَا دَارَ قَرَارٍ وَمَنْزَلَ اسْتِيطَانٍ، فَإِنَّهَا دَارُ قُلْعَةٍ وَمَنْزَلُ بُلْعَةٍ وَدَارُ عَمَلٍ، فَتَزَوَّدُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، قَبْلَ تَفَرُّقِ أَيَّامِهَا ١.
- ٧ الامام الصادق «ع» : كَانَ فِيهَا وَعَظٌ بِهِ لِقَمَانُ ابْنِهِ : يَا بُنَيَّ! .. إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ مُسْتَجِرٌّ قَدْ أُمِرْتَ بِعَمَلٍ، وَوُعِدْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، فَأَوْفِ عَمَلَكَ، وَاسْتَوْفِ أَجْرَكَ ٢.

ج - التزام وتيقظ

- ٨ الامام علي «ع» - من دعاء له : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَرْزُقْنِي رِزْقًا وَاسِعًا، حَلَالًا طَيِّبًا، تُؤَدِّي بِهِ أَمَانَاتِنَا، وَنَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى زَمَانِنَا، وَنُنْفِقُ مِنْهُ فِي طَاعَتِكَ، وَفِي سَبِيلِكَ ٣.
- ٩ الامام السجاد «ع» : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي لِأَنْ أَعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِي مَنْ هَجَرَنِي بِالْبُرِّ، وَأُثِيبَ مِنْ حَرَمَنِي بِالْبَدَلِ، وَأُكَافِيَ مِنْ قَطْعَنِي بِالصَّلَةِ .. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّنِي بِحَلِيَّةِ الصَّالِحِينَ، وَالْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ .. وَابْتِئَارِ التَّفَضُّلِ .. وَالْإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ ٤.
- ١٠ الامام السجاد «ع» - من دُعَائِهِ لِجِيرَانِهِ وَأَوْلِيَائِهِ : .. وَفَقِّهْمْ لِإِقَامَةِ سُنَّتِكَ،

١ - تحف العقول / ١٨٢.

٢ - الوافي ١ (م ٣) / ٧٧.

٣ - البحار ٩٠ / ١٧٥.

٤ - الصحيفة السجادية / ١٣٣ (الدعاء ٢٠).

والأخذ بمحاسنِ ادبِك، في ارفاقِ ضعيفهم، وسدِّ خَلَّتِهِم، وعبادةِ مريضهم،
وهدايةِ مسترشديهم، ومُنَاصِحَةِ مُستشيرهم، وتعهُّدِ قادمهم، وكتمانِ
اسرارهم، وسترِ عوراتهم، ونصرةِ مظلومهم، وحسنِ مُواساتِهِم بالماعون،
والعودِ عليهم بالجدّةِ والافضال، واعطاءِ ما يَجِبُ لهم قبلَ السَّؤالِ ..

د - اغتتم، ثم اغتتم

١١ النبي «ص» - فيما أوصى به اباذرّ الغفاريّ: يا اباذرّ! اغتتم خمساً قبلَ
خمسٍ: شبابك قبلَ هرَمك، وصحتك قبلَ سُقمك، وغناك قبلَ فقرك،
وفراغك قبلَ شُغلك، وحياتك قبلَ موتك.^٢

هـ - المحاولة ودورها الهامّ

١٢ الامام علي «ع»: إنّ الليلَ والنهارَ يعمَلانِ فيك، فأعملَ فيهما؛ ويأخذانِ
منك، فخذمنهما.^٣

١٣ الامام الصادق «ع»: .. يا ابنَ جُنْدَب! بلِّغْ معاشرَ شيعتنا وقُلْ لهم: لا تذهبنَّ
بكم المذاهب، فوالله لا تُنال ولا يُتنا إلا بالورع، والاجتهادِ في الدنيا، و..^٤

* ولعلّ هذا الاجتهادُ يعمُّ كلَّ ما يتَّصلُ بحياةِ الانسانِ من
طلبِ معرفةٍ حقّةٍ، وعلمٍ ناجعٍ، وعملٍ فرديٍّ او اجتماعيٍّ.

١ - الصحيفة السجادية / ١٧٧ (الدعاء ٢٦).

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٤٠.

٣ - غرر الحكم / ١٢٠.

٤ - تحف العقول / ٢٢٣.

نظرة الى الفصل

اصالة التدرُّع بالموهبِ الطَّبِيعِيَّةِ : يدعُو القرآنُ الكَرِيمُ الانسانَ الى التَّفَاعُلِ مع الطَّبِيعَةِ وما أودَعَ اللهُ تعالى فيها، تفاعلاً نشيطاً مُستمرّاً؛ نعم، إِنَّ القرآنَ - وهو كتابُ «الحياة» - انما يَحُضُّ الانسانَ فيما يَحُضُّ، على :

١ - تَعَمِيمُ الانتفاعِ بالارضِ .

٢ - اتِّخَاذُ الارضِ مَهْداً مُهَيَّئاً لِلسُّلُوكِ في سُبُلِها والارتزاقِ من

نباتِها: ٢

٣ - الاستمتاعُ بِالْبَيانِ الانعامِ والانتفاعُ بفوائدها الكثيرةِ وَقَطْفِ ثَمَرِ

النَّخيلِ والعِنَبِ لما فيه من المآربِ . ٣

٤ - الاستفادةُ من النَّحْلِ وعسلِها . ٤

٥ - المشيُّ في مناكبِ الارضِ والانتشارُ فيها لطلبِ المعيشةِ . ٥

٦ - اتِّخَاذُ الامْتِعَةِ اللّازِمَةِ للعيشِ من الطَّبِيعَةِ . ٦

٧ - الاستفادةُ من المياهِ المختلفةِ، من البحارِ والانهارِ والثَّلُوجِ

والامطارِ . ٧

١ - سورة الرَّحْمَنِ (٥٥) : ١٠ .

٢ - سورة طه (٢٠) : ٥٣ - ٥٤؛ سورة الانبياء (٢١) : ٣١؛ سورة الرُّخْفِ (٤٣) : ١٠ .

٣ - سورة النَّحْلِ (١٦) : ٦٦ - ٦٧؛ سورة المؤمنون (٢٣) : ١٩ و ٢١ .

٤ - سورة النَّحْلِ (١٦) : ٦٩ .

٥ - سورة الجمعة (٦٢) : ١٠؛ سورة المُلْكِ (٦٧) : ١٥ .

٦ - سورة البقرة (٢) : ٣٦ و ١٦٨ .

٧ - سورة البقرة (٢) : ٢٢ و ١٦٤، سورة الانعام (٦) : ٩٩؛ سورة الاعراف (٧) : ٥٧؛ سورة نوح

(٧١) : ١١ - ١٢، ..

- ٨- اتّخاذُ القصورِ من سُهولِ الارضِ وَنَحْتِ البيوتِ من جبالِها ١.
- ٩ - عمرانُ الارضِ وبسطُ عمارتِها، للاستفادةِ منها باشكالٍ مختلفة ٢.
- ١٠- اجراءُ الفلّكِ في البحرِ وسلوكُ الطُّرقِ البحريّةِ، والحصولُ على ما في نواحي الارضِ المختلفةِ من المعاشِ والموادِّ والمؤن ٣.
- ١١ - اتّخاذُ المراكبِ البرّيّةِ والبحريّةِ لقطعِ المسافاتِ بسرعة ٤.
- ١٢ - اتّخاذُ المراكبِ البرّيّةِ (والبحريّةِ) للركوبِ ولحملِ الاثقالِ ٥.
- ١٣ - الاستفادةُ من اقطارِ الارضِ الواسعةِ وقطعِها المتجاوراتِ وغيرِ المتجاوراتِ ٦.
- ١٤ - استخراجُ الموادِّ البروتينيّةِ من الحيواناتِ البرّيّةِ ٧.
- ١٥ - استخراجُ الموادِّ البروتينيّةِ من الحيواناتِ البحريّةِ ٨.
- ١٦ - استخراجُ الموادِّ التجمليّةِ من البحارِ ٩.
- ١٧ - اتّخاذُ الملابسِ من الانعامِ، جلودِها واورباها ١٠.
- ١٨ - رعيّ الانعامِ والمواشي وسومُ الشبّاهِ في منابتِ الارضِ ١١.
- ١٩ - الاستفادةُ من النجومِ والاهلّةِ لمعرفةِ الطُّرقِ والجهاتِ

١ - سورة الاعراف (٧) : ٧٤.

٢ - سورة هود (١١) : ٦١.

٣ - سورة النحل (١٦) : ١٤؛ سورة الحج (٢٢) : ٤٥؛ سورة الرحمن (٥٥) : ٢٤.

٤ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٢٢؛ سورة فاطر (٣٥) : ١٢.

٥ - سورة النحل (١٦) : ٦ - ٨.

٦ - سورة الرعد (١٣) : ٤؛ سورة العنكبوت (٢) : ٥٦.

٧ - سورة النحل (١٦) : ٥؛ سورة فاطر (٣٥) : ١٢.

٨ - سورة النحل (١٦) : ١٤.

٩ - سورة النحل (١٦) : ١٤؛ سورة الرحمن (٥٥) : ٢٢.

١٠ - سورة النحل (١٦) : ٥.

١١ - سورة النحل (١٦) : ١٠.

والمواقيتِ والسنينِ والحسابِ ١

٢٠- الاستفادة من الحدائق ذات بهجة والجَنَاتِ الألفاف، للتشيط

والإجمام ٢.

أضف الى ما ذكرنا، أن الاسلام يحض الانسان على الاستفادة الكافية من مواهبه الشخصية ووقاته وصحته وشبابه؛ فالاسلام حينما يتكلم عن الاقتصاد والمسائل المالية يعمد الى بيان فناء الدنيا وتفرق أيامها. وحينما يتكلم عن تفرق الدنيا و أيامها يعمد الى لفت النظر الى التزوّد منها بالكّد والعمل والسعي وكسب المال الحلال ودفعه لمصالح المجتمع وسدّ أعواز المعدمين، بعد انفاق المقدار اللازم منه على النفس والعائلة.

وهذا المنهج الذي تبناه الاسلام، هو أرقى منهج تربويّ بناء للحياة المادّية والمعنوية للأفراد والمجتمعات، اذ الانسان اذا تذكّر أن العمر فان، وأن أيامه ايام قلائل متصرّمات، يساق الى التزوّد منها بالجّد والكّد، فيعمل ويسعى، ويحسن العمل ويتقنه طلباً لمرضاة الله، ويواصل السعي فيصبح مفيداً مثمراً، يعمل لخير الناس، ولتطوير المجتمع، ولتموين ابناء جنسه، ولتسليح شعبه بالسلاح الاقتصادي، مما يصنع وينتج.

وهذه الناحية الهامة يجب أن يؤكد عليه في الحقل التربوي. ومما هو معلوم أن المجتمع الاسلامي، يجب أن يكون بحيث يسع لكل ان يقوموا بالتزوّد لانفسهم، وبتطوير مجتمعهم، وتقوية بنيتهم الاقتصادية، فلايجوز أن يهمل الفقير والبائس على حالهما، اذ مع تلك الحالة لايتاح لهما اي عمل او تزوّد او تطوير، فإن تركا سدى ظلما .. وهذا ما لايجوز بوجه ابدأ.

١ - سورة الانعام (٦): ٩٧؛ سورة التحل (١٦): ١٦؛ سورة البقرة (٢): ١٨٩؛ سورة يونس (١٠)

٥:

٢ - سورة النمل (٢٧): ٦؛ سورة النبا (٧٨): ١٦.

ومن هنا ننتقلُ أيضاً، الى أنّ التّعاليمَ الاسلاميّةَ يرمي كلّها الى
غرضٍ واحد، هو إسعادُ الانسان، في حالةِ الانفرادِ والاجتماع . وهذه
التّعاليمُ متماسكةُ الأبعاض، مُترابطةُ المبانِي، لانفصالَ لايّ منها عن
سائرِها .

الفصل الرابع والأربعون

الاقتصاد، أصالة إسلامية

يُستَشَفُّ من الآياتِ السَّمَاوِيَّةِ - المَبْنُوتَةِ في القرآنِ الكريمِ -
الَّتِي تَحْكِي سِيرَةَ الانبياءِ «ع» في نَهْضَاتِهِمْ وشِعَارَاتِهِمْ، أَنَّهُمْ
كَانُوا يَدْعُونَ النَّاسَ - أَوَّلَ مَا يَدْعُونَ - إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِيْفَاءِ
الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وَعَدَمِ بَخْسِ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ؛ وَيَتَّبِعُونَ ذَلِكَ
بِخَطِّبِهِمْ لِلْأَغْنِيَاءِ، نَبِي سَرَحِهِ جَلِيلَةَ: «لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا» .
فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ شِعَارَاتٍ حَيَّةٍ رَيْسِيَّةٍ، كَانَتْ تَتَلَأَلُ فِي جَبْهَةِ
الدَّعْوَاتِ النَّبَوِيَّةِ، وَتَمَلُّ الأَجْوَاءَ أَيَّامَ كَانِ الانبياءُ «ع» يَقُومُونَ
بِانْقَاذِ الْجُمَاهِيرِ البَشَرِيَّةِ مِنْ مَخَالِبِ الطَّوَاغَيْتِ :

- ١ - الدَّعْوَةُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، بِإِيْمَانٍ وَإِخْلَاصٍ .
- ٢ - الدَّعْوَةُ إِلَى دَعْمِ نِظَامِ اِقْتِصَادِيٍّ سَالِمٍ، بِفَضْلِ تَصْحِيحِ
الصَّلَاتِ اِقْتِصَادِيَّةِ وَالتَّبَادُلِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَشَجْبِ العُدْوَانِ المَالِيِّ
عَنِ الْجُمَاهِيرِ، فِي جَمِيعِ صُورِهِ وَاشكَالِهِ، مِنَ المُعْلَنَةِ وَغَيْرِهَا،
وَرَدِّعِ الطَّوَاغَيْتِ اِقْتِصَادِيَّةِ وَالمُسْتَكْبِرِينَ المَالِيِّينَ، فِي أَحْسَمِ
شَكْلِ .

- ٣ - العَمْدُ إِلَى مَقَاطِعَةِ اصْحَابِ الاموالِ وَالثَّرَوَاتِ، حَتَّى لَا
يَطْمَعُوا فِي تَحْرِيفِ الدَّعْوَةِ وَغَايَاتِهَا .

نعم، فهناك طاغوتان: سياسي واقتصادي. فيجب أن يكون هناك شجبان أيضاً - تبعاً للانبيا «ع» - حتى يتم أمر الدعوة الإلهية والثورة الدينية. فكما أن الانبياء «ع» كانوا يشجّبون الطاغوت الأول، باخراج الناس من عبادة العباد واطاعة قوانينهم الى عبادة الله تعالى واطاعة احكامه؛ ويشجّبون الطاغوت الثاني بالامر بالمذكورين، فكذلك يجب على الدعاة الدينيين أن يشجّبوهما جميعاً.

ولا يمكن أن يتجسد أي اصلاح ديني او ثورة دينية، اذا لم يعمد القائدون الى هذين الشجبتين بصمود واستمرار. ولا يوجد هناك ايمان توحيدى مستتب للعمل الا في مجتمعات صالحة. ولا صلاح الا بالعدل، ولا عدل مع حضور الطاغوتين في المجتمع او حضور احدهما، ولا سيما الثاني، حيث انه اذا لم يشجّب يخلق الاول ايضاً باسام صالحة ومموهة.

وهذه الامور كلها من اهم الشواهد القاطعة على ان للاقتصاد وتقويمه السالم العادل، اصالة دينية اسلامية، لا تقبل أي بدل او اهمال.

الكتاب

١ واقموا الصلاة وآتوا الزكاة وآزر كعوامع الراكعين* ٢

١ - لا تنس قول مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع»: «الرعية لا يصلحها الا العدل» - راجع:

الفصل ٤٧، من الباب ١٢.

٢ - سورة البقرة (٢): ٤٣.

٢ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ١..

* قد جعل أداء الزكاة ردفًا للصلاة والركوع مع الراكعين واطاعة الرسول «ص». وقد جاء ذكرها والامر بها في القرآن في موارد عديدة وكثيرة. ومن هنا نعلم أن القضية المالية في الاسلام لها اصاله هامة كالقضية العبادية، بل هي أيضاً من العبادة.

٣ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ، يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ ٢..

٤ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * ٣

٥ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ، قُلْ: الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ٤..

٦ لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ ٥..

٧ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ٦..

٨ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ، فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ٧..

٩ وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ٨..

١ - سورة التور (٢٤): ٥٦.

٢ - سورة الانفال (٨): ٤١.

٣ - سورة المعارج (٧٠): ٢٤ - ٢٥.

٤ - سورة الانفال (٨): ١.

٥ - سورة النساء (٤): ٣٢.

٦ - سورة النساء (٤): ٥.

٧ - سورة الحشر (٥٩): ٧.

٨ - سورة البقرة (٢): ١٩٥.

١٠ .. قال: يا قومِ اعْبُدُوا اللَّهَ، مَا لَكُمْ مِنْ آلِهِ غَيْرُهُ، وَلَا تَنْفُسُوا الْكَيْلَ
والميزان ..^١

* قد جاء ذكر المكيال والميزان والنهي عن نقضهما، بعد
ذكر العبادة لله تعالى. وهذا يرمي الى اهمية القضية الماليّة
والاقتصاديّة.

١١ ويا قومِ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ..^٢
١٢ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ * وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ
وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَاراً *^٣

* والآيات التي مرّت في مُسْتَهَلَّ الفصلِ الأوّل من هذا
الباب، تُمَّت الى هذا الموضوع ايضاً، وكذلك كثير من الآيات التي
جاءت في سائر الفصول. وذلك لأنّ اهمية الاقتصاد وأصلته في
الاسلام امرٌ قطعي، كما أنّ الامر كذلك في الحياة والفطرة والتجربة
والعقل والمجتمع.

الحديث

١ النبي «ص»: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْخُبْزِ، وَلَا تَفَرِّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَلَوْلَا الْخُبْزُ

١ و ٢ - سورة هود (١١): ٨٤-٨٥.

٣ - سورة نوح (٧١): ١١-١٢.

١. ما صُمنا ولا صَلَّينا ولا اَدَّينا فرائضَ ربِّنا عزَّ وجلَّ ١.
٢. النبي «ص» - في واقعة الرجل الانصاري مع سمرّة بن جندب، المشهورة، فقال «ص» للانصاري: «اذهب فاقلعها وارم بها اليه، فانه لا ضرر ولا ضرار» ٢.
٣. النبي «ص»: خصلتان ليس فوقهما من الشر شيء، الشرك بالله، والضرر لعباد الله ٣.
٤. النبي «ص»: الفقر اشد من القتل ٤.
٥. النبي «ص»: فيما قاله بحق والي المسلمين: .. لم يفرهم فيكفرهم ٥.
٦. الامام علي «ع»: فيما كتب الى عماله: ادقوا اقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا من فضولكم، واقصدوا قصد المعاني، واياكم والاكثر، فان اموال المسلمين لا تحتمل الاضرار ٦.
٧. الامام علي «ع»: - في العهد الاštري: وتفقد امورهم (التجار و ذوي الصناعات) بحضرتك، وفي حواشي بلادك، واعلم - مع ذلك - ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات. وذلك باب مضرّة للعامة، وعيب على الولاية؛ فامنع من الاحتكار، فان رسول الله «ص» منع منه. وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل، واسعار

١ - الكافي ٦ / ٢٨٧.

٢ - الكافي ٥ / ٢٩٣.

٣ - تحف العقول / ٣٦.

٤ - البحار ٧٢ / ٤٧.

٥ - الكافي ١ / ٤٠٦.

٦ - مستدرک نهج البلاغة / ١١١.

- لا تُجِحِفُ بالفريقين، من البائع والمُتباع ..^١
- ٨ الامام السجاد «ع»: .. أَمَا حَقُّ الْمَالِ، فَإِنَّ لَا تَأْخُذَهُ الْإِمْنُ حِلَّهُ، وَلَا تُنْفِقَهُ إِلَّا فِي حِلِّهِ، وَلَا تُحَرِّفَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا تَصْرِفَهُ عَنْ حَقَائِقِهِ^٢.
- ٩ الامام السجاد «ع» - فيما رواه الامام موسى الكاظم «ع»: .. إِسْتِمَارُ الْمَالِ تَمَامُ الْمُرُوءَةِ^٣.
- ١٠ الامام الباقر «ع»: - فيما رواه الامام الصادق: إِنَّهُ سُئِلَ عَنِ الدَّنَائِرِ وَالِدِّرَاهِمِ وَمَا عَلَى النَّاسِ فِيهَا؟ فَقَالَ: هِيَ خَوَاتِيمُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، جَعَلَهَا اللَّهُ مِصْحَةً لَخَلْقِهِ، وَبِهَا تَسْتَقِيمُ شُؤْنُهُمْ وَمَطَالِبُهُمْ^٤.
- ١١ الامام الباقر «ع»: كان عليّ «ع» كُلُّ بُكْرَةٍ يَطُوفُ فِي اسْوَاقِ الْكُوفَةِ، سَوْقًا سَوْقًا، وَمَعَهُ الدَّرَّةُ عَلَى عَاتِقِهِ - وَكَانَ لَهَا طَرْفَانِ وَكَانَتْ تُسَمَّى السَّبِيْبَةَ - فَيَقِفُ عَلَى كُلِّ سَوْقٍ سَوْقٍ فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! قَدِّمُوا الْإِسْتِخَارَةَ، وَتَبَرَّكُوا بِالسُّهُولَةِ، وَأَقْرَبُوا مِنَ الْمُبْتَاعِينَ، وَتَزَيَّنُوا بِالْحِلْمِ، وَتَنَاهَاؤُا عَنِ الْكُذْبِ وَالْيَمِينِ، وَتَجَافُوا عَنِ الظُّلْمِ، وَأَنْصِفُوا الْمَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْرَبُوا الرَّبَّاءَ، (و) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ^٥.
- ١٢ الامام الصادق «ع»: إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ هَذِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْأَمْوَالِ، لِتُوجِّهُوهَا حَيْثُ وَجَّهَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُعْطِكُمْوهَا لِتَكْنِزُوهَا^٦.

١ - نهج البلاغة / ١٠١٨: عبده ٣ / ١١٠.

٢ - تحف العقول / ١٩١.

٣ - تحف العقول / ٢٨٧.

٤ - أمالي الطوسي / ٢ / ١٣٣.

٥ - سفينة البحار / ١ / ١٢٠.

٦ - الكافي / ٤ / ٣٢.

١٣ الامام الصادق «ع» - قال له رجلٌ : يا جعفر! الرَّجُلُ يَكُونُ له (مَالٌ) فَيُضِيعُهُ فَيَذْهَبُ؟ قال : اِحْتَفِظْ بِمَالِكَ فَإِنَّهُ قِوَامُ دِينِكَ، ثُمَّ قَرَأَ : «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ اَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا»^١.

١٤ الامام الصادق «ع» : إِنْ مِنْ بَقَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبَقَاءِ الْإِسْلَامِ، أَنْ تَصِيرَ الْأَمْوَالُ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ، وَيَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ .. وَإِنْ مِنْ فَنَاءِ الْإِسْلَامِ وَفَنَاءِ الْمُسْلِمِينَ، أَنْ تَصِيرَ الْأَمْوَالُ فِي أَيْدِي مَنْ لَا يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ، وَلَا يَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ^٢.

١٥ الامام الصادق «ع» - الْفُضَيْلُ بْنُ يَسَارٍ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ «ع» : أَيُّ شَيْءٍ تُعَالِجُ؟ قُلْتُ : مَا أَعَالِجُ الْيَوْمَ شَيْئًا . فَقَالَ : كَذَلِكَ تَذْهَبُ أَمْوَالُكُمْ؛ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ^٣.

١ - امالي الطوسي ٢ / ٢٩٢.

٢ - الوسائل ١١ / ٥٢١ : الوافي ٢ (٦ م) / ٦٢.

٣ - الكافي ٥ / ١٤٨.

نظرة الى الفصل

الاقتصاد، اصالة اسلامية: ما كنا نحسب انفسنا محتاجين الى عقدِ فصلٍ عن «الأصالة الاقتصادية في الاسلام»، بعدَ الفصولِ والابحاثِ التي مَضَتْ ومايأتي الى نهايةِ البابِ الثاني عشر، فإن من وَقَفَ علىِ التعاليمِ الاسلامية، ذاتِ الصِّلةِ والأسْرِ التنظيميِّ العميقِ، وخصوصاً علىِ عشراتِ وعشراتِ منِ التعاليمِ الاقتصاديةِ في القرآنِ والحديثِ، يَعْلَمُ أَنَّ مِنْ أَجْلِ الواضحاتِ أَنَّ هذا الدينَ يركِّزُ للاقتصادِ مركزاً اصلياً، ويتبنيُ اصالته تَبْنِيًّا لا محيدَ عنه.

فالدينُ الَّذِي يَجْعَلُ الزَّكَاةَ رَدْفَ الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ تَنْزِيلُهُ السَّمَاوِيُّ: «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا»^١، وَيَقُولُ: «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ»^٢، وَيَقُولُ: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»^٣، وَيَقُولُ: «وَانْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»^٤، وَيَصْرُخُ بَانَ الْأَمْوَالِ «لَا تَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ»^٥، كَيْفَ لَا يُعْطِي الْأَقْتَصَادَ اصَالَه ؟

والدينُ الَّذِي يَقُولُ نَبِيُّهُ الصَّادِعُ بِهِ جَهَارًا: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِنَافِي الْخُبْزِ، وَلَا تَفَرِّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَلَوْلَا الْخُبْزُ مَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا وَلَا...»^٦، وَيَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «ع»: «... إِنَّ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ لَا تَحْتَمِلُ

١ - ٢ و ٥ - سورة النساء (٤): ٥ و ٣٢.

٣ - سورة المعارج (٧٠): ٢٤ - ٢٥.

٤ - سورة البقرة (٢): ١٩٥.

٥ - سورة الحشر (٥٩): ٧.

٦ - الكافي ٦ / ٢٨٧.

نظرة الى الفصل الرابع والاربعين ..

الإضرار»^١، ويقول الامام السَّجَّاد «ع»: «وَأَمَّا حَقُّ الْمَالِ، فَأَنْ لَا تَأْخُذَهُ إِلَّا مِنْ جِلَّةٍ .. وَلَا تُحَرِّفَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ»^٢، ويقول الامام الصَّادِق «ع»: «إِنْ مِنْ بَقَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبَقَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ تُصِيرَ الْأَمْوَالُ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ، وَيَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ»^٣، و.. كيف لَا يُعْطَى الْاِقْتِصَادَ اصَالَةً؟

أَجَل، إِنَّ الشَّرْعَ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَيَرَى غَايَةَ الْغَايَاتِ لِرِسَالَةِ الْأَنْبِيَاءِ «ع» هِيَ أَنْ يُقَامَ الْعَدْلُ فِي الْجَمَاهِيرِ وَيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَيُكَافِحُ الْاِقْتِصَادَ الْحُرَّ (التَّكَاتُرَ) أَشَدَّ مَكَافَحَةٍ، وَيَعُدُّ الْمَالَ سَبَبًا لِقَوَامِ الدِّينِ^٤، لَا يُهْمِلُ الْقَضِيَّةَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ، بَلْ يَدْعُو إِلَى إِرْسَاءِ الْقَوَاعِدِ الْعَادِلَةِ، وَيَبْرِمِجُ لِلنَّاسِ فِي الْأَمْوَالِ، وَيَرْفُضُ الطَّاعُوتِيَّةَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ، وَيُحَارِبُ اسْبَابَ الْفَقْرِ وَعِلَّةَ، وَيَحُضُّ النَّاسَ عَلَى احْتِقَاقِ حَقُوقِهِمُ الْمَالِيَّةِ - الَّتِي بِهَا يَكُونُ قَوَامُ دِينِهِمْ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ^٥ - وَيُطِيحُ بِالطَّاعُوتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِ الطَّاعُوتِيِّ، وَيَدْعُو عُلَمَاءَهُ وَحُكَّامَهُ إِلَى أَنْ لَا يُقَارُوا عَلَى كِبَرِ الظَّالِمِ وَلَا سَغَبِ الْمَظْلُومِ، وَيَعُدُّ الظُّلْمَ الْاِقْتِصَادِيَّ أَحَمَّ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ وَمَصْدَرَهَا - كَمَا هُوَ كَذَلِكَ .

وَمِنَ الْمُسْلِمِ بِهِ، أَنَّ الدِّينَ الْفِطْرِيَّ الَّذِي يَرَى إِقَامَةَ الصَّلَاةِ وَإِتْيَانَ الصَّوْمِ مَنْوُطَةً بِالْخُبْزِ (الْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ)، لَا يُؤَاكِبُ الَّذِينَ يَسْتَغْلُونَ النَّاسَ وَيَسْرِقُونَ أَرْزَاقَهُمْ، بَلْ يَقِفُ بِجَانِبِ الْمَضْطَّهِدِينَ لِكَيْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ حَقَّهُمُ الْمُضْبِعَ .

إِنَّ الْإِسْلَامَ بِاعْتِدَالِهِ الْفِطْرِيِّ، يُرَاعِي فِي بَرْمَجَةِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ كُلَّ الْجَوَانِبِ الَّتِي يَنْبَغِي مَرَاعَاتُهَا، فَهُوَ كَمَا يَدْعُو إِلَى تَأْمِينِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ

١ - مستدرک نهج البلاغة / ١١١ .

٢ - تحف العقول / ١٩١ .

٣ - الوسائل ١١ / ٥٢١ .

٤ و٥ - أمالي الطوسي ٢ / ٢٩٢، من حديث الامام الصادق «ع» .

الرّوحيّة يدعو الى تأمين حياته المادّية، وكما يدعو الى تأمين حياته المادّية يدعو الى تأمين حياته الرّوحيّة، وكما يدعو الى الصّلاة ويعدّها عمود الدين يأمر بالزّكاة، وتلفتُ الانظار الى اهمّية المادّة الغذائيّة لاقامة ذلك العمود، ويُسوّغ للمسلم أن يقتل من يمنعه من القوت فيما يحتاج اليه .. يقول الفقهاء: «لو وجد طعام الغير، فإن كان صاحبه مضطراً فهو اولى. ولو كان يخاف الاضرار فالمضطراً اولى، فإن لم يكن له ثمن، وجب على المالك بذله. فإن منعه غصبه، فإن دفعه جاز قتل المالك في الدّفع ..»^١. فالمسلم يقتل من يمنعه مما يقوم به ضلّبه ويتوسّل به الى ادامة الحياة. وهذه الكيفيّة تنبع من جامعية الاسلام ونظريته الصّحيحة الى واقع الحياة والقضية الاقتصادية. ففي هذا الضّوء، إن الاسلام لا يدعو الناس الى الصّبر على الظلم والمحرومية، واحتمال الاحتكار والإجحاف، بل هو يرفض الاضطهاد الاقتصادي كما يرفض الاضطهاد السياسي، ويحضّ الناس على مكافحة المظالم كلّها. والظلم الاقتصادي اهمّ انواع الظلم - كما سلف القول - لانه يؤدّي الى سائر المظالم حتى الظلم السياسي. فالذي يشجّع الجماهير على تحمّل الاعتداء الاقتصادي والظلم المالي، باسم الموعظة الدّينية، والانقطاع الى الآخرة وأنّ الدنيا أمر زائل، وأنّ المحتكر والمجحف بالسّعريسيجز بهما الله تعالى في الآخرة، فهو يبتعد عن روح الاسلام بهذا الاتجاه. وإن لهذا النوع من الفكر والاتجاه - سواء أكان ذلك من الغفلة ام من التغافل - مفسد عظيمه نشير الى عدّة منها:

أ - أنه يؤدّي الى توسيع نطاق الظلم الاقتصادي، لأن الطّاغوت الاقتصادي إذا شاهد أنّ الناس يدعون الى احتمال مظالمه بدل أن يدعوا الى كفاحه، فإنه يشجّع بذلك على تماديه في غيّه وعدوانه ويصرّ عليهما

١ - المبسوط ٦ / ٢٨٦ (طبعة طهران): شرائع الاسلام / ٢٣٨ (طبعة ١٣١١ هـ.ق): القواعد ٢ / ١٦

(طبعة ١٣٢٩ هـ.ق): مُستند الشيعة ٢ / ٣٩٧ (طبعة ١٣٧١ هـ.ق): وسيلة النجاة ٢ / ١٨٩.

مستكبراً - كما هو واضح مجرّب .

ب - أن الانقطاع الى الآخرة لا يتحقق إلا بالمال، وأن العمل الاخروي كالديني يحتاج الى القوت والمواد الحياتية والمعيشية، فاي فقر او حرمان او احتمال محرومية يؤدي الى عمل الآخرة، مع أن النبي الأسوة «ص» يقول: «فلولا الخبز ما صلينا...».

ج - أن قبول الحكرة والمغلاة بالاسعار، يضاد القيام بالنهي عن المنكر والكفاح في وجه الظلم والظالمين، ويكون مصداقاً لما يقول الامام الصادق «ع»: «من أحب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصي الله».

د - أن جزاء الآخرة وعذابها لا يسقط به التكليف الديني الاجتماعي لشجب المنكرات؛ فالمحتكر والطاغوت الاقتصادي لا يخلو سبيله لأن يتمادى في غيّه وعدوانه، ولأن يقضي على كيان المجتمع باسم أنه يعدب في الآخرة . والعقوبة العاجلة والنهي والردع عن الظلم هي روح الاسلام ايضاً، لصلاح حال الانسان، والأفحج أن لا يكون في الاسلام قصاص ولا حد ولا تعزير، لمكان عذاب الآخرة. ولقد ورد في الاحاديث الحص على مجابهة الحكرة والتنكيل باصحابها .

هـ - واذا علمنا أن الله تعالى لا يرضى بالظلم، فكيف نقول إنه يحب التقرب اليه بقبوله؟ ففي هذا الضوء، لا يصح لمن يتكلم باسم الاسلام، أن ينحرف عن محض الحق ومرة، لبعض الملاحظات الخارجية والبعيدة عن روح الاسلام، بل من الجدير أن يدعوا الناس الى مكافحة هذا الظالم ايضاً، فإن الدين الالهي له منهج واحد قويم، وإن الله قد أرسل موسى «ع» الى فرعون وهامان وقارون،^٢ وإن نبينا محمداً «ص» قد حارب الأرسقراطيين كما حارب الحكام السياسيين، بل كانت محاربتة ضد

١ - الوسائل ١٢ / ١٣٤ .

٢ - سورة غافر (٤٠) : ٢٤ .

الأولین أَحْسَمَ وَأَجْلَى . فَلْيَكُنْ دَعَاةَ الْإِسْلَامِ - أَيَدُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى انْتِبَاهِهِ
مِنَ الْأَمْرِ، وَتَيَقُّظِهِ لَخُطُورَةِ الْمَوْقِفِ، وَاجْتِنَابِهِ مِنْ غَضِّ الطَّرْفِ عَنِ
الْمُظَالِمِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَعَلَى حَذَرٍ مِنْ سَوِّقِ النَّاسِ إِلَى قَبُولِ هَذِهِ الْمُظَالِمِ
وَالسُّكُوتِ عَلَيْهَا، حَتَّى لَا يَنْهَارَ كَيَانُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَلَا يُخَدِّشَ نَظْرُ
الْإِسْلَامِ الْوَاقِعِيُّ إِلَى الْإِنْسَانِ، وَتَوْفُرَهُ عَلَى تَطْوِيرِ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ بِدَفْعِ
أَنْوَاعِ الظُّلْمِ عَنْهَا، وَإِرْسَاءِ دَعَائِمِ الْقِسْطِ فِيهَا؛ وَحَتَّى لَا تَنْتَلِمَ الْأَصَالَةُ
الْاِقْتِصَادِيَّةُ فِي مَذْهَبِ الْإِسْلَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ الرَّصِينِ؛ فَإِنَّهُمْ إِذَا نَهَجُوا هَذَا
الْمَنْهَجَ الْمَرْضِيَّ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ «ص»، وَالْمَأْمُورَ بِهِ بِحَسَبِ التَّعَالِيمِ
الشَّرْعِيَّةِ - مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ - فَسَوْفَ يَصِلُ الْمَجْتَمَعُ إِلَى نَتَائِجِ هَامَّةٍ
بِنَاءَةٍ، هَذِهِ بَعْضُهَا:

- ١ - تُقَطَّعُ أَيْدِي جَبَابِرَةِ التَّكَاثُرِ وَالْإِتْرَافِ، عَنِ حَيَاةِ النَّاسِ
الْاِقْتِصَادِيَّةِ، فَالْاِخْلَاقِيَّةِ وَالذِّينِيَّةِ .
- ٢ - تَفْشَلُ مَسَاعِي عُمَالِ الْأَجْنَحَةِ الْغَرْبِيَّةِ وَالشَّرْقِيَّةِ، لِتَلْغُلْ فِي
الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَرِيْزَ وَشَوْوَنَهُ .
- ٣ - يُشَقُّ الطَّرِيقُ إِلَى إِقَامَةِ الْقِسْطِ الْإِسْلَامِيِّ .
- ٤ - تُمَهَّدُ السَّبِيلُ لِعِبَادِ اللَّهِ وَعِيَالِهِ إِلَى الْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ، وَالانْفِتَاحِ
والتَّقَدُّمِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ .
- ٥ - يُحَصَّنُ النَّاشِئَةُ وَالشَّبَابُ ضَدَّ الْوُقُوعِ فِي شَبَكَاتِ الْمَسَالِكِ
الْإِلْحَادِيَّةِ .

وبذلك كله يتقدّم الإسلام، ويعلّوه في العالم مقام.

تذييل

عمود العمود عمود

إِنَّ الصَّلَاةَ عَمُودُ الدِّينِ، فقد جاءَ عن النَّبِيِّ «ص»، فيما رواه الامام الباقر «ع»: «الصَّلَاةُ عَمُودُ دِينِكُمْ»^١، وفيما رواه الامامُ الصَّادِقُ «ع» قوله: «مَثَلُ الصَّلَاةِ مَثَلُ عَمُودِ الفُسْطَاطِ، إِذَا ثَبَتَ العَمُودُ نَفَعَتِ الأَطْنَابُ والأَوْتَادُ والغِشَاءُ، وَإِذَا انْكَسَرَ العَمُودُ لَمْ يَنْفَعِ طُنْبٌ وَلَا وَتِدٌ وَلَا غِشَاءٌ»^٢. وقال امير المؤمنين عليُّ بنُ ابي طالب «ع»: «الله! الله! في الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ»^٣. فالصَّلَاةُ عَمُودُ الدِّينِ، والعَمُودُ ما يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ الشَّيْءُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا بِهِ؛ فَالدِّينُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِالصَّلَاةِ.

وقد جاءَ عن النَّبِيِّ «ص» قوله: «... فَلَوْلَا الخُبْرُ مَا صَلَّيْنَا...»^٤. ولقد مرَّ تمامُ الحديثِ في الفصلِ الخامس^٥. وهذا يُفيدُ أَنَّ الخُبْرَ عَمُودُ الصَّلَاةِ، الَّذِي لَا تَقُومُ إِلَّا بِهِ. وهو كذلك، إذ لولاه لما تكونُ قُدْرَةُ عَلَى ادَاءِ صَلَاةٍ، فلا تكونُ صَلَاةٌ. فالخُبْرُ عَمُودُ الصَّلَاةِ، والصَّلَاةُ عَمُودُ الدِّينِ، فالخُبْرُ عَمُودُ الدِّينِ (بهذا المعنى)، اذ عَمُودُ العَمُودِ عَمُودٌ.

هذه هي نظرة الاسلام الى الواقعيَّاتِ الحياتيَّةِ، وهذا هو تجاؤُها مع الواقعِ البشريِّ. فالحربُ ضدَّ الفقرِ (و ضدَّ التَّكاثُرِ والاطرافِ قَبْلَ ذَلِكَ لِأَنَّهما سببا للفقرِ الاصليانِ)، لِإِصْالِ النَّاسِ إِلَى المَعِيشَةِ السَّالِمَةِ الكافيةِ الاسلاميَّةِ، ولمعونةِ المحتاجينِ والمساكينِ على دينهم^٦، وتحصينهم ضدَّ الانحلالِ العقيديِّ، او التَّميِّعِ الخُلُقِيِّ^٧، هي جوهرُ

١ - الكافي ٢ / ١٩.

٢ - الكافي ٣ / ٢٦٦.

٣ - نهج البلاغة / ٩٧٨؛ عبده ٣ / ٨٦.

٤ - الكافي ٥ / ٧٣.

٥ - وجاءَ أيضاً قولُه «ص»: «... وَبِهِ (اي بالخُبْرِ) صَلَّيْتُمْ، وَبِهِ صُمْتُمْ، وَبِهِ حَجَجْتُمْ بَيْتَ رَبِّكُمْ...» - (الكافي ٦ / ٣٠٣). راجع: الفصل ٥، من هذا الباب، فقرة «أ»، رقم ٤ - ٦.

٦ - على حدِّ تعبيرِ مولانا الامام ابي الحسن الرضا «ع» - (علل الشرايع / ٣٦٩)، يأتي الحديثُ في الفصلِ القادمِ.

٧ - كما قاله الامامُ الصَّادِقُ «ع» - (الوسائل ٦ / ١٥٩)، يأتي الحديثُ في الفصلِ القادمِ.

التكليف الديني الذي به يقوم الدين، ويصان عز المسلمين، وبها دعت
تعاليم الاسلام، وبها تقام فرائضه، من الصلاة، والصوم، والحج، والجهاد،
والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر..^١

١ - راجع: الفصل ٥، من هذا الباب.

الفصل الخامس والأربعون

الأخوة الإسلامية والاقتصاد

الكتاب

- ١ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..
- ٢ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً، فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا..
- ٣ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى؟ قُلْ: اصْلَحْ لَهُمْ خَيْرٌ، وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ..

الحديث

نبذة من مظاهر الأخوة الإسلامية في الحقل الاقتصادي

١ - سورة الحجرات (٤٩): ١٠.

٢ - سورة آل عمران (٣): ١٠٣.

٣ - سورة البقرة (٢): ٢٢٠.

أ - اداء حاجة المسلم

- ١ النبي «ص»: المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه . من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربةً، فرج الله بها عنه كربةً من كروب يوم القيامة . ومن ستر مسلماً يستره الله يوم القيامة .^١
- ٢ الامام علي «ع»: لا يشبع المؤمن وأخوه جائع .^٢

ب - المؤاساة لاهل الحاجة

- ٣ الامام الصادق «ع»: يحقُّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون على التعاطف، والمؤاساة لاهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجل: «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»^٣، متراحمين، مُعْتَمِنِينَ، لما غابَ عنكم من امرهم، على ما مضى عليه معشر الانصار، على عهد رسول الله «ص».^٤

* يُفِيدُنَا هَذَا التَّعْلِيمُ، أَنَّ كَوْنَ الْمُسْلِمِينَ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ، إِنَّمَا يَتَجَسَّدُ عَلَى آسَاسِ مَبْدِئِ الْمُوَاسَاةِ وَالتَّعَاوُدِ الْاِقْتِصَادِيِّ الْمَعِيشِيِّ، وَالتَّوَاصُلِ وَالتَّعَاوُفِ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى الْبَدْلِ وَالْاِنْفَاقِ وَإِدَالَةِ الْمَالِ بَيْنَ النَّاسِ، لِأَعْلَى آسَاسِ التَّكَاتُرِ وَالْفَقْرِ، وَانْقِسَامِ النَّاسِ إِلَى حَفْنَةٍ آكِلَةٍ وَجَمَاهِيرٍ مَأْكُولَةٍ .

١ - مجمع البيان ٩ / ١٣٤ .

٢ - غرر الحكم / ٣٤٨ .

٣ - سورة الفتح (٤٨) : ٢٩ .

٤ - الكافي ٢ / ١٧٥ .

ج - الاخوة والحق العظيم الاقتصادي والمعيشي

٤ الامام الصادق «ع»: المسلمُ اخو المسلم . وحقُّ المسلمِ على اخيه المسلمِ
أَنْ لَا يَشْبَعَ وَيَجُوعَ اخوه، وَلَا يَرَوِي وَيَعْطَشَ اخوه، وَلَا يَكْتَسِبِي وَيَعْرِئِي
اخوه؛ فما أعظمَ حقَّ المسلمِ على اخيه المسلم؟!^١

٥ الامام الصادق «ع» - ابوالمأمون الحارثيُّ قال : قلتُ لابي عبدالله «ع»: ما
حقُّ المؤمنِ على المؤمن؟ قال : .. والمؤاساة له في ماله^٢.

د - الاخوة والايثار المالي

٦ الامام الصادق «ع» - أبانُ بنُ تغلبٍ قال : .. سألتُهُ فقلتُ : أخْبِرْني عن حقِّ
المؤمنِ على المؤمن؟ فقال : «.. يا أبان! تُقاسِمُهُ شَطْرَ مالِكَ؟»، ثم نَظَرَ اليَّ
فَرَأَى ما دَخَلَنِي فقال : «يا أبان! أما تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، قَدْ ذَكَرَ الْمُؤَثِّرِينَ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ؟»، قلتُ : بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ! فقال : «أما إذا انتَ قاسَمْتَهُ فلم
تُؤَثِّرْهُ بعدُ، إنَّما انتَ وهو سَواءٌ. إنَّما تُؤَثِّرُهُ إذا انتَ أَعْطَيْتَهُ مِنَ النِّصْفِ
الآخر»^٣.

هـ - الملكية الأخوية

٧ الامام علي «ع»: لا يُكَلِّفُ المرءُ أخاه الطَّلَبَ اليه، إذا عَرَفَ حاجتَه^٤.

١ - سفينة البحار / ١ / ١٣.

٢ - الكافي / ٢ / ١٧١.

٣ - الكافي / ٢ / ١٧٢.

٤ - تحف العقول / ٧٥ راجع ايضاً: الفصل ٥٠، من الباب ١٢.

- ٨ الامام الصادق «ع»: المؤمنون خَدَمُ بعضهم لبعض . قال راوي الحديث : فقلت : كيف يكون خَدَمُ بعضهم لبعض ؟ قال : «نَفَقْتَهُم بِبعضهم لبعض»^١.
- ٩ الامام الكاظم «ع»: يا عاصم! كيف أنتم في التّواصلِ والتّواصي؟ قلت : على افضل ما كان عليه احدٌ . قال : أَيأتي احدكم الى دُكّانِ اخيه او منزله عند الضّائقة، فيستخرجُ كيسه ويأخذُ ما يحتاجُ اليه فلا يُنكرُ عليه؟ قال : لا . قال : فلستُم على ما أُجِبُّ في التّواصلِ^٢.

و- رفض الاستئثار على الأخ الدينيّ

- ١٠ الامام الصادق «ع» سُئِلَ ابو عبدالله «ع»: ما أدنى حقّ المؤمنِ على اخيه؟ قال : أن لا يَسْتَأْتِرَ عليه بما هو أَحوجُ اليه منه^٣.

ز- حفظ الاخوة بالمؤاساة

- ١١ الامام علي «ع»: ما حَفِظَتِ الأُخُوَّةُ بمثلِ المؤاساة^٤.
- * هذا الكلامُ العلويّ، يُعدُّ تفسيراً لآيةِ الأُخُوَّةِ القرآنيّة، ورسماً لمناهجها التّجسيديّة، فلا حِظَّهُ بامعان .

ح- نظام الدين بمؤاساة الإخوان

- ١ - البحار ٧٤ / ٢٢٤ .
٢ - البحار ٧٤ / ٢٣٢ ، عن كتاب «قضاء الحقوق» .
٣ - البحار ٧٤ / ٣٩١ ، عن «الخصال» .
٤ - غرر الحكم / ٣٠٩ .

١٢ الامام علي «ع» : نظام الدين خصلتان : انصافك الناس من نفسك، ومؤاساة
إخوانك^١.

* يُفيدنا هذا التعليم، أن المجتمع الإسلامي - الذي يقوم على
النظام القرآني - هو المجتمع الذي يسوده أصل المؤاساة
الاقتصادية والمعيشية . والمجتمع بهذا يصبح مصداقاً لقول الله
عز وجل : «إنما المؤمنون إخوة»، لا بدونه مما لا ينطبق عليه، فضلاً
عما يضافه .

ط - الإخاء الصادق والمستوى المعيشي

١٣ الامام الصادق «ع» : الإخوان ثلاثة : مواسٍ بنفسه، وآخر مواسٍ بماله .
وهما الصادقان في الإخاء . وآخر يأخذ منك البلغة ويريدك لبعض اللذة،
فلا تعدّه من أهل الثقة^٢.

ي - المساواة المالية

١٤ النبي «ص» : يا علي ! سيد الأعمال ثلاث خصال : انصافك الناس من
نفسك، ومساواة الاخ في الله، وذكر الله على كل حال^٣.

* راجع : الفصل السابق ايضاً .

١ - غرر الحكم / ٣٢٣ .

٢ - تحف العقول / ٢٣٩ .

٣ - تحف العقول / ١٤ .

يا - لا يُظلم الأخ المسلم، اجيراً كان او غيره (١)

١٥ النبي «ص»: المُسلمُ اخو المُسلم، لا يَظْلِمُهُ^١..

يب - لا يظلم الأخ المسلم، اجيراً كان او غيره (٢)

١٦ الامام الصادق «ع»: المُسلمُ اخو المُسلم، لا يَظْلِمُهُ^٢..

يج - لا إفسار ولا تضيق

١٧ الامام الصادق «ع»: .. وإيّاكم وإفسارَ احدٍ من إخوانكم المسلمين، أن تُعسِرُوهُ بالشيءِ يَكُونُ لَكُمْ قِبَلَهُ وهو مُعَسِرٌ؛ فَإِنَّ أَبَانَ رَسُولَ اللَّهِ «ص» كَانَ يَقُولُ: ليس لمسلمٍ أن يُعسِرَ مسلماً. وَمَنْ أَنْظَرَ مُعَسِراً أَظَلَّهُ اللَّهُ بِظُلْمِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ^٣.

يد - ثواب معونة المسلم وعقاب تركها

١٨ الامام الباقر «ع»: أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى «ع»: أَنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالْحَسَنَةِ، فَأُحْكِمُهُ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ وَمَا تِلْكَ الْحَسَنَةُ؟ قَالَ: يَمْشِي مَعَ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فِي قَضَاءِ حَاجَتِهِ، قُضِيََتْ أَوْ لَمْ تَقْضَ^٤.

١ - مجمع البيان ٩ / ١٣٤.

٢ - الكافي ٢ / ١٧٤.

٣ - الكافي ٨ / ٩.

٤ - الكافي ٢ / ١٩٥ - ١٩٦.

١٩ الامام الصادق «ع»: إن ابانا رسول الله «ص» كان يقول: «إن معونة المسلم خيراً واعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام»^١.

٢٠ الامام الصادق «ع»: من سعى في حاجة اخيه المسلم، فأجتهد فيها، فأجرى الله على يديه قضاءها، كتب الله عز وجل له حجة وعمره واعتكاف شهرين في المسجد الحرام وصيامهما. وإن اجتهد ولم يجز الله قضاءها على يديه، كتب الله عز وجل له حجة وعمره^٢.

٢١ الامام الصادق «ع»: قال الله عز وجل: الخلق عيالي، فأحبهم اليّ الطّفهم بهم، وأساعهم في حوائجهم^٣.

* يُفيدنا هذا التعليم، أن رشد الواقع الانساني للفرد، بتقرّبه الى المبدأ الحق، إنما يتاح له بعد رُشده الاجتماعي.

٢٢ الامام الصادق «ع»: ما قضى مسلمٌ لمسلمٍ حاجةً، الا ناداه الله - تبارك وتعالى - : «عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة»^٤.

٢٣ الامام الصادق «ع» - اسماعيل بن عمّار الصّير فيّ قال: قلت لأبي - عبد الله «ع»: جعلتُ فداك! المؤمنُ رحمةً على المؤمن؟ قال: نعم. قلت: وكيف ذلك؟ قال: أيما مؤمنٍ أتى اخاه في حاجةٍ، فإنما ذلك رحمةً من الله ساقها اليه وسببها له، فإن قضى حاجته كال قد قبل الرحمة بقبولها؛ وإن رده عن حاجته - وهو يقدر على قضائها - فإنما رد عن نفسه رحمةً من الله جلّ وعزّ، ساقها اليه وسببها له .. يا اسماعيل! من أتاه اخوه في حاجةٍ يقدر

١ - الكافي ٨ / ٩.

٢ و ٣ - الكافي ٢ / ١٩٨ - ١٩٩.

٤ - الكافي ٢ / ١٩٤.

على قضائها فلم يَقْضِها له، سَلَطَ اللهُ عليه شُجَاعاً يَنْهَشُ ابهامَه في قبره
الى يومِ القيامة، مغفوراً له او مُعَذَّباً^١.

يه - مسرّة رسول الله «ص» بقضاء الحاجات

٢٤ الامام الصادق «ع»: تَنافَسُوا في المعروفِ لِاخوانِكُمْ وكونوا من اهله، فإنَّ
للجنةِ باباً يُقالُ له: «المعروف»، لا يَدْخُلُه الاّ منِ اصْطَنَعَ المعروفَ في
الحياةِ الدّنيا، فإنَّ العبدَ لَيَمْشِي في حاجةِ اخيه المؤمن، فيوَكِّلُ اللهُ عزَّو
جلَّ به ملكين - واحداً عن يمينه وآخر عن شماله - يَسْتَغْفِران له ربّه
ويَدْعوان بقضاءِ حاجتِه. ثم قال: والله، لَرَسُولُ اللهِ «ص» اَسْرُ بقضاءِ
حاجةِ المؤمنِ اذا وَصَلت اليه من صاحبِ الحاجة^٢.

* هذا التّعليمُ ايضاً يُشيرُ الى رُشيدِ الواقعِ الانسانيّ من جهةٍ
أخرى، فايُّ شَيْءٍ يُطَوِّرُ رُوحَ الانسانِ وَيَصْعَدُ بها اَكْثَرَ من مَسرّةِ
الرّسولِ «ص»؟

١ - الكافي ٢ / ١٩٣ - ١٩٤.

٢ - الكافي ٢ / ١٩٥.

نظرة الى الفصل

لعلَّ المسلم النَّابِهَ يُدْعِنُ بَانَ «الأخوةَ الاسلاميَّةَ» التي جاءَ بها القرآنُ والاحاديثُ وهتفتُ بها، ليستُ مجردَ امرٍ لفظيٍّ ولقلقةٍ لسانٍ فحسبٍ - كما أوعزنا اليه في مطاوي الفصل - بل هو امرٌ يعمُّ شؤونَ حياةِ المسلمِ عامَّةً، فليس من الأخوةِ أن يكونَ هناكُ مسلمٌ محتاجٌ يَفْقِدُ الحاجاتِ الحياتيَّةَ، وهناكُ غنيٌّ لا يَفْقِدُ أيَّ شيءٍ يهواه . ومع ذلك يكونُ كلُّ منهما اخاً للآخر .

ومما ينبغي أن نُشيرَ اليه، أنَّ الأخوةَ الاسلاميَّةَ اذا أصبحتَ معتقداً فللواقعِ الاقتصاديِّ دَوْرُهاً في تعيينِ صدقِ هذا المُعتقِدِ وعِدَمه . وفي الحقلِ الاقتصاديِّ والماليِّ ولدى دفعِ الأدواتِ المعيشيَّةِ وانفاقِ المالِ، تتحقَّقُ الارضيَّاتُ المناسبةُ لتطبيقِ الاعتقادِ وتصديقه، او هدمه واختزاله . ولقد مرَّ في الاحاديثِ أنَّ ثبوتَ الايمانِ بمؤاساةِ الإخوانِ بالمالِ، وما حَفِظَتِ الأخوةُ بمثلِ المؤاساةِ . فيجبُ أن يسعى الساعون وأن يعملَ العاملون على إلغاءِ الفروقِ الباهظةِ بين الافرادِ والقطاعاتِ، وارجاعِ المجتمعِ الى عائلةٍ أخويَّةٍ، حتى تتمثلَ الأخوةُ بصورةٍ واقعيَّةٍ لالفظيَّةِ، واللافايةِ أخوةٍ ستكونُ وسنبقى :

- بين سُكَّانِ القصورِ الشاهقة، وسكِّنةِ الاكواخِ البائسة ؟
- بين الآكلين الاقتصاديِّين، والمأكولين ؟
- بين المستكبرين الماليِّين، والمستضعفين ؟
- بين المُستغليِّين المُمتصِّين (بالكسر)، والمُستغليِّين المُمتصِّين (بالفتح) ؟

- بين آكلي الرّبا الغاشمين، ومؤدّيه المقهورين ؟
- بين المحتكرين، والمفروض عليهم الاحتكار ؟
- بين المُسعّرين المعتدين (من المستوردين والمُنتجين الذين يَضخّمون الأرباح ويُجحفون بالأسعار ما يشاؤون)، والمُشترين المحتاجين إلى البضائع والأمتعة ؟
- بين الذين يَمْتَلِكُون عدّة من الدّور هنا وهناك، والذين لا يَجِدُون ظلّةً لعائلتهم ؟
- بين اصحاب المعامل الذين يُخْرِجُهُم الفِراغُ ورغادة العيش الى الأَشْر والبطر، والعَمالِ المعذّبين الذين لا يَجِدُون سبيلاً الى دقائق اللَّبْتِ واستراحةٍ ضروريّة ؟
- بين المالكين الكبار المنغمسين في النّعيم والرّفاه هم وذوؤهم، والفلاليج الذين يَلْفَحُهُمْ وَهَجُ الهواجِرِ ورمضاء الصّحاري هنا وهناك في المزارع والحقول ؟
- بين المُتَرَفِّين المُسْرِفِين ونسائهم وأبنائهم وبناتهم الذين يتخَيَّرُون الا طعمة الجيدة والوان الفواكه والحلويات ويعيشون الأزياء الدّارجة ولا يَقتِنِعُون، والبُؤساء الذين تَسَحُّهُمُ الاعوازُ والحاجيات البسيطة كلّ يوم ولبلة ؟
- بين الذين يُنْفِقُون مقادير باهظةً لالعب اطفالهم، والذين لا يَقْدِرُون على شراء دواءٍ رخيصٍ لطفليهم المُشرفِ على الموت ؟
- أفَيَكُونُ المجتمعُ الذي تَسُوْدُهُ هذه الحالاتُ والصّلات، مجتمعاً اسلامياً أخوياً؟ وهل يدعي الحكم الذي يحكم على مجتمع كهذا أنّه حكمٌ اسلاميٌّ يُديرُ مجتمعاً أخوياً؟ فالواجبُ ان نبدأً اولاً بتعديل الصّلات الاقتصادية في المجتمع واخراج الاموال والمواهب من كونها دولة بين حفنة، حتى يُصبح التّقاربُ الحياتي بين الناس سبباً لتقاربهم الأخويّ،

نظرة الى الفصل الخامس والاربعين ..

كما أن التقارب الروحي يجب أن يؤدي إلى التقارب المعيشي، والآن فهو تمويه ودجل . فالأخوة الإسلامية أمر يتعدى إلى الواقع التجسدي إن كانت موجودة، فكما أن قراءة الآية القرآنية : «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون» مثلاً، لا تُفقد - بنفس القراءة - ايماناً بالغيب واقامةً للصلاة وانفاقاً مما رزقوا، بل يحتاج الأمر إلى الايمان الموجود في القلب، واقامة الصلاة بركوعها وسجودها في الخارج، وانفاق الاموال لمن يحتاج إليها في العالم الخارجي، كذلك قراءة الآية القرآنية : «إنما المؤمنون إخوة»، لا تُفقد إلا إذا كانت هناك حالة حياتية ومعاشية وروحية تصدق عليها أنها أخوية .

ولقد أكدت الاحاديث على الأخوة المالية ايضاً، وعدتها من اهم ابعاد الأخوة الإسلامية، وجعلت الأخوة في البعد الاقتصادي ايضاً من الواجبات، ودكرت حقوقاً للمؤمن على اخيه . وإن منها أن يبذل للآخرين ما يحتاجون اليه من الاموال والأطعمة والألبسة والادوات والسكان ووسائل النقل، بل أن يؤاسي إخوانه في المستلزمات المعيشية . وإن لحن احاديث حقوق المؤمن - مضافاً إلى كثرتها - لحن مؤكّد حاسم، لا يقل عن اللزوم والحثم .

تذنيب

جاء في الحديث النبوي المذكور في الفصل - برقم ١٤ - هذه التعبيرة : «.. مساواة الآخر في الله ..». وجاء في «الكافي» (٢ / ١٤٥) : «مؤاساة الأخ في الله» بدّلها . ولعل الكلمتين ترميان في المقام إلى غرض واحد أو متقارب .

١ - راجع ايضاً : الفصل ٥٠، من الباب ١٢.

قال الفيض الكاشاني: «المؤاساة - بالهمزة - بين الإخوان، عبارة عن إعطاء النصرة بالنفس والمال وغيرهما، في كلّ ما يحتاج إلى النصرة فيه؛ يُقال: آسيتُه بمالي مؤاساةً، أي: جعلتُه شريكِي فيه على سويّةٍ. وبالواو لغةً. وفي القاموس في فصل الهمزة: آسأه بماله مؤاساةً: أناله منه. ولا يكون إلاّ من كفاف؛ فإن كان من فضلة فليس بمؤاساة. وجعلها بالواو لغة رديّة»^١.

١ - راجع: «الكافي» ٢ / ١٤٥، الهامش.

الفصل السادس والأربعون

المؤاساة، أصل عظيم

الكتاب

١ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلنَّاسِ وَالْمَحْرُومِ *

* المؤاساة هي اشراك الغير في المال، وجعله أسوةً فيه.

راجع ايضاً: كلام ابن منظور، الذي سيأتي في هذا الفصل.

الحديث

أ- المؤاساة والإيمان

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: من واسى الفقير من ماله، وأنصف

الناس من نفسه، فذلك المؤمن حقاً. ٢

١- سورة المعارج (٧٠): ٢٤ - ٢٥.

٢- الكافي ٢ / ١٤٧.

- ٢ الامام علي «ع»: «خير إخوانك من واساك بخيره، وخير منه من أغناك عن غيره^١.
- ٣ الامام علي «ع»: «خير إخوانك من واساك، وخير منه من كفاك^٢.
- ٤ الامام علي «ع»: «افضل المروءة مواساة الإخوان بالاموال، ومساواتهم في الأحوال^٣.
- ٥ الامام الصادق «ع»: «إنا لانأمر بظلم، ولكننا نأمركم بالورع، الورع، الوارع، والمؤاساة، المؤاساة لإخوانكم^٤.
- ٦ الامام العسكري «ع»: «قوله عز وجل: «وآتوا الزكاة»، اي من المال والجاه وقوة البدن، فمن المال مؤاساة إخوانك المؤمنين ..^٥

ب- المؤاساة، الرشد العقلي

- ٧ الامام الباقر «ع»: «أيجيء احدكم الى اخيه، فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟ قال الراوي: فقلت: ما أعرف ذلك فينا. فقال: فلا شيء إذا. قلت: فالهلك اذا؟ فقال: إن القوم لم يعطوا احلامهم بعد؟^٦

* يُفيدنا هذا التعليم العظيم، أنّ المؤاساة الاقتصادية والمعيشية هي من آثار الرشد العقلي، وتكامل الانسان

١ و ٢ - غرر الحكم / ١٧٢.

٣ - غرر الحكم / ٩٨.

٤ - البحار / ٦٨ / ١٥٤.

٥ - البحار / ٧٤ / ٢٢٨، عن «تفسير الامام العسكري - ع».

٦ - الكافي / ٢ / ١٧٤.

الاجتماعي، وتعالى المجتمع الانساني، وأنَّ المجتمعَ القرآنيَّ
يَتَوَقَّفُ تحقُّقه على تجسيدِ اصلِ المؤاساة .

ج- المؤاساة، العمل الصَّالح

٨ الامام الصادق «ع» - في تفسيرِ قوله تعالى: «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»، من سورة
«العصر»، قال: يعني بمؤاساةِ الإخوان .^١

د - مساءلة الإخوان وزيارتهم وتعاهدهم

٩ الامام علي «ع»: تَزَاوَرُوا، وَتَعَاظَفُوا، وَتَبَادَلُوا، وَلَا تَكُونُوا بِمَنْزِلَةِ الْمَنَافِقِ،
الَّذِي يَصِفُ مَا لَا يَفْعَلُ .^٢

* لَعَلَّ ذَكَرَ الْمَنَافِقِ فِي الْكَلَامِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْكُونِ مِثْلَهُ، إِشَارَةً
إِلَى أَنَّ الْأُخُوَّةَ الدِّينِيَّةَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُجَسَّدَةً فِي الْخَارِجِ بِحَسَبِ
الْمَعَامَلَةِ وَالسُّلُوكِ فِي الصَّلَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ وَالْحَاجَاتِ الْمَعِيشِيَّةِ، لَا
أَمْرًا دَائِرًا عَلَى اللِّسَانِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ أَثَرٌ فِي الْعِرْصَاتِ
الْفَعْلِيَّةِ، وَكَذَلِكَ التَّعَاهُدُ وَالتَّعَاوُنُ وَمَا إِلَى ذَلِكَ .

١٠ الامام الصادق «ع»: .. أَحِبَّ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَإِذَا احْتَجَّتْ
فَسَلِّهُ، وَإِنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ ..^٣

١ - تفسير البرهان ٤ / ٥٠٤ .

٢ - تحف العقول / ٧٥ .

٣ - الكافي ٢ / ١٧٠ .

هـ - دور الواقع الاقتصادي في فعلية الإيمان واستقراره

- ١١ النبي «ص»: ليس بمؤمن من باتَ شَبَعانَ وجارَهُ طاوياً^١.
- ١٢ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الصادق: قال رسولُ الله «ص»: قال اللهُ - تبارك وتعالى - : «ما آمنَ بي من باتَ شَبَعانَ وأخوه المسلمُ طاوياً»^٢.
- ١٣ النبي «ص»: ما آمنَ بالله من شَبِعَ وأخوه جائع، ولا آمنَ بالله من اكتسبَ وأخوه عُريان^٣..
- ١٤ الامامُ الصادق «ع»: قال رسولُ الله «ص»: منَ وأسَى الفقيرَ من مالِهِ، وأنصَفَ النَّاسَ من نَفْسِهِ، فذلك المؤمنُ حقاً^٤.

و - حبّ الإخوان واهميته من الجهة الاقتصادية

- ١٥ الامامُ الصادق «ع» - حسينُ بنُ نعيمِ الصَّحاف قال: قال ابو عبد الله «ع»: أَتُحِبُّ إِخْوَانَكَ يا حسين؟ قلت: نَعَمْ. قال: تَنْفَعُ فقراءَهُمْ؟ قلت: نَعَمْ. قال: أَمَا إِنَّهُ يَحِقُّ عَلَيْكَ أَنْ تُحِبَّ مِنْ يُحِبُّ اللهَ، أَمَا وَاللهِ لَا تَنْفَعُ احداً مِنْهُمْ حتى تُحِبَّهُ. أَتَدْعُوهُمْ الى مَنْزِلِكَ؟ قلت: نَعَمْ، ما أَكُلُ الاَّ ومعي مِنْهُمْ الرَّجُلانِ والثَلَاثَةُ والاقْلُ والاكثرُ. فقال ابو عبد الله: أَمَا، إِنَّ فَضْلَهُمْ عَلَيْكَ اعْظَمُ مِنْ فَضْلِكَ عَلَيْهِمْ. فقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَطْعِمُهُمْ طَعَامِي وَأَوْطِئُهُمْ رَحْلِي، وَيَكُونُ فَضْلُهُمْ عَلَيَّ اعْظَمُ؟ قال: نَعَمْ، إِنَّهُمْ اذا دَخَلُوا مَنْزِلَكَ دَخَلُوا بِمَغْفِرَتِكَ وَمَغْفِرَتِكَ عِيَالِكَ، واذا خَرَجُوا مِنْ مَنْزِلِكَ خَرَجُوا بِذُنُوبِكَ وَذُنُوبِ

١ - مكارم الاخلاق / ١٥٧.

٢ - الوسائل ١٦ / ٥٤٤.

٣ - مكارم الاخلاق / ١٥٣.

٤ - الكافي ٢ / ١٤٧.

عيالك .١

* يُفِيدُنَا هَذَا التَّعْلِيمُ مَسَائِلَ تَرْبَوِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ وَانْسَانِيَّةٍ وَمَعِيشِيَّةٍ مَهْمَةٌ مِنْهَا :

- ١- أَنَّ الْمُسْلِمَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحِبَّ إِخَاهَ الدِّينِيِّ حَتَّى يَنْفَعَهُ .
- ٢- أَنَّ مَحَبَّةَ الْإِخْوَانِ لَا تَكُونُ أَمْرًا مَجْرَدًا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَتَبِعَ الْإِنْفَاقَ عَلَيْهِمْ .
- ٣- أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَظْهَرَ آثَارُ الْمَحَبَّةِ وَالْإِخْوَةِ الدِّينِيَّةِ فِي الْأُمُورِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ وَالْقَضَايَا الْمَعِيشِيَّةِ وَالْحَاجَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ، حَتَّى تَكُونَ مَحَبَّةً صَادِقَةً وَأُخُوَّةً اِسْلَامِيَّةً .

ز - هذه هي الأخوة..

١٦ النبي «ص» - فيما رواه الامام امير المؤمنين .. من كسى اخاه المؤمن من عُرِّي، كساه الله من سندس الجنة .. ولم يزل يخوض في رضوان الله مادام على المكسوم منه سلك . ومن اطعم اخاه من جوع ، اطعمه الله من طيبات الجنة . ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم رية .. ومن حمل اخاه المؤمن على راحلته، حمله الله على ناقه من نوق الجنة .. ومن زوج اخاه المؤمن امرأة يانس بها .. زوجة الله من الحور العين .٢

* يُفِيدُنَا هَذَا التَّعْلِيمُ النَّبَوِيُّ، أَنَّ أَمْرَ الْإِخْوَةِ الدِّينِيَّةِ لَا يَتِمُّ

١ - الكافي ٢ / ٢٠١ - ٢٠٢ .

٢ - البحار ٧٧ / ١٩٢ .

- كما اشّرنا إليه ايضاً - باللفظ المُجرّد بل يَسْتَتِيعُ المسائلَ الحياتيّة، كالكسوّ والإطعام والسَّقْيِ والحملِ على المركوبِ والتزويجِ وما الى ذلك. هذه هي الأخوةُ الاسلاميّةُ التي يرسمُ ملامحها النبيّ «ص».

ح - الأخوةُ الاسلاميّةُ والتحذير من الخيانة الاقتصادية فيها

١٧ الامام الصادق «ع»: يا با هارون! إنّ الله - تبارك وتعالى - آلى على نفسه أن لا يُجاوِرَهُ خائن. قال: قلت: وما الخائن؟ قال: من ادّخَرَ عن مؤمنٍ درهماً، أو حبَسَ عنه شيئاً من امرِ الدُّنيا. قال: قلت: أعودُ بالله من غضبِ الله. فقال: إنّ الله - تبارك وتعالى - آلى على نفسه أن لا يُسْكِنَ جَنَّتَهُ اصنافاً ثلاثة: رادُّ على الله عزَّ وجلَّ، أو رادُّ على امامٍ هُدَى، أو من حبَسَ حقَّ إمريٍّ مؤمن. قال (ابو هارون): قلت: يُعطيه من فضلِ ما يملك؟ قال: يُعطيه من نفسه وروحه، فإن بخلَ عليه بنفسه فليس منه، إنّما هو شَرَكُ شيطانٍ^١.

ايقاظ هام

الاسلام العلويّ، بعض ملامحه وسماته في المجالات الاقتصادية والمعيشيّة
مما يجسّد الإسلام المحمّديّ المحض

١ - البحار ٧٥ / ١٧٣، عن «الخصال».

الحديث

١ - الايثار على النفس (الاقتصاد والمعيشة)

١ الامام الحسن «ع» - للرجل الذي قال إنه من شيعة علي «ع»: يا عبدالله، لست من شيعة علي! إنما انت من محبيه؛ إنما شيعة علي .. هم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. وهم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدتهم حيث أمرهم؛ وشيعة علي هم الذين يفقدون بعلي «ع» في إكرام إخوانهم المؤمنين^١.

٢ - تعهد الجيران (الاقتصاد والمعيشة)

٢ الامام الباقر «ع»: ما شيعتنا الآمن اتقى الله واطاعه؛ وما كانوا يعرفون الآ بالتواضع والتخشع، واداء الامانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة، والبر بالوالدين، وتعهد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والايتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير؛ وكانوا أمناء عشائريهم في الاشياء^٢.

٣ - التواصي المالي (الاقتصاد والمعيشة)

٣ الامام الباقر «ع» - قال راوي الحديث: قلت لابي جعفر «ع»: جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنَّ الشَّيْعَةَ عِنْدَنَا كَثِيرٌ، فَقَالَ: [ف]أَهْلٌ يَعْطِفُ الْغَنِيَّ عَلَى الْفَقِيرِ؟ وَهَلْ

١ - البحار ٦٨ / ١٦٢ - ١٦٣.

٢ - تحف العقول / ٢١٥.

يَتَجَاوَزُ الْمُحْسِنُ عَنِ الْمَسِيءِ؟ وَيَتَوَاسُونَ؟ فَقُلْتُ: لَا. فَقَالَ: لَيْسَ هَؤُلَاءِ شِيعَةً، الشَّيْعَةُ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا.^١

٤ - حَبَّ الْإِنْفَاقِ عَلَى الْآخِرِينَ (الِاِقْتِصَادِ وَالْمَعِيشَةِ)

٤ الامام الباقر «ع» - في خطابه «لرجلٍ فخرَ على آخرٍ بأنه من شيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ الطَّيِّبِينَ»: .. أَمَّا لَكَ مَعَكَ تُنْفِقُهُ عَلَى نَفْسِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ، أَمْ تُنْفِقُهُ عَلَى إِخْوَانِكَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بَلْ أَنْفِقُهُ عَلَى نَفْسِي. قَالَ: فَلَسْتَ مِنْ شِيعَتِنَا، فَإِنَّا نَحْنُ مَا نُنْفِقُ عَلَى الْمُتَنَحِّلِينَ مِنْ إِخْوَانِنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا، وَلَكِنْ قُلْ: أَنَا مِنْ مُحِبِّكُمْ، وَمِنَ الرَّاجِينَ النَّجَاةَ بِمُحِبَّتِكُمْ.^٢

٥ - الْعِيَادَةُ وَالصَّلَاةُ (الِاِقْتِصَادِ وَالْمَعِيشَةِ)

٥ الامام الصادق «ع» - مُحَمَّدُ بْنُ عَجَلَانَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع»، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ: كَيْفَ مَنْ خَلَفْتَ مِنْ إِخْوَانِكَ؟ .. فَأَحْسَنَ الشَّنَاءَ وَزَكَّى وَأَطْرَى، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ عِيَادَةُ أَغْنِيائِهِمْ عَلَى فُقَرَائِهِمْ؟ فَقَالَ: قَلِيلَةٌ. قَالَ: وَكَيْفَ مُشَاهَدَةُ أَغْنِيائِهِمْ لِفُقَرَائِهِمْ؟ قَالَ: قَلِيلَةٌ. قَالَ: فَكَيْفَ صَلَاةُ أَغْنِيائِهِمْ لِفُقَرَائِهِمْ فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَتَذَكُرُ اخْتِلَافًا قَلَّ مَا هِيَ فِيمَنْ عِنْدَنَا. قَالَ: فَقَالَ: فَكَيْفَ تَزَعُمُ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ شِيعَةٌ؟^٣

٦ - الْقِنَاعَةُ، حَتَّى تَصِلَ الْمَعَايِشُ إِلَى الْآخِرِينَ (الِاِقْتِصَادِ وَالْمَعِيشَةِ)

١ - الكافي ٢ / ١٧٣.

٢ - البحار ٦٨ / ١٥٦٦.

٣ - الكافي ٢ / ١٧٣.

٦ - الامام الباقر «ع» - فيما خاطب به الشيعة : .. وإن اغنياءكم لاهل القناعة .. ١

٧ - نيل الولاية بالمؤاساة (الاقتصاد والمعيشة)

٧ - الامام الصادق «ع» : .. يا ابن جندب! بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم : لا تذهبن بكم المذاهب، فوالله لا تنال ولا يُتنا إلا بالورع؛ والاجتهاد في الدنيا؛ ومؤاساة الإخوان في الله . وليس من شيعتنا من يظلم الناس ٢.

* الناس في هذا التعليم عام، يشمل كل انسان، من اهل ابي
ملة او نحلة كان . فليس من شيعتهم من يظلم احداً، كائناً من كان
المظلوم .

٨ - المؤاساة ترادف الصلاة في المواقيت (الاقتصاد والمعيشة)

٨ - الامام الصادق «ع» : خصلتان من كانتا فيه، والأفاعزب، ثم اعزب، ثم اعزب! قيل : وما هما؟ قال : «الصلاة في مواقيتها والمحافظة عليها، والمؤاساة» ٣.

٩ - المؤاساة ممايمتحن به (الاقتصاد والمعيشة)

٩ - الامام الصادق «ع» : امتحنوا شيعتنا عند ثلاث : عند مواقيت الصلاة، كيف

١ - الكافي / ٨ / ٢١٤ .

٢ - تحف العقول / ٢٢٣ .

٣ - البحار / ٧٤ / ٣٩١ .

محافظةً عليهم عليها؛ والى اسرارهم، كيف حفظهم لها عند عدونا؛ والى
اموالهم، كيف مؤاساتهم لاخوانهم فيها؟^١

* قال جمال الدين ابن منظور: «آسأه بماله: أناله منه وجعله
فيه أسوةً. وقيل: "لا يكون ذلك منه إلا من كفافٍ، فإن كان من
فضلةٍ فليس بمؤاساة"»^٢.

١٠ - المؤاساة مما أمروا به (الاقتصاد والمعيشة)

١٠ الامام العسكري «ع» - قال كامل ابن ابراهيم المدني: .. يأمُرنا نحن
بمؤاساة الإخوان^٣.

* ومن كلمات المجاهد العلوي الكبير، يحيى بن أم الطويل
المطعمي - وهو من خواص اصحاب الامام علي بن الحسين
السجاد «ع» - فيما خاطب به شيعة آل محمد «ص»، في كناسة
الكوفة: «.. ومن احتاج الى مسألتيكم من إخوانكم، فقد
خُتموه^٤..».

تربية عظيمة

-
- ١ - البحار ٧٤ / ٣٩١، عن «قرب الاسناد».
 - ٢ - لسان العرب ١ / ذيل «اسأ». وقال في معنى «الأسوة»: «القوم أسوة في هذا الامر، اي حالهم فيه
واحدة».
 - ٣ - البحار ٥٠ / ٢٥٣.
 - ٤ - الكافي ٢ / ٣٨٠.

١ الامام الصادق «ع» : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، بَنُو أَبِي وَأُمَّيَّ . وَإِذَا ضَرَبَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ عِرْقٌ، سَهَرَ لَهُ الْآخَرُونَ ١.

٢ الامام الصادق «ع» - قال ابو بصير : سمعتُ ابا عبد الله «ع» يقول : المؤمنُ أخو المؤمنِ كالجسد الواحد، إن اشتكى شيئاً منه وجدَّ ألم ذلك في سائر جسده ٢.

* قُلْ وَرَبِّكَ - أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ - : هَلْ يُوجَدُ هُنَاكَ اخْتِلَاجٌ عِرْقِ أَلَمٍ مِنْ أَوْجَاعِ الْفَقْرِ وَالْمَسْكِنَةِ وَشِدَائِدِ الْعَوَزِ وَالْعُدْمِ؟ فَلِمَاذَا لَا يَسْهَرُ هَؤُلَاءِ الْإِخْوَةَ الْإِغْنِيَاءُ لِأَوْلَئِكَ الْإِخْوَةَ الْفُقَرَاءُ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنْفُسَهُمْ أَبْنَاءَ الْإِسْلَامِ وَاتَّبَاعَ الْقُرْآنِ؟
هَلْ يَكُونُ مِنَ السَّيِّئِينَ الْمُحَمَّدِيِّينَ أَنْ نَعُدَّ أَنْفُسَنَا مُؤْمِنِينَ إِخْوَةً، بَنِي أَبِي وَأُمَّيَّ، وَمِنَّا الْإِغْنِيَاءُ الْمُتَكَثِّرُونَ الَّذِينَ لَا يُعِدُّونَ أَيَّ شَيْءٍ يَشَاوُونَ وَيَسَاءُ أبنائَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ، وَمِنَّا الْمُعْدِمُونَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ أَيَّ شَيْءٍ يَشَاوُونَ وَيَسَاءُ أبنائَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ؟
وَهَلْ يُعَدُّ مِنَ التَّرْبِيَةِ الْجَعْفَرِيَّةِ أَنْ يَغْمُرَ تِيَارَاتُ الْغِنَى التَّكَاثُرِيَّ الْمُطْغِيَّ بِلِوَازِمِهِ حَفَنَةً، وَيَغْمُرَ تِيَارَاتُ الْفَقْرِ الْمُفْطِقِ الْمُبِيدِ بِلِوَازِمِهِ حَفَنَاتٌ؟ وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ؟ قَرَأْنِيُونَ؟ مُحَمَّدِيُونَ؟ عَلَوِيُونَ؟ جَعْفَرِيُونَ؟

نظرة الى الفصل

إنَّ المجتمعَ الانسانيَّ الاسلاميَّ الَّذي عَمَدَ القرآنُ لُصْنِعه، لا بدَّ من أن تكون صلَّاته الاقتصاديةً ايضاً خاضعةً للنواميسِ الانسانيةِ ولتأثيراتِ الاسلامِ التوجيهيةِ .

ففي هذا الضوء، هل يكون حملُ المسلمِ على أن يُؤاسيَ اخاه وأن يبدلَ له بعضَ ماله، امرأً بدعاً من هذا الصُّنع؟ وهل من السَّانِعِ أن يُبرَّرَ الاسلامُ أن يبنِي فرداً داراً في الفِ مترٍ واكثر - مثلاً - ولا يُؤاسيَ اخاه، الَّذي لا يجدُ ظلَّ رأس، هو واهله وذووه، باعطائه مئةَ مترٍ منه حتى يبنِي الأُخ فيه داراً، فيأمنَ بوائِقَ التَّشردِّ والتَّسكُّعِ، وما يلحُّقه واهله - من بنين وبنات - من جرَّاء الحالة؟

فيجب علينا أن لا نُكايِدُ انفسنا، وأن نَمِنَ النِّظَرَ في الاحاديثِ الواردةِ في الفصل - وهي نموذج - حتى نَقِفَ على واقعِ نظرةِ الاسلامِ الى قضايا الحياةِ والاقتصادِ والمال، وصلتها بتبنيِّ الدينِ واعتناقِهِ .
نعم، وإنَّ المؤاساةَ امرأً لا يَرْضى الاسلامُ الأُخويُّ باقلِّ منه، مع أنَّه يدعو الى دعمِ مبدأِ «المساواة» - كما يأتي في الفصلِ التَّالي .

١ - وهناك بيوتٌ لهؤلاءِ الإخوانِ تُناهزُ عشرةَ آلافِ مترٍ واكثر سوى مُتَنَزِّهاتِهِمُ الأُخرى .. ويا لهذه الأُخوة!..

الفصل السابع والأربعون

مبدأ المساواة في الاسلام

لم نَعِدْ هذا الفصلَ لآن ندعوَ الى تجسيدِ المساواةِ
الاسلاميةِ، بجميعِ اشكالِها وشؤونِها في المجتمعات، فإن ذلك
لا يكونُ الا في زمانِ اكتمالِ البشرِ وتبلورِ فطريّاته، وانعتاقِ عقله،
وانصياعه الى عمودِ القسطِ المُشعّ، بظهورِ «المصلحِ الفاطميِّ»،
الذي يحيي احكامَ القرآنِ الكريمِ، ويجدّدُ معالمَ التربيةِ الاسلاميةِ
ويستنُّ بسُنّةِ النبيِّ «ص» ويسيرُ بسيرتهِ، ويعملُ على هديهِ - كما
وردَ عن النبيِّ «ص» في احاديثِ المسلمين عامةً .

بيدَ انا عقَدنا هذا الفصلَ للتدليلِ على ان الدينَ الذي يتبنّى
«المساواة» قاعدةً اصليّةً لقسمِ عظيمٍ من صلاحِهِ الاقتصاديةِ،
وتوزيعهِ الماليِّ، وسلوكِهِ المعاشيِّ، لا يعترفُ البتّةَ بالفروقِ النادرةِ،
والتضادِّ المعيشيِّ الفاحشِ بينِ شَرُذمةٍ وجماهيرٍ .. واليك البيان :

الكتاب

يا أيها الناسِ انا خلقناكم من ذَكَرٍ وَاُنْثَى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لِتَعَارَفُوا،

١. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ..
٢. وَجَعَلَ فِيهَا رِوَايَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا، فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ،
سِوَاءً لِلسَّائِلِينَ *^٢
٣. وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ، فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَادِي رِزْقِهِمْ
عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، فَهُمْ فِيهِ سِوَاءٌ، أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ *^٣
٤. فَلِذَلِكَ قَادِعُ وَاسْتَقِيمُ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ: آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنْ كِتَابٍ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ..^٤

الحديث

أ - انّ الله تعالى يدعو الى المساواة

١. الامام الصادق «ع» - في «الحديث القدسي»: قال الله عز وجل: «افترضتُ
على عبادي عشرة فرائض، اذا عرفوها أمكنتهم ملكوتي وأباحتهم جناني .
أولها معرفتي .. والعاشره أن يكون هو واخوه في الدين والدنيا شرعاً
سواءً» .^٥

* تأمل في عطف كلمة «الدنيا» على «الدين»، في هذا

١ - سورة الحجرات (٤٩): ١٣.

٢ - سورة فصلت (٤١): ١٠.

٣ - سورة النحل (١٦): ٧١.

٤ - سورة الشورى (٤٢): ١٥.

٥ - سفينة البحار ٢ / ١٧٩.

الحديث القدسي . فالدعوةُ الى «تبني مبدأ المساواة» وتركيزه بين المسلمين، دعوةٌ نابغةٌ من صميم دين الله تعالى ودعوته .

ب- إن أولياء الله تعالى يدعون إلى المساواة، أو واقع التسوية في العهد الإسلامي

١- في العهد النبوي

- ٢ النبي «ص»: «إنَّ النَّاسَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا مِثْلُ أَسْنَانِ الْمُشْطِ، لَأَفْضَلَ لِلْعَرَبِيِّ عَلَى الْعَجَمِيِّ، وَلَا لِلْأَحْمَرِ عَلَى الْأَسْوَدِ، إِلَّا بِالتَّقْوَى»^١.
- ٣ النبي «ص»: «يَا عَلِيُّ! سَيِّدُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: أَنْصَأُكَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَسَاوَاةِ الْأَخْرِ فِي اللَّهِ، وَذَكَرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^٢.
- ٤ النبي «ص»: «إِنَّمَا أَنْتُمْ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، كَجُمَامِ الصَّاعِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^٣.
- ٥ الامام علي «ع»: «.. لَيْسَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»، يَنْقَسِمُ بِالسُّوْيَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»^٤.
- ٦ الامام الصادق «ع»: «أَتَتْ الْمَوَالِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «ع» فَقَالُوا: نَشْكُو إِلَيْكَ هَؤُلَاءِ الْعَرَبَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» كَانَ يُعْطِينَا مَعَهُمُ الْعَطَايَا بِالسُّوْيَةِ»^٥.

١- الاختصاص / ٣٣٧.

٢- تحف العقول / ١٤.

٣- مجمع البيان / ٩ / ١٣٨.

٤- المناقب / ٢ / ١٠٨.

٥- الكافي / ٥ / ٣١٨ - ٣١٩.

٢ - في العهد العلويّ

٧ النبي «ص» - في ذكرِ مواصفاتِ الامامِ عليّ بن ابي طالب : إِنَّهُ أَوْلُكُمْ
إيمَاناً مَعِي، وَأَوْفَاكُمْ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَأَقْوَمُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَعْدَلُكُمْ فِي الرِّعْيَةِ،
وَأَقْسَمُكُمْ بِالسُّوِيَّةِ ١.

٨ النبي «ص» : يَا عَلِيُّ ! أَنْتَ أَوْلُهُمْ إيمَاناً بِاللَّهِ، وَأَوْفَاهُمْ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَأَقْوَمُهُمْ
بِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَقْسَمُهُمْ بِالسُّوِيَّةِ .. ٢.

الفات نظر

نُشَاهِدُ النَّبِيَّ الْهَادِيَّ «ص» فِي مَقَامٍ كَهَذَا - فِي مَجْتَمَعَاتِ
الصَّحَابَةِ - يُعَدُّدُ مَوَاصِفَاتِ الْإِمَامِ عَلِيِّ «ع» وَمَزَايَاهُ الْعَظِيمَةَ الَّتِي
تُوَهَّلُهُ لِلْإِمَامَةِ الْكُبْرَى، وَصَايَةَ عَنِ النَّبِيِّ «ص»، فَيُعَدُّ مِنْ غُرَرِهَا
الْقَسَمَ بِالسُّوِيَّةِ . أَفَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَى تَبْنِيِ الْإِسْلَامِ
لِمَبْدِئِ الْمَسَاوَةِ كَاصِلٌ؟

٩ الامام علي «ع» : .. مَنْ اسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَيْبِحَتَنَا، وَأَمَّنَ بِنَبِينَا، وَشَهِدَ
شَهَادَتَنَا، وَدَخَلَ فِي دِينِنَا، أَجْرَيْنَا عَلَيْهِ حَكَمَ الْقُرْآنِ، وَحُدُودَ الْإِسْلَامِ؛ لَيْسَ
لَا حِدَّ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى .. لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الدُّنْيَا
لِلْمُتَّقِينَ ثَوَاباً، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ٣.

١ - الغدير ٢ / ٥٧.

٢ - المراجعات / ١٦٠، الطبعة العشرون، القاهرة (١٣٩٩).

٣ - الكافي ٨ / ٣٦١.

الفاات نظر

يُدلُّ هذا التعلِيمُ العلويُّ بالصَّراحةِ على أَنَّ من حكم القرآنِ
وحدودِ الاسلام، رعايةَ المساواةِ وشجَبَ الميزاتِ وانكارَ ايِّ فضلٍ
لاحدٍ على احدٍ، الا ما كان من التَّقوى، وهولا يَسْتَتبعُ امراً مادياً
واثراً دنيويّاً، كما صرَّحَ به الامامُ في كلامه .

١٠ الامام علي «ع» - فيما جرى بينه وبين اخيه عقيل بن ابي طالب : .. ما انا
وانت فيه (يعني في بيت المال وبالنسبة اليه)، الا بمنزلة رجلٍ من
المسلمين ..

١١ الامام علي «ع» - في بيان عمله الحاسم بسنة الرسول «ص» و رده
المستحذات اليها : .. واعطيت كما كان رسول الله «ص» يعطي بالسوية،
ولم اجعلها دولةً بين الاغنياء .^٢

١٢ الامام علي «ع» - لما عوتب على تصبيره الناس أسوة في العطاء، من غير
تفضيل اولي السابقات والشرف : اأمروني ان اطلب النصر بالجور فيمن
وليت عليه؟ والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أم نجم في السماء نجماً .
ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله ..^٣

١٣ الامام علي «ع» - ان قنبراً قدّم الى امير المؤمنين «ع» جاماتٍ من ذهبٍ
وفضة في الرحبة، وقال : «انك لا تترك شيئاً الا قسمته، فخبأت لك هذا» .
فسل سيفه وقال : «ويحك! لقد احببت ان تدخل بيتي ناراً!». ثم
استعرضها بسيفه فضربها حتى انتشرت من بين اناء مقطوع بضعة وثلاثين،

١ - المناقب ٢ / ١٠٨ - ١٠٩ .

٢ - الكافي ٨ / ٦٠ - ٦١ .

٣ - نهج البلاغة / ٣٨٩ - ٣٩٠ : عبده ٢ / ١٠ .

وقال: «عَلِيٌّ بِالْعُرْفَاءِ!»؛ فجاؤوا، فقال: «هذا بِالْحِصَصِ ..»^١

١٤ الامام علي «ع» - مما قاله لابنته (أمّ كلثوم)، حينما أخذت من بيت المال عَقْدُلُوْلُوْ - عاريةً مضمونةً مردودةً بعدَ ثلاثةِ أيّامٍ - في أيّامِ الاضحى وراه عليها: .. يا بنتِ عَلِيٍّ بنِ ابي طالب! لا تذهبيّ بنفسكِ عن الحقِّ، أكلُّ نساءِ المهاجرين تترّين في هذا العيدِ بمثلِ هذا؟^٢

١٥ الامام علي «ع» - في قومٍ من اهلِ المدينةِ لحقوا بمعاويةَ بنِ ابي سفيانٍ: إنّما هم اهلُ دنيا، مُقبِلون عليها ومُهْطِعون اليها، قد عَرَفُوا العَدْلَ ورَأَوْه، وَسَمِعُوهُ ووَعَوْه، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الحَقِّ أُسُوَةٌ، فَهَرَبُوا الى اللّائِثَةِ، فَبُعِدْأَ لَهُم وَسُحِقْأَ ..^٣

١٦ الامام علي «ع» - فيما رواه الامامُ الصّادقُ: لَمَّا وُلِّيَ عَلِيٌّ «ع» صَعِدَ المنبرَ فَحَمِدَ اللّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي وَاللّهِ لَا أَرَزَأُكُمْ مِنْ فَيْئِكُمْ دَرَهْمًا، مَا قَامَ لِي عِدْقٌ يَبْتَرِبُ، فَلْيَصُدُّكُمْ أَنْفُسُكُمْ، افْتَرَوْنِي مَانِعًا نَفْسِي وَمُعْطِيَكُمْ؟ قَالَ: فَقَامَ اليه عَقِيلٌ - كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ - فَقَالَ لَهُ: وَاللّهِ لَتَجْعَلَنِي وَاسِدًا بِالمَدِينَةِ سَوَاءً؟ فَقَالَ: اجْلِسْ! أَمَا كَانَ هِيهنا أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ غَيْرُكَ؟ وَمَا فَضْلُكَ عَلَيْهِ الا بسابِقَةٍ او بتقوى.^٤

١٧ الامام علي «ع» - قال للصّحَابِيّين، طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللّهِ والزُّبَيْرِ بنِ العَوّامِ، لَمَّا طَلَبَا مِنْهُ الفِرْقَ والتّفْضِيلَ: سَابِقَتُكُمَا اقْرَبُ ام سَابِقَتِي؟ قَالَا: سَابِقَتُكَ. قَالَ: فَفَرَابَتُكُمَا ام قَرَابَتِي؟ قَالَا: قَرَابَتُكَ. قَالَ: فَعَنَاؤُكُمْ اِعْظَمُ ام عَنَائِي؟ قَالَا: عَنَاؤُكُمْ. قَالَ: فَوَاللّهِ، مَا أَنَا وَأَجِيرِي هَذَا الا بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ. وَاوْمِي

١ و ٢ - المناقب ٢ / ١٠٨ و ١١٠ - ١١١.

٣ - نهج البلاغة / ١٠٧٢؛ عبده ٣ / ١٤٤.

٤ - الكافي ٨ / ١٨٢.

بيده الى الاجير^١.

٣- خطّ ذهبيّ في جبين التاريخ

١٨ الامام علي «ع»: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ آدَمَ لَمْ يَلِدْ عَبْدًا وَلَا أُمَّةً، وَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ احرارٌ. ولكنَّ اللهَ خَوَّلَ بعضكم بعضاً، فمن كان له بلاءٌ فصبرٌ في الخير، فلا يَمُنُّ به على الله عزَّو جلّ. الا! وقد حَضَرَ شيءٌ ونحن مُسَوِّون فيه بين الاسود والاحمر. فقال مروانٌ لطلحةَ والزبير: ما ارادَ بهذا غيرَ كما.. فأعطى كلَّ واحدٍ ثلاثةَ دنانير، وأعطى رجلاً من الانصارِ ثلاثةَ دنانير، وجاءَ بعدُ غلامٌ اسود، فأعطاه ثلاثةَ دنانير. فقال الانصاريّ: يا اميرَ المؤمنين! هذا غلامٌ بالامس، تَجَعَلْنِي وَايَاهُ سَوَاءً؟ فقال: اِنِّي نَظَرْتُ فِي كِتَابِ اللهِ، فَلَمْ أَجِدْ لَوْلِدِ اسْمَاعِيلَ عَلَى وُلْدِ اسْحَاقَ فَضْلاً^٢.

تنبيهان هامان

١- يُستفادُ من هذا التّعليمِ بوضوحٍ، أنّ الذين خَدَمُوا الدِّينَ بعملٍ، وجاهدوا في سبيله بجهادٍ، او دَفَعُوا له نَفَقَاتٍ، او سَجَنُوا في طريقِ الدِّفاعِ عنه وما الى ذلك، ليس لهم أن يَمُنُّوا بما فَعَلُوا على الدِّينِ واهله، وأن يَتَوَقَّعُوا لذلك جزاءً مادِّيًّا، من مالٍ، او جاهٍ، او تَدخُلٍ في الحكم، او نفوذٍ في التّقنين، او تَغَلُّبٍ على التّرشيحِ والتّصويتِ في اوانهما، او تَقَدُّمٍ في تشكيلِ احزابٍ ومُنظَّماتٍ، او نَشْرِ صُحُفٍ ومجلاتٍ، او شقِّ طريقٍ الى منافعٍ ودخولٍ، او حضورٍ

١- المناقب ٢ / ١٠٨؛ ومن طبعته / ١١١.

٢- الكافي ٨ / ٦٩.

مُنحازٍ في البرامجِ الاقتصاديّةِ وما الى ذلك، حيث إنَّ امامنا عليّ بن ابي طالب «ع» يقول: «فَمَنْ كَانَ لَهُ بَلَاءٌ فَصَبِرْ فِي الْخَيْرِ، فَلَا يَمُنَّ بِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». فمن كان معتقداً به فَلْيَفْعَلْ هكذا .. وسيأتي أيضاً قولُ امير المؤمنين «ع» هذا: «.. اَتَمُنُونَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِاسْلَامِكُمْ؟ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ اَنْ هَدَاكُمْ لِلَايْمَانِ، اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

٢- لا يَسْتَدِلُّ الامام «ع» في جوابِ الانصاريّ الذي اعترض عليه لتسويته بينه وبين غلامه .. بأن هذه اموال بيت المال تُوزَعُ جَرَايَاتٍ .. ولا فرق فيها بين الافراد، لا، لا يَسْتَدِلُّ بهذا الكلام، بل يَسْتَدِلُّ على التّسويةِ بـ «اصلِ قرآنيّ»، يعني عدم الفرق بين انسانٍ وانسانٍ في دينِ القرآن، اسماً عيلاً كان او اسحاقياً؛ وما ذَكَرَ ذلك الاً مثلاً، يعني لا فرق بين الأناسيِّ من ايِّ ابٍ وامٍّ كانوا، ومن آيةٍ جنسيّةٍ ولونٍ وقومٍ وارضٍ . فالملاك هو الانسانيّةُ العامّةُ والوحدةُ في الخلقِ والخالقِ - كما ورد في احاديثٍ اخرى .

ومن هذه التّعاليم العظيمةُ البناءةُ، يُدْرِكُ اَنَّ الاسلامَ الاصيلَ - الذي لم يَتَطَرَّقْ اليه أيدي بُعَاةِ الاثرةِ والتّفضيل - يَسْتَهْدِفُ مساواةَ ابناءِ الانسان - وهم من ابٍ واحدٍ وامٍّ واحدةٍ وخلقهم الله واحد - كمبدأٍ واصل . ولقد وَرَدَتْ في تعاليم النبيّ الاعظم «ص» والائمةِ الهادين «ع» ارشادات كثيرة الى تبنّي ذلك الاصل الانسانيّ والاسلاميّ العظيم . ولقد جاءت نبذةٌ منها في هذا الفصل، ممّا مرّ وسيأتي . فعلى المسلمين - وخصوصاً الفقهاء واصحاب الاجتهاد والافتاء - ان يعمدوا الى تكلم التّعاليم الالهية، ولا يجعلوها خلف الظّهر، ولا يركنوا الى المستأثرين، حتى ينجحوا في صنع مجتمعٍ تلوح عليه آثارُ الاسلام، وتنعكس فيه تعاليم آل محمد «ص» .

٤ - شعاع الهيّ على قمة الاعصار

١٩ الامام علي «ع» - أوردَ ابنُ أبي الحديدِ المدائني، في شرحِ «نهج البلاغة»، أنه لم يكن (عليّ) يُفضّلُ شريفاً على مشروفٍ، ولا عربياً على عجميّ، ولا يُصانعُ الرؤساءَ وأمراءَ القبائل - كما يصنعُ الملوك - ولا يستميلُ أحداً إلى نفسه. وكان معاويةً بخلاف ذلك. فتركَ الناسُ عليّاً والتحقوا بمعاوية. فشكا علي «ع» إلى الأشرّ تخاذلَ أصحابه وفرارَ بعضهم إلى معاوية، فقال الأشرّ: يا أميرَ المؤمنين: .. أنت تأخذهم بالعدل، وتعملُ فيهم بالحقّ، وتُتصِفُ الوضيعَ من الشّريف، فليس للشّريفِ عندك فضلٌ منزلةً على الوضيع، فضجّت طائفةٌ ممّن معك من الحقّ إذ عمّوا به، واغتمّوا من العدلِ إذ صاروا فيه .. فقال: .. فقد علمَ اللهُ أنّهم لم يُفارقونا من جور، ولا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل .. ١

٢٠ الامام علي «ع»: إن امرأتين اتتا عليّاً «ع» عند القسمة، احدهما من العرب والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدٍ خمسةً وعشرين درهماً وكراً من الطّعام. فقالتِ العربيّة: يا أميرَ المؤمنين: إنني امرأةٌ من العرب وهذه امرأةٌ من العجم؟ فقال عليّ «ع»: والله لا أجدُ لبني اسماعيلَ في هذا الفيءِ فضلاً على بني اسحاق. ٢

٢١ الامام علي «ع» - قال عاصمُ بنُ ضَمْرَةَ: إن عليّاً «ع» قَسَمَ قَسْماً، فسوّى بين الناس. ٣

١ - شرح نهج البلاغة ٢ / ١٩٧ - ١٩٨ . راجع ايضاً: «الغارات» ١ / ٥٢ - ٥٣.

٢ - الوسائل ١١ / ٨١.

٣ - الوسائل ١١ / ٨١.

٥ - تعاليم و هدايات

- من التّعليم السّجّاديّ

٢٢ الامام السّجاد «ع» - قال جابر الجعفيّ: قلتُ لعلّي بن الحسين «ع»: يا ابن رسول الله! ما حقُّ المؤمنِ على اخيه المؤمن؟ قال: يُفْرَحُ لفرّحه اذا فَرِحَ .. ولا يَغْتَمُّ لشيءٍ من حُطامِ الدّنيا الفانية الا واساه، حتّى يجريان في الخير والشرّ، في قرْنٍ واحدٍ!

- من التّعليم الباقريّ

٢٣ الامام الباقر «ع» - ابو حمزة (الثّماليّ) قال: سألتُ ابا جعفر «ع»: ما حقُّ الامامِ على النّاس؟ قال: «حقُّه عليهم ان يسمّعوا له ويطيعوا». قلت: فما حقُّهم عليه؟^٢ قال: «يَقْسِمُ بَيْنَهُم بالسّويّة، ويعدّلُ في الرّعيّة...»^٣.

* وهذا التّعليم - وقد وردت بصدده احاديثٌ متعدّدة - يُرشدنا

الى تجسيدِ العدلين: الاقتصاديّ والقضائيّ.

- من التّعليم الصّادقيّ

١ - المستدرک ٢ / ٦٣.

٢ - جاء ضبطُ هذه اللفظة في مطبوع «الكافي»، بصيغة الجمع (عليهم)؛ ولعلّه من سهو النّاسخين، او الطّابعين.

٣ - الكافي ١ / ٤٠٥.

٢٤ الامام الصادق «ع»: اهل الاسلام هم ابناء الاسلام، أُسْوِي بينهم في العطاء؛ وفضائلهم بينهم وبين الله، أَحْمِلُهُمْ كِبَنِي رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا يَفْضَلُ أَحَدُهُمْ لِفَضْلِهِ وَصَلَاحِهِ، فِي الْمِيرَاثِ، عَلَى الْآخَرِ ضَعِيفٍ مَنْقُوصٍ. قال: وهذا هو فعلُ رسولِ الله «ص» في بُدُو أمرِهِ. وقد قال غيرنا: أقدّمهم في العطاء بما قد فَضَّلَهُمُ اللهُ بِسَوَابِقِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ.

* وهذا التّعليم يدلُّ بدوره على تبنّي الاسلام لمبدأ المساواة، في العطاء الحُكوميّ وغيره، حيث ذكّر فيه الميراث. وهذا هو الاصل. وكذلك يدلُّ على أنّ مُتبعي السّيرة العلوّية في الاسلام، لا يُثبِتون للسّوابق المعنويّة تأثيراً في القضايا الماديّة لأنّ هذا خروجٌ عن مسلك «التّوحيد»، الذي يجعلُ تلك الأُجورَ أُخرويّةً يُعطيها اللهُ تعالى.

تنبیه

نشاهدُ الامامَ جعفرًا الصّادق «ع» (المعلّم المعصوم، والمرشدُ الالهيّ، والحجّة الكبرى، الذي لا ينطقُ الا عن مُرادِ اللهِ المحض، ولا تُمثّلُ تعاليمه الا حقائق القرآن وتعاليم الوحي السّماويّ)، يقول: «اهل الاسلام هم ابناء الاسلام..». ابعدهذا التّعليم والتّوجيه - وما ورد بصدد الموضوع نفسه من احاديث متعدّدة ذات تعابير موجّهة، والقرآن الوارد بحقّ الأُخوة الايمانيّة - كيف يُقرّأني مسلمٌ نابه - فضلاً عن علماء المسلمين وافاضلهم - تلك الفروق الباهظة والسّاحقة، بين هؤلاء الابناء، في شتّى نواحي المعيشة والحياة..؟

هذه الاموال الطائلة، والاملاك العقارية، والقصور الكبيرة ذات آلاف من الامتار، مع ما أُعدت فيها من المروج والبساتين والمسابح والحمامات المختلفة والقاعات وغرف النوم والزينة والمدافئ والمكيفات والموائد والسُّمط الملوّنة والثلاجات والبرادات والبسط والفرش والأزياء وسائر الرفاهيات الحديثة والخيالية هنا وهناك وما اليها لحفنة ..

وتلك الاكواح البائسة المليئة بالكُدود والمعاناة والعوز والمرض والشقاء والجوع والالَم والدَّس وما اليها لحففات .. هذه الاوقات الفارغة، في حياة هادئة، التي تملأها الراحة والرفاه المادّي ورحلات النزهة في المدائن الفخمة والفنادق الممتازة والسواحل النزهة وما اليها ..

وتلك الاوقات التعيسة التي يستولي عليها القلق والعدم وضغطات العمل المرهق، وما تستتبعه كثرة ساعات العمل وطوارئه وعدم العطلة الكافية وما اليها ..

ولا تنس الحياة الريفية وما يكتنفها، من انواع التعس والشقاء والعوز وعدم الامكانيات الاولية .. فضلاً عن الرفاهية .. وحياة من يبحث عن العمل ولا يجد، ومن لا سبيل له الى ظلّة رأس ولماظة عيش، ومن اليهم ..

اهؤلاء الطوائف كلها ابناء الاسلام، ويعيشون كابناء رجل واحد، كما يُريده الامام الصادق «ع»؟

اهؤلاء يكون كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، ويربهم بمنزلة الاخ، كما يُريده الامام السّجاد «ع»؟^١

اهؤلاء اعضاء جسّد واحد، اذا اشتكى تداعى له سائر الجسد،

١ - فيما قاله لمحمد بن مسلم الزُّهري؛ راجع: البحار ٧١ / ٢٣٠، عن «تفسير الامام العسكري».

كما يُريدُ الامام الباقر «ع»؟^١

اهؤلاءِ اخوةٌ بررةٌ، كما تدعو اليها القرآن الكريم؟ وهل نحن مع هذه الحالة نُقيم «القرآن» ونكون «أمةً مقتصدّة»، ام ننصوي الى اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: «وكثيرٌ منهم ساء ما يعملون»؟^٢

اهكذا نغضُ الطرفَ عن هذه الجنائياتِ الهائلة بحقّ الانسانِ والانسانيةِ والاسلامِ والاسلاميةِ، ونري للناسِ أنّ الاسلامَ يُقرُّها أو لا يَجِبُها؟

اهكذا نسوقُ النابيهين الى الفشلِ واليأسِ، والمُعذِّبين والكادحين الى الخيبةِ والسقوطِ، والشبابَ الحساسين الى الوقوعِ في شركِ المدارسِ الالحاديّةِ والافكارِ المضلّلةِ او المميعةِ، ونحسبُ أنّنا نحسنُ صنعا؟

او هل يُقرُّ الاسلامُ هذه الآثارَ الجهنميّةَ والواقعيّاتِ اللانسانيةِ المعتديةَ باسمِ كذا وكذا...؟ ان كان هذا فماذا يكونُ محلُّ تلكِ التعاليمِ: «اهلُ الاسلامِ هم ابناءُ الاسلامِ...»؟ و.. و.. وماذا يكونُ محلُّ القسطِ والعدلِ القرآنيينِ؟

وهل بعدَ ذلكِ، يُعدُّ من النصفَةِ والانسانيةِ والدينِ، ان يتَّهَموا الذين يُدافعون عن المحرومينِ وحقوقهم وكرامتهم - تبعاً للانباء «ع» والاصياء «ع» - ويرفضون تلكِ الفروقِ النائيةَ عن الموازينِ الالهيةِ، باليساريةِ وامثالها، حتى يصيرَ ذلكِ سبباً لتشجيعِ هؤلاءِ الطواغيتِ الاقتصاديّينِ، الذين هم مصيبةُ المجتمعِ

١ - البحار ٧٤ / ٢٣٤، من حديثِ الامامِ الباقر «ع»: الكافي ٢ / ١٦٦، والبحار ٧٤ / ٢٣٣، من

حديثِ الامامِ الصادقِ «ع».

٢ - سورة المائدة (٥): ٦٦.

الاسلامي، على حدّ تعبير مولانا الامام عليّ بن الحسين

السّجّاد «ع»؟^١

غفرانك اللهم ربنا واليك المصير ..

- ٢٥ الامام الصادق «ع»: النَّاسُ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ .^٢
- ٢٦ الامام الصادق «ع» - حَمَادُ بْنُ عَثْمَانَ قَالَ : اَصَابَ اَهْلَ الْمَدِينَةِ قَحْطٌ .. وَكَانَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع» طَعَامٌ جَيِّدٌ قَدْ اشْتَرَاهُ أَوَّلَ السَّنَةِ، فَقَالَ لِبَعْضِ مَوَالِيهِ : «اشْتَرْنَا لَنَا شَعِيرًا، فَاخْلَطْهُ بِهَذَا الطَّعَامِ اَوْبِعْهُ؛ فَإِنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَأْكُلَ جَيِّدًا وَيَأْكُلَ النَّاسُ رَدِيئًا».^٣
- ٢٧ الامام الصادق «ع» - قَالَ ابُو بَصِيرٍ : سَأَلْتُ اِبَا عَبْدِ اللَّهِ «ع» عَنْ رَجُلٍ لَهُ ثَمَانُ مِئَةِ دِرْهَمٍ، وَهُوَ رَجُلٌ خَفَّافٌ، وَلَهُ عِيَالٌ كَثِيرٌ، أَلَّهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الزَّكَاةِ؟ فَقَالَ : «يَا اِبَا مُحَمَّدٍ!^٤ اَيْرُبِحُ فِي دِرَاهِمِهِ مَا يَقُوتُ بِهِ عِيَالَهُ وَيَفْضُلُ؟». قَالَ : نَعَمْ! قَالَ : «إِنْ كَانَ يَفْضُلُ عَنِ الْقَوْتِ مَقْدَارُ نِصْفِ الْقَوْتِ فَلَا يَأْخُذُ مِنَ الزَّكَاةِ. وَإِنْ كَانَ اَقْلَ مِنْ نِصْفِ الْقَوْتِ اَخَذَ الزَّكَاةَ ..». قَالَ : قَلْتُ : كَيْفَ يَصْنَعُ؟ قَالَ : «يُوسِّعُ بِهَا عَلَى عِيَالِهِ فِي طَعَامِهِمْ وَكِسْوَتِهِمْ وَيُبْقِي مِنْهَا شَيْئًا يَنَاقِلُهُ غَيْرَهُمْ، وَمَا اَخَذَ مِنَ الزَّكَاةِ فَضَّهْ عَلَى عِيَالِهِ حَتَّى يُلْحِقَهُمُ بِالنَّاسِ».^٥
- ٢٨ الامام الصادق «ع» - عَنْ مَعْلَى بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ : خَرَجَ ابُو عَبْدِ اللَّهِ «ع» فِي

١ - في قوله «ع»: «أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! مَصِيبَتِكُمُ الطَّوَاغِيَتُ مِنْ اَهْلِ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا ..» - (امالي المفيد /

١١٧). راجع ايضاً: الفصل ٧، من هذا الباب .

٢ - تحف العقول / ٢٧١.

٣ - الوسائل ١٢ / ٣٢١.

٤ - كنية ابي بصير الثانية.

٥ - الوسائل ٦ / ١٥٩.

ليلةٍ قد رَشَتْ - وهو يُريدُ ظِلَّةَ بني ساعدة - فَاتَّبَعْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ فَقَالَ : «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ رُدِّهِ عَلَيْنَا». قَالَ : فَاتَيْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : «أَنْتَ مُعَلِّي؟» قُلْتُ : نَعَمْ، جُعِلَتْ فِدَاكَ، فَقَالَ لِي : «الْتِمِسْ بِيَدِكَ فَمَا وَجَدْتَ مِنْ شَيْءٍ فَأَذْفَعَهُ إِلَيَّ»، فَإِذَا أَنَا بِخُبْزٍ مُنْتَشِرٍ (مُنْتَشِرٌ) كَثِيرٍ، فَجَعَلْتُ أَدْفَعُ إِلَيْهِ مَا وَجَدْتُهُ؛ فَإِذَا أَنَا بِجِرَابٍ أَعْجَزُ عَنْ حَمَلِهِ مِنْ خُبْزٍ. فَقُلْتُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ، أَحْمِلْهُ عَلَيَّ رَأْسِي. فَقَالَ : «لَا، أَنَا أَوْلَى بِهِ مِنْكَ، وَلَكِنْ أَمْضِ مَعِي». قَالَ : فَاتَيْنَا ظِلَّةَ بني ساعدة، فَإِذَا نَحْنُ بِقَوْمٍ نِيَامٍ، فَجَعَلَ يَدُسُّ الرَّغِيفَ وَالرَّغِيفِينَ^١، حَتَّى أَتَى عَلَيَّ آخِرِهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا. فَقُلْتُ : جَعَلَتْ فِدَاكَ، يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْحَقَّ؟ فَقَالَ : «لَوْ عَرَفُوهُ لَوَاسَيْنَاهُمْ بِالذُّقَّةِ»؛ وَالذُّقَّةُ هِيَ الْمِلْحُ^٢.

- من التَّعْلِيمِ الْكَاطِمِيِّ

٢٩ «الامام الكاظم «ع» - رُوِيَ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ دَمِيمِ الْمَنْظَرِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَنَزَلَ عِنْدَهُ وَحَادَثَهُ طَوِيلًا، ثُمَّ عَرَضَ «ع» عَلَيْهِ نَفْسَهُ فِي الْقِيَامِ بِحَاجَةٍ إِنْ عَرَضَتْ لَهُ؛ فَقِيلَ لَهُ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! أَنْتَ نَزَلْتَ إِلَى هَذَا، ثُمَّ تَسَّأَلَهُ عَنْ حَوَائِجِهِ، وَهُوَ إِلَيْكَ أَحْوَجُ؟ فَقَالَ : عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ، وَأَخٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَجَارٌ فِي بِلَادِ اللَّهِ، يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُ خَيْرُ الْأَبَاءِ آدَمُ «ع» وَأَفْضَلُ الْأَدْيَانِ الْإِسْلَامُ، وَلَعَلَّ الدَّهْرَ يَرُدُّ مِنْ حَاجَاتِنَا إِلَيْهِ^٣.

- من التَّعْلِيمِ الرَّضَوِيِّ

١ - في ثواب الاعمال (٧٩) هنا زيادة : «تحت ثوب كل واحد منهم».

٢ - الوسائل ٦ / ٢٧٨ - ٢٧٩ و ٢٨٤.

٣ - تحف العقول / ٣٠٥.

٣٠ الامام الرضا «ع»: .. ومواساتهم (الاخوان) ومساواتهم، في كل ما يجوز فيه
المساواة والمواساة ..^١

٣١ الامام الرضا «ع» - عن عبد الله بن الصّلت، عن رجلٍ من اهل بلخ، قال:
كنتُ مع الرضا «ع» في سفره الى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له، فجمعَ
عليها مواليه من السودان وغيرهم. فقلتُ: جُعِلتُ فِدَاكَ! لو عَزَلتَ لهؤلاءِ
مائدةً؟ فقال: «مه! إِنَّ الرَّبَّ - تبارك وتعالى - واحدٌ، والأُمَّ واحدةٌ، والاب
واحدٌ، والجزاء بالاعمال»^٢.

٣٢ الامام الرضا «ع» - عن محمّد بن سنان، أنّ ابا الحسن عليّ بن موسى
الرضا «ع» كَتَبَ اليه فيما كَتَبَ، من جوابِ مسائله: إِنَّ عِلَّةَ الزَّكَاةِ من
أَجْلِ قُوَّةِ الْفُقَرَاءِ، وَتَحْصِينِ أَمْوَالِ الْإِغْنِيَاءِ. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَلَّفَ أَهْلَ
الصَّحَّةِ الْقِيَامَ بِشَأْنِ أَهْلِ الزَّمَانَةِ مِنَ الْبَلْوَى .. وَالْحَثُّ لَهُمْ عَلَى الْمَسَاوَةِ،
وَتَقْوِيَةِ الْفُقَرَاءِ، وَالْمَعُونَةِ لَهُمْ عَلَى أَمْرِ الدِّينِ^٣.

* يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا التَّعْلِيمِ الْقِيَمِ أُمُورٌ:

- ١ - أَنَّ قُوَّةَ الْفُقَرَاءِ وَمَعِيشتَهُمْ فِي أَمْوَالِ الْإِغْنِيَاءِ، فَالْفُقَرَاءُ
شُرَكَائُهُمْ فِي تِلْكَ الْأَمْوَالِ - كَمَا وَرَدَ فِي أَحَادِيثَ عَدِيدَةٍ أُخْرَى -
فَمَا دَامَ الْفَقْرُ مَوْجُوداً فِي النَّاسِ، يُعَدُّ الْإِغْنِيَاءُ ظَالِمِينَ غَاصِبِينَ .
- ٢ - أَنَّ تَحْصِينَ أَمْوَالِ الْإِغْنِيَاءِ يَتَوَقَّفُ عَلَى إِدَائِهِمْ مَا فِيهَا مِنْ
الْحَقُوقِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، حَتَّى تَزَاحَ الْمَسْكَنَةُ وَالْفَقْرُ عَنْ عِرْصَاتِ
الْمَجْتَمَعِ؛ فَلَا قَدَاسَةَ لِتِلْكَ الْأَمْوَالِ إِذَا لَمْ تُؤَدَّ حَقُوقُهَا جَمِيعاً .

١ - البحار ٧٤ / ٢٢٧ .

٢ - الكافي ٨ / ٢٣٠ .

٣ - علل الشرايع / ٣٦٩ .

الفصل السابع والاربعون: مبدأ المساواة ..

٣- أَنَّ الْفَقْرَ الَّذِي يُسَدُّ بِالزَّكَاةِ، هُوَ الْفَقْرُ الطَّبِيعِيُّ، النَّاشِئُ مِنَ
الامراضِ والعاهاتِ والتّصادمِ وما الى ذلك، لا الْفَقْرَ الاجتماعيَّ
المفروض .

٤- أَنَّ ادَاءَ الزَّكَاةِ مَقْدَمَةٌ لِتَبْنِيِ مَبْدَأِ الْمَسَاوَةِ وَالْوَصُولِ اِلَيْهِ،
وَبُخُوعِ الْمَجْتَمَعِ الْاِسْلَامِيِّ بِهِ .

٥- أَنَّ امْرَ الدِّينِ وَالْقِيَامَ بِهِ وَبِاحْكَامِهِ، يَتَوَقَّفُ عَلَى الْمَعُونَةِ
المادّية، فالَّذِينَ يَمْنَعُونَ الْفُقَرَاءَ وَالْمَحْرُومِينَ مِنْ حَقُوقِهِمْ لَيْسَ
فَسَادَهُمْ مَنْحَصراً فِيمَا يُصِيبُ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْجِهَةِ الْمَادِيَّةِ
فحسب، بَلْ يَضُرُّونَ بِهِمْ مِنَ الْجِهَةِ الدِّينِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ اَيْضاً،
وَيَضُرُّونَ بِالذِّينِ وَيَضَعُضُونَ قَوَاعِدَهُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ .

٦- في العهد المهديّ

٣٣ النبي «ص»: «أبشركم بالمهديّ، يُبعثُ في أمّتي على اختلافٍ من النّاس ..
يرضى عنه ساكنُ السّماءِ وساكنُ الارضِ، يقسّمُ المالَ صحاحاً . فقال له
رجلٌ : وما صحاحاً؟ قال : «التّسوية بين النّاس» .^١

ج - معلّم وّضاح (١)

٣٤ النبي «ص» - فيما وصّف «ص» به الامامَ عليّ بن ابي طالب «ع» : أنتَ
الامامُ لأمّتي، وانتَ القائمُ بالقسطِ في رعيتي ..^٢

١- مُسند احمد بن حنبل ٣/ ٣٧: البحار ٥١/ ٨١ و٩٢: كشف الغمّة ٣/ ٢٦١ (من طبعة دارالكتاب

الاسلامي، بيروت، في ثلاث مجلّدات): منتخب الاثر / ١٤٧ .

٢ - المراجعات / ١٩٢ .

* يُسْتَنْبَطُ من ملاحظَةِ ما جاءَ في هذا الكلامِ النَّبَوِيِّ بِحَقِّ
الامامِ عليِّ بنِ ابي طالبٍ «ع»، من أَنَّهُ القائِمُ بالقسطِ في الأُمَّةِ، وما
جاءَ في احاديثِ نَبَوِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ أُخْرَى، من أَنَّهُ الأَقْسَمُ بالسَّوِيَّةِ، اصلُ
اسلاميِّ هَامٍّ. و هو أَنَّ القِيَامَ بالقسطِ له وشيخُ صلَةٍ بتبنيِّ مبدإِ
المساواةِ. والامرُ كذلكِ.

وبما أَنَّ الهدفَ الغائِيَّ للدينِ هو قيامُ الناسِ بالقسطِ - كما
صُرِّحَ به في القرآنِ الكريمِ - يَتَّضِحُ أَنَّ تَبْنِيَّ مبدإِ المساواةِ من
الاصولِ الاصلِيَّةِ للدينِ لتجسيدِ غاياتهِ المختلفةِ في المجتمعِ
والحياةِ.

د - مَعْلَمٌ وَضَّاحٌ (٢)

٣٥ النبي «ص»: يَقْسِمُ (المهديُّ) المالَ بالسَّوِيَّةِ ١.

* لقد جاءَ في احاديثِ نَبَوِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ مشهورةٍ بينَ المسلمينِ :
أَنَّ المهديَّ «ع» اذا قامَ يَمَلَأُ الارضَ قسطاً وعدلاً بعدَ ما مُلِئَتْ
ظلماً وجوراً؛ وجاءَ عن الامامِ الباقرِ «ع»: أَنَّهُ يَهْدِمُ ما كانَ قبلَه - كما
صَنَعَ رسولُ الله «ص» - وَيَسْتَأْنِفُ الاسلامَ جديداً؛^٢ وعن الامامِ
الصَّادِقِ «ع»: أَنَّهُ يَسِيرُ في الناسِ بِسيرةِ رسولِ الله «ص» وَيَعْمَلُ
فيهمَ عَمَلَه.^٣ ولقد قرأتُ نماذجَ من الاحاديثِ التي تقولُ إِنَّ
المهديَّ «ع» يُسَوِّي بينَ الناسِ، وَيَقْسِمُ المالَ صَاحِاحاً (بالسَّوِيَّةِ)،

١ - كشف الغمّة ٣ / ٢٦٤ .

٢ - البحار ٥٢ / ٣٥٢ - ٣٥٣، عن «الغيبة» للنعمانِيّ .

٣ - كشف الغمّة ٣ / ٢٥٤ .

الفصل السابع والاربعون: مبدأ المساواة..

وَيُرَكِّزُ مَبْدَأَ الْمَسَاوَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ .

وإن مقتضى الجمع بين هذه الاخبار والاحاديث وفقهها، هو أنَّ الواقع المطلوب للاسلام الاصيل هو المساواة . وهذا الاصل هو الذي يهمله المسلمون ولا يعتدُّون به فيحييه القائم المنتظر «ع» ويستأنف به الاسلام جديداً، كأن ما كان قبله باسم «الاسلام»، لم يكن من الاسلام .

هـ - الوضع المطلوب للنظام الاقتصادي في الاسلام

٣٦ الامام علي «ع»: لو اُقتبستُم العلم من معدنه .. وسلكتُم الحق من نهجه ..
أضاء لكم الاسلام، فاكلتم رَغداً، وما عال فيكم عائلٌ ..^١

٣٧ الامام الباقر «ع»: .. يُسوي (المهدي) بين الناس، حتى لا ترى محتاجاً
الى الزكاة .^٢

* الذي يُستفاد من صريح هذه التعاليم، هو أنَّ الاسلام يشاء للمجتمع الانساني أن يأكل الناس جميعاً رَغداً، وأن لا يكون فيهم عائلٌ، وأن لا يرى فيهم محتاج . وحيث نجد أنَّ التكاثر والفقر هما الداهيتان العظيمتان في تاريخ الانسان، نُشهد الاسلام يسعى لإزاحتهم عن عرصات الحياة البشرية، باقامة القسط والتوازن، ودعم مبدأ المساواة .

١ - الكافي / ٨ / ٣٢ .

٢ - البحار / ٥٢ / ٣٩ .

و - ايقاظ ديني وتربوي واجتماعي واصلاحي هام

٣٨ الامام علي «ع»: الا! وايما رجل من المهاجرين والانصار، من اصحاب رسول الله، يرى ان الفضل له على من سواه لصحبته، فان له الفضل النير غداً عند الله، وثوابه واجره على الله. وايما رجل استجاب لله وللرسول، فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده. فانتم عباد الله، والمال مال الله، يُقسَم بينكم بالسوية، لافضل فيه لاحد على احد، وللمتقين عند الله غداً احسن الجزاء وافضل الثواب. لم يجعل الله الدنيا للمتقين جراً ولا ثواباً، ما عند الله خير للابرار. واذا كان غداً - ان شاء الله - فاعذوا علينا! .. فلما كان من الغد غدا وغدا الناس، فقبض المال فقال لعبيد الله بن ابي رافع - كاتبه - : ابدأ بالمهاجرين فنادهم، واعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، ثم ثن بالانصار، فافعل معهم مثل ذلك، ثم من لم يحضر من الناس كلهم، الاحمر والاسود، فاصنع به ذلك .. (ولما كلمه جمع في تصييره الناس اسوة في العطاء وعدم رعايته السيرة السياسية التي يسير عليها الساسة والملوك والحكام في امثال هذه الموارد، قال:) .. هذا كتاب الله بين اظهرنا، وعهد رسول الله وسيرته فينا، لا يجهل ذلك الا جاهل عاند عن الحق منكراً. قال الله تعالى: «يا ايها الناس! انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، ان اكرمكم عند الله اتقاكم»، ثم صاح باعلى صوته: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول! فان توليتم فان الله لا يحب الكافرين». ثم قال: يا معشر المهاجرين والانصار! اتمنؤن على الله ورسوله باسلامكم؟ بل الله يمن عليكم ان هداكم للإيمان، ان كنتم صادقين ..

الفتات نظر

أنظروا الى هذه اللوحة الرائعة العظيمة، واللحظة العملاقة
في التاريخ الانساني، مما سنحت في الخلافة الاسلامية العلوية :

قد شرقت شمس الكوفة وأرسلت انوارها الذهبية على البلدة
بنخيلها وانهارها ودورها وسككها .. وغدا الناس وبرزوا، ذاهبين
الى بيت مالهم، واثقين مطمئنين، لا يطمع قوي في حيف، ولا يتأس
ضعيف من عدل .. وعلي بن ابي طالب - عملاق العدالة والحق
وحارس الكرامة الانسانية وحامي التمساء الوحيد - قائم .. وابن
ابي رافع يقسم المال بين الناس ويعطي كل واحد منهم ثلاثة
دنانير .. الاحمر والاسود .. الشريف والوضيع .. الحر والعبد،
العالم والجاهل، الرئيس والمرووس ..

وتشاهد هناك - في مزدحم الجماهير - ضمن صفوف الناس،
ان قد حضر اولوا السابقات والشرف والسادة والكبراء، واعاظم
رجال المسلمين، وصناديد قريش من المهاجرين الذين
اسلموا .. وكذلك شجعان المسلمين وامراء جوشهم المشاهير،
وعلمائهم وفضلاؤهم .. ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، حيث
تبصر الناس جنبا الى جنب حتى غلام سهل بن حنيف
الانصاري .. كل يأتي ويأخذ سهمه المساوي للآخرين : ثلاثة
دنانير، وترى الناس كاسنان المشط، وفضائلهم بينهم وبين الله ..
لا مزية هناك ولا فرق، ولا اثر ولا محابة، لا يكرم الشريف لشرفه،
ولا يهان الوضيع لخموله .. بل الكل ينتظر اليهم بعين واحدة، نظرة

١ - على حد تعبير الامام الصادق «ع»، كما مر في الحديث ٢٤، من الفصل.

تَخْلُقُ لِلنَّاسِيَّةِ قِيَمًا لَا يَأْتِي عَلَيْهَا مَرُّ الْحَبِّ وَالْأَعْوَامِ ..
 وشمس الكوفة تشرق على هذه القطعة من الارض، التي
 تتقدّس فيها العدالة .. وتمتزج اشعتها بأشعة شمس العدالة
 الكلية، فتبقى مشرقة خالدة الى ان يرث الله الارض وما عليها ..
 .. فما أجله من يوم، وما أعظمه من صباح ..؟ فلماذا لا يُعيد
 التاريخ أياماً مثله، اليس يقولون ان التاريخ يُعيد نفسه، فلماذا
 لا يُعيد، لماذا؟..

ويستفاد من هذه التربية العلوية البناءة امورٌ نشير الى نبذة

منها:

١- لا يجوز لمن آزر المبدأ الحق وقواه، ان يطلب على ذلك
 اجوراً مادّية. فهناك في الناس اشخاص يتوقفون لأن يؤازروا
 دعوةً سالحة، او ثورةً ناجحة، باموالهم واوقاتهم وامكانياتهم،
 ولكن ليس لهم عند النجاح ودخول الناس فيها ان يتطلّبوا ذلك
 مزايا مادّية، مُعلنة او غير مُعلنة، لانه نقض لأهداف الدعوة وغايات
 الثورة (من اقامة العدل وبسط القسط)، واستغلال القيم على
 حساب الجماهير.

٢- ان المؤازرة المذكورة، لا تستتبع اجراً مادّياً، ولا تُوجب
 اثره ورفقاً، وان كانت في صحبة الرسول «ص» وخدمته، فضلاً
 عن غيرها.

٣- ان اجر الاعمال بيد الله تعالى، وما عنده خير للابرار،
 وللمجاهدين الصامدين الصادقين الفضل النير غداً عند الله، ولم
 يجعل الله الدنيا للمتقين اجراً ولا ثواباً.

٤- ان مؤازري الحق والدين، لا يطلبون الاجور المادّية، ان
 كانت مؤازرتهم وقعت عن تقوى وصدق.

٥- لا يَجُوزُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْحَقِّ وَيَتَّبِعُهُ وَيَسْعَى لَهُ، أَنْ يَمُنَّ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى أَهْلِ الْحَقِّ وَتَابِعِيهِ وَالْعَامِلِينَ بِهِ، بَلْ لِلَّهِ الْمِنَّةُ عَلَيْهِ، حَيْثُ فَهَمُّهُ الْحَقُّ وَيَسَّرَ لَهُ الْإِهْتِدَاءَ إِلَيْهِ وَالْإِيمَانَ بِهِ، وَالْعَمَلَ لِمُؤَازِرِهِ .
٦- أَنْ رِعَايَةَ الْمَسَاوَاةِ وَتَبْنِيَّهَا الْحَاسِمِ، وَالصُّمُودَ لِتَطْبِيقِهَا أَمْرٌ قُرْآنِيٌّ يَدْعُو إِلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ وَسِيرَتُهُ .

ز- الفقه القديم يؤكد على تبني «مبدأ المساواة»

من المُشَجَّعِ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى تَبْنِيِّ مَبْدَأِ الْمَسَاوَاةِ وَتَجْسِيدِهِ فِي النَّاسِ، مَا نُشَاهِدُهُ فِي كَلَامِ فَهْمَانَا الْقُدَامِيِّ مِنَ التَّنْصِيصِ عَلَيْهِ، إِضَافَةً إِلَى الْكَثِيرِ الْوَارِدِ فِي التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ . قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ الْبَرَّاجِ الطَّرَابِلَسِيُّ :

«وَيَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقِسْمَةِ، وَلَا يُفْضِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، لِشَرَفٍ فِيهِ، أَوْ زَهْدٍ، أَوْ عِلْمٍ، عَلَى مَنْ هُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ»^٢.

وَنَجِدُ الْفَقْهَ الْقَدِيمَ، أَقْرَبَ إِلَى رُوحِ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، وَأَشَدَّ وَشَجَاءً بِالَّذِي عَلَّمَهُ الْأَيْمَةُ الطَّاهِرُونَ «ع» فَكَانَ أَدْعَى إِلَى النَّزْعَاتِ الشَّعْبِيَّةِ وَأَقْوَى عَلَى تَلْبِيَةِ الْجَمَاهِيرِ فِي مُتَطَلِّبَاتِهَا . وَذَلِكَ لِأَمُورٍ : مِنْهَا : قُرْبُ عَهْدِهِمْ بِعَصْرِ الْمَعْصُومِينَ «ع» وَإِنْصَهَارُهُمْ بِتِلْكَ الْأَجْوَاءِ .

وَمِنْهَا : مَعْنَوِيَّاتُهُمْ الْغَالِبَةُ مِنَ الزَّهْدِ وَالتَّوَرُّعِ وَالِاتِّزَامِ .
وَمِنْهَا : بَسَاطَةُ الْمُنْظَمَاتِ وَالْمَوْسَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ وَحَيَاتِهَا، وَقَلَّةُ

١- لاهمية هذه الامور المذكورة قد اشرنا اليها في الكلام على الحديث ١٨، من هذا الفصل ايضاً .

٢- المهذب ١ / ١٨٦ .

النّفقاتِ اللّازمة لها، فكانوا لا يحتاجون لأن يركنوا إلى الذين ظلّموا
النّاس من الأغنياء والمتكاثرين، فيبتعدوا عن الجماهير وحاجاتها
وآلامها ..

ح - الثورات الدّامية تتبنّى «مبدأ المساواة».

ولما يتّممّ «مبدأ المساواة» به، من أصالة إسلاميّة، تُشاهد أنّ
التّغييرين من الثّوار المسلمين يُنوّهون به، في طليعة ثوراتهم التي
تزخر بمياه الحياة القرآنيّة، وتنتقل عن بذل الدّم الطّاهر
لاستخلاص النّاس من الظلم والعدوان وتحصينهم ضدّ الحاجة
والفقر، في تضحيات كبيرة تُشكّل سلسلة مآسي الطّيبين، وتصبغ
الفجرين لأن يبقى صُراخاً خالداً على صفحات الدّهر، في سبيل
تلکم المبادئ السّامية .

قالوا: «لما كانت بيعة الحسين بن عليّ، صاحب فخّ^١، قال:

”أبايُعمكم على:

[أ] - كتاب الله ،

[ب] - وسنة رسول الله ،

[ج] - وعلى أن يطاع الله ولا يعصى ،

[د] - وأدعوكم الى الرضا من آل محمّد ،

[هـ] - وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه «ص» ،

[و] - والعدل في الرعيّة ،

١ - فتح، بالفتح فالتشديد، بئر قرب مكة المكرمة يُسمّى الموضع بها؛ قاتل جمع من الرّبيّين - من الثّوار
العلويّين - الجبابرة العبّاسيّين هناك، وأسْتَشْهَدُوا في سبيل مبادئهم القرآنيّة . وكانت الواقعة في
سنة ١٦٩، من الهجرة القادسة . والمكان يُسمّى اليوم: «الشّهداء» .

[ز] والقَسْمِ بالسُّوِيَّةِ ،

[ح] - وعلى أَن تُقِيمُوا معنا وتُجَاهِدُوا عدونا ،

[ط] - فإن نحن وَفِينَا لَكُمْ وَفَيْتُمْ لنا ،

[ي] - وإن نحن لم نَفِ لَكُمْ فلا بِيَعَةَ لنا عَلَيْكُمْ“..^١

ومن أهم ما جاء في هذا الخطاب، الفِقرتان الأخيرتان، حيث تُقَيِّدان طاعة الناسِ للنَّائِرِ القرآنيِّ بوفائه بجميع ما وَعَدَ به النَّاسُ وإلا فلا.

والحسينُ بنُ عليِّ الحسنِيِّ هذا، من أعظمِ المؤمنين المجاهدين ضدَّ الطَّاغوتِيَّةِ والظُّلمِ. ولقد أثنى عليه النَّبِيُّ «ص» قبل أوانِهِ بأكثرَ من ستين ومئة عام؛ ولقد نَوَّهَ بذكره الامامُ الصَّادق «ع» وصلى في مشهده قبلَ شهادته؛ وقال عنه الامامُ موسى بنُ جعفرِ الكاظم «ع» بعدَ مقتله: «.. مضى واللَّهِ مسلماً صالحاً، صَوَاماً قَوَاماً، أمراً بالمعروفِ ناهياً عن المنكر..»^٢.

وروى ابو الفرجِ الاصفهانيُّ باسناده، بصدِّ سخائه ورعايته المحتاجين، أنَّه قالَ عليُّ بنُ الحسينِ الحضرميِّ: «سمعتُ الحسنَ بنَ هذيل يقول: ”بِعْتُ لحسينِ بنِ عليِّ صاحبِ فِخٍّ، حائطاً بأربعين ألفَ دينارٍ، فنَثَرَهَا على بابِهِ، فما دَخَلَ على أهلِ بيته منها حَبَّةٌ؛ كان يُعطيني كَفًّا كَفًّا فأذْهَبُ به الى فقراءِ اهلِ المدينة“».

ط - مثال أعلى

١ - مقاتل الطالبيين / ٢٩٩، الطبعة الثانية، النجف الأشرف (١٣٨٥ هـ. ق).

٢ - مقاتل الطالبيين / ٣٠٢؛ راجع ايضاً: «الكافي» ١ / ٣٦٦؛ «البحار» ٤٨ / ١٦٠: «سفينة

البحار» ١ - ٢٧٥: «بطل فِخٍّ»، للشيخ محمد هادي الأمين النجفي.

٣٩ الامام عليّ «ع»: .. يا بنت عليّ بن أبي طالب! لا تذهبن بنفسك عن الحقّ،
أكل نساء المهاجرين تتزيّن في هذا العيد بمثل هذا؟^١

* هذا كلام قاله الإمام لإحدى بناته، لما أخذت عقده لؤلؤ من بيت المال، عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام - في أيام الأضحى -
فراه عليها فرفعه ..

وما أعظمه من صمود في الحق والعدل، وما أرقاه من اتجاه في
جعل الناس أسوة! حيث لا يرضى بأن يرى على إبنته ما لا يرى على
غيرها، من سائر البنات والنساء .
فيا تاريخ! أليس لك أن تُعيد مثل تلك الأيام؟..

ي - أصلان تربويان عظيمان

الأصل الأول: المساواة في التعليم

٤٠ الامام الصادق «ع» - عن حسان المعلم قال: سألت ابا عبد الله «ع» عن
التعليم؟ فقال: «لا تأخذ على التعليم أجراً»^٢ قلت: فالشعر والرّسائل وما
أشبه ذلك أشارط عليه؟ قال: «نعم، بعد أن يكون الصّبيان عندك سواءً في
التعليم، لا تفضل بعضهم على بعض»^٣.

١ - المناقب ٢ / ١٠٨ .

٢ - يُقصد بهذا النهي، اخذ الأجرة على تعليم ما هو الواجب .

٣ - الوسائل ١٢ / ١١٢ .

الفصل السابع والأربعون : مبدأ المساواة ..

* يُرشدنا المعلمُ الالهيُّ، في هذا التعليم، الى امرٍ تربويٍّ عظيم، تبتني عليه سعادةُ المجتمعاتِ وصيانةُ قدرِ الانسانِ وكرامته . وهذا الامرُ يرجعُ الى تربيةِ الناشئةِ من اولِ مراحلِ التربيةِ والتعليم . وذلك لِانَّ الفواصلَ المالىةَ والفروقَ المعيشيةَ والمظاهرَ الترفيةَ، تتجلىُ للانسانِ اولَ ما تتجلىُ في المدارسِ الابتدائيةِ، من جهةِ تفاوتِ الاطفالِ في اللباسِ والغذاءِ وادواتِ المكتبِ والرِّفاهِ المعيشيِّ وما الى ذلك . فمن هنا يضعُ المعلمُ الالهيُّ الاصبغَ على هذا المقطعِ الحساسِ بماله من دورِ بناءٍ، فيشترطُ على حسانِ المعلمِ لجوازِ شُغله، ان يكونَ الصِّبيانُ عنده سواءً في التعليم، من غيرِ ان يُفضلَ بعضهم على بعضٍ، لايةِ جهةٍ كانت، وان يحطمَ كلُّ ما هنالك من فرقِ ماليٍّ وترقيٍّ في حياتهم و حياةِ عائلاتهم، وما يُبدونه من تغطُّسٍ او تفاخرٍ او تسامٍ، حتى يتغلغلَ اصلُ المساواةِ والنظرِ الى الاناسي بعينٍ واحدةٍ في نفوسِ الناشئةِ بادئِ بدءٍ، وحتى تجفَّ جذورُ النظرةِ الفارقةِ - غيرِ الانسانيةِ وغيرِ الاسلاميةِ - من ارضِ نفوسهم وافكارهم، ويصبحَ ذلك مقياساً رئيسياً لحياتهم الاجتماعيةِ وسلوكهم الاسلاميِّ في المستقبل .

ويجبُ ان يتخذَ هذا التعليمُ دستوراً حاسماً في كلِّ مراكزِ التربيةِ والتعليم، ولدى المدرسينِ والاساتذة، وان يجعله المبرمجون ركناً للمنهاجِ التربويِّ .

وعلى هذا الاساس، يجبُ ان لا يكونَ في المجتمعِ الاسلاميِّ مدارسٌ ممتازة، يردها صبيانٌ وناشئةٌ ولا يردها غيرهم .. الا ما اذا كان من جهةِ الاستعدادِ والطاقةِ الزائدةِ في التعلمِ والتدربِ ..

الأصل الثاني: المساكين ولزوم تعليمهم وتثقيفهم

٤١ الامام الصادق «ع»: .. من العلماء مَنْ يَرَى ان يَصْعَ العِلْمَ عِنْدَ ذَوِي الثَّرْوَةِ
والشَّرَفِ، وَلَا يَرَى لَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَضْعًا؛ فذَاكَ فِي الدَّرَكِ الثَّلَاثِ مِنَ
النَّارِ.

* يُرِيدُنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى أَنَّ تَعْلِيمَ الْمَسَاكِينِ وَتَثْقِيفَهُمْ
أَمْرٌ لَازِمٌ. وَهَذَا التَّعْلِيمُ وَأَمثَالُهُ نَاطِرٌ إِلَى الْوَضْعِ الْقَائِمِ لِاَلْمَطْلُوبِ -
كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ أَيْضًا - وَهَذَا مِنْ عِظَائِمِ انْسَانِيَّاتِ الْإِسْلَامِ وَارشاداتِهِ
الْبِنَاءِ وَالْمُنْقِذَةِ، حَيْثُ إِنَّ الْمَسَاكِينِ إِذَا عُلِّمُوا وَتَقَفُوا يَهْتَدُونَ الطَّرِيقَ
إِلَى إِحْقَاقِ حَقُوقِهِمْ وَاعَادَةِ كِرَامَتِهِمْ وَالْحَاقِقِ نَفُوسِهِمْ وَذَوِيهِمْ
بِمَسْتَوَى الْآخِرِينَ؛ إِذِ التَّثْقِيفُ يُمْكِّنُهُمْ مِنَ الْحُضُورِ النَّشِيطِ
والتَّعْضِيّ الفَعَّالِ فِي المَجْتَمَعَاتِ وَالْأَحْزَابِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ. وَكُلُّ
ذَلِكَ مِنْ حَقُوقِهِمْ.

نظرة الى الفصل

مبدأ المساواة في الاسلام : اذا لا حَظْنَا واقع المساواة في تقسيم الاموال عند النبي «ص»، وعند امير المؤمنين «ع»، وعند الامام المهدي القائم «ع» (الذي بشر به النبي الاعظم «ص») وقال: «إِنَّهُ سَيُخْرِجُ فَيَمْلَأُ الارضَ قِسْطًا وَعَدْلًا بعدما مِلْتُمْ ظُلْمًا وَجورًا»، وهو الذي يُؤَسِّسُ الحُكْمَ القرآنيّ الفعليّ، ونظرنا فيما جاء في تعاليم الانتمة الطاهرين «ع» بهذا الصدد بيانات مؤكدة، نعلم بوضوح، أن مبدأ التسوية في القضايا المالية مبدأ جوهري في الدين وتعاليمه . وبما أن الدين الحق السماوي، إنما يدعو الى دعم نظام شامل وحكم رصين، اذا لا يصح أن نقول إن هذا النظام يسوي في الاموال العامة الى حد يكسر رغيفاً واحداً سبع كسرات، ولا يعمد في سائر الاموال والامتلاكات - التي تدور عليها رحي حياة الناس - الى اي تجاوز مع هذا المبدأ، ولا يرى أي حد كمي للملكية وأي ميزان للفروق المالية والمعيشية بين الناس . إن هذا الزعم لا يمكن أن يصار اليه، لأنه يؤدي، بدأة ذي بدء، الى :

١ - خور النظام الديني في تعاليمه وعدم انسجامه وتشابكه .

٢ - تقوض اركان المجتمع وتوتر الصلات الانسانية فيه .

اجل، إن الدين إنما يعمل بالتسوية ويسوي بين الناس ويحملهم سواءً، ويدعو الى المبدأ الالهي والانساني القويم، لأن يقوم القسط في الناس ويقوم الناس به . وهل قيام القسط ينحصر بقسم محدود من الاموال وبحفنة محدودة ممن يمت الى الحكم والى بيت ماله، ولا يعدوها الى سائر الموارد ولو بصورة أخف؟ وإن الناس في المجتمع أحرار لأن

يَمْتَلِكُوا مَا يَشَاءُونَ، وبمقدار ما يَشَاءُونَ، وان تَهَاوَوْا فِي دَرَكَاتِ الْاِقْتِصَادِ
التَّكَاثُرِيُّ الحُرُّوجِهِمِ الْاِسْتِهْلَاكِ التَّرْفِيِّ وَالْاِسْرَافِ، وَاحْتَرَقُوا فِي نِيرَانِ
الْاَثَرَةِ؟ لا، هذا امرٌ لَا يَصِيرُ اليه ائِي مذهبٍ اِقْتِصَادِيٍّ وَاِجْتِمَاعِيٍّ مُلْتَزِمٍ - ولو
كان التزائم ضئيلاً - فضلاً عن الاسلام، لَانَ ذلك يُورث انهباءَ الدِّينِ،
وخذلانَ الحكم، وتهافتَ التعاليم، وفشَلَ الغايات، وهَدَمَ اركانَ المَدِينَةِ
والاجتماع، وتخلَّفَ الجماهير، وسقوطَ البلاد، وفناءَ الاسلامِ والمسلمين
- كما مرَّ عن الامامِ الصَّادِقِ «ع»^١.

الأصول الرئيسية التي تدعو الى «المساواة»

وإنَّ للمساواةِ في التَّصَوُّرِ الْاِسْلَامِيِّ جذوراً راسخةً وقواعدَ اِساسِيَّةً
واصولاً بِنائِيَّةً، يَنْبَغِي أَنْ نَلْفِتَ اليها الْاِنْظَارَ:

- ١ - اصلُ التَّوْحِيدِ .
- ٢ - اصلُ تساويِ النَّاسِ في الْخَلْقِ، مِنْ اِبِّ وَاُمِّ وَاَحْدَيْنِ .
- ٣ - اصلُ كَرَامَةِ الْاِنْسَانِ .
- ٤ - اصلُ الْاُخُوَّةِ الْاِيْمَانِيَّةِ .
- ٥ - اصلُ مَحْدُوْدِيَّةِ الْاِنْسَانِ التَّكْوِينِيَّةِ في اسْتِغْلَالِ الْمَوَاهِبِ .
- ٦ - اصلُ رَفْضِ التَّكَاثُرِ (الْاِقْتِصَادِ الْحُرِّ) .
- ٧ - اصلُ الْبُنُوَّةِ الْاِسْلَامِيَّةِ^٢ .
- ٨ - اصلُ شَجْبِ الْاَثَرَةِ وَالْمُحَابَاةِ .
- ٩ - اصلُ تَعْمِيْمِ الْمَوَاهِبِ الْمَعِيْشِيَّةِ .
- ١٠ - اصلُ قَوَامِيَّةِ الْمَالِ وَتَسَاوِيْهَا لِلْكَلِّ .

١ - راجع الفصل ٢، من هذا الباب .

٢ - هذا الاصلُ مُتَّخَذٌ مِنْ كَلَامِ الْاِمَامِ الصَّادِقِ «ع»: «اهلُ الْاِسْلَامِ هُم اِبْنَاءُ الْاِسْلَامِ .. اَحْمِلُهُمْ

كِنْيِ رَجُلٍ وَاَحَدٍ» - لَاحِظْ تَمَامَ الْحَدِيثِ بِرَفْعِ ٢٤ .

- ١١ - اصلُ محدودية الامتلاك .
 - ١٢ - اصلُ محدودية الاستهلاك .
 - ١٣ - اصلُ الانفاق .
 - ١٤ - اصلُ الاقتصادِ في المعيشة .
 - ١٥ - اصلُ العدلِ (التوازنِ الاقتصاديِّ للجماهير)
 - ١٦ - اصلُ الاحسانِ (الانسجامِ المعيشيِّ).
 - ١٧ - اصلُ اسنادِ الفضلِ والميزةِ الى التقوى .
 - ١٨ - اصلُ رابطةِ العدلِ والتسوية .
 - ١٩ - اصلُ رفضِ الاسرافِ والتبذيرِ والتقتير .
 - ٢٠ - اصلُ كِفاحِ الفقرِ واستئصاله .
 - ٢١ - اصلُ شجبِ الاستضعافِ والاستكبارِ .
 - ٢٢ - اصلُ تمويلِ الفقيرِ لِانْ يُلْحَقَ عِياله بالناسِ .
- واليك ايضا حاكماً مقتضياً لكلِّ من هذه الاصول :

١ - اصلُ التوحيدِ: انَّ قائمةَ الدينِ وقاعدةَ تعاليمه واحكامه هي التوحيد، والايمانُ باللهِ واحدٍ احدٍ، خَلَقَ الخلاقَ وبراَ النفوسِ، فهو اِلهُ الكلِّ وخالقُ الكلِّ ورازقُ الكلِّ، ومُقَدِّرُ الارزاقِ والمعاشِ للكلِّ، والكلُّ عبيده والمرتزقون من موائدِ نعمه وفضله . وهو يُحِبُّ الكلَّ محبةَ المؤثِّرِ للآثِرِ والخالقِ للمخلوقين والرَّبِّ للمربوبين .

وانَّ هذا المُعتَقَدَ والايمانَ، لا يَكْتَمِلُ الاَّ بانْ يَسِرِّي في صِلاتِ الانسانِ الاجتماعيةِ ومُلْتَقَى كُلِّ انسانٍ مع السَّائرينِ في عرصةِ هذه الحياة . وانَّ من اهمِّ مظاهرِ المُعتَقَدِ التَّوْحِيدِيِّ ومجالاتِه العمليَّةِ في المجتمعِ الاسلاميِّ، هو تساوي الناسِ في المستوياتِ المعيشيَّةِ، خضوعاً لله واعترافاً بكبريائه؛ وطلباً لمرضاته، وعدمَ تفريقٍ بين خلقه شجباً للاستكبار،

وعملًا بكتابه - كما مرَّ عن الامام عليّ «ع». ومن هنا قال الامام الصادق «ع»: «كان رسولُ الله «ص» يقسمُ لحظاته بين اصحابه، فيَنظُرُ الى ذاوَيَنظُرُ الى ذا بالسوية»^١. وقال اميرُ المؤمنين «ع»: «... وأن تكونوا عندي في الحقِّ سَوَاءً»^٢، و«علموا أنَّ الناسَ عندنا في الحقِّ أُسْوَةٌ»^٣. ولقد قال رجلٌ للامامِ الصادقِ «ع» في كلامٍ جرى بينهما وقد سأله عن مسائل: «... فَتَقُولُ إِنَّ وُلْدَ آدَمَ كُلَّهُمْ سَوَاءٌ فِي الْاَصْلِ، لَا يَتَفَاوَضُونَ الْاِلاَّ بِالتَّقْوَى؟»، قال: «نَعَمْ، إِنِّي وَجَدْتُ اَصْلَ الْخَلْقِ التُّرَابَ، وَالْاَبَ آدَمَ، وَالْاُمَّ حَوَاءَ، خَلَقَهُمُ اَللَّهُ وَاحِدًا، وَهَمَّ عَيْبُهُ...»^٤ وقال الامام ابوالحسن الرضا «ع»، في جوابٍ من يُشيرُ عليه بأنَّ يَعْتَرِلَ مائدةَ السُّودانِ من جمعه: «مَهْ! إِنَّ الرَّبَّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَاحِدٌ، وَالْاُمَّ وَاحِدَةٌ، وَالْاَبُ وَاحِدٌ...»^٥. فنشاهدُ من هذين التعلّمين - وهما متعاضدان بتعاليم واحديتَ اخرى وبالآياتِ القرآنيّة - أنَّ الامامين، الصادق «ع» والرّضا «ع»، يَجْعَلان وحدةَ الخالق - جَلَّ اسْمُهُ - وتساويَ المخلوقين في الاصلِ والابِ والامِّ، مستندًا لتساوي الناسِ، ولتركيزِ مبدأِ المساواةِ الاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ.

ولقد عمَدَ الى بيانِ هذا الاصلِ وكَشَفَ عنه، احدُ النابهيْنِ المُتَفَتِّحِيْنَ مِنَ الْفُقَهَاءِ، حَيْثُ قَالَ:

«... فَالتَّوْحِيدُ هُوَ جَوْهَرُ الْعَقِيدَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ، وَبِالتَّوْحِيدِ يُحَرَّرُ الْاِسْلَامُ الْاِنْسَانَ مِنْ عِبُودِيَّةٍ غَيْرِ اِلَهِ (لَا اِلَهَ اِلَّا اللهُ)، وَيَرْفُضُ كُلَّ اَشْكَالِ الْاُلُوْهِيَّةِ الْمُزَيَّفَةِ عَلَيَّ مَرَّ التَّارِيخِ. وَهَذَا هُوَ تَحْرِيْرُ الْاِنْسَانِ مِنْ دَاخِلٍ، ثُمَّ يَقْرَرُ

١ - الوسائل ٨ / ٤٩٩.

٢ - نهج البلاغة / ٩٨٢: عبده ٣ / ٨٩.

٣ - نهج البلاغة ١٠٧٢: عبده ٣ / ١٤٥.

٤ - الاحتجاج ٢ / ٨٣.

٥ - الكافي ٨ / ٢٣٠.

كنتيجة طبيعية لذلك تحرير الثروة والكون من أي مالك سوى الله تعالى .^١
وهذا هو تحرير الانسان من خارج .

«وقد ربطَ الامامُ اميرُ المؤمنين «ع» بينَ الحقيقتين حين قال: "العبادُ عبادُ الله، والمالُ مالُ الله"^٢. وبذلك حطَمَ الاسلامُ كلَّ القيودِ المُصطنعةِ والحواجزِ التاريخيةِ التي كانتْ تُعوقُ تقدُّمَ الانسانِ وكَدْحَهُ الى رَبِّهِ وسيرَهُ الحثيثِ نحوه، سواءَ تَمَثَّلَتْ هذه القيودُ والحواجزُ على مستوى آلِهَةٍ ومَخاوِفٍ واساطيرٍ وتحجيمٍ للانسانيةِ بينَ يَدَيِ قُوَى اُسْطورية، او تَمَثَّلَتْ على مستوى ملكياتٍ تُكْرَسُ السيادةُ على الارضِ لطاغوتٍ، فرداً كان او فئَةً او طبقة، على حسابِ الناسِ، وتحوُّلٍ دونَ نُموِّهم الطبيعيِّ، وتفرضُ عليهم بالتالي علاقاتِ التبعيةِ والاستعبادِ .

«ومن هنا، كانَ الاسلامُ - الذي كَافَحَ من اجله الانبياءُ - ثورةً اجتماعيةً على الظلمِ والطُّغيانِ، وعلى ألوانِ الاستغلالِ والاستعبادِ. ومن هنا ايضاً، كانَ الانبياءُ - وهم يَحْمِلُونَ هذا المشعلَ - يَسْتَقْطِبُونَ دائماً المُعذِّبينَ في الارضِ والجماهيرِ البائسةِ التي مَرَّقَتْها اساطيرُ الآلهةِ المزيَّفةِ روحياً، وشَتَّتَتْها الجاهليةُ فكرياً، ووقَّعتْ فريسةً اشكالٍ مختلفةً من الاستغلالِ والظلمِ الاجتماعيِّ»^٣.

٢ - اصلُ تساويِ الناسِ في الخلقِ : هذا الاصلُ ايضاً اصلُ اساسيُّ وبديهيِّ، يقولُ القرآنُ الكريمُ : «يا أَيُّها الناسُ انا خلقناكم من ذَكَرٍ وانثى وجَعَلناكم شُعوباً وقبائلَ لِتَعَارَفُوا. اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتقاكم، اِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^٤. وهذا دعاءٌ الى رفضِ الفروقِ والامتيازاتِ، فاللهُ الخالقُ

١ - راجع : الفصل ١، من هذا الباب، والفصل ١، من الباب ١٢ .

٢ - لاحظ : الحديث ٣٨، من الفصل .

٣ - الاسلامُ يقودُ الحياةَ / ٢٦ - ٢٧ .

٤ - سورة الحُجرات (٤٩) : ١٣ .

المتعلُّ إنَّما فَرَّقَ بين النَّاسِ في انسابِهِم وبُلدانِهِم لِيَتَعَارَفُوا، لا لِيَتَفَاخَرُوا وَيَجْنَحُوا إلى الاستكبار والاستعلاء، فلا فرق ولا امتياز..^١
ويقول النَّبِيُّ «ص»: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ من آدم، و آدم من تُراب»^٢.
ولقد أوردنا كلامَ الامامِ الصَّادِقِ «ع» وكلامَ الإمامِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ موسى الرِّضا «ع» بهذا الصِّدِّد، في الاصلِ السَّابِقِ فلاحظُهما بامعان.

٣- أصلُ كرامةِ الانسان: الانسانُ في «التَّصَوُّرِ الاسلاميِّ» هو خليفةُ اللهِ في الارض، وَأَنَّ اللهُ تعالى أَعْطاه الكَرَامَةَ وَكَرَّمَهُ (ولقد كَرَّمنا بني آدم)^٣. ومن المعلوم، أَنَّ هذه الكَرَامَةَ لا تُخَصُّ احداً دونَ احد، بل أَنَّها تَعَمُّ جميعَ ابناءِ الوالدين: آدمَ وَحَوَّاءَ. ومقتضى ذلك أَنَّ يَكُونَ النَّاسُ كُلُّهُمُ متساوين في الاستمتاعِ بالمواهبِ التي خَلَقَها اللهُ لهذا الموجودِ المُكْرَمِ عِنْدَهُ وَخَوَّلَهُ أَيَّاهَا (كما وَرَدَ في الحديثِ المفضَّلِ عن الصَّادِقِ «ع»)^٤، فَإِنَّ منشأَ ذلك التَّكْرِيمِ هو انسانيَّةُ الانسانِ وَكونُهُ ابنَ آدمَ «ع». وهذا في الكلِّ موجودٌ على السَّواءِ. وهذه الحالةُ هي التي سَيَتَجَسَّدُ نموذجُها العالِي والمستوعِبُ في عصرِ الحِكمِ القرآنيِّ النُّعَلِيِّ. لَأَنَّ في ذلك العصرِ يُشجَبُ الاستضعافُ بصورةٍ فعليَّةٍ مستوعبة، وَيُصْبِحُ المستضعفونَ أئمةً وَحُكَّاماً واقِعاً. ومن الواضح، أَنَّ الاستكبارَ والاستضعافَ الاقتصاديَّينِ من اهمِّ اسبابِ نفيِ كرامةِ الانسانِ وسلبِها، فمادامَا سائدينِ على المجتمعِ فلا كرامةَ للانسانِ مصنونةً.

١- كما جاء الاستدالُّ بالآيةِ على ذلك، في كلامِ اميرِ المؤمنينِ «ع»، فلاحظ: الحديثَ ٣٨، من الفصل.

٢- البحار ٢١ / ١٣٨؛ الكافي ٨ / ٢٤٦.

٣- سورة الاسراء (١٧): ٧٠.

٤- البحار ٣ / ٦١.

نظرة الى الفصل السابع والاربعين ..

٤ - اصل الأُخُوَّةِ الايمانيَّة: إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»، فَيُؤَسِّسُ بِهِذِهِ الدَّعْوَةَ وَالتَّعْلِيمَ اصْلاً اِسْأَسِيّاً لِصِلَاتِ الْاِنْسَانِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ، وَلِلْحَضِّ عَلَى التَّرَاحُمِ وَالتَّبَارُّرِ. وَلَقَدْ أَكَّدَتِ التَّعَالِيمُ عَلَى تَعْزِيزِ هَذِهِ الْأُخُوَّةِ، وَدَعَتِ الْمُعْتَقِدِينَ إِلَى الْعَمَلِ بِالْمَوْأَسَاةِ وَالمساواةِ وَالايتار. وَلَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَنْ هَذَا الْاَصْلِ وَمَقْتَضَاهُ فِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ.

٥- اصلُ مَحْدُودِيَّةِ الْاِنْسَانِ التَّكْوِينِيَّةِ فِي اسْتِغْلَالِ الْمَوَاهِبِ: إِنَّ الْاِنْسَانَ مَحْدُودٌ، بِمَقْتَضَى فِطْرَتِهِ وَطَبِيعَتِهِ، بِحُدُودٍ. وَلَقَدْ فَصَّلْنَا الْكَلَامَ عَنْهَا سَابِقاً. وَكَذَلِكَ الْمَوَاهِبُ الطَّبِيعِيَّةُ مَحْدُودَةٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى كُلِّ اِحْدٍ، لِأَنَّهَا وُضِعَتْ لِلْكَلِّ. فَمَقْتَضَى هَاتَيْنِ الْمَحْدُودِيَّتَيْنِ أَنْ يُرَاعِيَ كُلُّ اِنْسَانٍ جَانِبَ الْاِعْتِدَالِ وَالْقَصْدِ، فِي الْاِسْتِفَادَةِ مِنَ الْمَوَاهِبِ. وَهَذَا جُنُوحٌ إِلَى مَبْدِئِ الْمَسَاوَاةِ، بَلْ سَوَقٌ إِلَيْهِ وَتَعْيِيدٌ لَطُرُقِهَا الْعَمَلِيَّةِ، إِذَا الْفِطْرَةُ فِي الْكُلِّ وَاحِدَةٌ، وَلِهَا اِقْتِضَاءٌ وَاحِدٌ. وَحَدُّ الْقَصْدِ لَا يَتَفَاوَتُ فِي هَذَا الْاِنْسَانِ وَذَلِكَ بِكَثِيرٍ.

٦- اصلُ رِفْضِ التَّكَاثُرِ (الاقْتِصَادِ الْحَرِّ): إِنَّ الْفَرْقَ الْمَعِيشِيَّ إِنَّمَا يَنْشَأُ مِنْ تَكْدُسِ الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ عِنْدَ حَفْنَةٍ. وَهَذَا مَا يَرْفُضُهُ الْاِسْلَامُ بِنَصِّ «سُورَةِ التَّكَاثُرِ» وَ «آيَةِ الْحَدِيدِ» الْحَاسِمِينَ. وَإِذَا رُفِضَ التَّكَاثُرُ، وَحُمِلَ النَّاسُ عَلَى حَفْظِ الْحَدِّ الْاِسْلَامِيِّ فِي الْاِمْتِلَاكِ، يُسَاقُ الْمَجْتَمَعُ بِصُورَةٍ طَبِيعِيَّةٍ وَمَوْضُوعِيَّةٍ إِلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الْحُدُودِ الْاِسْلَامِيَّةِ وَالْاِنْسَانِيَّةِ وَتَبْنِيَّهَا.

٧ - اصلُ الصَّلَاةِ الْاِسْلَامِيَّةِ: إِنَّ صَلَاةَ الْاِسْلَامِ بِالنَّاسِ، صَلَاةُ الْاَبِّ وَالْاَبْنَاءِ. وَهَلْ تَقْتَضِي هَذِهِ الصَّلَاةُ الْاِسْلَامِيَّةَ وَالتَّأَكِيدَ الْفِعْلِيَّ عَلَى تَرْكِيزِهَا

وارسائِ قواعدها الاقتصادية والمعيشية في الجماهير؟ يقول المعلم المعصوم، الامام جعفر الصادق «ع»: «اهل الاسلام هم ابناء الاسلام، اُسوي بينهم في العطاء . وفضائلهم بينهم وبين الله، اجعلهم كبنِي رجلٍ واحد..»^١. وهذه البُنية لا تخصُّ بعضاً دون بعضٍ .

٨- اصل شجِبِ الأثرة والمُحابة: إن هدفَ الدينِ الالهيّ أن يُنقذَ الانسانَ من التهلكة؛ وإنَّ الأثرة من اسبابِ التهلكة كما يعلمنا الامامُ عليّ «ع»: «من يستأثر من الاموالِ يهلك»^٢. فالاسلامُ يعارضُ الأثرةَ ويرفضُها. وهذا طريقٌ من طُرُقِ الوصولِ الى اُمدادِ المساواةِ وسوقِ المجتمعِ اليه . وذلك لِأنَّ المجتمعَ يجبُ أن يُصانَ بقاؤه وكيانه الانسانيّ والاسلامي . وإنَّ هذا الكيانَ لا يبقى الا اِذاروعِي فيه القانونُ السائدُ على العالمِ كُلِّه . وهو قانونُ التوازنِ والقصد، فبهما يُضْمَنُ للمجتمعِ نجاته وخلّصه من الاستبدالِ والسقوط، فيجبُ أن يكونَ الناسُ واعينَ لاهميّةِ مبدأِ المساواة، داعينَ اليه، ساعينَ لتجسيده، مجابهينَ للاستئثارِ والمُحابة . وإنَّ الحفنةَ المستكبرةَ التي تطلبُ الأثرةَ وتسعى لها، لو عَلِمَتْ ما فيها من خطرِ الزوالِ والاستبدال، ترفضُها وتقيءُ الى مبدأِ المساواةِ الانسانيّ والاسلامي .

٩- اصلُ تعميمِ المواهبِ المعيشية: لقد تكلمنا عن هذا الموضوع، في الفصلِ السادسِ والثلاثين، من الفصولِ العشرةِ التي عقَدناها عن كِفاحاتِ الاسلامِ الرَّحبةِ ضدَّ الفقر، وعنواناه بـ «الكلُّ مهيأٌ للكلِّ، لا مدخِرٌ للبعض»، فراجع .

١- الوسائل ١١ / ٨١ .

٢- راجع: الفصل ٢، من هذا الباب، بند «ب»، الفقرة ٣ .

١٠- اصل قوامية المال وتساويها للكل: لقد بحثنا عن قوامية المال في الاسلام، في الفصل الأول من هذا الباب. وهذا الاصل الاسلامي الاقتصادي (يعني قوامية المال)، ينفي الآثرة والامتياز المالي الباهظ، لان قوامية المال لحياة الانسان وما يلزمه لها متساوية في كل احد تقريباً لو لم يسد المجتمع، الاستبكار المعيشي والاستتار). وهذا كما رأينا ان امير المؤمنين «ع» كان يسوي بين اجيره وبين نفسه، ولا يقول: انا امير المؤمنين، ولي تكاليف ونفقات، وهو اجير بسيط، اذ التثبت بهذه المعاذير تمويه ودجل؛ فقوامية المال لا تخص شخصاً دون شخص، فكما ان الغني يحتاج الى الغذاء واللبوس والدواء والمسكن والمركوب.. كذلك الفقير يحتاج الى كل ذلك. وكما ان اولاد الاغنياء، من بنين وبنات، يحتاجون الى الصحة والتربية والتعليم.. كذلك اولاد الفقراء، من بنين وبنات، يحتاجون الى كل ذلك. وكما ان المال قوام ولازم لحياة المهندس كذلك لازم لحياة العامل. وكما انه قوام ولازم لحياة صاحب المعمل واولاده وذويه، كذلك قوام ولازم لحياة بواب المعمل واولاده وذويه وهكذا، فهو لازم وقوام لحياة العالم والجاهل، والامير والمأمور، والقاضي وبائع التذكرة، والفنان والفلاح، والدكتور والسوقي، والغني والمسكين..

ان الواقع هكذا. وان احتياج الانسان الى المال لا يخص الابيض بل يعدوه الى الاسود والاحمر والاصفر ايضاً، فما الفرق بين انسان وانسان، اذا شاهد ان انساناً عظيماً كعلي بن ابي طالب «ع» - وهو امير المؤمنين ورئيس رقة كبيرة من الارض، يحكمها الاسلام - يسوي بين نفسه وبين اجيره. وحينما يسوي بين رجل انصاري و غلام اسود، فيعترض عليه الانصاري قائلاً: «يا امير المؤمنين! هذا غلام اعتقه بالامس، تجعلني واياها سواء؟» فيقول: «اني نظرت في كتاب الله، فلم اجد

لَوْلِدِ اسْمَاعِيلَ عَلَى وُلْدِ اسْحَاقَ فَضْلًا^١. ومن الواضح، أَنَّ ذِكْرَ «وُلْدِ اسْمَاعِيلَ» و«وُلْدِ اسْحَاقَ»، إِنَّمَا جَاءَ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، فَالْمَقْصُودُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَرْقًا بَيْنَ وُلْدِ آدَمَ، مِنْ اسْمَاعِيلِيِّينَ وَاسْحَاقِيِّينَ أَوْ غَيْرِهِمْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، كَمَا سَلَفَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

وهذا الموقف الذي اتَّخَذَهُ الْإِمَامُ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» يَكْفِي بِنَفْسِهِ لِلتَّدْلِيلِ عَلَى جَوْهَرِيَّةِ مَبْدِئِ الْمَسَاوَاةِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ أَصُولِ هَذَا الدِّينِ، التَّرْبُوءِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْمَعِيشِيَّةِ وَالْحَقُوقِيَّةِ. فبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، لَوْ رُوِيَ هَذَا الْأَصْلُ فِي أَيِّ مَجْتَمَعٍ، لَأَيْتَاحَ فِيهِ لِأَصْحَابِ الْمَوَاهِبِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْجَسْمِيَّةِ الْمُتَفَاوِتَةِ، أَنْ يُحَرِّفُوا الْأَمْوَالَ عَنْ مَوَاضِعِهَا وَأَنْ يُجَرِّدُوهَا مِنْ فَوَائِدِهَا الْقَوَامِيَّةِ، وَلَا يَتَسَنَّى لَهُمْ أَنْ يُبَدِّلُوا مَا هُوَ قَوَامٌ لِحَيَاةِ الْكُلِّ إِلَى دَوْلَةٍ بَيْنَ حَفَنَةٍ أَوْ طَبَقَةٍ خَاصَّةٍ.

١١- أصلٌ محدودية الامتلاك في التشريع الإسلامي: سَلَفَ الْقَوْلُ عَنْ مَحْدُودِيَّةِ الْاِمْتِلَاقِ فِي مَذْهَبِ الْإِسْلَامِ الْاِقْتِصَادِيَّ، فِي الْفَصْلَيْنِ، الثَّلَاثِ وَالْعَشْرِينَ وَالرَّابِعَ وَالْعَشْرِينَ، مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَفِي الْفَصْلِ الثَّانِي أَيْضًا، فِرَاجِعَ. وَإِنَّ صِلَةَ هَذَا الْأَصْلِ بِمَبْدِئِ الْمَسَاوَاةِ وَتَرْكِيزِ هَذَا الْمَبْدِئِ غَيْرُ خَافِيَةٍ.

١٢- أصلٌ محدودية الاستهلاك في التشريع الإسلامي: هَذَا الْمَوْضُوعُ الْهَامُّ الَّذِي يَتَبَنَاهُ الْإِسْلَامُ وَيَدْعُو إِلَيْهِ بِصُورَةٍ حَاسِمَةٍ، مِنْ أَهَمِّ الْأَصُولِ الَّتِي تُسَوِّقُ النَّاسَ - غَنِيَّهُمْ وَفَقِيرَهُمْ - إِلَى الْمَسَاوَاةِ فِي الْاِسْتِهْلَاقِ وَلَوْ بِالتَّقْرِيْبِ. وَلَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ عَنْهُ فِي الْفَصْلِ السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ، مِنْ هَذَا الْبَابِ.

١٣ - اصل الانفاق : إذا كان الانفاق الذي يدعوا الاسلام الناس اليه ويحُضهم عليه، يتعلّق بما فضّل من المال - على صورة تفصيليّة بحثنا عنها في الفصول العشرة التي عقدناها في الباب الثاني عشر - فهو من عمدة ما يُعبّد طرق المساواة في الجماهير، إذ الناس اذا راعوا الحدود الاسلاميّة التي بُنيت على مقدار القصد والتوازن، واذا انفقوا بعد ذلك ما فضّل لديهم من الاموال، لا تحصل لديهم الفروق الباهظة التي تقضي على المساواة - كما هو واضح .

١٤ - اصل الاقتصاد في المعيشة : هذا اصل عظيم في الاقتصاد الاسلامي، وفي التربية الاسلامية ايضاً. وهو شقيق اصل آخر، وهو «التقدير في المعيشة». وهذان الاصلان، يعكسان نظرة الاسلام الى المال وموضعه والمعاش وغاية طلبها. ولعل الوقوف عند الحدود التي يدعمها هذان الاصلان يركّز اصل المساواة احسن تركيز. ومما يجب ان يراعى في المجتمع الاسلامي اشد رعاية، تربية الناس على العناية العمليّة بهذين الاصلين، والرقابة الاجتماعية على العمل بهما هنا وهناك، سواء اكان في الحكم واجهزته ومنظّماته، ام في المؤسسات الدينيّة وحياة اصحابها، ام في سائر قطاعات المجتمع. والمجتمع يتبع في ذلك رجال الحكم والدين. ولقد سلف القول عن «اصل الاقتصاد في المعيشة»، في الفصل الثامن والعشرين، وفي الفصل الرابع ايضاً، فراجعهما اذا شئت .

١٥ - اصل العدل (التوازن الاقتصادي) وتقريب مستوى العيش للجميع : فصلنا الكلام عن «مستوى العيش للجماهير»، في الفصول الخمسة المعقودة لهذا الموضوع، في الباب الثاني عشر، من الفصل السابع والعشرين الى الحادي والثلاثين. وسنتكلم عنه في الفصل الخاص

بالعدل، وهو الفصلُ السّادسُ والرّبعون، من الباب الثّاني عشر .

١٦- أصلُ الاحسان (الانسجام المعيشي) : نَبَحْتُ عن هذا الاصل، في الفصلِ السّابعِ والرّبعين، من الباب الثّاني عشر، ونُوضِحُ هناك أَنَّ الاحسانَ امرٌ زائدٌ على العدل، فهو كما قيل : «أَنْ يَنْصِفَ وَلَا يَنْتَصِفَ». فعلى هذا يكونُ من أقوى العواملِ التي تدفعُ النَّاسَ الى رعايةِ التّقريبِ والتّساوي في الانتفاعِ بالنّعمِ والاستفادةِ من الفُرصِ .

١٧- أصلُ اسنادِ الفضلِ والميزةِ الى التّقوى : إِنَّ التي يُقرّها الاسلامُ لِأَنْ يَمْتَازَ بها النَّاسُ وَيَتَسَابَقُوا اليها هي التّقوى والاخلاقُ الصّالحةُ الانسانيةُ، ولذلك يَهْتَفُ القرآنُ الكَرِيمُ هُتافَهُ الرّئانَ الشّهيرَ : «أَنْ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ»^١. وكذلك يُصِرُّ الاسلامُ اصراراً حاسماً على أَنْ لا تُجعلَ تلك الميزةُ سبباً للاستثناءِ الاقتصاديّ، فَإِنَّ ذلك نقضٌ لغايةِ التّقوى والاخلاقِ . ومن هنا يتوّفقُ الاسلامُ لتركيزِ اصلِ المساواةِ برفضِ تَدخُلِ القِيمِ المعنويّةِ في الحَقْلِ المادّيّ . ولقد أشرنا الى هذا الموضوعِ البالغِ الاهميّةِ، هنا وهناك، خلالَ الفصولِ .

١٨- أصلُ رابطةِ العدلِ والتّسويةِ : لَعَلَّ أَقْرَبَ العواملِ الرّئيسيّةِ لتركيزِ مبدأِ المساواةِ في النَّاسِ، تربيةً وتنفيذاً، إنّما هو العدلُ . نَعَمْ، إِنَّ العدلَ لا يُساوي «المساواة» مفهوماً ومصداقاً، بيدَ أَنَّهُ يَسُوقُ العاملَينَ بهِ والمُجَسّدَينَ له، اليها والى إرساءِ قواعدِها . وذلك لِأَنَّ الفروقَ الباهظةَ التي مُنيتَ بها الجماهيرُ إنّما نشأَ أكثرُها الغالبُ من الظُّلمِ والحيثِ والاعتداء، فإذا شجِبَ كُلُّ ذلك، يَصيرُ سبباً لِأَنْ يُصبحَ النَّاسُ على مَقْرِبَةٍ

١ - سورة الحجرات (٤٩) : ١٣ .

من المساواة .

على أن رسالة القسط الاسلامي إنما هي إيجاد التوازن الاقتصادي بين الناس، بإزاحة الاستكبار والاستضعاف . وهذه الرسالة لا تجسد بصورة مطلوبة إلا بالعمل بمبدأ المساواة . وهو مرحلة كمال الاقتصاد الاسلامي .

١٩ - أصل رفض الاسراف والتبذير والتقتير: إن كثيراً من مظاهر اللامساواة ومصاديقها يمتُّ الى وجود «الاسراف» و«التبذير» او «التقتير» في الاستهلاكات، فإذا رُفِضَ ذلك كُلُّهُ يَقْتَرِبُ النَّاسُ فِي مَعَايِشِهِمْ إِلَى مَبْدِئِ الْمَسَاوَةِ وَتَبْنِيهِ . فالقرآن الكريم حينما يقول: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا»، فَإِنَّهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ الْمُقْتَصِدِينَ . وحينما يدعو الموسرين واهل المكنة الى تأدية حقوق المحرومين وتأمين معيشتهم، فَإِنَّمَا يَدْعُوهُمْ إِلَى تَأْمِينِ مَعَايِشِ الْمَحْرُومِينَ فِي حُدِّ مُقْتَصِدٍ (لا الى طرح لقمة في أفواههم لتلايموتوا)، فالغني لا يأكل إلا مقتصدًا، والفقير هكذا، وهذا هو المساواة . ولقد مرَّتْ أَحَادِيثُ تَنْهَى الْغَنِيَّ عَنِ الْأَكْلِ الزَّائِدِ وَإِنْ كَانَ الْمَالُ مَالَهُ . فراجع: الفصلين، السادس والعشرين والسابع والعشرين، من هذا الباب .

٢٠ - أصل كفاح الفقر واستنصاليه: إن الفقر من أهم العوامل الهدامة لبُؤْسِ الْمَسَاوَةِ - كما أن الغنى التكاثري أيضاً كذلك - والاسلام بكفاحه ضدَّ الفقر وشجبه، والدعوة الى تموين المحتاجين بما تقوم به حياتهم من المعاييش، بصورة تمكّنهم من اشتراء الدار ومن الزواج ومن الحجّ و.. . يَقُومُ بِحَمْلِ النَّاسِ عَلَى دَعْمِ مَبْدِئِ الْمَسَاوَةِ بِشَكْلِ جَذْرِيٍّ - وهذا واضح .

ولقد وَضَّحْنَا موقِفَ الاسلامِ تجاهَ الفقرِ، ورفضَه الحاسمَ له، وسحقَه بوصفه ظاهرةً اجتماعيةً، وأشعَّاله الحربَ ضدهُ بشتَّى الصُّورِ والاشكالِ لِإزاحتهِ عن ساحةِ الحياةِ الانسانيةِ، ولا سيَّما بعدهُ سبباً من اسبابِ ضعفِ العقلِ ووَهْنِ الدِّينِ والكفرِ والمُروقِ، فراجع: الفصولَ العَشْرَةَ المعقودةَ لكِفاحِ الاسلامِ ضدَّ الفقرِ. وإنَّ كثيراً من فصولِ هذينِ البابينِ إنما يُدُلُّ على رفضِ الاسلامِ للفقرِ وتَفْشِيهِ في الناسِ، خصوصاً فصولَ الكِفاحِ ضدَّ التكاثرِ، لِأنَّه علةُ الفقرِ الاصليةُ، كما أوضَّحناه.

٢١ - أصلُ شَجَبِ الاستضعافِ: لقد مرَّ الكلامُ عن هذا الموضوعِ، في النظرةِ الى الفصلِ الأَسْبِقِ، ولعلَّ عمدةَ ما يُستفادُ ممَّا جاءَ في فصولِ هذينِ البابينِ من الآياتِ والاحاديثِ، هي محاربةُ الاسلامِ للاستضعافِ، لقلعِ جذورهِ عن كلِّ عرصاتِ الحياةِ الانسانيةِ.

والاستضعافُ لا يُشجَبُ إلا إذا شَجِبَ الاستكبارُ. إذاً فالاسلامُ بتوفُّره على شَجَبِ الاستضعافِ ودعوتهِ الناسَ للقتالِ في هذهِ السَّبيلِ، فقد توفَّرَ على شَجَبِ الاستكبارِ ايضاً. وكم وكَم آيةٍ جاءتِ في القرآنِ تُنددُ بالمستكبرينِ وحياتهمِ وتَحُضُّ الأمةَ المسلمةَ على كِفاحِهِم، سواءً أكانوا من المسلمينِ انفسِهِم ام من غيرِهِم. ومن اللّاحِبِ أنَّهُم مصاديقِ المستكبرِ هو الاقتصادِيُّ منه، فلاحظ. وإذا شَجِبَتِ الدَّاهيتانِ: الاستكبارُ والاستضعافُ، تَقْتَرِبُ حياةُ الناسِ الى المساواةِ والتَّوَفُّرِ عليها - كما لا يَخْفَى.

٢٢ - أصلُ تمويلِ الفقيرِ لأنَّ يُلْحَقَ عياله بالناسِ: وهذا ما دَعَتْ اليه التَّعاليمُ الاسلاميةُ، كالا حاديثِ الواردةِ بشأنِ الزَّكاةِ ومستحقِّيها وكيفيةِ

ومقدار استفادتهم منها . ولعلك لم تنسَ كلامَ الامامِ الصادقِ «ع»، الذي قاله لابي بصير: «.. وما أخذ من الزكاة فضعه على عياله حتى يلحقهم بالناس»^١. ولقد نقلناه بتمامه في الفصل السابع والعشرين، من الباب الثاني عشر . وهناك احاديثُ أُخرى ترمي الى الهدف المذكور، فراجع .

تنبية

بعد أن وصلنا، إثر مطالعاتنا في التعاليم القرآنية والحديثية وملاحظتنا، الى أن الاسلام إنما يدعو الناس لتبني مبدأ المساواة، ولتركيز مستوى معيشي «متساو» او «متقارب» للكُلِّ، وحمل الناس على قبول هذا المبدأ والجري عليه، بعد ذلك كله، وفقنا على كلام الفقيه المتفتح الذهن، والعالم المفكر الشهيد، السيد محمد باقر الصدر، فرأينا أن نقله هنا ايقافاً للقراء عليه . يقول الشهيد الصدر - أعلى الله درجته في الشهداء - :

«إن نصوص الزكاة صرحت بان الزكاة ليست لسد حاجة الفقير الضرورية فحسب، بل لإعطائه المال بالقدر الذي يلحقه بالناس في مستواه المعيشي، اي لا بد من توفير مستوى من المعيشة للفقير يلحقه بالمستوى العام للمعيشة، الذي يتمتع به غير الفقراء في المجتمع . وهذا معنى أن توفير مستوى معيشي «موحّد» او «متقارب» لكل أفراد المجتمع هدف اسلامي، لا بد للحاكم الشرعي من السعي في سبيل تحقيقه»^٢ .
ولعلّ الفصل التالي، الذي يبحث عن «الأخوة الاسلامية والاقتصاد»، يدعم مبدأ «المساواة الاسلامية» دعماً، فاية أخوة أصح واوثق

١ - الوسائل ٦ / ١٥٩ .

٢ - الاسلام يقود الحياة / ٤٥ .

من مساواة الاخ للاخ؟ إن لم نُردّ «الأخوة القرآنيّة»، التي نزلت به آية السماء، ودَعَمَتْها الاحاديثُ الكثيرةُ في ابعادٍ مختلفةٍ مستوعبة، الى قوله لفظيةً فحسب؟!

تذكير

الظاهر أنّ المساواة التي يدعو الإسلام إلى تبنيها كمبدأ، إنّما هي في «الاستهلاك»، لا في «الامتلاك»، إذا كان الثاني كفاً، أو غير تكاثريّ - على الأقلّ - بأن يكون غير مجاوزٍ حدود الاقتصاد والاعتدال، غير مقترِبٍ من الكثرة المرفوضة بوجه .

الفصل الثامن والأربعون

القسط الاسلامي

الكتاب

١ يا أيها الذين آمنوا، كونوا قوامين بالقسط، شهداء لله ..^١

* قال الطبرسي: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط،

اي دائمين على القيام بالعدل. ومعناه ولتكن عادتكم القيام

بالعدل في القول والفعل»^٢.

٢ يا أيها الذين آمنوا، كونوا قوامين لله، شهداء بالقسط ..^٣

٣ قل: أمر ربّي بالقسط ..^٤

٤ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان *^٥

١ - سورة النساء (٤): ١٣٥.

٢ - مجمع البيان ٣ / ١٢٣.

٣ - سورة المائدة (٥): ٨.

٤ - سورة الاعراف (٧): ٢٩.

٥ - سورة الرحمن (٥٥): ٩.

- ٥ ويا قومِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ..^١
- ٦ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ..^٢
- ٧ .. وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ ..^٣
- ٨ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ، لِيُقْوَمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ..^٤
- ٩ .. وَأَقْسِطُوا، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *^٥
- ١٠ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *^٦

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الكاظم، عن آباؤه : .. بئس القوم قوم لا يُقِيمُونَ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْقِسْطِ. بئس القوم قوم يقتلون الذين يأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ فِي النَّاسِ ..^٧

* إِنَّ الْجُمْلَةَ الْآخِرَةَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ «ص»، إِشَارَةٌ إِلَى الْآيَةِ الْآخِرَةِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ السَّمَاوِيَّةُ تَرَسُّمُ أَمَانَتِنَا اتِّجَاهِينَ لَطَائِفَتَيْنِ مِنَ

١ - سورة هود (١١) : ٨٥.

٢ - سورة الانعام (٦) : ١٥٢.

٣ - سورة النساء (٤) : ١٢٧.

٤ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٥ - سورة الحجرات (٤٩) : ٩.

٦ - سورة آل عمران (٣) : ٢١.

٧ - البحار ٧٢ / ٩٨، عن «نوادير الراوندي».

النَّاس :

١ - الأمرون بالقسط، المُقاتلون في سبيلِ الله لتجسيدِ

العدالة والقسط ..

٢ - الكافرون بآياتِ الله، قاتلوا النبيين ودعاةِ القسطِ

المصلحين ..

فَلْتَكُنِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَخُصُوصاً عُلَمَاءُهَا وَدُعَاتِهَا وَنَابِئِهَا
وَشَبَابُهَا وَثَوَارُهَا وَرِجَالُ حَكْمِهَا، مُلْتَحِمِينَ مَعَ الصَّفِّ الْأَوَّلِ، فِي
كُلِّ وَرْدٍ وَصَدْرٍ، قَائِمِينَ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْقِسْطِ، شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ .

٢ الامام علي «ع» : .. إِنْ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا .. يَا مُرُونَ بِالْقِسْطِ
وَيَا تَمِرُونَ بِهِ ..

٣ الامام علي «ع» : .. لِيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ، أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَاعْمَهَا فِي
الْعَدْلِ .

٤ الامام علي «ع» : .. فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ
فَصِيلِهَا، وَلَا يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيُضِرَّ ذَلِكَ بَوْلِهَا، وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رَكُوبًا؛ وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ
صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرْفَعْ عَلَى اللَّاعِبِ، وَلْيَسْتَأِنْ بِالنَّقَبِ وَالظَّالِعِ،
وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْعُدْرِ، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ
الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيَمْهَلْهَا عِنْدَ النُّطَافِ وَالْأَعْشَابِ ..

٥ الامام الصادق «ع» - فِي بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى : «وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ
فِي الرِّزْقِ، فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، فَهُمْ فِيهِ

١ - نهج البلاغة / ٧٠٤ : عبده ٢ / ٢٣٨ .

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٦ : عبده ٣ / ٩٥ .

٣ - نهج البلاغة / ٨٨١ : عبده ٣ / ٢٩ .

سواء ..»: لا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَخُصَّ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَأْكُولِ دُونَ عِيَالِهِ^١.

* إنَّ كثيراً مِنَ الآيَاتِ وَالاحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَيْنِ الْبَابَيْنِ يَدْعُو إِلَى دَعْمِ أُسُسِ الْقِسْطِ وَتَرْكِيزِهَا فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، فَلِحَاجَةِ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ التَّكْرِيرِ.

القسط القرآني، تجسيد و تجسيد

١- النبيّ الأعظم «ص» والقسط

الكتاب

- ١ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ..^٢
- ٢ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، وَقُلْ: آمَنْتُ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ..^٣
- ٣ .. عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ..^٤

١ - تفسير القمي ١ / ٣٨٧.

٢ - سورة البقرة (٢): ٢٨٥.

٣ - سورة الشورى (٤٢): ١٥.

٤ - سورة التوبة (٩): ١٢٩.

* لا نحتاج هنا إلى إيراد كثير من الآيات، فإن القرآن هو كتاب الله تعالى، النازل على نبيه، وهو قد آمن بما أنزل إليه من ربه، بشأن العدل والقسط وقيام الجماهير بهما، فقام بتجسيده الفعلي، فقاطع الأغنياء والمستكبرين - أزداد العدالة الاقتصادية والقسط - وخالط المعذنين والمضطهدين والمحقوقين والمحرومين والتحم معهم ودافع عنهم؛ وهذه أمور لا ريب فيها، والسيرة المثلى شاهدة عليها.

الحديث

١ النبي «ص»: أوصاني ربي بتسع: .. والعدل في الرضا والغضب ..

* إن الدعوة إلى «العدل» في الرضا والغضب، دعوة إلى مطلق العدل والعدل المطلق، حيث لا يبقى معها مجال لأي ظلم أو اعتداء، في أية حالة من الحالات.

٢ الامام علي «ع»: إن يهودياً كان له على رسول الله «ص» دنانير، فتقاضاه فقال له: «يا يهودي ما عندي ما أعطيك!» فقال: فأني لا أفارقك يا محمد حتى تقضيني، فقال: «إذاً اجلس معك»، فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله «ص» يتهدّدونه ويتواعّدونه، فنظر رسول الله «ص»

إليهم فقال: «ما الذي تَصْنَعُونَ به؟» فقالوا: يا رسول الله يهوديٌّ يَحْبِسُكَ؟ فقال «ص»: «لَمْ يَبْعَثْنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ أَظْلِمَ مُعَاهِدًا وَلَا غَيْرَهُ»^١..

٣ الامام عليّ «ع»: وَأَعْطَيْتُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» يُعْطِي بِالسُّوْيَةِ ..^٢

* ولقد أوردنا تعاليمَ النَّبِيِّ «ص» وأقواله في الكتاب . وإنَّ الانحيازَ إلى مبدأ المساواة، يندمجُ على أفضلِ شكلٍ من أشكالِ القسط .^٣

ولقد جاءت هذه الجملةُ في زيارةِ الرَّسولِ «ص» من بعيدٍ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَائِمًا بِالْقِسْطِ»^٤ . فَيَصِفُ الْمُسْلِمُ الزَّائِرُ نَبِيَّهَ وَهَادِيَهُ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الْمَوَاصِفَةِ، حَتَّى يَعْتَقِدَ قَلْبُهُ بِالْقِسْطِ، وَتَنْطَبِعَ عَلَيْهِ أَحَاسِيْسُهُ، وَتَصْطَبِعَ بِهِ أَعْمَالَهُ وَاتِّجَاهَاتَهُ .
ولعلَّ السَّرْفَ فِي ذِكْرِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ فِي زِيَارَةِ الْبَعِيدِ، أَنْ يَنْفُذَ هَذَا الْوَاقِعَ الدِّينِيَّ فِي أَرْوَاحِ آحَادِ الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ هُنَا وَهَنَّا، فِي أَرْجَاءِ الْعَالَمِ وَأَصْقَاعِ الْبَسِيطَةِ، وَخُصُوصًا فِي حَالَةِ تَوَجُّهِ الْمُسْلِمِ إِلَى أَبِيهِ الرُّوحِيِّ وَمُنْقِذِهِ الْإِلَهِيِّ وَمُنْعِمِهِ الْمَعْنَوِيِّ وَمُرَبِّيهِ الْإِنْسَانِيَّ، بِقَلْبٍ شَاهِدٍ وَإِحْسَاسٍ صَادِقٍ، فَيَصْنَعُ ذَلِكَ الْوَضْعَ كُلَّ مُسْلِمٍ مُحَمَّدِيٍّ صُنْعًا لَا يَدْعُهُ إِلَّا مَعْتَقِدًا بِالْقِسْطِ، صَامِدًا فِي تَجْسِيدِهِ، طَالِبًا مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ وَحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا قَائِمِينَ بِالْقِسْطِ، اتِّبَاعًا لِسِيرَةِ الرَّسولِ «ص» (وَلَكُمْ فِي رَسولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) .

١ - البحار ١٦ / ٢١٦، عن «أُمّالِي الصَّدُوقِ».

٢ - الكافي ٨ / ٦٠ - ٦١.

٣ - راجع: الفصل ٤٧، من هذا الباب .

٤ - البحار ٩٤ / ١٨٣ .

وواضحٌ أنَّ هذا المسلمَ النَّابِهَ لا يَعْتَرِفُ لِغَيْرِ الْقَائِمِينَ بِالْقِسْطِ،
الْمُجَسِّدِينَ لِلْعَدْلِ، بِأَيَّةِ حَرَمَةٍ أَوْ كَرَامَةٍ، كَأَتْنِينَ مِنْ كَانُوا، مِنْ عُلَمَاءِ
أَوْ أُمَرَاءِ؛ وَلَقَدْ صَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» حَيْثُ قَالَ: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي
إِذَا صَلَحَا صَلَحَتِ أُمَّتِي، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَتِ أُمَّتِي». قِيلَ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ وَمَنْ هُمَا؟ قَالَ: «الْفُقَهَاءُ وَالْأُمَرَاءُ»^١.

وَأَيُّ فَسَادٍ أَعْظَمُ مِنْ إِهْمَالِ جَانِبِ الْعَدْلِ وَخَذَلِ دُعَاةِ الْقِسْطِ
وَقِيَامِ الْجَمَاهِيرِ بِهِ، وَالسَّكُوتِ أَمَامَ طَوَاعِيَتِ الثَّرْوَةِ وَالْمَالِ وَفِرَاعِنَةِ
التَّكَاثُرِ وَالِإِتْرَافِ وَالِإِسْرَافِ، وَإِطْلَاقِ سَرَاجِهِمْ هُنَا وَهَنَا، فِي الْإِنْتِاجِ
وَالِاسْتِرَادِ وَالتَّسْعِيرِ وَالتَّوْزِيعِ، حَتَّى يَمْتَصُّوا النَّاسَ وَيُرْضُوا
العِظَامَ؟

وَالْوَضِعُ الْمَذْكُورُ يُشِيعُ الْأَثَرَةَ الْمَمْقُوتَةَ وَالتَّبَعِيضَ الْفَاحِشَ
وَالْفُرُوقَ النَّادِرَةَ فِي النَّاسِ. وَكُلُّ ذَلِكَ يَبْثُ الظُّلْمَ وَيَدْعُمُ قَوَاعِدَهُ.
وَلَا حَيَاةَ مَوْضُوعِيَّةً لِلدِّينِ وَاحْكَامِهِ فِي مَجْتَمَعَاتٍ يَسُودُهَا الظُّلْمُ،
فَإِنَّ «الْعَدْلَ حَيَاةَ الْأَحْكَامِ» - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ مَوْلَانَا أَمِيرِ
المُؤْمِنِينَ «ع». وَعِنْدَ ذَلِكَ تَتَقَوَّضُ أَرْكَانُ الدِّينِ فِي الْقِطَاعَاتِ، وَلَا
سِيمَا النَّاشِئَةَ وَالبُعْدَاءَ عَنْ فَهْمِ صُورَةِ الدِّينِ الْوَاقِعِيَّةِ، وَيُؤَدِّي إِلَى
عَجْزِ الْمَحْرُومِينَ عَنِ التَّدِينِ الْمُثْمِرِ وَالْقِيَامِ بِمَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ
وَعَلَى ذَوِيهِمْ ..

وهذه الأمور كلها معلومةٌ مجرَّبة، لو عَقَلَهَا الْمُتَأَمِّلُونَ، وَلَوْ أَعَارَ
المسؤولون من العلماء وغيرهم لها سمعاً؟ وَلَوْ اتَّبَعَهَا الرَّجَعِيُّونَ
وَالْمُتَخَلِّفُونَ؟

وليس لتغلغل الأفكار الإلحادية، أو التَّمْيِيعِ، فِي الْأَوْسَاطِ الدِّينِيَّةِ
(فِي أَبْنَاءِ الْبُيُوتِ الْمَبْتَنِيَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْأَهْلَةِ بِالسُّنَنِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَ

١ - الخصال ١ / ٣٧، من طبعة الغفاري.

بناتها)، سبب رئيسي في الأغلب إلا التبعض والحرمان والظلم، فكاد الفقر والحرمان والاضطهاد أن يكون كل شيء غير السلامة الخلقية والدين. ولولا ذلك فأبنة فكرة تقدر أن تصول في جو القرآن - لو كان الجوّ قرآنيًا - وتبدي صفحتها لحقائق المعارف الإسلامية، النيرة المشرقة الهادية المنقذة؟ وتضلّ أبناء القرآن وأعضاء الإسلام؟

٢- الإمام علي بن أبي طالب «ع» والقسط

لقد قام الإمام علي بن أبي طالب «ع» بتجسيد القرآن النازل في القسط وقيام الناس به، تأسياً بالنبي «ص» وأتباعاً له حدّوا النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، حتى صارت سيرته سيرة العدل. ولقد أصبح أمثولة الأماثل في عدالة العادلين، وصار «صوت العدالة الإنسانية» في الآفاق، وصراخ القسط القرآني في التاريخ.

الحديث

- ١ النبي «ص»: إنه .. أعدلكم في الرعية، وأقسّمكم بالسوية ..^١
- ٢ الامام علي «ع» - في العهد الأشتري: .. وليكن أحبّ الأمور إليك، أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل ..^٢

١ - المراجعات / ١٦٠ .

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٦: عبده ٣ / ٩٥ .

- ٣ الامام علي «ع» : العدل حياة الأحكام .
٤ الامام علي «ع» : الرعية لا يصلحها إلا العدل .
٥ الامام علي «ع» : ما أصبح أحد بالكوفة إلا ناعماً؛ إن أدناهم منزلة لياكل البر، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات .^٣

* وإن من القسط، أن لا يُغفلَ رئيسُ «المدينة القرآنية» أحداً من الناس، ولا يُغَطِّيَ على أفكارهم بالمواعيد الأخروية، ويجعل كلهم ناعمين مُستَرغِدِينَ، بحيث يُصبح أدناهم منزلةً يأكل البر، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات .
وهذا بدوره يدلُّ على أن «المدينة القرآنية»، قابلة للتجسيد بصورة فعلية .

ولقد بثنا تعاليم الإمام علي بن أبي طالب «ع» في فصول كتاب «الحياة»، ويجد القارئ جوامعها في «نهج البلاغة»، ولا سيما في خطبه وكتبه التي يُؤشِّرُ بها المنهج لعماله، ويخطط لهم أصولُ صنع المجتمع القرآني ومنهجاَ معاملة الناس، السالم الرافي .

نعم، «وفي نهج ابن أبي طالب هذا، من الخير للقومية مقدر ما فيه من الخير للناس بوصفهم ناساً، وللمجتمع الذي يضمُّ على وحدة العمل والغاية، بشراً متفاهمين متعاونين مخلصين . ذلك لأنَّ الصدق لا يتجزأ، وكذلك المنهج» .
«فالذي لا يُفضَّلُ في المجتمع الواحد عربياً على أعجمي إلا

١ و ٢ - غرر الحكم / ٢٩ - ٣٠ .

٣ - البحار ٤٠ / ٣٢٧، عن «المناقب» .

بالعمل النَّافع، هو نفسه الَّذي لا يُفْضَلُ شريفاً من قومه على مشروف . وهو نفسه الَّذي لا يَخُصُّ أخاه بمنفعةٍ يَمْنَعُها عن غريب . وهو نفسه الَّذي يَحُولُ دون استغلالِ عربيٍّ لعربيٍّ أو لآيِّ إنسانٍ آخر . وهو نفسه الَّذي يَسعى في أن يجعلَ النَّاسَ أحراراً متساوين . وهو نفسه الَّذي يَعْمَلُ جاهداً، بما تَسْمَحُ به طاقةُ الزَّمانِ والمكانِ، في أن يرفعَ الفقرَ والحاجةَ عن جميعِ النَّاسِ، لعلَّهم يَعيشُونَ سُعداءَ مطمئنين . وهو نفسه الَّذي يكرهُ الحربَ والقتالَ والعدوانَ، ويدعو إلى الأمنِ والسَّلامِ والتَّأخِي في ظلِّ عدالةٍ اجتماعيةٍ صريحةٍ لا تتركُ النَّاسَ بينَ أكلٍ ومأكول . وهو نفسه الَّذي يُريدُ من الإنسانِ أن يكونَ عادلاً حتَّى مع البهيمةِ، فلا تُسَلَبُ نملةٌ لُبَّ شعيرةٍ ولا يُعتدى على طير . وهو نفسه الَّذي يَقِفُ حياته على خدمةِ هذه المبادئِ حتَّى الموتِ»^١.

ويَصِفُ أحدُ الشعراءِ المسيحيين^٢ الإمامَ علياً «ع» وكتابه «نهج البلاغة»، ويقولُ فيما يقولُ :

هُوَ لِلظَّالِمِ رَعْدٌ قَاصِفٌ
وَهُوَ لِلْمَظْلُومِ فِينَا مُعْتَصِمٌ

وَهُوَ لِلْعَدْلِ جَمِيٌّ قَدِصَانَهُ
خُلِقَ فِدٌّ، وَسَيْفٌ، وَقَلَمٌ

١ - الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية ٥ / ١٠٩١ .

٢ - وهو فؤاد جرداق اللبناني .

مَنْ لِأَوْطَانٍ بِهَا الْعَسْفُ طَغَى
وَلأَرْضٍ فَوْقَهَا الْفَقْرُ جَنَّمَ

غَيْرُ «نَهَجٍ» عَادِلٍ فِي حُكْمِهِ
يَرْفَعُ الْحَيْفَ إِذَا الْحَيْفُ حَكَمَ.

* لاحظ أيضاً: النظرة إلى الفصل.

٣- ثورة عاشوراء والقسط

* لقد كُتِبَتْ كُلُّ آيَاتِ السَّمَاءِ مَرَّةً أُخْرَى - بعد ما كَتَبَهَا كِتَابُ
الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ فِي الصِّدْرِ الْأَوَّلِ - بِالذَّمِّ الطَّاهِرِ، الذَّمِّ النَّبَوِيِّ
الْعَلَوِيِّ الْفَاطِمِيِّ، دَمِ الْحُسَيْنِ «ع» وَأَطْفَالِهِ وَأَصْحَابِهِ، فِي يَوْمِ
عَاشُورَاءَ، عَلَى سَاحِلِ الْفِرَاتِ الْجَارِي.. فِي رَمَضَانَ الطَّفِّ
الدَّامِي..

لقد كُتِبَتْ تِلْكَ الْآيَاتُ الْحَيَّةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى الْحَيَاةِ وَالْقِسْطِ
وَالْقِسْطِ وَالْحَيَاةِ، بِذَلِكَ الذَّمِّ الزَّكِيِّ الطَّاهِرِ، عَلَى أَلْوَحِ الْفَجْرِ
وَالشَّفَقِ، وَعَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ وَأَجْوَاءِ الصَّحَارِي، لِأَنَّ «تُنَاقَلُهَا
الْفَيَافِي هُنَا وَهَنَّا، وَتُرْوِيهَا الْجَلَامِدُ لِلْجَلَامِدِ»، وَلِأَنَّ تَنْفُذَ فِي
اللَّحْظَاتِ فَتَبَقَى خَالِدَةً عَلَى صَفْحَاتِ الدَّهْرِ، فَتَطَّلَ عَلَى الْحَيَاةِ
الْبَشَرِيَّةِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، مِنْ الْآفَاقِ الَّتِي تَحْمَرُّ وَتَحْمَرُّ
فِي بَدَاةِ كُلِّ لَيْلٍ وَكُلِّ نَهَارٍ.

فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لَيْسَ حَيًّا بَاقِيًّا مِنْ خِلاَفَةِ يَزِيدٍ وَأَمْثَالِ يَزِيدٍ، بَلْ
هُوَ حَيٌّ بَاقٍ مِنْ شَهَادَةِ الْحُسَيْنِ «ع». وَلَقَدْ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»

حيث قال: «حسينٌ مني وأنا من حسين»^١.
وإنَّ شَجَبَ الظُّلمِ والحيفِ وإقامةِ العدلِ والقسطِ، هو الهدفُ
الَّذي قد تَبَنَّاهُ رُكْبُ عاشوراءِ، في سلوكِهِم ذلك النَّجْدَ الأَبْيَضَ
المَلْحُوبَ ..

الحديث

١ الامام الحسين «ع» - في بيانِ حكمةِ «الأمرِ بالمعروفِ» و«النَّهيِ عن المنكرِ»
وأهميَّتهما البِناءة: .. أنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ، دُعاءٌ إلى
الإسلامِ، مع رَدِّ المظالمِ ومخالفةِ الظَّالمِ، وقسمةِ الفِئِءِ والغنائمِ، وأخذِ
الصَّدقاتِ من مواضعِها ووضعِها في حقِّها ..^٢

٢ الامام الحسين «ع» - في تفرِيعِ العلماءِ الَّذِينَ لا تَسْتَشِيرُهُم آلامُ النَّاسِ
المضطهدينِ، فيسْكُتُون على الظُّلمِ، ولا يَقُومُون لإقامةِ القسطِ، ولا يُفَكِّرُون
بثورةٍ وتغييرِ، ولا يَلْتَحِمُون مع صفوفِ المحرومينِ والمحقوقينِ بصورةٍ
فعليةٍ: .. فأما حقُّ الضَّعفاءِ فَضَيَّعْتُمْ .. والعُميِّ والبُكمِ والزَّمَنِي في المدائنِ
مُهْمَلَةٌ لا تَرَحْمُون ..^٣ مَكَّنْتُمُ الظَّلْمَةَ من منزلتِكُم .. فأسَلَّمْتُمُ الضَّعفاءَ في
أيديهِم .. والنَّاسُ لَهُم خَوْلٌ، لا يَدْفَعُونَ يَدَ لَامِسٍ ..^٤

١ - راجع لاسناد هذا الحديث وفقهه ومحتواه الهام: «بادانامه علامه آميني»، مقالة البَحاثة

المتتبِع، الشَّيخ محمدباقر البهوديِّ الخراسانيِّ .

٢ - تحف العقول / ١٧١ .

٣ - والمفعول محذوف، أي: لا تَرَحْمُونَهُم .

٤ - راجع لجميع هذا الخطابِ الموقِفِ المثير: «تحف العقول» / ١٧٢ - ١٧٣؛ و ٢٧٢ - ٢٧٥، من طبعة
الغفاريِّ .

٣ الامام الحسين «ع» - في إعلام الخطر بزوال الاسلام، إذا كان الحاكم خائراً النفس، غير عادلٍ ولا قائمٍ بالقسط : إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد..^١

٤ الامام الحسين «ع» : ... وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي «ص»، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب «ع»..^٢

٥ الامام الحسين «ع» - في التعريف الحاسم بالحاكم الإسلامي، حتى يعرف الناس نظرة الإسلام إلى موضوع الإدارة والسياسة، ويفقوا على المقياس الذي يجب على الحاكم أن يسير عليه في معاملة الجماهير، فيطيعوا التابع ويثوروا في وجه العاصي : .. لعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحاسب نفسه على ذلك..^٣

٦ الامام الحسين «ع» : .. أما بعد، فقد علمتم أن رسول الله «ص» قد قال في حياته : «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله».^٤

* وهذا التأشير النبوي الحسيني، إعلان الجهاد العام، كلما ساد المجتمع أصداد العدل وأعداء القسط، ودعوة إلى دعم القسط الإسلامي، وإشعال نيران الثورات التغييرية ضد الجباية والطواغيت، الذين يفسون الظلم، ويتخذون الظالمين والمستأثرين

١ - البحار ٤٤ / ٣٢٦ : عن كتاب «الملهوف».

٢ و ٣ - البحار ٤٤ / ٣٢٩ - ٣٣٠، و ٣٣٤ - ٣٣٥.

٤ - البحار ٤٤ / ٣٨٢، عن المصادر القديمة.

عَضُدًا، فَتَجِدَ الطُّغَاةَ الاِقْتِصَادِيّينَ وَمُسْتَكْبِرِي الثَّرْوَةِ وَالامْتِلَاكِ
فِي حُكْمِهِمْ كُلِّ مَسْرَحٍ وَمَجَالٍ .

٧ الامام الحسين «ع» - في الدِّفاعِ عن المحرومين والالتحامِ الفعليِّ مع
صفوفهم : اللهم ! إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا تَنَافُسًا فِي سُلْطَانٍ، وَلَا
الْتِمَاسًا مِنْ فَضُولِ الحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنُتْرِي المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإِصْلَاحَ
فِي بِلَادِكَ، وَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وَسُنَنِكَ
وَأَحْكَامِكَ .. ١

٨ الامام الحسين «ع» - في بيانِ مَوَاصِفَاتِ الحُكْمِ الطَّاعُوْتِيِّ الأُمُوِيِّ البِزِيْدِيِّ،
وَإِلْقَاءِ الضُّوْءِ عَلَيَّ أَنَّهُ لِمَاذَا يُتَابِعُ الثُّورَةَ ضِدَّ ذَلِكَ الحُكْمِ، وَلَوْ مَعَ قَلَّةِ النَّاصِرِ
وَرُكُوبِ المَخَاطِرِ : .. بِغَيْرِ عَدْلِ أَفْشَوِهِ فِيكُمْ .. فَسُحْقًا وَبَعْدًا لَطَوَاغِيْتِ
الْأُمَّةِ، وَشُدَّاذِ الأَحْزَابِ، وَنَبْدَةِ الكِتَابِ، وَنَفْثَةِ الشَّيْطَانِ، وَمُحَرِّ فِي الكَلَامِ،
وَمُطْفِئِي السُّنَنِ .. ٢

٩ الامام الحسين «ع» - في فِجْرِ الحَرَكَةِ القُرْآنِيَّةِ، الثُّورِيَّةِ التَّغْيِيرِيَّةِ : .. مَنْ كَانَ
فِينَا بِأَدَلٍّ مُهْجَتَهُ، مُوْطِنًا عَلَيَّ لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا، فَإِنِّي رَاحِلٌ
مُصِيبًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . ٣

١٠ الامام الحسين «ع» - في تَعْيِيرِ الحَيَاةِ تَحْتَ نِيرِ الظُّلْمِ وَالاسْتِسْلَامِ، وَتَشْجِيعِ
النَّفُوسِ عَلَيَّ بِذَلِّ الدَّمِّ لِخِلَاصِ الجَمَاهِيرِ : .. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ،
وَأَنَّ البَاطِلَ لَا يُنْتَهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ المُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحِقًّا، فَإِنِّي لَا أَرَى

١ - تحف العقول / ١٧٢ ؛ و ٢٣٩ ، من طبعة الغفاري .

٢ - تحف العقول / ١٧٣ .

٣ - البحار ٤٤ / ٣٦٧ .

الموت إلا سعادةً، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً..^١

* هذا هو الحسين «ع»، «حسين السُّودِدِ والشَّرف، حسين الإباءِ والشَّهامة، حسينُ المجدِ والامامة، حسينُ الدِّينِ واليقين، حسينُ الفضلِ والعظمة، حسينُ الحقِّ والحقيقة»، حسينُ القسطِ والعدالة.

وهذا هو الدُّرسُ الَّذِي أَلَقْتُ ثورتهُ على الأُمَّة، و«هو وجوبُ النهوضِ في وجهِ كلِّ باطل، ومُناصرةِ كلِّ حقٍّ، لإبقاءِ هيكلِ الدِّينِ، ونشرِ تعاليمِهِ، وبثِّ أخلاقِهِ؛ نعم، يُعلِّمنا هذا التاريخُ المجدُّ النَّزوعَ الى إثارةِ الخلودِ في البقاء - ولو باعترافِ المَنِيَّةِ - على الحياةِ المُخَدَّجَةِ تحتِ نيرِ الاستعباد، والمبادرةِ الى الانتِهالِ من مناهلِ الموتِ لتخليصِ الأُمَّةِ من مَخالِبِ الجورِ والفجور، ويُلزِمنا بسُلوكِ سَنَنِ المُفاداةِ دونَ الحنيفيَّةِ البيضاء، والنُّزولِ على حكمِ الإباءِ دونَ مَهاويِ الدُّلِّ»^٢.

فالغاياتُ التي قد دعا إليها ثائرُ الإسلامِ الكبير، هي:

- أ- إحياءُ العِمادِين: الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ و
- ب- رُدُّ المظالمِ و
- ج- مخالفةُ الظَّالمِ و
- د- قسمةُ الفِئِءِ والغنائمِ و
- هـ- أخذُ الحقوقِ ووضعُها في مواضعِها و
- و- حضُّ العلماءِ على الثَّورةِ والتَّغييرِ و
- ز- تخليصُ المضطَّهدين من أيدي الظَّالمين و

١ - تحف العقول / ١٧٤ .

٢ - الغدير / ٣ و ٢٥٩ و ٢٦٤ .

- ح - التحذير الحاسم من الحكم الفاسد الغاشم و
ط - طلب الإصلاح في الأمة الإسلامية و
ي - السير بسيرة الرسول «ص» والوصي «ع» و
يا - التعريف بالحاكم الإسلامي، وهو القائم بالقسط و
يب - الدعوة إلى مجابهة المستحلّ لحرم الله تعالى، و
العامل بالإثم والعدوان و
يج - إرائة المعالم الإلهية، بعد ما غطاها المعتدون و
يد - إسعاف المظلومين وإعادة كرامتهم الإنسانية و
يه - العمل بالحق وإفشاء العدل ..

وإذا كانت هذه القيم الخالدة، هي الحقائق الثابتة من غايات
عاشوراء، فما أحرى بالمسلمين، الذين يؤمنون بالقرآن، ويحبون
أعدال القرآن - يعني أئمة أهل البيت «ع» - ويكرمون القبلة - قبلة
ابراهيم «ع» - أن يهتموا بتجسيدها البات، بإزاحة الظلم وإقامة
القسط، ومقاطعة المستكبرين الاقتصاديين وشجبهم، وإنعاش
المحرومين وردّ حقوقهم، ورفع مكانتهم الاجتماعية على مختلف
المستويات .

وعلى الذين ينتمون إلى الإمام السبط، أبي عبد الله الحسين
الشهيد «ع»، بصورة خاصة، وقيمون مآتمه، أن يكونوا مهتمين
بالغايات المذكورة أكثر وأشد من غيرهم، اهتماماً تحتّمه عليهم
دماء عاشوراء ..

٤- الإمام الصادق «ع» والقسط

لقد قام الإمام ابو عبد الله جعفر الصادق «ع» بالإمامة

التعليمية (بعد ما حال الجبارة بينه وبين الإمامة التجسيدية) أكثر من ثلاثين سنة،^١ فنشر المعارف القرآنية، وألقى أضواء الآيات السماوية على الأجواء هنا وهناك، فكان هو ومدرسته تجسماً حياً للقرآن الكريم بتعاليمه وأصوله، أمام التيارات الفكرية المختلفة والمدارس المدسوسة والسياسة الغاشمة والإدارة الجائرة، وبذلك علم وربى أربعة آلاف رجل، قد حملوا على أكتافهم مشاعل العلم والهداية القرآنيين.

وكان في قيمة تعاليمه دعوة الناس إلى رعاية الحق والعدل، والمؤاساة في الأموال والمعاش، وأداء الحقوق إلى الضعيف والقوي، والردع عن أي ظلم أو حيف، ولو كان حقيراً، والتأكيد على تصحيح الصلات التبادلية، وإيفاء الكيل والميزان، وتخفيف الربح والسعر، وما إلى ذلك، مما جاء في تعاليمه، وقد أوردنا شذوراً منها في فصول الكتاب.

ومما يتجلى في غرة تعاليمه القرآنية القادسة، دعوة الناس إلى إقامة أفضل أشكال القسط، وهو تبني «مبدأ المساواة» و تجسيده، والحسم على تربية الناشئة على ذلك السنن الإنساني اللأحب، في مراحل التعليم والتربية الابتدائية.^٢

الحديث

١ - من سنة ١١٤ هـ. ق، إلى سنة ١٤٨ هـ. ق.

٢ - راجع: الفصول ٤٦ و ٤٧، من هذا الباب، و ٤٧، من الباب ١٢.

- ١ الامام الصادق «ع»: النَّاسُ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ .
- ٢ الامام الصادق «ع»: أَهْلُ الْإِسْلَامِ هُمُ أَبْنَاءُ الْإِسْلَامِ، أُسْوَى بَيْنَهُمْ فِي الْعَطَاءِ .. ٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: .. وَمَا أَخَذَ مِنَ الزَّكَاةِ فَضَّهَ عَلَى عِيَالِهِ، حَتَّى يُلْحِقَهُمُ بِالنَّاسِ . ٣

٥- الحكم المنتظر والقسط

الكتاب

- ١ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً، وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * ٤

الحديث

- ١ النبي «ص»: أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ، يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي، عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ

١ - تحف العقول / ٢٧١؛ راجع أيضاً: النظرة إلى الفصل ٢١، من هذا الباب .

٢ - الوسائل ١١ / ٨١؛ راجع لتمام الحديث: الفصل السابق .

٣ - الوسائل ٦ / ١٥٩؛ راجع: الفصل السابق .

٤ - سورة القصص (٢٨): ٥ .

وَزَلْزَل، فَيَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجورًا.^١

* هذا مضمون متواتر إجمالاً، منقول عن النبي
الاعظم «ص»، في صحاح الفريقين ومسانيدهم .

٢ النبي «ص» - ابو سعيد الخدري قال : قال رسول الله «ص» : «أبشركم
بالمهدي .. يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا ..^٢

٣ الامام الصادق «ع» : .. أما والله ! لَيَدْخِلَنَّ عَلَيْهِمُ عَدْلَهُ، جَوْفَ بُيُوتِهِمْ، كَمَا
يَدْخُلُ الْحَرُّ وَالْقُرُ.^٣

* فالإسلام دين القسط والعدل، العدل في جميع الشؤون
والأمور . فهذا كتابه القرآن يأمر بالعدل ويدعو إلى القسط .
وهذا نبيه الهادي يقوم بالقسط ويجسده حتى في نظره إلى
أصحابه، حيث «كان يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا
وينظر إلى ذا بالسوية».^٤

وهؤلاء أوصياء نبيه يقومون بالقسط تجسيدا أو تعليما، وقد
وصفوا بأنهم «القوامون بالقسط» - كما سيأتي .

وهذا مهديه المنتظر «ع» - وهو مسيح المسايح ونتيجة
النتائج - يأتي ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً،^٥ ويقسم الأموال

١ - البحار ٥١ / ٨١، عن «كشف الغمة»، عن أحاديث الحافظ الثقة، أبي نعيم الإصفهاني (م - ٤٣٠ هـ - ق)، صاحب «جليه الأولياء».

٢ - المسند ٣ / ٣٧، لأحمد بن حنبل (م - ٢٤١ هـ - ق)؛ منتخب الأثر / ١٤٧.

٣ - البحار ٥٢ / ٣٦٢، عن «الغيبة»، للنعمانتي .

٤ - الوسائل ٨ / ٤٩٩؛ راجع : النظرة إلى الفصل السابق .

٥ - راجع : النظرة إلى الفصل ٣٩، من هذا الباب .

والإمكانيات بشكلٍ لا يُرى معه محتاجٌ إلى الزكاة ..
ففي هذا الضوء - النّير الرَّاهن - فأَيُّ فقهٍ، أو حكمٍ، أو مجتمعٍ
لا يَخضعُ فعلياً لمبدأ القسط، ولا يُجسّدُه في جميعِ الأجواءِ
والقِطاعات، فليس له أن يَنْتمِيَ إلى الإسلام، صوتاً لِسُعةِ دينِ الله
الخالِدِ عن التّشويه .

وَمَنْ زَعَمَ أَنْ تَجْسِيدَ الآيَةِ (آيَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَحُكْمِهِمْ)،
إِنَّمَا يَقَعُ بِإِسْقَاطِ نِظَامٍ، بِدُونِ تَغْيِيرِ لِلْوَضْعِ الْحَيَاتِيِّ وَالْمَعِيشِيِّ،
وَبِدُونِ أَنْ يُصْبِحَ الْمَحْرُومُونَ وَالْمُسْتَضْعَفُونَ حُكَّاماً سَائِدِينَ،
مَرْدُودَةً إِلَيْهِمْ حَقُوقَهُمْ، فَهُوَ غَارِقٌ فِي الْأَوْهَامِ، مُبْتَعِدٌ عَنِ فَهْمِ وَاقِعِ
الإسلام .

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقِسْطَ يُجَسَّدُ، وَأَنَّ النَّاسَ يَقُومُونَ بِهِ، بِدُونِ إِبَادَةِ
التّكاثُرِ (وَاللِّبْرَالِيَّةِ الإِقْتِصَادِيَّةِ) وَإِزَاحَةِ الْفَقْرِ مِنْ عِرْصَاتِ الْحَيَاةِ،
فِيحُلُّمُ أَحْلَامَ نَائِمٍ، أَوْ يُمَوِّهُ الْأَمْرَ عَلَى الْجَمَاهِيرِ، أَوْ يَنْخَرِطُ مَعَ
الْمُتْكَاثِرِينَ وَالْمُتْرَفِينَ فِي سَبَلِكِ، أَوْ يَجْبُنُ مِنَ الصُّمُودِ فِي وَجْهِ
الظّالِمِينَ .

إِلْمَاحٌ إِلَى سِرِّ كَبِيرٍ

الحديث

١ - الإمام علي «ع»: العَدْلُ حَيَاةُ الْأَحْكَامِ .

١ - غرر الحكم / ٣٠ .

* لقد فَصَّلنا الكلامَ عن العدلِ وأهميتهِ في إصلاحِ المجتمعِ وبقاءِ الدينِ فيه، في الفصولِ السادسِ والأربعينِ إلى الثامنِ والأربعينِ، من البابِ الثاني عشرِ، في الجزءِ السادسِ، فليُراجِعها القارئُ الكريمُ.

وهذا - لَعَمْرُ الحقِّ والعدلِ - من عظامِ تعاليمِ أميرِ المؤمنينِ «ع». نَعَم، لِحياةِ واقعيةٍ لأحكامِ الدينِ، ولِبُخوعِ الجماهيرِ الفعلِيِّ بها في جميعِ قِطاعاتِهِم، إلَّا في أوساطٍ لا يَسُوذُها إلَّا القسطُ، ولا يَصنَعُها إلَّا العدلُ.

وهذا المطلبُ واضحٌ لمن عَرَفَ شيئاً من المجتمعِ والحياةِ والإنسانِ والغرائزِ. وأما الضَّغَطُ على الناسِ بحملِهِم على رِعايةِ ظواهرِ بعضِ الأحكامِ الشرعيةِ - في المعابرِ والشوارعِ - مع التَّساهلِ في قيامِ المجتمعِ بالقسطِ في جميعِ صلاتِهِ، والتسامحِ في إحياءِ كرامةِ المحقورينِ وردِّ حقوقِ المحرومينِ المختلفةِ إليهِم ورفِعِهِم إلى مستواهِمُ الإنسانيِّ اللائقِ، فأمرٌ لا يَجْنَحُ إليه أيُّ مُصلِحٍ حَصيفِ الرَّأيِ، يَتَطَلَّبُ الإصلاحَ في واقعِ حياةِ الناسِ.

ولو لا ذلك لم يَجْعَلِ اللهُ تعالى غايةَ بعثةِ الأنبياءِ «ع» وإنزالِ الكتبِ والحديدِ قيامِ الناسِ بالقسطِ، فإنَّ اللهَ سبحانه، شاءَ أن يَعمَلَ الجماهيرُ بأحكامِ دينِهِ، وَعَلِمَ أنَّ الطَّرِيقَ الموصِلَ إلى ذلك المقصدِ هو فُشُوُّ القسطِ والعدلِ فيهِم وسيادَتُهُما عليهِم، ففَرَضَهُما على الناسِ. وبذلك يَصْرُحُ وليُّ اللهِ الكاملِ، الواقفُ على أسرارِ دينِ اللهِ وطبائعِ خلقِ اللهِ وموضوعياتِ الحياةِ وحقائقِ المجتمعاتِ، فيقولُ بملءِ فيه الطَّاهرِ: «العدلُ حياةُ الأحكامِ»، لا «الضَّغَطُ حياةُ الأحكامِ».

وهذا سرُّ عظيمٌ، أباحه كلامُ إمامِ الإنسانيَّةِ العظيمِ، في سبيلِ

صُنِعَ المجتمعات البشريّة وإسعادِ الجماهير .

وبما أنّ إحياءَ الأحكامِ الإلهيّة واجب، فالقيامُ بالقسطِ والعدلِ واجب، لتوقُّفه عليه، وفشله بدونه . ومن هنا يُصِبُّ السَّعْيُ والمجاهدةُ لإقامةِ العدلِ أوَّلَ واجبٍ على أيِّ حكمٍ أو فقهٍ إسلاميِّين، قبلَ كلِّ شيءٍ . ولذلك نجدُ أميرَ المؤمنين «ع» قد أقدمَ على إرساءِ قواعدِ العدلِ - ولا سيَّما الاقتصاديِّ منه - وإقامةِ الأُمَمِ والوَجْهِ في توزيعِ الأموالِ وامتلاكِها، في أوَّلِ أيَّامِ خلافته - كما هو معروف .

الحيف يدعو إلى السيف

الحديث

١ الإمام علي «ع» - فيما قاله لأحدِ عمّاله، وقد نَهاه عن تقديمِ الخِراجِ :
إِسْتَعْمِلِ العَدْلَ، وَاحْذِرِ العَسْفَ والحَيْفَ؛ فَإِنَّ العَسْفَ يُعَوِّدُ بِالجَلَاءِ،
والحَيْفَ يَدْعُو إلى السَّيْفِ .^١

* قال الشيخ محمد عبده المصريّ: «الحيفُ الميلُ عن
العدلِ إلى الظلم، وهو يَنزَعُ بالمظلومين إلى القتالِ لِإنقاذِ
أنفسِهِم».

وما أعظمَ الكلامَ من تعليمٍ، حيثُ يُشجِّعُ المظلومين

١ - نهج البلاغة / ١٣٠٤؛ عبده ٣ / ٢٦٦ .

والمقهورين على أخذ حقوقهم بالقهر؛ ويريهم طريق الخلاص،
وما هو إلا الثورة والتغيير.

المقياس الفاصل بلاريب

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: إن الناس يستغنون إذا عدل بينهم^١.

٢ الامام الكاظم «ع»: لو عدل في الناس لاستغنوا^٢.

* قد عرفوا العدل تعاريف مختلفة، توسيعاً وتضييقاً، بحسب
فلسفات نظرية متفاوتة. وفي الناس من يجنح إلى جانب ويدع
الجانب الآخر، لعدم الإحاطة بحقيقة الموضوع، أو لأغراض
وغايات أشرنا إليها في مواضع أخرى.

والصحيح أن نقسم العدل أولاً إلى أقسامه، كالاقتصادي
والقضائي والأخلاقي والإداري والسياسي و.. ثم تأتي لكل واحد

منها بتعريف جامع مانع^٣.

١ - الكافي ٢ / ٥٤٨؛ راجع أيضاً: النظرة إلى الفصل ٣٩، من هذا الباب، والفصول ٤٦ إلى ٤٨،

من الباب ١٢.

٢ - الكافي ١ / ٥٤٢.

٣ - والواجب الثاني أن نعيد إلى الترتيب، ونوضح أن الأهم والأقدم من أقسام العدل ما هو؛ ولعل
العدل الاقتصادي هو الأول، والأهم، الذي يوطئ لسائر الأقسام. ولذلك نجد الأنبياء «ع» يدعون
الناس - بعد الدعوة إلى ربه - الله تعالى وعبادته - إلى إيفاء الكيل والميزان وعدم بخس الناس
أشياءهم (كما في القرآن الكريم). وما ذلك إلا الدعوة إلى العدل الاقتصادي وتقديمه.

والحقُّ في تعريفِ «العدلِ الاقتصاديِّ» أن نقول - اقتباساً من المعصوم «ع» وتعلماً من ذي علم - : «العدلُ ما تُرَاحُ به حاجاتُ الجماهيرِ بأسرها».

ولقد أبدعَ الإمامان، أبو عبد الله جعفرُ الصادقُ «ع» وأبو - إبراهيم موسى الكاظم «ع»، في إرشادِ الهَيِّ قِيمٍ، انْعَكَسَ فِيهِ نَفْسُ الْأَنْبِيَاءِ «ع»، حَيْثُ جَعَلَا فِي بَيَانِهِمَا لِلْعَدْلِ مَلَكَاً مُحْسَوْساً مَلْمُوساً لَا يَعُدُّوهُ، وَبِهِ يُتَاحُ لِكُلِّ أَحَدٍ تَشْخِصَ الْعَدْلِ وَحُضُورَهُ فِي النَّاسِ أَوْ غِيَابَهُ وَفَقْدَهُ . وَالْمَلَكَ هُوَ اسْتِغْنَاءُ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ (لِعُمُومِ «النَّاسِ»). وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَتَسَنَّى لِأَحَدٍ أَنْ يَجْهَلَهُ، أَوْ يَتَجَاهَلَ عَنْهُ، أَوْ يُمَوِّهُ أَوْ يَدَاهِنَ فِيهِ . فَالْعَدْلُ إِذَا تَجَسَّدَ لَا يُوجَدُ فِي النَّاسِ ذَوْحَاجَةٍ أَبَدًا، بَلْ يُصْبِحُ الْكُلُّ مُسْتَعْنِينَ ٢.

فالإسلامُ يقول: اذْهَبْ إِلَى النَّاسِ، وَتَصَفَّحِ الْجَمَاهِيرَ وَحَيَاتِهِمْ هُنَا وَهَنَّا، فِي الطُّرُقِ وَالشُّوَارِعِ، فِي الْمَحَلَّاتِ وَالسُّكَّكَ، فِي الْمَنَازِلِ وَالْبُيُوتِ، فِي الْأَمْصَارِ وَالرَّسَاتِيقِ، فَإِنْ وَجَدْتَ فِيهِمْ فُقُورًا وَاحِدًا، فَهَنَّاكَ الظُّلْمَ قَائِمًا وَلَا عَدْلَ .

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ فِي الْإِسْلَامِ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَجْتَمَعَاتٍ يُكَابِدُ قَطَاعَاتِهِ الْكَثِيرَةَ وَالْكَثِيرَةَ الْأَمَّ صُورَ الْفُقْرِ وَالْحَاجَةِ وَالْحَرَمَانِ - مُعْلَنَةً وَغَيْرَ مُعْلَنَةً - فَهَلْ هُنَاكَ يُوجَدُ أَثَرٌ مِنْ عَدْلِ، أَوْ رَائِحَةٌ مِنْ قِسْطٍ؟ وَهَلْ يَسُوعُ لِأَحَدٍ أَنْ يُسَمِّيَ تِلْكَ الْمَجْتَمَعَاتِ وَحُكُومَاتِهِمْ أَسْلَامِيَّةً؟

١ - وَلَعَلَّ السَّرَّ فِي الْإِتْيَانِ بِالْفِعْلِ الْمَجْهُولِ (عُدِلَ)، هُوَ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ عَلَى أَيْدِي النَّاسِ، لَوْ لَمْ يَكُنِ

الْعُلَمَاءُ عَارِفِينَ بِالْعَدْلِ قَائِمِينَ بِهِ، وَالْحُكَّامُ وَالْأَمْراءُ مُجَسِّدِينَ لَهُ .

٢ - وَهَذَا مَعْنَى كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «ع»، الَّذِي جَاءَ فِي الْمَصَادِرِ (الْكَافِي) / ٨ / ٣٢، وَرَاجِعَ:

الْفَصْلَ ٥، مِنَ الْبَابِ ١٠، فِقْرَةٌ «د»، فِي الْجِزْيَةِ الثَّانِيَةِ . وَحَاصِلُهُ «أَنَّ الْمَجْتَمَعَ الْإِسْلَامِيَّ لَا يُوجَدُ فِيهِ عَائِلٌ أَوْ مُحْتَاجٌ أَوْ مَظْلُومٌ، مُسْلِمًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ» . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاكِمَ الْإِسْلَامِيَّ الْحَقَّ يَعْدِلُ وَيَعْدِلُ، وَلَا يُوجَدُ - مَعَ الْعَدْلِ - عَائِلٌ أَوْ مُحْتَاجٌ أَوْ مَظْلُومٌ . فَمَاذَا تَدْعُونَ، وَأَنْتَى تُوقِفُونَ، وَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ ..

نظرة الى الفصل

سنفصل الكلام عن القسط الاسلامي والعدالة الاجتماعية في الاسلام، في الفصول التي تتناول فيها العدل والاحسان والتوازن الاقتصادي والتعادل المعيشي، يعني الفصل السادس والاربعين الى الثامن والاربعين، من الباب الثاني عشر، غير أننا نشير هنا الى امر هام في البشرية والتاريخ، فنقول: إن مشكلة البشرية، عبر تاريخها الطويل المرير، هو الظلم الاقتصادي والمالي والمعيشي،^١ واستيلاء الطواغيت الاقتصاديين على الناس المضطهدين والمعذبين والمظلومين (مصيبتكم الطواغيت من اهل الرغبة في الدنيا ..).^٢ نعم، إن من اكبر انواع الظلم وأشكاليه - بل اهمها واكبرها - هو الظلم الاقتصادي السائد في الناس، وهو يصاد القسط ويمحقه. وإن الظلم المذكور هو الذي يجر الى البشرية كل اقسام الفتن والويلات والاضطهاد والميوعة والسقوط والتخلف والاحاد. ولأجل ذلك نشاهد أن الانبياء «ع» قد استهدفوا، بادى ذي بدء، شجب هذا الظلم وسحقه، باقامة القسط وبسطه في الجماهير، فكانوا يدحرون الاغنياء والمستكبرين الاقتصاديين، ويلتحمون مع صفوف المحرومين والمعذبين. وقد عد القرآن الكريم، قيام الناس بالقسط، غاية

١ - كما أوعزنا اليه في المقدمة ايضاً: الفقرة ٢، وفي مواضع أخرى. وذلك لاهمية توعية المجتمع بالنسبة الى هذا الموضوع. فعلى الجماهير ان يعرفوا المستكبرين وحياتهم واضرارهم وظلمهم حق المعرفة، حتى تمهد هذه المعرفة للاطاحة بقواعدهم وانقاذ الناس من مخالبهم.

٢ - امالي المفيد / ١١٧، من حديث الامام علي بن الحسين السجاد «ع»، راجع: الفصل ٧، من هذا الباب.

الغايات الاجتماعية لبعثة الانبياء «ع»^١.

ومما يجب أن ينتبه له الضمائر - وخصوصاً ضمائر المسلمين - أن الأحاديث النبوية التي تبشّر بأن المهدي المنتظر «ع» إذا ظهر يملأ الارض قسطاً وعدلاً .. ترشدنا الى امرين عظيمين :

١ - أن مشكلة الانسان الاصلية، هي الظلم والجور. والاصل فيها الاقتصادية منها.

٢ - أن اصل الاصلاح الديني الاجتماعي واساسه، هو تطبيق القسط وتجسيده، لا غير.

اذاً، فالجهل بهذين الامرين الرئيسيين او الغفلة عنهما واهمالهما، يؤدي الى فشل الثورات، وفتور الهمم، وخيبة الآمال، وضياع الجهود، ووهن المعتقدات، وهدر الدماء، واستيلاء المتخلفين، وخنق اصوات التغييرين.

ومن هنا، تصبح تأكيدات الاسلام الحاسمة - بشتي الاساليب والصّور - على اهمية القسط ووجوب دعمه وتوسيع نطاقه في حياة الناس، وعده العدل السبب الوحيد لاصلاح المجتمع الانساني^٢، من اهم ميزات هذا الدين الهامّة والعميقة. فعليه يجب أن يكون أول الاهداف واهمها لاية ثورة من الثورات الاسلامية، هو شجب الظلم الاقتصادي والعدوان المالي، ودعم نظام العدل وارساء قواعد القسط القرآني^٣.

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٢ - راجع : الفصل ٤٧، من الباب ١٢.

٣ - ولاجل ذلك نشاهد أن الامام علي بن ابي طالب «ع» حينما يأخذ بزمام الحكومة الاسلامية - بعد حركة ثورية - ينطلق من أول الامر الى ارساء هذه الدعامة، فيصرخ صراخه التاريخي المعروف، الذي لا يخرج صده من سمع التاريخ، ولا تمنحي صبغته من لوحات الشفق والفجر : «والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإمام لرددته، فإن في العدل سعة. ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق» - (نهج البلاغة / ٦٦؛ عبده ١ / ٤٢). وقالوا : إن الامام خطب بهذه الخطبة في ثاني يوم من بيعته في المدينة.

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

وإنَّ القسْطَ والجِهَادَ في سبيلِ تجسيدِهِ في حياةِ النَّاسِ، هو السِّمَةُ
الاصْلِيَّةُ لكلِّ ثورةٍ اسلاميَّةٍ، او حكمٍ اسلاميٍّ، او فِقَاهَةٍ قرآنيَّةٍ،^١ ولا يَسُدُّ
فِرَاعَهُمَا أيُّ شيءٍ .

والعجبُ من الذين يُعدُّونَ الكِفَاحَ ضِدَّ التُّكَاثِرِ والفقر - الذي به
تُضْمَنُ اقامةُ القسْطِ - من الامورِ الاخلاقيةِ التي لا ضَمَانَ لتطبيقِها . فاذا
كانت هذه الامورُ اخلاقيةً - ان شاء قومٌ عمِلُوا بها وان لم يَشَأُوا لم يَعْمَلُوا
- فماذا تكونُ مِيزَةُ أيِّ حكمٍ اسلاميٍّ قرآنيٍّ من غيرِهِ؟..

اَيَقْنَعُ الانسائيونَ، والنابهنونَ، والمصلحون الصامدون، وطلّابُ
العدالةِ والحقِّ الصادقونَ، والشبابُ الثائرونَ، من الحكمِ الاسلاميِّ بَانَ
يُعْضُ الطَّرْفَ عن التُّكَاثِرِ ويُخَلِّي سبيلَهُ (فضلاً عن ان يُواكِهَ وَيُطْلِقَ
سراحَهُ، ويَكونَ في رِجالِهِ من يَجْنَحُ الى المتكاثرينَ والمُتَرَفِّينَ)، وان
يُهْمَلُ جانبَ مكافحةِ الفقرِ وازاحتِهِ، وان لا يَجِدَّ كلَّ الجِدِّ لقيامِ النَّاسِ
بالقسْطِ في عرصاتِ الواقعِ القائمِ؟ مع أَنَّهُ من اللّاحِبِ الواضحِ ان النَّاسَ
ان لم يَقُومُوا بالقسْطِ، وانَّ العدالةَ الاجتماعيةَ ان لم تُجَسَّدَ، وانَّ
الطَّاعُوتَ الاقتصاديَّةَ ان لم يُشَجَبَ، فلا فائدةَ اساسيةً في مكافحةِ
المفاسدِ والسُّلبيَّاتِ الاجتماعيةِ الأخرى، لَأنَّها اذا لم يَكُنِ المجتمعُ
مجتمعَ عدلٍ وقسْطٍ تَكْمُنُ وتَبْطُنُ، او تَظْهَرُ في الوانٍ أُخرى، وتَعْمَلُ عملَها
وتَخْلُقُ سُلبيَّاتِها السَّاحِقةَ، في تَمييعِ ارواحِ النَّاسِ وأخلاقِهِم هُنا
وهناك .. ولاجلِ هذه الحقيقةِ الرَّاهِنةِ في حياةِ المجتمعاتِ والبُخوعِ بها
بصمودٍ واخلاصٍ، يُنادي امامُ الانسانِ والانسائيَّةِ وتِمثالُ الحقِّ والعدالةِ،
الامامِ عليِّ بنِ ابي طالبٍ «ع» بهذا التَّداءِ: «الرَّعيَّةُ لا يَصْلِحُها الا
العدلُ»^٢.

١ - راجع: الإيقاظ ٧، من هذه النظرة .

٢ - غرر الحكم / ٢٩ .

إيقاظ هامّ (١)

الحكم الاسلامي والقسط

لقد جاءت في الاسلام تعاليم كثيرة - في القرآن والحديث - وتأكيدات حاسمة على موضوع الولاية والحكومة. ودَرَسُوا مواصفات مَنْ يَصْلَحُ لها ومُؤَهَّلَاتِه وَمَنْ لَا يَصْلَحُ، بصورة واعية، لاهمّية هذا الامر الحياتيّة في الاسلام. وقد عدّوها من اركان الاسلام الخمسة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الولاية)، بل جعلوها اهمّها الذي به تُقام الاربعة الأخرى. قال الامام ابو جعفر الباقر «ع»: «بُنِيَ الاسلام على خمس، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية. ولم يُنادَ بشيءٍ كما نُودي بالولاية». والمراد بالولاية هنا، هو الحكومة القرآنية^١ واقامتها بين الناس نيابة عن النبي «ص». ومن الأدلّة الواضحة عليه ما جاء في حديث آخر، عن زرارة بن أعين، عن الامام الباقر «ع» ايضاً: «بُنِيَ الاسلام على خمسة اشياء، على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زرارة: فقلت: واي شيء من ذلك افضل؟ فقال: الولاية افضل، لأنها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ...»^٣

فالتعبير بـ«الوالي»^٤، وعدّه الدليل على الاركان الاربعة الباقية، يدلُّ بوضوحٍ على أنّ المراد به هو الحاكم والسائس^٥ والقائد والمدير

١ - الكافي ٢ / ١٨.

٢ - وهذا المعنى للولاية لا تنافي الولاية الباطنية، بل تنشأ منها وتواكبها.

٣ - الكافي ٢ / ١٨.

٤ - والوصف من الولاية، بمعناها الجامع، يَجِيءُ على صيغة «الولي»، كما في الآية ٥٥، من سورة المائدة.

٥ - ولقد وصّف اوصياء النبي «ص» بأنهم «ساسة العباد». وجاء فيما شرّحه الامام ابو الحسن علي بن

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

الاجتماعي والمُرَبِّي الانساني، حيث يُدَلُّ النَّاسَ بالطُّرُقِ المناسبة - تعليماً وتربيةً وارشاداً وتمهيداً - على اقامة الصَّلَاةِ واخواتها .

وإنّما اشْرْنَا الى هذا الموضوع، اشارةً مقتضبةً بهذا الايقاظ، لأن نقول إنّ الهدفَ الغائيَّ (من الجهة الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية) لهذه الحكومة والولاية، التي دعا الاسلامُ اليها بهذه الصورة المؤكّدة وعدّها من اهمّ الاركان الخمسة ومُقيّمها، إنّما هو تجسيدُ القسطِ والقيامُ به . لأنّنا نشاهدُ أنّ القرآنَ الكريمَ يقولُ : «يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ..»^١ . ومن هنا نَعْلَمُ بيقينٍ أنّ اوصياءَ النَّبِيِّ «ص» - وهم اعدالُ القرآن - يكونون في الرّتل المُقدّم ممّن يلبّون هذا النداء، بل هم المخاطبُونَ الاصليُّون به، فهم قوامُونَ بالقسط؛ ولقد وُصِفُوا في بعضِ التعاليمِ ايضاً بهذه المواصفة : «القوامُونَ بالقسط». ويصِفُ الامامُ عليُّ بنُ ابي طالب «ع»، الحكمَ الاسلاميَّ بأنّه حكمٌ لا يُوجدُ فيه عائلٌ ولا محتاجٌ ولا يُظلمُ فيه مسلمٌ ولا مُعاهدٌ^٢ . ولا يكونُ ذلك الا باقامةِ القسط . ويصِفُ الامامُ الصادق «ع» الامامَ (الواليَ الاسلاميَّ) بأنّه يقومُ بالعدل^٣ . ويقولُ في خطبةٍ له، يذكُرُ فيها حالَ الائمةِ «ع» : «... جَعَلَهُمُ اللهُ حَيَاةً لِلانام ..»^٤ . وكونُهُم حَيَاةً لِلانام لا يَخُصُّ البعضَ دونَ الآخريْن، فهم اذا كانوا حاكِمينَ يكونون حَيَاةً لِلِقِطَاعَاتِ والجماهيرِ (ويُدلُّ عليه التّعبيرُ بالانام، سوى العموماتِ الاسلاميّةِ والواقعِ الَّذي نَعْقِلُه من الدّينِ الالهِيِّ) . ولا تكونُ حَيَاةً الا باقامةِ العدلِ والقسط، كما يقولُ الامامُ عليُّ بنُ ابي طالب «ع» :

موسى الرضا «ع»، من مواصفات الامام : «... عالمٌ بالسّياسة» - (الكافي ١ / ٢٠٢).

١ - سورة النساء (٤) : ١٣٥ .

٢ - الكافي ٨ / ٣٢ .

٣ - الكافي ١ / ٢٠٤ .

٤ - الكافي ١ / ٢٠٤ .

«العدلُ حياةٌ»^١.

ويقول الامام ابو الحسن عليّ بن موسى الرضا «ع» - فيما وصّف به الامام (من مقال القاه بمدينة مرو، في يوم جمعة، على بعض اصحابه، اشعاعاً على طريق الحق الخالد، وتبييناً للوصاية وآفاقها وأغوارها): «.. وأمر الامامة من تمام الدين .. إنّ الامامة أسّ الاسلام النامي، وفرعه السامي؛ بالامام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وامضاء الحدود والاحكام، ومنع الثغور والاطراف . الامام يحلّ حلال الله، ويحرم حرام الله ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله .. الامام الماء العذب على الظميا .. والهوالد الشفيق .. والأم البرّة بالولد الصّغير ..»^٢.

ومن الواضح، أنّ من تمام الدين، إقامة القسط في الناس، لأنّها غاية الغايات الاجتماعية لبعثة الانبياء «ع» - كما صرّح به القرآن - ولأنّ إقامة الصلاة وتاممها واداء الزكاة والصيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات .. لا تتجسّد الا في مجتمع اسلامي صالح . وهذا المجتمع لا يَصنع الا باقامة القسط^٣ . وكذلك تحليل حلال الله وتحريم حرامه، لا يواكب الحياة التكاثرية والترفيهية وحضورهما في المجتمع، لأنهما تضادان القسط والعدل الاقتصاديّ . فالامام هو الحاكم المزيح لكل ذلك باقامة القسط، ويذب بذلك عن دين الله ويكلّ عباده، ويمنع من تطرّق الانحلال العقيدّي او العمليّ الى الجماهير .

وكذلك من الواضح، أنّ كون الامام الماء العذب، يعم جميع الناس وابناءهم وبناتهم واطفالهم؛ وكذلك برّه ورحمته يسع الجميع .. فهو لا يقارن

١ - غرر الحكم / ١٥ .

٢ - الكافي / ١ / ١٩٩ - ٢٠٠ .

٣ - راجع: الفصل ٤٧، من الباب ١٢ .

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

على حرمان السّاعبين وكِطّاتِ الظّالمين .. ويكونُ القويُّ (اي الطّاغوتُ الاقتصاديُّ، المستكبرُ المُتَرَفِّ، والمُسرفُ الَّذي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَلْبَسُ وَيَرْكَبُ وَيَسْكُنُ مالاَخرين)، عندهُ ضعيفاً حتى يَأْخُذَ الحَقَّ منه، ويكونُ الضّعيفُ (المسكين، الفقير، المُعذَّب، العامل، الكادح، الزّارع، الاجير، اليتيم ومن اليهم)، عنده قوياً حتى يَأْخُذَ الحَقَّ له ..

ففي هذا الضّوء، إنّ الحكوماتِ الّتي تُؤَسَّسُ استناداً الى الولاية الالهية الاسلاميّة، يَجِبُ عليها - أوّل ما يَجِبُ - ان تَعِمِدَ الى اقامة القسطِ في النَّاسِ وتطبيع حياتهم به وسوقهم الى تبنّيه بصورةٍ فعليّةٍ واسعةٍ وعميقة، من غيرِ أيِّ عذر، او فتور، او مدهانة، او دَجَلٍ، او خوفٍ، او تأجيل، حتى تَظْهَرَ سِمَاتُ الاسلاميّةِ على عرصاتِ المجتمع .

وهذا اصلُ رئيسيِّ تَحْتاجِ البشريّةِ المعاصرةِ الى تجسيدها اشدَّ احتياج، فيكونُ القيامُ به سبباً قوياً للتعريفِ بالاسلامِ على المستوى العالميِّ، كما أنّ اهماله يُصْبِحُ سبباً قوياً لذهابِ ريحِ الاسلامِ ودَحْضِ مراميه في اِسعادِ الانسانِ واعلاءِ كلمةِ الله في مشارقِ الارضِ ومغاريبها . بل الحقيقةُ الّتي يَجِبُ أن لا نَغْفَلَ عنها، هي أنّ الاهمالَ المذكور، يُؤدّي الى ضعفِ معتقداتِ النَّاسِ وتركهمُ التَّعبُدَ والاعمالَ الدّينيّةَ احياناً، ولو في قطاعات .

وذلك لأنهم اذا شاهدوا من الحكم الَّذي أُقيمَ باسمِ الاسلامِ واتباعه (وأريقَتِ الدِّماءُ لتعبيدِ الطُّرُقِ له، وَاسْتَهْلَكَتْ في سبيلِ إرسائه اعماراً ثمينّةً واموالٌ للافرادِ او الشَّعبِ طائلةً)، امثالَ هذه الامور:

- لايهتمُّ بالمسائلِ الرّئيسيّةِ في الحياةِ الاقتصاديّةِ؛

- لا يَخْضَعُ لناموسِ القسطِ الَّذي دعا اليه القرآن الكريم ولا يَجِدُ

لتجسيده؛

- لا يَجْنَحُ الى اقدمٍ تغييريٍّ وحركةٍ جذريّةٍ تتجاوزُ حدَّ الهُتافِ،
لازاحةِ الوانِ الحرمانِ والمسكنةِ والجورِ المعيشيِّ في الجماهيرِ؛
- لا يَقَطُّعُ ايدي اولئك المتكاثرين الذين تَتَضَخَّمُ لديهم الثرواتُ يوماً
فيوماً، من امتصاصِ النَّاسِ بالوانٍ وصورٍ؛
- لا يُكافِحُ المستكبرين ولا يُنافِحُ حياتهم، حتى يُتاحَ له انقاذُ
المستضعفين واسعادهم ..

- ولا يَمْنَعُ من نفوذهم في أَجْهَرَتِهِ وفي البرمجةِ والتقنينِ ..
نعم، إنَّ النَّاسَ اذا وَقَفُوا على تلکم الفواحِشِ والفواقرِ وعَرَفُوا وقاسُوا| تلکم
المصائبِ والمصاعبِ، يَحْسَبُونَ أنَّ الاسلامَ يُقَرُّ الظلمَ ولا يُؤكِّدُ على
العدلِ، بل يُبرِّرُ هذه الامور وما اليها، فيضعفُ عندئذٍ معتقدُهم الديني ..
اذا الجماهيرُ تَلَمَّسُ - اَوَّلَ ما تَلَمَّسُ - القضايا الحياتيةِ والاقتصاديةِ وتُحسُّ
بآثارِ التَضَخُّمِ والعدوانِ الاقتصاديِّ، وتُرَضُّ عِظَامُهُ تحت نيرِ الغلاءِ ..
وليست لكلِّ النَّاسِ مُنَّةُ الرجوعِ الى القرآنِ والحديثِ وما هناك من
تعاليمِ، حتى يَعْرِفُوا واقعَ الاسلامِ واحكامه في العدالةِ والقسطِ ورفضِ
المظالمِ الاقتصاديةِ والمعيشيةِ والفروقِ السَّاحقةِ، فَبَقَعُوا عند ذلك في
شَبَكَاتِ الانحلالِ العقيديِّ او الاخلاقيِّ او العمليِّ، ولا سيما الشَّبَابِ
الذين لم تَتَرَسَّخْ الاصولُ الاعتقاديةُ في قلوبهم كلِّ الرُّسوخِ، ولا يَقْدِرُونَ
على ان يَفْصِلُوا الدِّينَ عن عملِ المدَّعينِ، او قُصُورِ الواعينِ، او تخلفِ
الرجعيِّينِ، او ضعفِ ومداهنةِ العاملينِ، او حيلِ المُنتَمينِ اليه من طواغيتِ
اهل الدُّنيا المستكبرين ..

وفي هذه الاحوالِ، يُصْبِحُ من الواجبِ على كلِّ عالمٍ ضليعٍ في
معرفةِ الاسلامِ بابعاده، واقفٍ على مصدريةِ الاصليينِ (القرآنِ والحديثِ)
بصورةٍ مستوعبةٍ، ولا سيما ما جاء في تعاليمِ العترةِ الهاديةِ «ع» لتفسيرِ
القرآنِ وتبيينِ الاسلامِ، اَنْ يَبُتَّ علمه في النَّاسِ، حتى يَحْصِنُوا ضَدَّ

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

الانحلالين، العقيدِيَّ والعمليِّ، ويحصن الشَّابَّ ضدَّ الارتباكِ في شُرْكِ المدارسِ والاتِّجاهاتِ الالحادِيَّةِ، او المُضلِّلةِ، او المُميِّعةِ، من الشَّرقيَّةِ او الغربيَّةِ؛ وحتى تَعَلَّم الجماهيرُ أنَّ الاسلامَ «دينُ الحياة»، وأنَّ هذا الدِّينَ هو الَّذي دعا اليه اللهُ والرَّسولُ «ص» لَأَن يُحييَ البشريَّةَ كافَّةً، وأنَّ كلَّ وضعٍ يُشاهدُ مخالفاً لتأثيراتِ الاسلامِ الاصلِيَّةِ، انما وَقَعَ لضعفٍ في الوَعْيِ او التَّجسيدِ، لافي التَّشريعِ او التَّأشيرِ، ولعقباتٍ تُثارُ في سبيلِ التَّطبيقِ، لا في اصلِ المنهاجِ المُخطَّطِ ..

وانما قصدنا بهذا التذكيرِ ايقاظَ الضَّمائِرِ وصيانةَ المعتقداتِ وانقاذَ الشَّبابِ .. ولا نَبُوحُ هنا بخبيئَةِ اسرارنا اكثرَ من هذا الالماحِ .. ولا حولَ ولا قوَّةَ الا باللهِ ..

إيقاظ هام (٢)

التقنين الاسلامي والقسط

يَتَضَحُّ من الامعانِ في البحثِ السَّالفِ وما يَمُتُّ اليه في كلِّ فصولِ هذينِ البابينِ، أنَّ القسطَ واقامته بين الناسِ، هو قِمةُ الهَرَمِ في تعاليمِ الدِّينِ الالهيِّ . ومن اللاَّحِبَّ أنَّ القسطَ انما يُطبَّقُ اذا صارَ اصلاً ومقياساً للتقنينِ الاسلاميِّ، بل للفقاهةِ الاسلاميَّةِ والإفتاءِ، وجَرَتِ الاحكامُ عليه وأُصدِرَتِ الفتاوى لتطبيقِهِ . فالقسطُ هو المقياسُ الوحيدُ في كلِّ حكمٍ من الاحكامِ الاسلاميَّةِ، به يُقاسُ ومنه يُستلَّهَمُ . والامرُ في الواقعِ ايضاً كذلك، حيثُ أمرنا القرآنُ بأن نكونَ قوامينَ بالقسطِ . والقواميَّةُ بالقسطِ ليستُ أمراً هيناً . وكذلك أمرنا بان نكونَ شهداءَ بالقسطِ . وكلُّ ذلك لا

١ - وسيأتي الكلام عن اهمية توعية الناسِ بواقعِ الدِّينِ في الايقاظِ «٥»، فلاحظ .

يَتَجَسَّدُ الْإِبَانُ يُتَّخَذُ الْقِسْطُ مِقْيَاسًا بَاتًّا فِي عَامَّةِ ابْوَابِ الْفِقْهِ وَالتَّقْنِينِ،
وَيُخَضِّعُهَا بِشَكْلِ لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَلَا بَدَلَ مِنْهُ؛ وَالْأَفْلَانُ كَوْنُ الْبَيْتَةِ مِنْ
الْقَوَامِينِ بِالْقِسْطِ، شَهْدَاءَ عَلَى النَّاسِ، بَلْ نُصِبُحُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَقُومُونَ لِلَّهِ
تَعَالَى بِالْقِسْطِ؛ وَهُمْ بِئْسَ الْقَوْمُ - عَلَى حَدِّ قَوْلِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ «ص»، كَمَا
مَرَّ فِي الْمَتْنِ .

إيقاظ هام (٣)

العدل والتوحيد علويّان

إِنَّ وَجُوبَ اتِّخَاذِ الْقِسْطِ مِقْيَاسًا رِئِيسِيًّا لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَلَا بَدَلَ مِنْهُ، فِي
الْأُمُورِ وَالْأَتِّجَاهَاتِ وَالْأَحْكَامِ وَالْإِدَارَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْاِقْتِصَادِ عَامَّةً، أَمْرٌ
يَتَأَكَّدُ فِي الْفِقْهِ الْعَلَوِيِّ الْجَعْفَرِيِّ، بِصُورَةٍ جَذْرِيَّةٍ وَحَاسِمَةٍ، لِأَنَّ هَذَا
الْمَذْهَبَ مَذْهَبُ الْعَدْلِ، وَمِنْ هُنَا قَالُوا مِنْ قَدِيمٍ: «التَّوْحِيدُ وَالْعَدْلُ
عَلَوِيَّانٌ...». وَلَقَدْ جَاءَ فِي الْأَدَبِ الْعَلَوِيِّ أَيْضًا:

فَلَا وَاللَّهِ لَا تَزُكُّ صَلَاةٌ

بِغَيْرِ وِلَايَةِ الْعَدْلِ الْإِمَامِ .

إيقاظ هام (٤)

الايمن بالبعض والكفر بالبعض الآخر

الكتاب

١ .. أفتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض^١؟

* نَدَدَتِ الْآيَةُ السَّمَاوِيَّةُ بِالتَّبَعِيضِ فِي المَعْتَقِدِ والعمل (اذ
الايان المذكور فيها يشمل العمل ايضاً)، وجعلت جزاء ذلك خِزْيًا
في الحياة الدنيا واشد العذاب في الحياة الأخرى^٢.. وذلك لأن
هذا التبعض، يعني الايمان ببعض الكتاب والدين والشريعة
والاحكام والقيام به، والكفر بالبعض الآخر واهماله، يساوق
الكفر بالجميع (كما صرح به في سورة النساء)^٣، خصوصاً اذا كان
ذلك البعض جزءاً رئيسياً أساسياً. وأي شيء أهم واشد أساسية في
المجتمع الاسلامي المدعي لاتباع القرآن - بعد التوحيد والصلاة
والولاية - من قيام الناس فيه بالقسط، وادارته بموازين العدل؟
نعم، إن التعاليم الاسلامية - من القرآنية والحديثية - تُرشدنا،
في صراحة وحسم، الى أن التوحيد الصادق والصلاة الصحيحة، لا
يتجسدان إلا باقامة القسط، فما آمن بالله ولا بمحمد «ص»، من
بات شبعان وجاره جائع، ولا صلاة لمن لا يؤدي حقوق ماله ..

إيقاظ هام (٥)

اهمية توعية الناس بواقع الدين

١ - سورة البقرة (٢) : ٨٥.

٢ - نزلت الآية في اليهود، غير أن المغزى عام.

٣ - لاحظ: الآيتين، ١٥٠ و ١٥١.

إِنَّ مِمَّا يُسَبِّبُ تَغْلُغَلَ الدِّينِ فِي النُّفُوسِ، وَحُضُورَهُ فِي الْاَوْسَاطِ، وَبَقَاءَ النَّاسِ عَلَى مَعْتَقَدَاتِهِمُ الْحَقَّةَ، هُوَ اِيْقَافُ النَّاسِ عَلَى وَاقِعٍ مَا جَاءَ فِي الدِّينِ، حَوْلَ دَقِيقِ الْحَقِّ وَصَرِيحِ الْعَدْلِ، وَالدَّعْوَةُ الصَّامِدَةُ إِلَى اِقَامَةِ الْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ وَرَفْضِ الْعُدْوَانِ الْمَالِيِّ وَالاسْتِكْبَارِ الْمَعِيشِيِّ، سَوَاءً اَنْجَحَ الْعَامِلُونَ عَلَى تَطْبِيقِهِ فِي الْوَاقِعِ الْقَائِمِ ام لَا .

وهذا من اهمّ ما يجب على ايّ عالمٍ نابه، او داعيةٍ مخلصٍ في الاتّجاه والعمل، او مسلمٍ ملتزمٍ. وذلك لانّ النَّاسَ اذا عَرَفُوا حَقَائِقَ تَعَالِيمِ الدِّينِ وَاَحْكَامِهِ، وَعَلِمُوا أَنَّ تَجْسِيدَ الْعَدْلِ بَادِقٌ صُورُهُ، وَشَجَبَ الظُّلْمِ فِي جَمِيعِ الْوَانِهِ، وَالدَّفَاعَ عَنِ الْمَحْرُومِينَ وَالْمُعَذِّبِينَ وَاسْتِرْدَادَ حَقُوقِهِمْ، وَرَفْضَ الْاسْتِثْنَاءِ وَالاسْتِكْبَارِ الْمَعِيشِيِّ، هِيَ مِنْ اَهَمِّ اجْزَاءِ الدِّينِ الْاَصْلِيَّةِ وَغَايَاتِهِ الْاِنْسَانِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَرْتَبِقُونَ فِي اَشْرَاكِ الضَّلَالِ وَلَا يَتَدَهَوْرُونَ فِي هَوَاتِ التَّسْيِبِ وَالْفِتْوَرِ، بَلْ يَصُونُونَ اِيْمَانَهُمْ وَلَا يَتَمَلَّصُونَ عَنِ اَعْمَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ، حَيْثُ عَرَفُوا كِفَايَةَ الْمَنَاهِجِ وَالْمُخَطَّطَاتِ الْاِسْلَامِيَّةِ لِصُنْعِ «الْحَيَاةِ» السَّالِمَةِ الْعَادِلَةِ، الرَّازِحَةِ بِالْمَثَلِ وَالْقِيَمِ، الطَّافِحَةِ بِالْعَدْلِ وَالْاِحْسَانِ، الْقَائِمَةِ بِالْحَقِّ وَالْقِسْطِ .. وَيَرُونَ أَنَّ زَيْغَ صَلَاتِ الْمَجْتَمَعِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَعَدَمَ اِسْلَامِيَّةِ الْجُودِ الْحَيَاتِيِّ وَمَا يُوْجَدُ فِيهِ مُنْتَبِئًا عَنِ الْاِسْلَامِ وَاَحْكَامِهِ، اِنَّمَا جَاءَ وَنَشَأَ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ هُنَا وَهَنَاكَ .. لَا مِنْ اَصْلِ الْاِسْلَامِ وَتَعَالِيمِهِ .

وَمِمَّا يَجِبُ اَنْ نَحْتَرِزَ مِنْهُ اَشَدَّ الْاِحْتِرَازِ، فِي اِعْلَامِ الدِّينِ وَتَرْوِيحِهِ، هُوَ الْبَيَانُ الْمَعْسُولُ لَوَاقِعِ فَارَغٍ، فَاِنَّ ذَلِكَ يَهْدِمُ اَسَاسَ الدِّينِ هَدْمًا .

١ - لقد عقد شيخنا الحرُّ العامليّ، باباً في كتابه «الفصول المهمّة في اصول الائمّة - ع -»، بالعنوان التّالي: «باب استحباب هداية النَّاسِ إِلَى اِحْكَامِ الدِّينِ وَدَفْعِ الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ» / ٧٨، مِنْ الطَّبَعَةِ الْحَجْرِيَّةِ. وَلَعَلَّ الْمَوْضُوعَ الَّذِي نَبِّحُ عَنْهُ يَعْدُو حَكْمَهُ حَدَّ الْاسْتِحْبَابِ، لِوُجُوبِ حَفْظِ الدِّينِ - كَمَا هُوَ وَاضِحٌ .

ايقاظ هام (٦)

القوامة بالقسط واجب من؟

اذا كان القرآن يدعُو الذين آمنوا، بصورةٍ عامّة، الى أن يكونوا قوامين بالقسط، شهداء لله .. ويجعلُ هذه الدعوة تَعْمُ الجميع و تَسْتَوْعِبُ الحالاتِ كُلِّها، فماذا يكونُ عندئذٍ واجبُ اهلِ الخاصّة والنّاهيين؟ الجوابُ على هذا السّؤال معلوم، إنَّ كونهم قوامين بالقسطِ يَجِبُ عليهم بشكلٍ أكَدُ وأَحْسَم ..

ففي هذا الصّوء، يَجِبُ على علماء الدّين ورجال الحكم الاسلاميِّ الملتزمين، أن يقوموا بهذا الواجب بصورة جذريّة وجديّة لا تقبلُ البدلَ ولا ترضى بالفتور؛ نعم، عليهم أن يكونوا قوامين بالقسط، غير مُقارنين على كِظّات الظّالمين وسُغوبِ المظلومين، حتى يتأسّى بهم سائر النّاس، فيُصبحَ المجتمعُ مجتمعاً قواماً بالقسط، شاهداً لله - تعالى شأنه .

ايقاظ هام (٧)

القرآن، كله لا بعضه

لقد مرّت في أوّليات هذه النظرة هذه التّعبيرة : «فقاهاة قرآنيّة»، فجئنا للفقاهاة الاسلاميّة بتلك المواصّفة . والآن نوضّح مرادنا منها، لالقاتِ الانظارِ الى امرِ هامٍّ - ربما صار مغفولاً - تندمجُ هي عليه . وما هو الا التأكيدُ على أن «الفقاهاة الاسلاميّة»، اذا شاءت أن تتجاوزَ الأطرَ الفرديّة وما يُضاهيها ويقتربُ منها، وتَصنعَ المجتمعَ الانسانيَّ العامَّ بجميع ابعاده -

بصورةٍ لائقةٍ مُتجاوِبةٍ - وتغلّغل في الاوساطِ المختلفةِ والجماهيرِ البشريّةِ المتنوّعةِ في مختلفِ المناطقِ والبلادِ والجنسيّاتِ، فعليها أن تستند إلى كلّ آياتِ القرآن (أو الاكثريّةِ الغالبيةِ منها، بما فيها ما يُحيي الناسَ من شتى المَناحي البِناءةِ للحياةِ الانسانيّةِ) وتجعّلها ملحوظةً فيما تستنبطه منها وتُفتني به، تأشيراً، أو تأكيداً، أو فتحِ افقٍ، أو رسمِ خُطّةٍ، أو تأسيسِ اصلٍ وقاعدةٍ، وما إلى ذلك؛ اذ الكتابُ السّماويُّ بكلّه (وبجميعِ اشاراته وقصصه واتجاهاته، وما فيها من الحكمةِ التّجسّديّةِ والتّوجيهِ الفرديِّ والاجتماعيِّ، والاخلاقيِّ والاقتصاديِّ، والتنظيميِّ والدفاعيِّ و...) هدىً للنّاسِ، ويهدي للتي هي أقوم، لا يبعِضه المُستلّ منه، المفصولِ من كلّ - في مواضعٍ اصطلاحيةٍ - كالأياتِ الاحكاميةِ المصطلحة، التي لا تعدّو خمسَ مئةٍ (٥٠٠) آيةٍ، من بين ما يزيد على ستّةِ آلافٍ (٦٠٠٠) آيةٍ، أي بنسبةِ الجزءِ إلى اثني عشرَ جزءاً بل ثلاثة عشرَ جزءاً.

وهذا الاتجاهُ لتوسيعِ دائرةِ الفقهِ الإسلاميِّ، ولبسطه على جميعِ المسائلِ المستحدثةِ والقضايا الحديثةِ والمتطوّرةِ^٢، دليلٌ على اعتقادٍ عظيمٍ بحقِّ هذا الفقهِ ومصادره الغنيّةِ الغزيرةِ، وعقليّةِ الفقهاءِ المسلمين النّاضجةِ وانتباههم الواعي.

ومن اللاّحِبِ لدى النّابهِين، هو أنّ الفقهَ الإسلاميَّ يجبُ عليه، أن لا تبقى هناك مسألةٌ واحدةٌ (في آفاقِ الحياةِ البشريّةِ، وأواصرِها المستجدّةِ، وصلاتها المتشابكةِ والوسيعَةِ، في كلّ ما تنطوي عليه تلك الحياة)، إلّا وله عليها إجابةٌ حاضرةٌ راقيةٌ، تلتجِمُ مع أحوالِ الإنسانِ الحديثِ، وتخضعُ لناموسِ التّجسّيدِ هنا وهناك، من غيرِ أيِّ تخلفٍ أو إهمالٍ؛ فإلى الملتقى القرآنيِّ:

١ - كما اشرنا إليه في النظرةِ إلى البابِ ٨، الفقرة ٤، فلاحظ الجزء الثاني.

٢ - يعني: «الحوادثُ الواقعة»، في لسانِ «الأخبار».

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

إِنَّا نُشَاهِدُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُؤَكِّدُ عَلَى قِيَامِ النَّاسِ بِالْقِسْطِ،
بشكلٍ يَسْتَرَعِي الْإِنظَارَ، حَيْثُ يَجْعَلُهُ غَايَةً وَضَعَ الدِّينَ وَتَشْرِيعَهُ وَارْسَالَ
التَّبْيِينِ وَانزَالَ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ .

وكذلك نَشَاهِدُهُ يُنَافِحُ التَّكَاثَرَ وَيُكَافِحُ التَّرَفَ، أَشَدَّ مُنَافِحَةً وَكِفَاحًا،
وَيُعِدُّهُمَا سَبَبًا لِلْفَسْقِ وَالْفُجُورِ وَالذَّمَارِ وَالسُّقُوطِ .. : «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ
قَرْيَةً، أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا، فَفَسَقُوا فِيهَا، فَحَقَّقْنَا عَلَيْهَا الْقَوْلَ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا»^١.

وكذلك يُجَابِيهِ الْإِسْرَافَ وَيُحَارِبُ الْبِدْخَ الْإِسْتِهْلَاقِيَّ، وَيَرَى
المُسْرِفِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ،^٢ وَيَجْعَلُ فِرْعَوْنَ مِنْ عِدَادِهِمْ،^٣ وَيُعِدُّهُمْ مِنْ
الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا،^٤ فَسَقَطَ مَجْتَمِعُهُمْ وَحُكْمُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَيُحَذِّرُ
مِنْ قَبُولِهِمْ وَاتِّبَاعِ خَطِّئِهِمْ، وَيَقُولُ بِصَدْدِهِمْ: «وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ
المُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ»^٥. فَيُعَرِّفُ بِهِمْ
بوصفهم «مفسدين في الارض»، لَا يَجْنَحُونَ إِلَى صِلَاحٍ أَوْ التَّزَامِ .

أَبَعَدَ هَذَا الْمَوْقِفِ الْقُرْآنِيُّ الْحَاسِمِ وَالْمُوجِّهِ، فِي الْمَسَائِلِ الْهَامَّةِ
الْمَصِيرِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ، وَمَا وَرَدَ بِشَأْنِهَا مِنَ الْإِحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ، مِنْ
النَّبِيِّ «ص» وَالْأَوْصِيَاءِ «ع»، يَكُونُ عَكْسَ التَّوَقُّعِ أَوْ عَكْسَ الْأَنْظِمَةِ
وَالْقَوَاعِدِ، أَنْ نُطَالِبَ الْفَقَاهَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ - الْعَزِيزَةَ، الْحَكِيمَةَ، الْمَلْتَزِمَةَ - بِأَنْ
لَا تُهْمَلَ الدَّاهِيَتَيْنِ (التَّكَاثَرُ وَالْفَقْرُ وَمَا يَسْتَتَبِعَانِهِ مِنَ التَّرَفِ وَالْعُدْمِ)، فِي
كُتُبِهَا وَأَبْوَابِهَا، تَخْلِيصًا لِلْأُمَّةِ مِنْ أَضْرَارِهِمَا السَّاحِقَةِ، وَأَنْ تَزِيدَ عَلَى
كُتُبِهَا :

- كِتَابًا خَاصًّا بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ (الْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ

١ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ (١٧) : ١٦ .

٢ - سُورَةُ غَافِرٍ (٤٠) : ٤٣ .

٣ - سُورَةُ يُونُسَ (١٠) : ٨٣ : سُورَةُ الدُّخَانِ (٤٤) : ٣١ .

٤ - سُورَةُ الْإِنْبِيَاءِ (٢١) : ٩ .

٥ - سُورَةُ الشُّعَرَاءِ (٢٦) : ١٥١ - ١٥٢ .

والمعيشيّة) واحكامهما وطُرق اقامتهما، اذ «العدل حياة»^١، فلاحياة فعليّة للدين والمجتمع بدون العدل؛ وهو «رأس الايمان»^٢، و«قوام للانام»^٣، و«الرعيّة لا يصلحها الا العدل»^٤. و

- كتاباً خاصاً بالتكاثر والاطراف، لا ستفراغ الوُسع واستيفاء البحث عنهما فيه، ورفضهما بصورة قاطعة قرآنيّة، وحُكميّة لا اخلاقيّة، اذ لا يُصنَع المجتمع - بما فيه من النفوس الكثيرة والمختلفة في الطبائع والنزعات - بمجرد الحكم الاخلاقيّ، فإنّ هناك افراداً كثيرين وخصوصاً في الاغنياء المترفين والمُسرفين، من لا يخضع للوعظ ولا يركن الى العمل الخُلقيّ؛ ولذلك أنزل الله الحديد، وجاءت في الشريعة الحدود والقصاص، وقالوا: «لا يُقيم الناس الا السيف»^٥، نعم، لايتاح كبح جماح النفوس المترفة الطاغية وردّها الى حدّها وحقّها الا بالقوة والقانون والتجسيد. و

- كتاباً خاصاً باستيفاء حقوق الجماهير المُعدّبة، و المُمتَصّة، والمُستغلّة، والمضطهدة، والمسلوبة الحقوق، والمسروقة الارزاق، والمرضوخة العظام، و المهذورة الكرامات .. واخراجها من حلقوم الاثرياء المستكبرين، المُنغمسين في الوان الترف والسرف والبذخ والرّفاه والنعيم، كأنّ الدنيا خلقت لهم ولا لغيرهم؛ حتى يتسنّى بذلك تجسيد القسط القرآنيّ في واقع حياة الناس. ولا سبيل الى ذلك الا بالافتاء والحكم والقوة والحديد. ولقد سلكت الفقاهة هذه السبيل في كتاب الحدود والقصاص (ولكم في القصاص حياة)^٦، فلتسلّكها في سبيل احقاق حقوق المظلومين والمحرومين، اذ في احقاق الحق ايضاً

١ و ٢ و ٣ - راجع: الفصل ٤٦ و ٤٧، من الباب ١٢.

٥ - الوسائل ١١ / ٥، من حديث النبي «ص».

٦ - سورة البقرة (٢): ١٧٩.

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

حياة، كما يقول مولانا امير المؤمنين «ع»: «العدل حياة».
ففي هذا الضوء، فلتكن الموضوعات الحياتية الهامة المذكورة
متمتعة ايضاً، من الحسّم الفقهي الذي نعهده في الحدود والقصاص، حتى
تطبق غاية الدين السماوي الحنيف .

اجل، فنحن كلما جئنا بهذه المواصفة (القرآنية، القرآني)، انما
نقصد بها ايقاظ البصائر وحملها على الاستلham من آيات القرآن كلها - ما
تيسر الاستلham - والاستيحاء التام مما جاء فيه من بينات من الهدى
والفرقان .

ونحن على يقين، من أن القيام بهذا العِبء، يعني زيادة كتب
المذكورات على الكتب الفقهية الموجودة، امر صعب باهظ، حيث
يتطلب عملاً دؤوباً واكباباً مستمراً ومثابرة جبارة، من الرجوع الى الآيات
والاحاديث وجمعها واستيعابها، ثم تدوينها وتنسيقها على نضد فقهي
رصين، واعمال القواعد الاجتهادية فيها، من الفقهية والاصولية اللفظية
والعملية والرجالية واللغوية وما اليها من الدراسة والفحص والتحقيق
والعرض، غير أن هذا واجب هام باق على الارض، لم تمد اليه يد
الفقهاء لحد الآن - على صورة جديرة - ولا يسد فراغه أي شيء، ولا يخفى
ضرر خلوه فقهننا من الاجتهاد في هذه الموضوعات وما يتصل بها على
النابهيين . ويشدّ وضوح هذا الضرر العظيم ويشدّد، لكل حكم او مجتمع
او تقنين يتبنى الاسلامية ويرى نفسه منتمياً الى الاسلام.^٢
فعلى هذا، هل يسع الفقهاء النابهيين ان يدعوا هذا الجانب فارغاً،

١ - ولعل هذين البابين، من كتاب «الحياة»، قد خطيا خطوة في هذا السبيل، فيكونا عوناً
للقاصدين .

٢ - وهناك كلام عن هذا الموضوع، وابواب وكتب اخرى اشرنا اليها، في النظرة الى الفصل ٢٥، من
هذا الباب، فراجعها ايضاً، حتى تكتمل الدراسة نسبياً

ويشتغلوا بتأليف دوراتٍ في الفقه، بصورةٍ مكرّرة - من نقل الآراء والاستدلالات - وبشكلٍ تقليديٍّ مصبوبٍ في قالبِ الاجتهاد، مع وجود عشرات من الكتب الفقهية المطوّلة والمتوسطة والمختصرة، التحقيقية أو التتبعية .. من التي ألّفت بيد أكابر الفقهاء ولم تدع حاجةً الى تأليف دورة جديدةٍ على الاسلوب المعهود .

وإذا كان هناك فقيهٌ ضليع، يرى أنّ له بعض آراءٍ او تحقيقاً له اهميةٌ التسجيل والانتشار، فعليه ان يكتبها في كراسٍ او رسالة، لتطبع وتصل الى ايدي الطالبين، ويتحفّظ باوقاته واوراق المشتغلين واموال المسلمين عن البسط الزائد والعمل المكرر .

وعلى امثال هذا الفقيه، ان يتوفّر بدوره على سدّ هذا الفراغ، بكتابة فصولٍ ومقالاتٍ ورسائل، في تلكم الموضوعات الحية الحياتية التي تحتاج اليها الأمة الاسلامية، احتياجها الى امسّ شيءٍ ببقائها وعزّها وسلامة صلاتها ونجاة شبابها ..

وان العامل على تجسيد هذه الغاية الاسلامية، لا يرجع الا ناجحاً، بفضل غنى الفقه الاسلامي و غزارة مصادره، وما يمدُّ به العاملون الصادقون من التوفيق .

ولنا أملٌ وطيد، في ان يقوم بهذه المهمة المصيرية وانجازها، ذوو الهمة القساء، والعقل الواعي، والغيرة الدينية، والحنان الانساني، والافق المتفتح، والرسالية النابهة، من شباب علماء الحوزات العلمية وطلاب الفقه الاسلامي الناشطين، ان شاء الله تعالى .

ايقاز هام (٨)

النضال ضدّ الجوع

الكتاب

- ١ .. فَكُلُوا مِنْهَا، وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ *^١
- ٢ .. فَكُلُوا مِنْهَا، وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ .. *^٢
- ٣ او اِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * او مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ *^٣
- ٤ .. وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامَ مَسْكِينٍ .. *^٤
- ٥ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ، فَكَفَّارَتُهُ
اطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينٍ، مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ .. *^٥
- ٦ .. فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامِ سِتِّينَ مَسْكِينًا .. *^٦
- ٧ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا *^٧
- ٨ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ *^٨
- ٩ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ *^٩
- ١٠ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ؟ * قَالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ * وَلَمْ نَكُ نَطْعَمُ الْمَسْكِينِ *^{١٠}

هذه عدّة من الآيات السماويّة، ذات ألوانٍ من التعبير، تستحثّ النَّاسَ
على مكافحةِ الجوعِ بالنسبةِ الى الوضعِ القائمِ البتّة، لا الوضعِ

١ و ٢ - سورة الحج (٢٢): ٢٨ و ٣٦.

٣ - سورة البلد (٩٠): ١٤ - ١٦.

٤ - سورة البقرة (٢): ١٨٤.

٥ - سورة المائدة (٥): ٨٩.

٦ - سورة المجادلة (٥٨): ٤.

٧ - سورة الانسان (٧٦): ٨.

٨ - سورة الحاقة (٦٩): ٣٦: سورة الماعون (١٠٧): ٣.

٩ - سورة الفجر (٨٩): ١٨.

١٠ - سورة المدثر (٧٤): ٤٢ - ٤٤.

المطلوب^١. أَضِفَ إليها آياتٍ جاءت بصددِ الزَّكَاةِ والانفاقِ، من الوافرِ الكثيرِ.

والَّذي يُهِمُّ الباحثَ هنا، هو أن يَعِيَ أَنَّ القرآنَ كيفَ يَهْتَمُّ بمشكلةِ الجوعِ الانسانيةِ، ويدعُو الى كِفاحِها في صُلبِ بلاغِهِ المبينِ واتِّجاهِهِ المُحيي، وَيَجْعَلُهَا غرضاً من اغراضِهِ التَّغْييريَّةِ البِناءِ.

الحديث

- ١ النبي «ص»: ليس بمؤمنٍ مَنْ باتَ شبَعانَ وجارَهُ جائعاً^٢.
- ٢ النبي «ص»: مِنْ افضلِ الاعمالِ عندَ اللهِ، اِبْرادُ الاكبادِ^٣ الحارَّةِ، وِاشباعُ الاكبادِ^٤ الجائعةِ. والَّذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده، لا يُؤمِنُ بي عبدٌ بيَّتَ شَبَعانَ واخوه (او قال: جارُهُ) المسلمُ جائعاً^٥.
- ٣ النبي «ص»: اِنَّ اَهْوَنَ اهلِ النَّارِ عذاباً، ابنُ جَدْعانَ. فقيل: يا رسولَ اللهِ! وما بالُ ابنِ جَدْعانَ اَهْوَنَ اهلِ النَّارِ عذاباً؟ قال: اِنَّه كانَ يُطْعَمُ الطَّعامَ^٦.
- ٤ النبي «ص» - اَخَذَ رَجُلٌ بِلِجَامِ دَابَّةِ رَسولِ اللهِ «ص» فقال: يا رسولَ اللهِ! ايُّ الاعمالِ افضلُ؟ فقال: اِطْعامُ الطَّعامِ، وِاطْيابُ الكلامِ^٧.

١ - لانَّ في الوَضِعِ المطلوبِ، الَّذي يَهْدَفُ اليه الاسلامُ، لا يُوجَدُ جائع.

٢ - مكارم الاخلاق / ١٥٧.

٣ و ٤ - جاء في المصدر «الكباد» في الموضعين، وهو من سهوِ النَّاسخين.

٥ - سفينة البحار / ١ / ١٩٦.

٦ و ٧ - سفينة البحار / ٢ / ٨٣ - ٨٤.

٥ الامام علي «ع» - فيما كتبه الى قثم بن العباس، وهو عامله على مكة : ..
وَانْظُرْ اِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللّٰهِ فَاصْرِفْهُ اِلَى مَنْ قَبْلَكَ، مِنْ ذَوِي
العِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ، مَصِيبًا بِهِ مَوَاضِعُ الْفَاقَةِ وَالْخَلَّاتِ . وَمَا فَضَّلَ عَنْ ذَلِكَ
فَاحْمِلْهُ الْبِنَا لِنُقْسِمَهُ فِيمَنْ قَبْلَنَا .^١

٦ الامام الحسين «ع» : .. تَكُونُ الصَّنِيعَةُ مِثْلَ وَاِبْلِ الْمَطْرِ، تُصِيبُ الْبِرَّ
وَالْفَاجِرَ .^٢

٧ الامام السجاد «ع» : مِنْ اطْعَمَ مُؤْمِنًا مِنْ جَوْعٍ ، اطْعَمَهُ اللّٰهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ ..^٣

٨ الامام الصادق «ع» : اَكَلَةٌ يَأْكُلُهَا اَخِي الْمُسْلِمُ عِنْدِي، اِحْبُ اِلَيَّْ مِنْ اَنْ اَعْتِقَ
رَقَبَةً .^٤

٩ الامام الصادق «ع» - مِنْ وِصَايَاهُ لِلثَّقَةِ الْجَلِيلِ، عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ جُنْدَبِ الْكُوفِيِّ :
يَا اِبْنَ جُنْدَبِ ! قَالَ اللّٰهُ جَلَّ وَعَزَّ فِي بَعْضِ مَا اَوْحَى : « اِنَّمَا اَقْبَلُ الصَّلَاةَ
مِمَّنْ يَتَوَاضَعُ لِعَظْمَتِي، وَيَكْفُ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهْوَاتِ مِنْ اَجْلِي، وَيَقْطَعُ نَهَارَهُ
بِذِكْرِي، وَلَا يَتَعَطَّمُ عَلَيَّ خَلْقِي، وَيُطْعِمُ الْجَائِعَ، وَيَكْسُو الْعَارِي، وَيَرْحَمُ
الْمُصَابَ، وَيُؤْوِي الْغَرِيبَ؛ فَذَلِكَ يَشْرُقُ نَوْرُهُ مِثْلَ الشَّمْسِ، اَجْعَلْ لَهُ فِي
الظُّلْمَةِ نُورًا» .^٥

جَعَلَ اللّٰهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي نَقَلَهُ الْاِمَامُ
الصَّادِقُ «ع»، «اطْعَامَ الْجَائِعِ» مِنْ شُرُوطِ قَبُولِ الصَّلَاةِ، فَلَاحِظْ الْاَهْمِيَّةَ .

١ - نهج البلاغة / ١٠٦٢ - ١٠٦٣؛ عبده ٣ / ١٤٠ .

٢ - تحف العقول / ١٧٦ . وَمِنْ الْاَحْبَبِ اَنْ اطْعَمَ الْجَائِعَ مِنْ اَفْضَلِ مُصَادِقِ «الصَّنِيعَةِ» .

٣ و ٤ - الكافي / ٣ / ٢٨٨ و ٢٩٠ .

٥ - تحف العقول / ٢٢٦ .

١٠ الامام الصادق «ع»: من أَطْعَمَ ثلاثةً من المسلمين، غَفَرَ اللهُ له ١.

إنَّ مشكلةَ الجوع والنَّضالِ ضَدَّها، موضوعُ مهمٌّ جدًّا، في تاريخِ الإنسانِ المحرومِ، غيرَ أنَّه من المُؤسِفِ أنَّ المفكِّرينَ والمصلحينَ لم يَهْتَمُّوا بها في مستوى مناسبٍ ٢. أمَّا الإسلامُ، فقد عمَدَ إليها واستَهَدَفَ اجتِثاتَ جُذورها من أقدمِ أيَّامه؛ يومَ سَلَبَ الإيمانَ عَمَّن باتَ شَبَعانَ وجارَهُ جائعًا، ٣ ووَسَّعَ حدَّ الجوارِ إلى «اربعين دارًا» من «اربعَةِ جوانبٍ»، وقال عن أهلِ قريةٍ بَيَّتَ فيهمِ جائعٍ: «لا يَنْظُرُ اللهُ اليَهمِ يومَ القيامةِ» ٤.

وكان أولياءُ الإسلامِ يَحْمِلُونَ الارزاقَ بِشخصِهِم إلى بيوتِ الجائعينِ، فيُطْعِمُونَهُم وَيُشَبِّعُونَهُم. ولعلنا لا نَحْتَاجُ هنا إلى ذكرِ نماذجٍ لهذا الموضوعِ، حيثُ إنَّ كثيراً من التَّعاليمِ الإسلاميَّةِ - القرآنيَّةِ والحديثيَّةِ - في المؤاساةِ والانفاقِ وما إلى ذلك، يَسْتَهْدَفُ - فيما يَسْتَهْدَفُ - سدَّ خَلاتِ المعدِّمينِ وإشباعِ بطونِ الجائعينِ. وفصولُ هذينِ البابينِ مشحونةٌ بذكرِها.

والفقهُ الإسلاميُّ أيضاً قد اتَّخَذَ بالنسبةِ إلى المسألةِ موقفاً حاسماً، حيثُ أَفتَى الفقهاءُ هكذا: «لو وَجَدَ طعامَ الغيرِ، فإن كان صاحِبُهُ مضطراً فهو أولى. ولو كان يَخافُ الاضطرارَ فالمضطَرُّ أولى. فإن لم يَكُنْ له ثَمَنٌ وَجَبَ على المالكِ بذلُهُ. فإن مَنَعَهُ، غَضَبَهُ. فإن دَفَعَهُ جازَ قتلُ المالكِ في الدَّفْعِ» ٥

١ - سفينة البحار ٢ / ٨٣: راجع أيضاً: الاحاديث التي مرَّت في الفصل ٤٧، وفصولٍ أُخرى تُناسِبُ الموضوعَ.

٢ - لقد اقدم احد الانسانيين التابيهين على طرح المسألة بالتحقيق والكتابة، في الخمسين سنة الاخيرة تقريباً. وهو مشكورٌ على اقدمه.

٣ - راجع: الفصل ٤٧، من هذا الباب.

٤ - الكافي ٢ / ٦٦٨.

٥ - المبسوط ٦ / ٢٨٦: راجع لعدَّةٍ أُخرى من المصادر: الفصل ٤٤، من هذا الباب، النظرة إليه.

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

ولقد انعكس موضوعنا على الادب الاسلامي الشيعي ايضاً؛ بصورة لائقة، فلقد قال شاعرُها شميّات، الكميّ بن زيد الاسدي (-م: ١٢٦ هـ.ق)، في العينية منها، هذه القولة الرثانة:

فَقُلْ لِبَنِي أُمَيَّةَ حَيْثُ حَلُّوا
وَإِنْ خِفْتَ الْمُهَنْدَ وَالْقَطِيعَا:

أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَشْبَعْتُمُوهُ
وَأَشْبَعَ مَنْ بَجُورِكُمْ أَجِيعَا

فهو بهذا الاسلوب الجسور المغري، يطرح مسألة الجوع، ويضع الاصبع على المسؤولين الاصليين في زمانه، ويومي الى ان جوع الجائعين تابع لشبع المشبعين والمتخومين. ويوقظ الافكار حتى تكون المسألة عالقة بذاكرة المجتمع لطلب التغيير لها وازاحتها عن حياة المضطهدين. ويقول ايضاً في القصيدة:

بمرضي السياسة هاشمي
يكون حياً لأمتيه ربيعاً

ولبتاً في المشاهد غير نكس
لتقويم البرية مستطيعاً

يقيم أمورها ويدب عنها
ويترك جذبها أبداً مريعاً

فَبَرَى الْحَاكِمَ الْإِسْلَامِيَّ الْحَقَّ، حَيًّا لِلأُمَّةِ وَمَطْرًا يُحْيِي الأَرْضَ وَالنَّاسَ،
وَرَبِيعًا يَغْدُو دِقُّ أَمْطَارِهِ فَتُوَفَّرَ الْخِصْبَ وَالْأَرْزَاقَ، وَمَقْتَدِرًا يَسْتَطِيعُ تَقْوِيمَ
الْبَرِيَّةِ عَامَّةً، وَاقَامَةَ أُمُورِهَا وَالذَّبَّ عَنْهَا، وَلَا يَدْعُهَا مَحْتَاجَةً جَائِعَةً مُجْدِبَةً،
بَلْ يَجْعَلُ جَدْبَهَا مَرِيعًا خَصِيبًا أَبَدًا، حَتَّى لَا يَبْقَى أَثْرٌ مِنَ الْجُوعِ وَالْحَاجَةِ
وَالْإِمْلَاقِ .

وَنَجِدُ دَعْبِلَ الْخَزَاعِيَّ (م: ٢٤٤ هـ . ق)، يَقُولُ فِي «التَّائِيَّة»:

هُمُ أَهْلُ مِيرَاثِ النَّبِيِّ إِذَا اعْتَرَوْا
وَهُمُ خَيْرُ سَادَاتٍ وَخَيْرُ حُمَاةٍ

مَطَاعِيمٌ فِي الأَعْسَارِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
لَقَدْ شَرَّفُوا بِالْفَضْلِ وَالْبَرَكَاتِ ١

وَقَبْلَهُمَا نَجِدُ الْفَرَزْدَقَ^٢ يَقُولُ فِي «المِيمِيَّةِ الْخَالِدَةِ» (الَّتِي مَدَحَ بِهَا
الإِمَامَ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ السَّجَّادِ «ع»، إِشَادَةً بِذِكْرِ الْحَقِّ
وَأَهْلِهِ، وَدَعْمًا لِأُسُسِ الْفَضِيلَةِ وَالْعَدْلِ، تَجَاهَ جَبَابِرَةِ الشَّامِ وَطَوَاغِيَتِ
الْأُمُويِّينَ):

حَمَّالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا فِدْحُوا
حُلُوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعْمُ

عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ
عَنْهَا الْعِمَايَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعُدْمُ

١ - الغدير ٢ / ٣٥٧؛ البحار ٤٩ / ٢٤٤ - ٢٥١ .

٢ - وهو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي (م - ١١٠ هـ . ق) .

نظرة الى الفصل الثامن والاربعين ..

فَيرى أن إمامَ المسلمين وزعيمهم، هو الذي يَحْمِلُ أَثْقَالَ المَفْدُوحِينَ
وَيَتَحَمَّلُهَا، وَيُمِدُّهُمْ بما يَحْتَاجُونَ اليه لكيلا تَجِدَ الحَاجَةُ في حَيَاتِهِمْ مَسْلَكًا؛
وَيُعَمُّ الجَماهيرَ بالإحسانِ لكيلا يَبْهَظَهُمُ الإِمْلاقُ والعُدْمُ، ولا تَمُدَّ إِلَيْهِمُ
العَمَايَةُ والضَّلَالُ آيَةً يَدُ.

ولا يَبْتَعِدُ عن الشَّاعِرِ القَدِيمِ، من عاش في هذا القرن الاخير، فيقول
عبدُ المَهديِّ مَطَرُ الحَفَاجِيِّ :

ما سَرَّهُ أن يَرى الدُّنْيَا له ذَهَبٌ
وفي البلادِ قلوبٌ شَفَّها السَّعْبُ

ولا تَضَجُّرُ أكبادُ مُفْتَتَةٍ
حتَّى يَذُوبَ عليها قلبُه الحَدَبُ

إن يَسْقُطِ الدَّمْعُ من عَيْنِي مُوَلَّهَةً
أجابها الدَّمْعُ من عَيْنِي يَنْسَكِبُ

تَهْفُو حِشَاهُ لَأَنَاتِ اليَتِيمِ بلا
أم تُناغِي، ولا يَحْنُو عليه أبُ

لا تَكْتَسِي وَفَتَاةَ الحَيِّ عَارِيَةً
ولا تَعْبُ ومَهْضُومُ الحِشَا سَعْبُ

ولعلَّ الفِقاهاةَ الاسلاميَّةَ المعاصرةَ ايضاً، تُحسُّ مسؤوليَّةً عميقةً
بالنسبة الى مشكلةِ الجوعِ والنُّضالِ ضدها، لكيلا تتخَلَّفَ عما قام به
الاسلامُ في قرآنِه وحديثِه، وادبِه وفقهِه .

تنبيهات هامّة

١ - اشباع الجائعين، اصلٌ وتعميم (١) : يُرشدُ نادلائلُ هامّة على حملِ الاخبارِ الواردةِ بصددِ اشباعِ الجائعين على العموم، وان ذُكرَ في كثيرٍ منها المؤمنُ او المسلمُ والمسلمون. وإليك الاشارة الى عدّةٍ من الدلائل :
- العموماتِ القرآنيّةِ الواردةِ بصددِ العدلِ والاحسانِ والقسطِ والقيامِ به .

- العموماتِ الواردةِ بصددِ النهيِ عن الظلمِ والاعتداء .
- ما وردَ عن النبيِّ «ص» في الحثِّ على الاحسانِ الى الناسِ عامّة .

- قولِ النبيِّ «ص» : «ما من مسلمٍ يَغْرِسُ غَرْساً او يَزْرَعُ زرعاً، فيأكلَ منه انسانٌ او طيرٌ او بهيمةٌ، الا كانت له به صدقة»^١.
- ما وردَ عن اميرِ المؤمنين «ع» في تعميمِ البرِّ والاحسان .

- كلامه في أنّ «لكلّ ذي رمقٍ قوت»^٢.
- كلامه في العهدِ الأشترِيِّ في لزومِ حبِّ الناسِ عامّة وإشعارِ القلبِ الرَّحمةَ لهم؛ وتعليقه ذلك بقوله : «إمّا أخٌ لك في الدين، او نظيرٌ لك في الخلق»^٣.

- حديثه بصددِ الرجلِ النّصرانيِّ وتموينه^٤.
- كلامِ الامامِ ابي عبداللهِ الحسين «ع» : «تكون الصّنيعةُ مثلَ وابلِ المطر، تُصيبُ البرَّ والفاجر»^٥.

١ - المستدرک ٢ / ٥٠١.

٢ - الكافي ٨ / ٢٣.

٣ - نهج البلاغة / ٩٩٣؛ عبده ٣ / ٩٣.

٤ - الوسائل ١١ / ٤٩.

٥ - تحف العقول / ١٧٤.

- اطلاق الحديث القدسي، المنقول عن الامام الصادق «ع».
- كلام الامام الصادق «ع» «الناس سواء كاسنان المشط»^١.
- كلامه في احتياج الناس طراً الى الامن والعدل والخصب^٢.
- كلامه في تعميم الاحسان والانصاف^٣.
- حديثه مع المعلّى بن خنيس^٤.
- الملاك المذكور في كلام الامام ابي الحسن عليّ بن موسى الرضا «ع»: «مه! انّ الربّ - تبارك وتعالى - واحد، والابّ واحد، والامّ واحدة..»^٥

٢- اشباع الجائعين، اصل وتعميم (٢): لقد ورد في الدعاء: «اللهم! اشبع كلّ جائع». ومن الواضح أنّ اشباع الجائعين لا يقع من الله بانزال الموائد من السماء، لأنّ الدار دار الاسباب. فهو يقع بايدي المطعمين، بتوفير الله وبركته في النعم. وعموم «كلّ جائع» واضح. فالغاية التي تستهدفها الاسلام للمجتمع الانساني، هو اشباع كلّ جائع يعيش في الارض، بحيث لا يصبح ولا يمسي فيها بطن جائع.

٣- اشباع الجائعين، صور فاضلة: قد يكتسب هذا العمل البار فضيلة رابية لجهات توجد هناك، كاطعام المؤمن الجائع، او العالم، او الطالب، او المرابط ومن اليهم، ممن ينفعون المجتمع بامكانياتهم الروحية او المادية، او يكون اطعمهم وتخليصهم من مخالب الجوع وآلامه وذلك سبباً لتعزيز الحق واهله - كما سنشير اليه.

١ و ٢ و ٣ - تحف العقول / ٢٧١ و ٢٣٦ و ٢٣٥.

٤ - الوسائل / ٦ / ٢٧٨.

٥ - الكافي / ٨ / ٢٣٠.

٤ - اشباع الجائعين ودوره في تحكيم الصّلات الاجتماعيّة: إنّ دعوة الجائعين الى موائد الطّعام واجلاسهم على السّمط لان يأكلوا ويشبعوا، يستتبع تأكّد الصّلات بين افراد المجتمع، وتوفّرهم على اللّقاء الآخوي، والاطلاع على احوال الآخرين، والاقتراب منهم والتّانس بهم، ممّا تتوسّج به الصّلات، وتتهدّب به النفوس، وتتألف به القلوب، وتقلع عنها جذور التّسامي والكبر. ولذلك ورد في التّعاليم:

الحديث

- ١ النبي «ص»: الطّعام اذا جمّع اربع خصالٍ فقد تمّ. اذا كان من حلالٍ؛ وكثرت الأيدي عليه؛ وسُمّي الله - تبارك وتعالى - في أوله؛ وحمد في آخره. ١.
- ٢ النبي «ص»: كلّوا جميعاً ولا تفرّقوا، فإنّ البركة مع الجماعة. ٢.
- ٣ النبي «ص» - في بيان المقصود من «الكنود» في «سورة العاديات»: أتدرون من الكنود؟ قالوا: الله ورسوله اعلم. قال: الكنود، الذي يأكل وحده، ويمنع رّفده، ويضرب عبده. ٣.
- ٤ الامام علي «ع»: اكثر الطّعام بركة، ما كثرت عليه الأيدي. ٤.
- ٥ الامام علي «ع»: اذا وُضِع الطّعام وجاء السائل، فلا تردّه. ٥.

١ و ٢ - سفينة البحار ٢ / ٨٣.

٣ - مجمع البيان ١٠ / ٥٣٠.

٤ و ٥ - سفينة البحار ١ / ٢٥.

٥ - اشباع الجائعين ودوره في صيانة الكيان السياسي : من اللاّحِب أَن الكيان السياسي لايّ بلدٍ او مدرسةٍ او دينٍ او نظامٍ، لا يتأخّر بقاءه وصيانته، الا اذا كان اصحابه مستولين على الامر بشكلٍ مُعترفٍ به، قادرين على ادارة الناس بصورةٍ سالحة؛ وذلك لا يمكن الا اذا كان الناس كلهم ملتفتين حول القاعدة الرئيسية لذلك الكيان، غير محرومين من حقوقهم، غير محتاجين الى اللجوء الى غيرها في امورهم وحياتهم .
ففي هذا الضوء، ان حضور الجوع في افراد، هو الذي يشتت الناس ويغرس في نفوسهم روح اليأس، ويلجئ الجائعين الى الالتحاق الى هنا وهناك سداً لحاجةٍ ضروريةٍ كالجوع . وكفى بذلك زعزعةً لتلك القاعدة الرئيسية، وسقوطاً للجائعين .

وهنا تعليمٌ عظيمٌ هامٌ ورد عن الامام الصادق «ع»، نضعه تجاه باصرة

القارئ :

الحديث

١ الامام الصادق «ع» : لِأَطْعَمُ مُؤْمِنٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَتَقِ عَشْرٍ رِقَابٍ وَعَشْرٍ حَجَجٍ . قال (نصر بن قابوس، راوي الحديث) : قلت : عَشْرٍ رِقَابٍ وَعَشْرٍ حَجَجٍ؟ قال : فقال : يا نصر! إن لم تُطعموه مات، او تُدلوْنه فيجبيء الى ناصب فيسأله . والموتُ خيرٌ له من مسألةٍ ناصب . يا نصر! مَنْ أَحْيَا مُؤْمِنًا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا .. ١

٦- اشباعُ الجائعين، الواجبُ الكبير .. : تتجلى من التعاليمِ الاسلاميّةِ المذكورِ بعضها، أنّ إيصالَ الغذاءِ الى الشُّعوبِ التي يَسْحَقُها الجوعُ يُصبحُ من أهمِّ التكاليفِ التي تقعُ على عاتقِ المسلمين . وذلك لأنَّ عاديةَ الجوعِ ربما تجتُرُّ تلكَ الشُّعوبَ الى الرُّكونِ الى أراضِحِ المُعسِّكينِ الغاشمين، الغربيِّ والشرقيِّ .

وذلك الرُّكونُ يُؤدِّي بالمسلمةِ منها الى الوهنِ في المعتقدِ والعمل، وبغيرِ المسلمةِ الى الاقترابِ الساحقِ منهما - كما هو واضح . فالمسلمون وعلمائُهُم واغنيائُهُم يجب ان لا يكونوا غافلين او متغافلين عن هذا الواجبِ العظيم .

٧- اشباعُ الجائعين ودوره في بناء الانسان الخُلقي : لا يستريبُ أيُّ عاقلٍ في أنّ اهتمامَ الانسانِ بامورِ الآخريين وعدمَ صبره على معاناتِهِم الأذى والحاجةَ ولا سيّما الجوع، يحكي عن انسانيّةٍ قويّةٍ وحسٍّ مُرهِفٍ والتزامٍ دينيٍّ . واذا أردفَ الانسانُ ذلكَ الحسَّ الانسانيَّ والالتزامَ الدينيَّ بالاقدامِ والعملِ على سدِّ حاجةِ المحتاجِ وجوعَةِ الجائع، فقد اعان على :

- تشحيذِ مَلَكَاتِ نَفْسِهِ الانسانيّةِ ؛

- بلوَرَةِ اخلاقِهِ الفاضلةِ ؛

- تحكيمِ مُعتقدِهِ التَّوحيديِّ؛ حيث لا يَخافُ الاقلاقَ حينما يَأْكُلُ

الآخرون طعامه، اتِّكالاَ على اللهِ رازقِ الكُلِّ وربِّ العالمين ؛

- اسداءِ خدمةٍ اقتصاديّةٍ و.. الى المجتمعِ فيما امكّنه من اشباعِ

جائعٍ او جائعين ؛

- صيانةِ الجِيعِ المُطعمين عن السَّقوطِ والتَّميُّعِ .

ولذلك قد حَثَّتِ التعاليمُ على الأكلِ مع الجائعين وعلى أن لا يأكلَ

الانسانُ وحده، بل يُؤاكلُ السَّائرين :

الحديث

١ الامام علي «ع» - من وصاياه لكُميلِ بن زيادِ النَّخَعِيِّ : يا كُميلِ!.. آكِلِ الطَّعَامَ وَلَا تَبَخُلْ عَلَيْهِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَرزُقَ النَّاسَ شَيْئًا، وَاللَّهِ يُجْزِلُ لَكَ الثَّوَابَ بِذَلِكَ .^١

٨ - اشباعُ الجائعين ودوره في الكيانِ الدِّينِيِّ: لقد اوردنا عن النَّبِيِّ الهادي «ص» قوله: «.. فلولا الخُبْزُ ما صَلَّينا ولا صُمْنَا ولا اَدِينَا فرائضَ رَبَّنَا». وقوله: «.. إِنَّ الخُبْزَ مبارك، أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ السَّمَاءَ مِدْرَارًا، وَهُوَ أَنْبَتَ اللَّهُ المَرَعَى، وَهُوَ صَلَّيْتُمْ، وَهُوَ صُمْتُمْ، وَهُوَ حَجَجْتُمْ بَيْتَ رَبِّكُمْ». ^٢ وكلُّ ذلك يَدُلُّ - سوى العقلِ والتَّجربةِ الموضوعيَّةِ - على أَنَّ اقامةَ عمودِ الدِّينِ - الصَّلَاةِ - وباقي الفرائضِ والشَّرائِعِ، انَّمَا تَتَوَقَّفُ على عدمِ الجوعِ باصابةِ المادَّةِ الغِذائيَّةِ. فلا كيانَ للدِّينِ في الجائعينِ، كما أَنَّهُ لا كيانَ له في المتخومين والشَّباعِ الَّذين يَبِيتُ حَوْلَهُمْ وفي جوارِهِمْ - بل وفي مصرِهِمْ - جِيعًا.

٩ - اشباعُ الجائعينِ واطعامِ الآخِرينِ، مكارمُ وآداب: هناك آدابٌ كريمةٌ يجبُ أَنْ يراعيها كُلُّ مَنْ يرومُ أَنْ يُنْفِقَ على الجائعينِ وَيُطْعِمَ الآخِرينِ:

الحديث

١ - تحف العقول / ١١٩ .

٢ - الكافي / ٥ / ٧٣ و ٦ / ٢٨٧ .

٣ - الكافي / ٦ / ٣٠٣ .

- ١ الامام علي «ع»: أَحْسِنُ عَلَيْهِ خُلُقَكَ، وَأَبْسُطْ جَلِيْسَكَ، وَلَا تَتَّهَمْ خَادِمَكَ ١.
- ٢ الامام علي «ع»: يَا كَمِيلُ! إِذَا أَكَلْتَ فَطَوَّلْ أَكْلَكَ، لِيَسْتَوِيَ مِنْ مَعَكَ، وَيُرْزَقَ مِنْهُ غَيْرُكَ ٢.
- ٣ الامام علي «ع»: يَا كَمِيلُ! إِذَا اسْتَوَيْتَ طَعَامَكَ، فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى مَا رَزَقَكَ، وَأَرْفَعْ بِذَلِكَ صَوْتَكَ يَحْمَدُهُ سِوَاكَ فَيَعْظُمُ اجْرُكَ .
- يَا كَمِيلُ! لَا تُوقِرَنَّ مِعْدَتَكَ طَعَامًا، وَدَعْ فِيهَا لِلْمَاءِ مَوْضِعًا وَلِلرَّيْحِ مَجَالًا . وَلَا تَرْفَعْ يَدَكَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ؛ فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَانْتَ تَسْتَمِرُّهُ، فَإِنَّ صِحَّةَ الْجِسْمِ مِنْ قَلَّةِ الطَّعَامِ وَقَلَّةِ الْمَاءِ ٣.

١٠- اشباع الجائعين، تجسيدٌ مستوعب: من اللازم أن نلقت الانظار في ختام هذه التنبيهات الى امر هام - ديني و اخلاقي واجتماعي وتربوي واقتصادي - وهو ان اطعام الجائعين لا يراد به الى الغاية ان يكون باشكال فردية او مرحلية محدودة، كاطعام هذا الجائع او ذاك، او في هذا اليوم او ذاك، او الاكتفاء باعطائه خبز اليوم، وما الى ذلك .. بل يجب ان يوجدوا لذلك المقصد المجتمعي الكبير، موارد رئيسية ومستوعبة وبرامج تجسيدية ذات مواد مختلفة وشاملة، ومواكبة للموازن الاقتصادية العامة، حتى تزاخ ظاهرة «الجوع»، من عرصات الحياة .

١ - تحف العقول / ١١٩؛ و ١٧٢، من طبعة الغفاري . وفي بعض النسخ: «ولا تنهرن خادمك» - وهو

الانساب .

٢ و ٣ - تحف العقول / ١٢٠؛ و ١٧٢، من طبعة الغفاري .

الفصل التاسع والأربعون

مضادة التكاثر والفقير للقسط الاسلامي

الكتاب

- ١ لقد أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ، لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ..١

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: وما أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ، أَنْ لَا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةٍ ظَالِمٍ وَلَا سَغْبٍ مَظْلُومٍ..٢
- ٢ الامام الكاظم «ع»: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً مِنْ صُنُوفِ الْأَمْوَالِ إِلَّا وَقَدْ قَسَمَهُ وَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ وَالْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ،

١ - سورة الحديد (٥٧): ٢٥.

٢ - نهج البلاغة / ٥٢؛ عبده / ١ / ٣٢.

وكلّ صنّفٍ من صنوفِ النَّاسِ . فقال : لو عُدِلَ في النَّاسِ لَأَسْتَغْنَوْا .
ثم قال : إِنَّ العَدْلَ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، ولا يَعْدِلُ الآمَنُ يُحْسِنُ العَدْلَ .^١

من يعين كمال حسناتنا ليعقبا

من يعين كمال حسناتنا ليعقبا

من يعين كمال حسناتنا ليعقبا

من يعين كمال حسناتنا ليعقبا

من يعين كمال حسناتنا ليعقبا

من يعين كمال حسناتنا ليعقبا

من يعين كمال حسناتنا ليعقبا

من يعين كمال حسناتنا ليعقبا

من يعين كمال حسناتنا ليعقبا

من يعين كمال حسناتنا ليعقبا

١ - الكافي ١ / ٥٢٢ .

نظرة الى الفصل

لا حاجة بنا الى ان نُكثِرَ في هذا الفصل من ايراد الآيات والاحاديث، بصورة مبسطة، بعدما مضى ويأتي في غضونِ الفصول. ومن الجليّ ان القسطَ امرٌ لا يُقومُ النَّاسُ به عفواً، من غيرِ حركةٍ تغييريةٍ وايجادِ تربيةٍ سالحةٍ له، فلا يجدُ في مجتمعٍ يسوده التكاثرُ ويفشو في اجوائه الفقرُ سبيلاً الى التجسيد. ولا فرق في الفقر بين ما يكون منه معلناً وما يكون غير معلنٍ - وكلُّ ذلك واضح. فالخطوة الاولى لاقامة القسطِ في النَّاس، هي ازاحة ما نعيه الكبيرين، وهما التكاثرُ والفقر. ففي ضوء هذا الموضوع - وما اوضحناه في فصول هذين البابين - يتبلورُ انَّ مضادة التكاثرِ والفقرِ للقسطِ الاسلامي امرٌ جوهرى جذري، لا امرٌ عرضيٌّ سطحيٌّ.

انَّ الدِّينَ الَّذِي يَدْعُو الى :

- ١ - انَّ المَالَ مالُ الله .
- ٢ - انَّ الاموالَ ودائعٌ وعوارٍ .
- ٣ - انَّ الاموالَ قوامٌ وقيامٌ .
- ٤ - انَّ التَّصَرُّفَاتِ في الاموالِ محدودةٌ (امتلاكاً واستهلاكاً).
- ٥ - انَّ بقاءَ المجتمعِ بالمال، اذا كان بيدِ المُختصِّينِ والمُلتزمين .
- ٦ - انَّ فناءَ المجتمعِ من المال، اذا كان بيدِ غيرِ المُختصِّينِ والمُلتزمين .
- ٧ - انَّ الدِّراهمَ والدِّنانيرَ مَصْحَحةٌ لشؤونِ الخلق .
- ٨ - انَّ الفقرَ سبيله سبيلُ التَّسَيُّبِ الكفر .
- ٩ - انَّ السُّلْطَاتِ المَالِيَّةِ والاسترقاقَ الاقتصاديَّ مرفوضةٌ .

- ١٠ - أَنْ الْأَمْوَالَ يَجِبُ أَنْ لَا تَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ ..
- ١١ - أَنَّ الْمُوْنِ الْمَادِّيَّةَ لَهَا دَوْرٌ أَسَاسِيٌّ فِي إِقَامَةِ الدِّينِ، بِإِغْنَاءِ
أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَحْرُومِينَ .
- ١٢ - أَنَّ الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ وَالْجِهَادَ وَالْفَرَائِضَ كُلَّهَا، لَا تُقَامُ
وَلَا تُؤَدَّى إِلَّا بِالْخُبْرِ (الغذاء).
- ١٣ - أَنَّ الْجُوعَ يَجِبُ أَنْ يُنَاضَلَ ضَدَّهُ فِيمَا زَحَ .
- ١٤ - أَنَّ الطَّاعُونََ الْاِقْتِصَادِيَّ يُشَجَّبُ، وَأَنَّ قَارُونََ الْقَوْمِ يَجِبُ
أَنْ يُحَارَبَ كَمَا يُحَارَبُ فِرْعَوْنُهُمْ .
- ١٥ - أَنَّ انْفَاقَ الْمَالِ الْفَاضِلِ أَصْلٌ .
- ١٦ - أَنَّ الْإِتْرَافَ وَالْاِسْرَافَ مَرْفُوضَانِ .
- ١٧ - أَنَّ الرِّبَا وَالْاِكْتِنَازَ مَرْدُودَانِ .
- ١٨ - أَنَّ التَّقْدِيرَ فِي الْمَعِيشَةِ أَصْلٌ .
- ١٩ - أَنَّ الْكُلَّ مُهَيِّئٌ لِلْكُلِّ .
- ٢٠ - أَنَّ الْمُوَاسَاةَ أَصْلٌ .
- ٢١ - أَنَّ الْمَسَاوَاةَ مَبْدَأٌ .
- ٢٢ - أَنَّ مَسْتَوَى عَيْشِ الْجَمَاهِيرِ، مَسْتَوَى مُوَحَّدٍ أَوْ مُتَقَارِبٍ .
- ٢٣ - أَنَّ الْفُقَرَاءَ شُرَكَاءُ فِي طَيْبِ أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ .
- ٢٤ - أَنَّ الْأُخُوَّةَ الدِّينِيَّةَ لَهَا وَقْعٌ اِقْتِصَادِيٌّ، وَأَنَّهَا لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا
بِتَجْسِيدِهَا فِي الصَّلَاتِ الْمَعِيشِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ .
- ٢٥ - أَنَّ الْمَجْتَمَعَ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعَدْلُ .
- وما الى ذلك .. نعم ، إنَّ هذا الدِّينَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ آيَةٌ مَلَأْتَمَةً بَيْنَ
نِظَامِهِ الْمَالِيِّ (الْقِسْطِ)، وَبَيْنَ فُشُوِّ التَّكَاثُرِ فِي فِتْنَةِ الْمَسْكِنَةِ وَالْفَقْرِ فِي

١ - لَقَدْ مَرَّتْ عِدَّةٌ صَالِحَةٌ مِنْ آيَاتِ وَاحِدَاتِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ، فِي الْفُصُولِ الْمَاضِيَةِ، وَتَأْتِي عِدَّةٌ
صَالِحَةٌ أُخْرَى مِنْهَا، فِي الْفَصْلِ الْبَاقِي مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَفُصُولِ الْبَابِ الثَّانِي عَشَرَ .

فئات . وقس على ما اشرنا اليه، تلك التعاليم التي جاءت فيه بصدد شجب التكاثر، في الفصول التي عقدها لذلك (من الفصل الثامن الى الثاني والعشرين، من هذا الباب)، والتي جاءت بصدد رفض الفقر، في الفصول التي عقدها لذلك المقصد (من الفصل الثلاثين الى التاسع والثلاثين، من هذا الباب).

تنبیه

من الواجب على أي باحث نابه، أن لا يذهب عليه اصلا ن هاما ن جاءا في التعليم الكاظمي (الحديث ٢)، ألا وهما:

١ - مضادة العدل للفقر، حيث قال: «لو عدل في الناس لاستغنوا». وهذا ما مرّت الاشارة اليه سابقاً.

٢ - صلة العدل بتجسيده الصحيح الحاسم، حيث قال: «ولا يعدل إلا من يحسن العدل».

توضيحا ن

١ - جاءت في عدّة من الآيات والاحاديث كلفنا «الفقراء» و«المساكين»، وربما يظنّ الظانّون أنّ هذا تبرير لوجود الفقر والمسكنة في المجتمع الاسلامي، مع أنّ الواقع ليس كذلك - كما اشرنا اليه فيما مرّ - لأنّ هذه الكلمات وامثالها ترمي الى الواقع القائم، بما فيه الفقراء والمساكين، لا الواقع الاسلامي المطلوب، فلاحظ . ولذلك يصفّ الامام عليّ «ع» الحكم الاسلامي الصحيح، بأنّه لا يوجد فيه فقير ولا عائل^١ -

١ - الكافي ٨ / ٣٢: مستدرک نهج البلاغة / ٣١.

كما أشرنا اليه فيما سلف ايضاً .

٢- أن ما جاء في التّعليم الكاظمي، من أنّه: «لا يعدلُ الاّ من يُحسِنُ العدلَ»، يُشيرُ الى اهنية المتصدّين لإجراء العدالة الاجتماعية وكيفية معرفتهم بالعدل وتلقّبهم عنه وحسبهم في تجسيده، فإنّ كلّ ذلك من الاسباب الرئيسيّة لقيام العدل في الناس وقيام الناس بالعدل . نعم، لا يعدلُ الاّ من يُحسِنُ العدل، ولا يُجسّدُ العدالة الاّ من يعرفها جيّداً ويُقيّمها حاسماً معتقداً، من غير ايّ تزلزلٍ او انحياز .

تذييل هامّ

تفسير الطبقات بمقياس التعاليم الاسلامية، وفي الانظمة التكاثرية .

إنّ معنى الطبقيّة والطبقات يَخْتَلِفُ في المجتمع الانسانيّ السّالم، والمجتمع التّكاثريّ الزائف . وبصورةٍ كَلِيَّةٍ يُوجَدُ نوعان من الطبقيّة في المجتمعات الانسانية :

١ - الطبقيّة الاقتصادية، حيثُ يُقسَمُ الناسُ بها الى طبقاتٍ، على اساسِ الامتلاكِ وعدمه، وبمقدارِ المالِ الذي يتكَدّسُ لديهم، فينقسمون، بصورةٍ عامّةٍ، الى طبقتين :

(١) - مستكبرٌ ومتكاثر .

(٢) - مستضعفٌ وفقير .

وهذا القسمُ من الطبقيّة يَخْتَصُّ النُظْمَ التّكاثريّةَ والرّأسماليّةَ .

٢- الطبقيّة المهنية (الصنفيّة)، حيثُ يُقسَمُ الناسُ بها الى صنوفٍ . والاختلافُ بين الناسِ في هذا القسمِ إنّما ينشأ من اختلافِ المهَنِ

والأشغال ولون العمل الذي يتصدى له الانسان، لامن الثروة والمال .
وهذا القسم الاخير من الطبقة يقوم على ثلاثة اصول :

(١) - اختلاف مواهب الناس واستعدادتهم واختيارهم المهنة المختلفة، الذي يوجب ان تتنوع الحرف والمهنة والأشغال الاجتماعية، التي يتصدون لها، بصورة طبيعية .

(٢) - الحوائج والضرورات المتنوعة، اذ المجتمع الانساني يحتاج الى ألوان من الحرف والمهنة والصناعات المختلفة، من التي لا يمتضى امر المجتمع بدونها ولا يقوم الا بها .

(٣) - رعاية اصل «التقارب» في الاستهلاك المعيشي، لجميع اصحاب المهنة والأشغال المختلفة وعائلاتهم، من غير أن يكون المقياس مقدار دخولهم .

١ - تفسير الطبقة في مفهومها الاسلامي

إن الواقع الذي أشرنا اليه، يعني انقسام المجتمع الى طبقات بحسب المهنة والأشغال، هو المفهوم الصحيح للطبقة . وهو الذي يقصده الامام علي «ع» في كلامه : «وأعلم! أن الرعية طبقات، لا يصلح بعضها الا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض : فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار واهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة ..»

وهذا التعبير الذي جاء في كلامه «ع» : «لا يصلح بعضها الا ببعض»، يؤكد على ضرورة وجود الطبقات المختلفة الشغلية في

المجتمع، كما أشير الى هذا الموضوع في احاديث أخرى، منها قول الامام الصادق «ع»: «الناس لا بُدَّ لبعضهم من بعض»^١. ولقد أوضح الامام علي «ع»، تلك الصلة الضرورية بين الاصناف والطبقات الاجتماعية - بالمعنى الذي قلناه - في مقاطع أخرى من كلامه حيث يقول: «فالجند - باذن الله - حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين، وسبل الامن، وليس تقوم الرعية الا بهم»^٢. فبين بذلك، الصلة الضرورية والحاجة القوامية التي توجد بين المجتمع والقوة الدفاعية. وإن هذه التعبيرات: «حصون الرعية»، «زين الولاية»، «عز الدين» و«سبل الامن»، يومي كل واحد منها الى فلسفة تلك الصلة وقواميتها وضرورة تلك الحاجة واهميتها. ثم يقول «ع»: «لا قوام للجند الا بما يخرج الله لهم من الخراج ..»^٣، فيشير الى حاجة الجند الاقتصادية الى الناس، اذا الجند واهله يحتاجون في معيشتهم الى «الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم»^٤. وبعد ذلك يقول «ع»: «ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث، من القضاة والعمال والكتاب»^٥. وفي هذا المقطع من كلامه يعبر بالصنف والصنفين، مما يوضح بجلاء ان المقصود بالطبقات، هي الطبقات الصنفية والشغلية واصحاب المهن المختلفة، وما يجري فيهم من الحاجات والصلات المتشابهة. فهذا التعليم العلوي يفسر الآية القرآنية التي تقول: «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات، ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ..»^٦، حيث يتضح بذلك ان «رفع بعضهم فوق بعض درجات»، و«اتخاذ بعضهم بعضاً

١ - الوسائل ٨ / ٣٩٩.

٢ و ٣ - نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠.

٤ و ٥ - نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠.

٦ - سورة الزخرف (٤٣): ٣٢.

نظرة الى الفصل التاسع والاربعين ..

سُخْرِيًّا»، لا يَكُونُ الاَّ بِحَسَبِ الْأَشْغَالِ وَالْمِهَنِ الاجتماعيةِ والحوائجِ
الانسانيةِ، التي هي من الضَّرُورِيِّ لِتَشْكِيلِ المَجْتَمَعِ وبنائه وقوامه
وتنظيمِ اموره، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذلك على اساسِ حدودٍ مشروعَةٍ جَدًّا، لا
على اساسِ استغلاليٍّ وطبقيٍّ بمعناهما الزائفِ.

والصَّنْفانِ المذكورانِ (يعني الجندَ واهلَ الخراجِ)، يَحْتَاجانِ الى
صنْفٍ ثالثٍ «من القضاةِ والعَمالِ والكتابِ»، لماذا؟ «لما يُحْكَمُونَ (يعني
القضاة) من المعاهد، وَيَجْمَعُونَ (يعني العَمال) من المنافع، وَيُؤْتَمَنُونَ عليه
(يعني الكتاب) من خواصِّ الامورِ وعوامِّها». ثم يقولُ: «ولا قِوَامَ لَهُم
جميعاً الاَّ بالتُّجَارِ وذوي الصَّناعاتِ فيما يَجْتَمِعُونَ عليه من مرافِقِهِم،
وَيُقِيمُونَهُ من اسواقِهِم، وَيَكْفُونَهُم من التَّرْفِقِ بايديهِم ممَّا لا يبلُغُهُ رِفْقُ
غيرِهِم»^٢.

إنَّ هذا التَّعبيرُ: «لا قِوَامَ لَهُم»، يُوكِّدُ اصلَ الحاجةِ المتشابهةِ بين
الصُّنُوفِ الاجتماعيةِ وطبقاتِها المهنيةِ - كما مرَّ. وإنَّ قولَهُ: «لا قِوَامَ لَهُم
جميعاً الاَّ بالتُّجَارِ وذوي الصَّناعاتِ»، يبيِّنُ الحاجةَ الاجتماعيةَ الهامَّةَ في
حياةِ كلِّ صنْفٍ وفرد، الى نظامي الانتاجِ والتوزيعِ. وهذا الموضوعِ يرمي
الى دَعْمِ امرين:

(١) - اصالةُ الاقتصادِ واهميَّتهِ^٣.

(٢) - ضرورةُ تأسيسِ نظامٍ اقتصاديٍّ سالمٍ.

والنَّظامُ الاقتصاديُّ السَّالمُ - في حَقْلِي الانتاجِ والتوزيعِ - هو الَّذي
يَعْمَلُ لقِوَامِ المَجْتَمَعِ وحياتهِ الاقتصاديةِ، لا الَّذي يَسْحَقُ قِوَامَهُ وَيُدْمِرُ
حياتهِ الاقتصاديةِ. وبعدَ ذلك كُلِّهِ يُشِيرُ الامامُ عليُّ «ع» الى عَجَزَةِ
المَجْتَمَعِ وَضعفائه، فيقولُ: «ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى من اهلِ الحاجةِ

١ و ٢ - نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠.

٣ - راجع: الفصل ٤٤، من هذا الباب.

والمسكنة، الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ...». وليس المقصودُ بهذه الطَّبَقَةِ طبَقَةٌ مستضعفةٌ محرومةٌ محكومةٌ كثيرة العدد، قد أوجدها النُّظَامُ الاقتصاديُّ والاجتماعيُّ الزائف، وفرضَ عليها الفقرَ والحرمانَ بالامتصاصِ والتكاثر، لا، إذ الطَّبَقَةُ بهذا المعنى لا يَعْرِفُهَا الإسلامُ ولا يَعْتَرِفُ بها. وَلِأَنَّ نُسْطَطَ الضَّوِّءِ على هذا الموضوعِ أكثرُ من ذي قبل، نُشيرُ الى مطلبين :

١ - أنَّ الامام «ع» في هذا العهد - ولا سيَّما في أوْليَايَتِهِ - يتصدَّى للتعريفِ بطبيعةِ المجتمعِ الانسانيِّ ورسمِ واقِعِهِ الطَّبِيعِيِّ. ويبيِّنُ بهذا الصِّدِّدِ الصُّنُوفَ والطَّبَقَاتِ الَّتِي تُوجَدُ في المجتمعِ بصورةٍ طَبِيعِيَّةٍ، قبلَ أَنْ يَتَصَبَّحَ بِلُغَةِ اقتصاديِّ او تنظيميِّ خاص .

٢ - أنَّ التَّقْسِيمَ الَّذِي يَتصدَّى الامامُ لبيانه، ناظرٌ الى الأشغالِ المختلفةِ والى اصلِ التَّنوعِ في الأقسامِ الاجتماعيةِ، ممَّا يَنْبَغُ بالضرورةِ من القُدْرِ والمواهبِ الانسانيةِ المختلفةِ. ومن الواضحِ أنَّ المجتمعَ من هذه الجهةِ يَنْقَسِمُ الى قسمين :

(١) - قِسْمٌ ذو استعدادٍ وقُدرةٍ على العملِ والاستفادةِ من الادوات،

مع ما فيه من الاختلافِ في درجاتِ هذه القُدرةِ والاستفادةِ .

(٢) - قِسْمٌ فاقدٌ للاستعدادِ المذكورِ او القُدرةِ المذكورة، لما فيه من

نقصِ بدنيِّ او روحيِّ، او عجزٍ او مرضٍ او عاهةٍ او احتمالِ صَدْمَةٍ وامثالِ ذلك . ومن الواضحِ أنَّ هذه الطَّبَقَةَ قليلةُ العددِ جدًّا، وأنَّ حرمانَها مُسَبَّبٌ عمَّا ذَكَرَ لاعنِ فرضِ الفقرِ والحرمانِ عليها بسببِ اقتصادِ استغلاليِّ تفرُّضُهُ الظُّروفِ غيرِ الانسانيةِ وغيرِ الاسلاميةِ. وهذا القِسْمُ قد اِشارَ اليه الامامُ ابو الحسنِ عليُّ بنُ موسى الرِّضا «ع» في كلامِهِ في تعليلِ الزَّكَاةِ: «... لِأَنَّ اللَّهَ كَلَّفَ اَهْلَ الصَّحَّةِ الْقِيَامَ بِشَأْنِ اَهْلِ الزَّمَانَةِ

والبَلْوَى ..»^١.

فهذه التعاليم تُفيدُ أن في المجتمعِ افراداً كثيرين سالمين برآء من النقصِ والعاهات، قادرين على العملِ والمِهْنَةِ في ألوانها .. وافراداً قليلين معلولين ومصدومين من الذين فَقَدُوا السَّلَامَةَ البدنيَّةَ او الرُّوحِيَّةَ . فإِنَّ هذه الطَّبَقِيَّةَ المشار إليها في كلامِ الامامين، عليّ بنِ ابي طالب «ع» و عليّ بنِ موسى الرضا «ع»، من الطَّبَقَاتِ البائسةِ والفقيرةِ الكثيرةِ والجماهيرِ المحرومةِ التي يَخْلُقُهَا التَّكَاثُرُ والاستغلالُ وَيَفْرُضُ حَضُورَهَا في المجتمعات، باغتصابِ حقوقها وارزاقها .

ولقد تصدّى الامام عليّ «ع» لبيان مقصوده من «الطَّبَقَةُ السُّفْلَى» بقوله : «ثم الله! الله! في الطَّبَقَةِ السُّفْلَى، من الذين لا حيلةَ لهم، من المساكينِ والمحتاجينِ واهلِ البُؤْسِ والزَّمْنَى ..»^٢. ومن البَيِّنِ أَنَّ الطَّبَقَةَ بهذا المعنى والعدد، تُوجَدُ في جميعِ المجتمعاتِ بصورةٍ طبيعيَّةٍ - الغابرةِ منها والحاضرة - وسببُ وجودِ هذا النوعِ من الافرادِ قد ذَكَرَ في كلامِ الامامِ في قوله : «لا حيلةَ لهم»، يعني اهلَ العاهةِ او المرضِ او النقصِ الطَّبِيعِيِّ مِمَّا جَعَلَهُمْ غيرَ قادرين على التصدّي للامور، وامتهانِ الحِرْفِ، وكسبِ المالِ^٣. وفي منطقِ الاسلامِ يَجِبُ أَنْ تُعَاوَدَ تلكَ الطَّبَقَةُ باداءِ

١ - عيون اخبار الرضا ٢ / ٨٩ .

٢ - نهج البلاغة / ١٠١٩؛ عبده ٣ / ١١١ .

٣ - وللإمام علي «ع» كلامٌ آخرٌ يبيِّنُ مقصوده من «الطَّبَقَةُ السُّفْلَى» بوضوح، ويُدلُّ على أَنَّهُ الإمامُ بالموضوعيَّةِ في المجتمعات، بقدرها وحدودها، لا اقراراً لتلك الطَّبَقِيَّةِ المشؤومةِ التي أوجدَها ظلمُ الظَّالِمِينَ وذنوبُ المومنين . واليك كلامُ الامامِ عليّ «ع»، في بيانِ اسبابِ معاشِ الخلقِ : «وأما وجهُ الصَّدَقَاتِ فإنما هي لأقوامٍ ليس لهم في الإمارةِ نصيبٌ، ولا في العِمارةِ حظٌّ، ولا في التِّجَارَةِ مالٌ، ولا في الإجارةِ معرفةٌ وقدرةٌ، ففَرَضَ اللَّهُ في أموالِ الأَغْنِيَاءِ ما يَقُوتُهُمْ وَيُقِيمُ بِهِ أَوْدَهُمْ» - (الوسائل ٦ / ١٤٤) .

وكذلك يفهمُ معنى الطَّبَقِيَّةِ في مفهومها الاسلامي، من تعاليمِ اخرى، منها ما اوردها عن الامامِ ابي الحسنِ الرضا «ع»، في تعليلِ «الرِّكَاةِ»، حيثُ يُقْصَدُ بالطَّبَقَةُ السُّفْلَى هؤلاءِ وامثالهم،

مالها من الحقوق المعيّنة المختلفة، ثم بتطبيق اصلِ المؤاساة والأخوة الإسلامية، والقيام بالتعاهد الإسلامي العام والتعاون والتوازن والعدل والاحسان، وأن يعدّها لها جميع ما تحتاج إليه، حتى تخرج من كونها سُفلى الى مستوى معيشي يقترب من سائر المستويات المعيشية، كما جاء في كلام الامامين، ابي عبدالله جعفر الصادق «ع»^١، و ابي الحسن علي بن موسى الرضا «ع»^٢. وبهذا المنهاج ترتقي هذه الطبقة أيضاً الى مستويات تقرب من سائر القطاعات. ولقد أشرنا الى أنّ الفقر الناتج من الجهات المذكورة، في العجزة واهل العاهات، ممّا يستند الى العوامل الطبيعية، امرٌ محدود بالضرورة، ولا ربط له بالفقر الواسع المفروض المنتج من النظام التكاثري والرأسمالي، الذي يعم الجماهير.

ولأن نؤكد المفهوم الإسلامي عن الطبقة ونزيد الموضوع المبحوث عنه ايضاحاً نقول: إنّ صلات الطبقات في المجتمع السالم صلات حياتية وقوامية، لا يصلح بعضها الا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، كما مرّ في كلام الامام علي «ع». وفي ذلك المجتمع قد شغل كل طبقة موضعها اللائق بها، لتمرير امر الناس وحياتهم، وكل طبقة تكمل الطبقات الأخرى. فهذه الطبقة غيرها في المصطلح الحديث، الذي يقوم على الامتلاك ومقداره، او المسكنة والحرمان. والخلاصة أنّ الطبقات (الصنوف) في المجتمع السالم الطبيعي تكون على هذه الخصال:

١ - لا يصلح بعضها الا ببعض.

وهذا يصادف الطبقة في المجتمع التكاثري، حيث يفسد بعضها

لا جماهير وجماهير من الناس يُفرض عليها الفقر والحرمان، بسبب المظالم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية - كما مرّ.

١ - راجع: الفصل ٢٧، من الباب ١٢، فقرة «ج».

٢ - راجع: الفصل ٤٠، من الباب ١٢، فقرة «و».

نظرة الى الفصل التاسع والاربعين ..

البعض . ولقد مرَّ تفصيلُ الكلام في الفصولِ السَّالفةِ ذاتِ الارتباطِ
بالموضوع .

٢ - لاغنى ببعضها عن بعض .

وهذا ايضاً يُّضادُ الطَّبَقِيَّةَ التَّكاثِرِيَّةَ، لِأَنَّ الطَّبَقَةَ المتكاثرةَ لاجابةً
بالمجتمعِ اليها، بل هي تَضُرُّ بالمجتمعِ وتهدِّمُ سعادته ورُشدَه .

٣ - لا قوام لها جميعاً الا بها .

وهذا ايضاً يُّضادُ الطَّبَقِيَّةَ التَّكاثِرِيَّةَ، اذ الطَّبَقَةُ المتكاثرةُ سببٌ لشجبِ
القوامِ الاجتماعيِّ لا لِدَعْمِهِ .

وجاءَ في كلامِ الامامِ عليٍّ «ع» قوله : «وفي الله لُكُلٌ سَعَةٌ» . وهذا
يُفهمُ أنَّ كلَّ فردٍ من افرادِ المجتمعِ له سَعَةٌ معيشية . وقال «ع» : «ولكلِّ
على الوالي حقُّ بقدرِ ما يُّصلِحُه» . وهذا التَّأشيرُ يَنْفي الطَّبَقِيَّةَ التي تُقرُّ
حضورَ المحرومين في المجتمعِ ويَرْفُضُها، ويُدُلُّ على واجبِ الحكمِ
تِجَاهَ المحرومين والمساكين، من تَأْمِينِ عيشِ كفايِّ قواميِّ لهم بقدرِ ما
يُّصلِحُهُم لَبصورةٍ زهيدة . فواجبُ الحكمِ الاسلاميِّ أَنْ يَنْظُمَ الصَّلَاتِ
الاقتصاديَّةَ ويَدَعْمَها على اصولِ اساسيةٍ تَسْتَبِيعُ لُكُلَ النَّاسِ حياةً
سالمةً كافية، على حَسَبِ ما يُّصلِحُهُم كَمَا وكيفاً . وقبل ذلك يَجِبُ على
الفقاهةِ الاسلاميةِ أَنْ تَهْتَمَّ بحياةِ النَّاسِ الاقتصاديَّةِ بصورةٍ حاسمة، وَأَنْ
تُصَبِّ فتاواها مَصَبَّ اِحياءِ النَّاسِ جميعاً، حتى يَقومَ بتجسيدها الحكمِ .

٢- تفسير الطَّبَقِيَّةِ في مفهومها التَّكاثِرِيِّ

لقد مرَّتِ الاشارةُ الى مفهومِ الطَّبَقِيَّةِ، في المصطلحِ التَّكاثِرِيِّ
والرَّأسماليِّ، ممَّا يَقومُ على اساسِ الامتلاكِ وِعدَمِهِ والاكتنارِ من المالِ

١ - نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠١ .

والإقلال منه . وكما أنّ الطَّبَقِيَّةَ بمفهومها الإسلاميّ، ما هي إلاّ أمرٌ طبيعيٌّ وعاملٌ لقوامِ المجتمع وسببٌ لتفتُّحه ورُشدِه - إذا تَجَسَّدَتْ بصورة بريئة من أيّ لونٍ من ألوانِ الامتصاصِ والاستغلالِ - فإنَّ الطَّبَقِيَّةَ بالمفهومِ التَّكاثُرِيّ ليست إلاّ ظاهرةً تُهدِّدُ كيانَ المجتمعِ الانسانيِّ وتعملُ على تلاشيِ ابعاضه وقطاعاته وتضعيفِ الصِّلاتِ الانسانيةِ فيه، وتُدوِّرُ حَوْلَ محورِ الفرضِ والاستغلالِ والاختافَةِ والسُّلْطَةِ والجورِ وايجادِ الحاجةِ والحرمانِ في الناسِ .

ولعلَّ الامامَ المُعلِّمَ، عليَّ بنَ الحسينِ السَّجَّادِ «ع»، قد اِشارَ الى هذا النوعِ من الطَّبَقِيَّةِ وابعاضها في حديثٍ رواه زُرارةُ بنُ أوفى . وهذا الحديثُ أوردناه قبلَ ذلك، غيرَ أَنَّا نُورِدهُ هنا تجلِيَةً للموقفِ ولأنَّ نَقومَ بشرحه ايضاً :

الحديث

١ الامام السجاد «ع»: يا زُرارة! النَّاسُ في زماننا على سِتِّ طبقاتٍ: اَسَدٌ وِذْبٌ وَتَعَلْبٌ وَكَلْبٌ وَخَنزِيرٌ وَشَاةٌ . فَأَمَّا اِلسُّدُّ فَمُلُوكُ الدُّنْيَا، يُحِبُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَغْلِبَ وَلَا يُغْلَبَ . وَأَمَّا الذُّبُّ فَتُجَّارُكُمْ، يَدْمُونُ إِذَا اشْتَرَوْا وَيَمْدَحُونَ إِذَا بَاعُوا . وَأَمَّا التَّعَلْبُ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ بِأَدْيَانِهِمْ، وَلَا يَكُونُ فِي قُلُوبِهِمْ مَا يَصِفُونَ بِالسِّنْتِهِمْ . وَأَمَّا الكَلْبُ، (ف) يَهْرُ عَلَى النَّاسِ بِلِسَانِهِ، وَيُكْرِمُهُ النَّاسُ مِنْ شَرِّ لِسَانِهِ . وَأَمَّا الخَنزِيرُ، فَهَؤُلَاءِ المُخَشَّنُونَ وَاشْبَاهُهُمْ، لَا يَدْعُونَ إِلَى فاحِشَةٍ إِلَّا أَجَابُوا . وَأَمَّا الشَّاةُ، فَالَّذِينَ تُجْرُ شُعُورُهُمْ وَيُؤْكَلُ لُحُومُهُمْ وَيُكْسَرُ عَظْمُهُمْ، فَكَيْفَ تَصْنَعُ الشَّاةُ بَيْنَ اسدٍ

وذئبٍ وتعلبٍ وكلبٍ وخنزيرٍ؟»^١.

هذا التعلّم الانساني السّامي، يُصوّر أماننا - بصورة رمزية - المجتمع التّكاثريّ الرّأسماليّ الآكل للضعفاء، الذي تُسيطرُ عليه صلاتُ الآكل والمأكول الاقتصاديّة. وإنّ تعبيره «ع»: «في زماننا»، يُشير الى عصره الذي قد غمره تيارُ الظلم والجور والفجور والتزوير والاضطهاد. وهذا يشملُ كلَّ المجتمعاتِ والازمنة التي تسودها الصّلاتُ الفاسدة والعلاقاتُ الجائرة الاستغلاليّة، وتدورُ على محور طلبِ المالِ الكثيرِ والتكالبِ عليه، حينما يتبع متكاثرُها المال (المالُ يعسوبُ الفُجّار)^٢، ويصدفون عن اتباعِ دُعاةِ الحقِّ والانسانيّة والعدل (أنا يعسوبُ المؤمنين)^٣. فعلى هذا، تكونُ خصائصُ المجتمعاتِ الفاسدة والصّالحة، في العصورِ المختلفة، متشابهةً ومقاربةً، وإن كانت صُورُها وازمنتها متفاوتة. فـ«زماننا» في كلامه «ع» يشملُ كلَّ زمانٍ تكونُ سماته سماتَ زمانه. واليك شرحاً وجيزاً بصدد الحديث :

قد قسّم المجتمعُ في هذا الحديثِ الى حاكمٍ ومحكومٍ اقتصاديين (آكلٍ ومأكول). القسمُ الأوّل له خمسُ شعب، والقسمُ الثّاني له شعبةٌ واحدة (الشّاة في التعبير الرّمزي). والاستغلالُ يقعُ في صلاتِ هاتين الطائفتين، كما جاء في حديثٍ آخر: «يأكلُ عزيزُها ذليلها، وكبيرُها صغيرها»^٤. والمظهرُ الاصليّ للمجتمعِ على مفهومِ هذا الحديث، هو الذئبُ والشّاة، اللذان يُعبّرُ عنهما في المصطلحاتِ الحديثة بـ:

- الرّأسماليين (١) - الكادحين (٢).

١ - البحار ٦٧ / ٢٢٥ - ٢٢٦: راجع أيضاً: «الخصال» ١ / ٣٣٩، من طبعة الغفّاري.

٢ و٣ - نهج البلاغة / ١٢٣٦: عبده ٣ / ٢٢٩.

٤ - تحف العقول / ٥٧، من حديثِ الامام عليّ «ع».

وفي التّعابير الاسلاميّة بـ:

- | | |
|-----------------------|----------------------------|
| - المستكبرين (١) | - المستضعفين (٢). |
| - المتكاثرين (١) | - المقتصدین (٢). |
| - المُتَرَفِّين (١) | - المحرومين (٢). |
| - المياسير (١) | - المَحَاوِيج (٢). |
| - اولي النعمة (١) | - اهل الحاجة والمسكنة (٢). |
| - الاغنياء (١) | - الفقراء (٢). |
| - المملأ (١) | - الناس (٢). |
| - القوي (١) | - الضعيف (٢). |
| - الآكل (١) | - المأكول (٢). |
| - الطواغيت (١) | - المؤمنین (٢). |
| - الذئب (١) | - الشاة (٢). |
| - السادة والكبراء (١) | - الأتباع والضعفاء (٢). |

ومن الواضح، أنّ استمرار الحياة الآكلية والمأكولة في الطبقتين، يحتاج الى دعم نظام سياسي مُستغِلٌّ ومُستبَدٌّ. ولتحقق هذا النظام وتشبيد اركانه تمس الحاجة الى الاقسام الاربعة الأخرى المذكورة، التي يعمل كل منها عمله، فيحتاج استقرار الامر واستمراره الى:

١- النظام الطاغوتي السياسي، بماله من القوة والسلطة (أما الأسد فملوك الدنيا). وهذا النظام هو الدعامة الاصلية للاستغلال والاستكبار (يُجِبُّ كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَغْلِبَ وَلَا يَغْلَبَ).

٢- أجهزة التزوير وتخدير الضمائر والإعلام المموه، التي تلعب اهم الادوار لبقاء نظام الاستغلال والصّلات الآكلية والمأكولة، حيث تعمل على تعمية الجماهير بتحريف الثقافة والدين ونشر الباطل وإظهار ما لا تعتقد (أما الثعلب فهؤلاء الذين يأكلون باديانهم، ولا يكون في

قلوبهم ما يصفون بالسنتهم).

٣ - السُّلْطَةُ التَّنْظِيمِيَّةُ والقُوَّاتُ المسلَّحةُ، اي التي تُمَهِّدُ للنِّظامِ التَّكاثُرِي الرَّأسمالِي، فتدمغُ الحَقَّ وتهددُ اَهْلَهُ وتَنْصُرُ الباطلَ وتُشجِّعُ اَهْلَهُ، لكي يَبْقَى وَيَسْتَمِرَّ الكيانُ الطَّاغوتيُّ في النَّاسِ . ولعلَّ ذَكَرَ الكَلْبِ في الحديثِ رَمَزٌ لهذا القسمِ، وله دَوْرانٌ في هذا المجال :

أ - اِحْيَاءُ الأَبْهَةِ الطَّاغوتِيَّةِ وهيمنتها الاستكبارِيَّةُ الظَّاهِرَةُ، وتغطيةُ واقعها الفارغِ. الواهي (يَهْرُ على النَّاسِ بلسانِهِ).

ب - ارعابُ النَّاسِ وتخويفُهُم لِقَبولِ الفُرُوضِ التي تُفرضُ عليهم (يُكْرِمُهُ النَّاسُ من شَرِّ لسانِهِ).

٤ - عناصرُ الفسادِ والفحشاءِ، من الَّذِينَ يُشيعُونَ المفاصدَ الخُلُقِيَّةَ في النَّاسِ وَيَجْرُونَهُم الي التَّسَيِّبِ والانحلالِ الخُلُقِيِّ والاستسلامِ واحتمالِ الظُّلمِ، ولعلَّ الخنزيرَ رَمَزٌ لهؤلاءِ (الَّذِينَ لا يُدْعُونَ الي فاحشةٍ الاَّ اَجابوا). وهذه الطَّائِفَةُ وجودُها ضروريٌّ للنِّظامِ الرَّأسمالِي ولادامَةِ حياتِهِ التَّطْفُلِيَّةِ. ولقد فَصَّلْنَا الكلامَ عن هذا الموضوعِ في الفصلِ السَّادسِ عشرِ، من هذا البابِ، فقرة «هـ»، فراجع .

وهذه الطَّبَقَاتُ كُلُّها تَتَّحِدُ حَوْلَ محورِ المَالِ والمالِ يَعسوبُها . وأما الشَّاةُ فهي الجماهيرُ المظلومةُ المضطَّهدةُ التي لا حيلةَ لها، فَتَصِيرُ ضَحِيَّةَ مُيولِ الطَّبَقَاتِ المذكورةِ ونَزَعَاتِها بما فيها الذُّبِّ - ولا تَنْسَهُ - (وأما الشَّاةُ فالَّذِينَ تَجَزُّ شعورُهُم وَيُوكَلُّ لِحومُهُم وَيُكْسَرُ عَظْمُهُم). وهذا هو الواقعُ الَّذِي تَشَاهِدُهُ في المجتمعاتِ الرَّأسمالِيَّةِ اليومِ، وفي الانظِمةِ التَّكاثُرِيَّةِ التي تَسوُدُ البُلدانَ الاسلامِيَّةَ، ممَّا يُعانيه النَّاسُ وَيَعيشونه بالمِ ومِمرارةٍ .. فكيف تَصنَعُ الشَّاةُ بين اسدٍ وذئبٍ وثعلبٍ وكلبٍ وخنزيرٍ؟).

الفصلُ الخمسون

الإصلاح الاجتماعي، مقاطعة ودفاع

«... لا يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْحَقِّ، إِلَّا مَنْ وَرَعَهُمْ عَنِ الْبَاطِلِ»^١.

- الامام علي «ع»

هذا دعوة صريحة الى أن الإصلاح الاجتماعي ليس الآ المقاطعة والدفاع، وأنَّ الجمعَ بين إبقاء النَّاسِ عَلَى الْبَاطِلِ (ولو في المجالات الاقتصادية والحقوق المعيشية) وحملهم على الحقِّ (في سائر المجالات والحقوق)، امرٌ محال .

وإنَّ من أَجْلِ الواضحات، أنَّ الْبَاطِلَ في قضايا الاقتصاد والأموال، هو التَّكَاثُرُ والفقر، بما لهما من التَّبَعَاتِ الْمُدْمِرَةِ والسَّاحِقَةِ - كما مرَّت آياتُها واحاديثُها - فالَّذين لا يُورِّعونَ المجتمعَ عنهما بصدورٍ وتجسيد، ولا يَشْجُبُون أسبابهما ضَمَنَ حركاتٍ تغييريَّة، ولا يَدْمُرُونَ قواعدهما بمقاطعةِ المستكبرين*

١ - الوسائل ١٨ / ١٥٥ .

* تنبيه: لا فرق في أضرار ترك المقاطعة، وتدميره للمجتمع واركائه، وللذين وبقائه وبسطه، وللأخلاق وقوامها، وتشويهه سُمعة الإسلام، بين أن يَقَع بهذا الدَّاعي أو ذاك . ومن أضرَّ أنواعه ما يكون عن سوء التَّشخيصِ الزَّمَنِيِّ وضعف البصيرة المجتمعية، وقلة الإطلاع على ما هنالك من القضايا الموضوعية والامور الجذرية، والمصالح العامة والعالمية، وما يُمْتُّ الى التنمية الاقتصادية والعدل المعيشي وأهميتهما من شتى الجهات الدينية والدنيوية . ←

المعتدين من الاغنياء والمتكاثرين ومدافعيهم ولا يسعون لدفع
عاديتهم عن الجماهير، ليس لهم ان يدعوا انهم يحملون الناس
على دين الله الحق، وانهم يدافعون عن الفقراء المظلومين
والمستضعفين المحرومين ..

فَمَنْ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا الْمُسْتَضْعَفِينَ وَحَرَمُوا الْمَحْرُومِينَ ؟
وَمَنْ الَّذِينَ مَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعُوا بِهِ ؟^١
وَمَنْ الَّذِينَ يَجْزُونَ شُعُورَ النَّاسِ وَيَأْكُلُونَ لُحُومَهُمْ
كَالذَّنَابِ ؟^٢

وَمَنْ الَّذِينَ مَا افْتَقَرَ النَّاسُ وَلَا احْتَاَجُوا وَلَا جَاعُوا وَلَا عَرُوا
إِلَّا بِذُنُوبِهِمْ ؟^٣

ومن الذين سرفوا زاد الفقراء ؟ غير اولئك المستكبرين
الظالمين والطواغيت الاقتصاديين ؟ فكلما لم يقاطعوا اولئك ولم
يطاردوا، لا يسع اية فئة ان تعدد نفسها مدافعة عن المستضعفين
والمحرومين، داعمة لدين الله واحكامه، مع ان العدل حياة
الاحكام، وان احياء عدّة من الاحكام بالضغط، ليس الا ظاهرة

فهذا ايضا يضر بالدين والدنيا، وإن لم يكن هناك انحيار خاص، او كان المباشر من الوجهاء،
اذ الامر لا ينوط بالنية بل بالتفتح والوعي . وإن بقاء المجتمع وعزه وكيانه بالاموال والاستفادة
الصحيحة والعدالة منها، وكذلك فناؤه وزواله وزوال قيمه ينوط بما يضادها - كما علمنا الامام
جعفر بن محمد الصادق «ع»؛ فراجع : الفصل ٢، من هذا الباب.

١ - على حدّ تعبير مولانا امير المؤمنين عليّ «ع»، في كلامه المعروف - (نهج البلاغة / ١٢٤٢) : عبده
(٢٣١) / ٣ .

٢ - على حدّ تعبير مولانا الامام عليّ بن الحسين السّجّاد «ع»، راجع : ما مرّ في اُخريات الفصل
السّابق .

٣ - على حدّ تعبير النّبيّ الاعظم «ص» ومولانا الامام الصادق «ع»، راجع : التّصدير، والفصل ٨، من
هذا الباب .

٤ - على حدّ تعبير مولانا الامام الحسن العسكريّ «ع»، راجع : الفصل ٨ .

جافّة سطحيّة لا تُؤدّي إلا إلى رُسوبِ انواعِ الفسادِ في النفوس،
وتغلُّلِ المُميّعاتِ النفسيّةِ والخُلقيّةِ والدينيّةِ والاجتماعيّةِ في
القِطاعاتِ، في أشكالٍ خفيّةٍ، كما هو لاجِبٌ لمن يَطَّلِعُ على
المجتمعِ بأغواره والحياةِ بأشكالِها.

ولا جل ذلك كان الانبياءُ «ع» يبدؤون حركاتهم التغييريّة -
في القضايا المجتمعيّة والمعاشيّة - بتصحيح الصّلاتِ الاقتصاديّةِ
والتبادليّةِ، شجبا للظلمِ المُنصبِّ على الجماهيرِ في هذا المجالِ
الحياتيِّ الهامِّ.

ولعلّه باقٍ على ذُكرِ القارئِ ما اشّرنا إليه في مُستهلِّ الفصلِ
الرّابعِ والاربعين، بصدِّ الإلماحِ إلى سيرةِ الانبياءِ «ع»
ودعواتهمِ الثلاثةِ الرّئيسيّةِ.

فهم كانوا يدعونُ النَّاسَ إلى عبادةِ اللهِ تعالى، فيشجّبوا بذلكِ
الطّاغوتِ السّياسيّ (الفراعة، كبيرهم وصغيرهم). ويدعونُ إلى
تصحيحِ الصّلاتِ الاقتصاديّةِ والتبادليّةِ وإزاحةِ المظالمِ الماليّةِ عن
الجماهيرِ، فيشجّبوا بذلكِ الطّاغوتِ الاقتصاديّ (القوارنة، كبيرهم
وصغيرهم). وعند ذلكِ ينجحونُ بشجْبِ الطّاغوتِ الثّقافيِّ
والفكريِّ (الهُوامنة، كبيرهم وصغيرهم)، لأنّه يعتمدُ عليهما، ويسعى
لهما، ويتقلّبُ على موائدهما.

وكان المستكبرون الاقتصاديّون والاعنياء والمترفون،
يُحْسِنون - من أوّلِ الامر - بالخطرِ الذي يحدّقُ بهم، حيث يرون من
كُتب، أنّ أيديهم ستقطّع عن استعبادِ النَّاسِ واستغلالهم، وأنّ
قواعدهم ستضعُ فلا أثرَ بعدها ولا امتصاص، فلذلك كانوا
يسعون لإبقائها فيبتدرون إلى تقديم مالٍ دفعاً لهجماتِ الثّورةِ
والتّغيير، ولكن هيهات أن تنطلي هذه الحيلُ لدى الدّعاةِ الالهيين،

الفصل الخمسون: الاصلاح الاجتماعي ..

فَنُشَاهِدُهُمْ قَدْ رَدَعُوا الْمُسْتَغْلِينَ وَالْفِرَاعِنَةَ الْاِقْتِصَادِيِّينَ، بِهَذِهِ
الصَّرْحَةِ الثَّوْرِيَّةِ: «.. لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا»^١.

ومن هنا كانت «المقاطعة» تتجلى وتترسخ في حياة اولئك
التأثرين الصامدين، وترسم خطوط الأمل والنور في حياة
المستضعفين.

والى القارئ نبذة من آيات «المقاطعة» واحاديثها:

الكتاب

١ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، بَلِ آتَيْنَاهُمْ
بِذِكْرِهِمْ، فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا؟ فَخَرَجُ رَبِّكَ خَيْرٌ،
وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ *^٢

٢ (نوح) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ: أَلَا تَتَّقُونَ؟ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاطِيعُونَ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ * قَالُوا: أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْآرَ ذُلُونٌ؟ * قَالَ: وَمَا
عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ *^٣

* تَدُلُّنَا هَذِهِ الْآيَاتُ النَّوْحِيَّةُ - فِي بِلَاغَةٍ وَحَسْمٍ - عَلَى اَصُولِ

١ - سورة هود (١١) : ٢٩.

٢ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٧١ - ٧٢.

٣ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٠٦ - ١١٥.

رئيسية تركز المبدأين الهامين، اللذين عقدا لهما هذا الفصل.

وهما:

(١) - المقاطعة،

(٢) - الدفاع.

أما المقاطعة، فالمقصود بها مقاطعة الظالمين الاقتصاديين والطواغيت والمستكبرين؛ وبعبارة أخرى: مقاطعة الطاغوت، فرعون كان او قارون.

وأما الدفاع، فالمقصود به الدفاع عن المظلومين والمُعذَّبين والمحرومين والمستضعفين. وهما (المقاطعة، الدفاع)، رُكنا الاصلاح الاجتماعي وجناحاه، مما لا يتجسد اصلاح او تغيير بدونهما معاً. فالآيات تُرشدنا الى أن المصلحين والمُعيرين يجب أن يكونوا:

أ- أمناء.. والامين لا يُصانع سالي حقوق الناس وسارقي ارزاقهم، ولا يُعلق عليهم وعلى اموالهم الآمال، ولو دَفَعُوا نفقات؛ ولا يُبرمج بشكل يُحوِّج الى اخذ اموالٍ منهم.

ب - داعين الناس الى التقوى.. وأين حياة التكاثر والإتراف، التي يعيشها المترفون، من حياة التقوى المقتصدة؟

ج - صامدين في الاتجاه، غير طاردين للذين يُلبون دعوة الاصلاح، ولو كانوا من الضعفاء.

د - متخذين موقف الانذار المبين دوماً، حتى لا يطمع القوي في حيفهم، ولا يئأس الضعيف من عدلهم.

هـ - غير مكتفين في الدفاع عن المعذَّبين والكادحين المحرومين والمستضعفين بالشعار او الوعظ او الخطبة، مما لا يخرج عن حد اللفظ الى الواقع الموضوعي.

٣ (نوح) ويا قوم! لا أسألكم عليه مالا، إن أجري الآ على الله، وما أنا بطارد
الذين آمنوا، إنهم ملاقوا ربهم، ولكن أراكم قوماً تجهلون *

* تدلُّ الآية على ثلاثة من اهمِّ الاصول التي يتوقف عليها

تجسيد الاصلاح الاجتماعي .

أ - قطع الصلة المائية والاقتصادية بالاعنياء والمترفين
والاعراض عنهم بصورة حاسمة .

ب - تحكيم الصلات بالجماهير بشكل موضوعي، والوقوف
الفعلي الصامد بجانبهم .

ج - إزدارء ثقافة الاعنياء المترفين وأعرافهم، وعدَّهم
جاهلين، تزييفا لقيمهم التافهة التي يتوهمون أنهم لاجلها سادات
وكبراء .

٤ (هود) إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تتقون؟ * إني لكم رسول أمين * فاتقوا
الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر، إن أجري الآ على رب العالمين *
أتبنون بكل ريع آية تعبثون؟ * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا
بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * وأتقوا الذي أمركم بما
تعلمون * أمركم بأنعامٍ ونبين * وحنث وعيون * إني أخاف عليكم
عذاب يومٍ عظيم *

* تدلُّنا هذه الآيات الهودية - وهي لوحات تنبؤ بدم

«الحياة»، وتشرق شروق الشمس، وتجلجل جلجلة الرعد - على

١ - سورة هود (١١): ٢٩ .

٢ - سورة الشعراء (٢٦): ١٢٤ - ١٣٥ .

اصول الاصلاح الاجتماعيّ الرئيسيّة :

أ- الدّعوة الى التقوى وترك زائد الحياة الباذخة التي تَسْحَقُ حقوق الآخريين ومعايشهم .

ب - التأكيد على امانة المصلح .

ج - تكرير الدّعوة الى التقوى، لاهميتها في الاصلاح، وهي تتوطأ باطاعة المصلح الالهيّ (فَاتَّقُوا اللَّهَ واطيعون).

د - قطع الصّلة الاقتصادية والطّمع الماليّ من الاغنياء، حتى ييأسوا من كلّ شكلٍ من اشكال النّدْرَعِ بالمالِ لوضع العقباتِ في سبيلِ الثّورة والتّغيير .

هـ - التّنديد بحياتهم الباذخة العابثة، باتّخاذ القصورِ وتشييدها .

و - تخطئة خيالهم الفارغِ وأملهم الخائب في الخلود .

ز - القاء النظرِ الشّررِ الى بطشهم الجبارِ واعتدائهم على الضّعفاء .

ح - تكرير الدّعوة الى التقوى وتغيير ما بأنفسهم من الفسادِ والميوعة والإنكارِ والظلم .

ط - التذكير بأنّ النّعمَ والمواهب، والبنين والأنعام، والجنّاتِ والعيون، كلّها من إمدادِ الله تعالى، فهي بطبيعتها لا يُمكنُ أن تكونَ مختصّةً بطائفةٍ ودولةٍ بين حفنة، بل هي لجمعِ عبادِ الله وعياله، فلماذا اغتصبها المغتصبون وطغوا فيها؟

ي - الإنذارِ بعذابِ اليومِ العظيم، ومقاطعتهم من حيث إنهم بعداءٌ من رضا الله ورحمته ومُعذّبون بعذابه، لظلمهم الناس .

٥ (صالح) إذ قال لهم أخوهم صالح: الا تتقون * اني لكم رسول أمين * فاتقوا

اللَّهُ وَأَطِيعُونَ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *
أَتْرَكُونَ فِي مَا هِيَئَنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا
هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ *

* يُفَاطِعُ نَبِيُّ اللَّهِ صَالِحٌ «ع»، اغنياء قوميه، هذه المقاطعة الحاسمة، ويعيرهم بزعمهم الفاسد من الأمن والبقاء، والترفة في الجنات والعيون وسكنى القصور ونحت البيوت من الجبال للفره والبطر، ثم يدعو القوم الى أن لا يطيعوا امر المسرفين .

٦ (لوط) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ : أَلَا تَتَّقُونَ؟ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا

اللَّهِ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *

٧ (شعيب) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ : أَلَا تَتَّقُونَ؟ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا

الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا

تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ *

* تَعْمَدُ هَذِهِ الْآيَاتُ الشُّعَيْبِيَّةُ - مضافاً الى الاصول المذكورة

فيما مضى من أول الفصل - لتأكيد مقاطعة الاغنياء، وأن قطع الصلة

الاقتصادية بهم شرط واجب ومقدمة ضرورية للكفاح ضد العدوان

الاقتصادي والدفاع عن المستضعفين . ومن هنا ترى نبي الله

١ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٤٢ - ١٤٩ .

٢ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٦١ - ١٦٤ .

٣ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٧٧ - ١٨٣ .

شعبياً «ع» يُوجّه خطابه الحاسم الى اصحاب الكيل والميزان،^١
 ممّن تكون معاشُ الناس في ايديهم، ويأمرهم بايفاء الكيل
 واستقامة الوزن، وينهاهم عن بَخْسِ الناسِ اشياءهم، وعن
 الفساد الكبير الذي ينبع من المظالم الاقتصادية والمالية.
 وبذلك يشعر بانّ اصلاح الصّلات الاقتصادية بين الناس ورفض
 الظلم المعيشي، هو أولى الخطا على طريق اصلاح الاجتماعي
 والحركات التغييرية.

٨ (حبيب النّجار) .. يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم
 مهتدون *^٢

* كان حبيب النّجار قد آمن برسول عيسى «ع»، عند ورودهم
 القرية .. وكان منزله عند اقصى باب من ابواب المدينة .. قالوا:
 وإنما علم هو بنبوّتهم، لأنهم لما دَعَوْه قال: أتأخذون على ذلك
 اجرا؟ قالوا: لا..^٣

٩ (محمد) .. قل: لا أسألكم عليه اجرا، إن هو الا ذكر للعالمين *^٤

١٠ (محمد) .. وما تسألهم عليه من اجر، إن هو الا ذكر للعالمين *^٥

١ - ولعل المراد بهم رؤساء الاسواق، واكابر مجرميها، ممّن تكون بايديهم الارزاق والاوزان و
 الاسعار.

٢ - سورة يس (٣٦): ٢٠ - ٢١.

٣ - مجمع البيان ٨ / ٤١٩.

٤ - سورة الانعام (٦): ٩٠.

٥ - سورة يوسف (١٢): ١٠٤.

* تَدُلُّ الْآيَاتَانِ عَلَى امْرَيْنِ هَامَيْنِ :

أ - مقاطعة الموسرين واصحاب الاموال والاغنياء، ونفي طلبِ شيءٍ منهم .

ب - اعطاء الاصاله والاهميه للمبداء والايديولوجيه، والتأكيد على أن تركيزها على المستوى العالمي هو الهدف الاقصى للداعي .

١١ (محمد) وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قل : ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ، وَكُفَىٰ بِهِ بُذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا *

* تُرْشِدُ الْآيَاتِ إِلَى :

أ - تبيين موقف المصلح، وأنه ليس الآ موقف البشارة والإنذار، من غير أي جنوح الى امر آخر .

ب - قطع الأمل بالموسرين وما بأيديهم، من الزخارف والاموال، قطعاً باتاً .

ج - أن اجر المصلح الصادق في الحقيقة، هو صنع الانسان الرسالي، المتخذ سبيلاً الى ربه .

د - أن على المصلح الصادق أن يتوكل على الله بالانفصال عن الخلق، مستغرقاً في الانقطاع اليه بالتسبيح والتحميد، منافحاً للطواغيت الاقتصاديين والمستكبرين الذي يظلمون الناس، ممن لا يحبون الحركات التغييرية، ويضعون في سبيلها العقبات، فالله تعالى خبير بهم، ويكفي المصلح شروهم ويردّها

اليهم .

١٢ (محمد) قُلْ : إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَارِكُمْ، ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ، إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * قُلْ : مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * قُلْ : إِنْ رَبِّي يَفْزِفُ بِالْحَقِّ عَلَاقِمَ الْغُيُوبِ *

* تَدُلُّ الْآيَاتُ عَلَى مَسَائِلٍ هَامَّةٍ فِي مَجَالِنَا هَذَا، فَلَنَعْمِدُ إِلَى

شَيْءٍ مِنْ تَوْضِيحِهَا :

أ - أَنْ الْقِيَامَ لِلَّهِ تَعَالَى، فِي سَبِيلِ الْحَرَكَاتِ التَّغْيِيرِيَّةِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِاسْتِمْدَادٍ مِنَ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَظِرَ الْقَائِمُ أَنْ يُسَاعِدَهُ حُسُودًا؛ فَعَلَى الَّذِينَ يَتَبَنُّونَ الْقِيَامَ لِلَّهِ وَيَقْفُونَ بِجَانِبِ الْمَصْلَحِ الْإِلَهِيِّ، أَنْ يَقُومُوا مِثْلَى وَفَرَادَى، أَي سَوَاءً أَوْاقِفَهُمْ وَرَافَقَهُمْ فَرْدٌ آخِرٌ أَمْ لَا . وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «ع» : «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ»^٢.

ب - أَنَّ طَوَاعِيَتَ الْمَجْتَمَعِ وَالظَّالِمِينَ يَتَهَمُونَ الْمَصْلَحَ الْمَغْيِيرَ وَيَزِدُّونَهُ «وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ»^٣. فَتَفَكَّرُوا فِي الْأَمْرِ وَأَمَعُوا النَّظَرَ فِيهِ، حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّ صَاحِبَكُمْ عَلَى عَقْلِ كَبِيرٍ، وَخُلِقَ عَظِيمٌ، وَنِيَّةٌ صَالِحَةٌ، وَهَدَى رَاشِدٌ، يُرِيدُ تَخْلِيصَ الْمُحْرَمِينَ وَالْمُضْطَهَدِينَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِينَ الْغَاصِبِينَ، وَأَنَّ مَا يَقُولُونَهُ تَمْوِيهُ وَدَجْلٌ، قَامَ بِهِمَا الْكِبْرَاءُ وَالْإِسْتِقْرَاطِيُونَ، الَّذِينَ رَأَوْا أَنَّ قَوَاعِدَهُمُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ

١ - سورة نَبَأ (٣٤) : ٤٦ - ٤٨ .

٢ - نهج البلاغة / ٦٤٩ : عبده ٢ / ٢٠٧ .

٣ - سورة القلم (٦٨) : ٥١ .

والاقتصادية تَزَعَزَعَتْ وَأَشْرَفَتْ عَلَى الانهيار، فَبَثُوا الدَّعَايَاتِ
المموَّهَةَ ضِدَّ المصلحِ القائمِ تشبيطاً له و خَنَفًا لَصَوْتِهِ؛ فما
بصاحبكم من جنون، بل هو الدَّاعي المنذرُ يُنذِرُ الظَّالِمِينَ
والمستكبرين من العذابِ الشَّدِيدِ الَّذِي سَيُصِيبُهُمْ من جَرَاءِ ظُلْمِهِمْ
واستكبارِهِمْ .

وهنا في بلاغة الآية نكتة دقيقة - اجتماعية وتربوية وسياسية
واقصادية - وهي في هذا التعبير: «ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا...»؛ وذلك لِأَنَّ
الوقوفَ على أَنَّ صاحبَهُم ليس مجنوناً، لا يحتاجُ إلى التَّفَكُّرِ، بل
هو امرؤ يدركُ بالنظرِ العاديِّ البسيطِ . فالمرادُ بهذا التَّفَكُّرِ هو الحَضُّ
على إمعانِ النَّظَرِ والتَّرَوِّي في أَنَّ هذا الاتِّهَامَ لماذا يَبْنِيهِ اعداءُ
النَّبِيِّ «ص» (وَهُمُ الاغنياءُ المستكبرون والجبابرةُ المُتَرَفُونَ
وايادِيَهُمْ وَعَمَلَاؤُهُمْ) في النَّاسِ ولماذا يُقَدِّمُونَ عليه، حتى يُتَّاحَ
للمُتَمَعِّنِينَ تجليةَ الموقفِ، والوصولُ إلى كُنْهِ ما هناك من تدبيرٍ
وتوطئة، لخدلِ الحركةِ التَّغْيِيرِيَّةِ الدَّاعِيَّةِ إلى تَبْنِيِ العَدْلِ وشجْبِ
الارستقراطيةِ والظُّلمِ .

ج - نفي طلبِ الأجرِ المادِّيِّ من النَّاسِ، واعطاءِ اجرِ
الرِّسَالَةِ المعنويِّ ايضاً لَهُمْ (وهو اتِّخَاذُهُمُ السَّبِيلَ إلى رَبِّهِمْ)،
والتَّوَعُّلِ في الاخلاصِ لِلَّهِ تعالى وطلبِ الاجرِ مِنْهُ فَحَسْبُ، اذ
هو الشَّاهِدُ على ما يُرِيدُهُ كلُّ مريدٍ، وَيَعْمَلُهُ كلُّ عاملٍ، وَيَنوِيهِ كلُّ
ناوٍ .

د - أَنَّ القَدْفَ بالحقِّ وشَقَّ الطَّرِيقِ لِتَغْلُغِلِهِ في النُّفُوسِ
والاوساطِ امرؤ بيدِ الله، فلا يَنْبَغِي لِأَيِّ دَاعٍ الهَيِّ أَنْ يُعَلِّقَ الأَمَلَ على
غيرِ الله، وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اموالَ هَوَلاءِ الاغنياءِ وطواغيتِ العرصاتِ
الاقتصادية، يُؤَيِّدُ بِهَا الحَقُّ، وَيَنْتَصِرُ بِهَا دِينُ اللَّهِ الَّذِي يَدْعُو إلى

إقامة القسط .

١٣ (محمد) قُلْ : مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِلْعَالَمِينَ *

* جاء هذا البلاغ (إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)، في آياتِ سورة
الأنعامِ وسورةِ يوسفَ المذكورةِ ايضاً . وهذا بدوره سَحَقُ حاسمٍ
لِعَجْرَفَاتِ المستكبرين الاقتصاديين والمترفين الفاسدةِ الفارغةِ
حيث يُنادي : هذا القرآنُ وهذه الرسالةُ والدعوة، امرٌ عامٌ لجميعِ
أناسيِّ التاريخ، في كلِّ الادوار، وفي كلِّ آفاقِ الارض من مشارقيها
الى مغاربيها . فماذا تَزْعُمُونَ وتُسَوِّهُ لَكُمْ نفوسُكم الخائرةُ
واحلامُكم السّفِيهة، من انّكم تَقْدِرُونَ باموالكم واعطائكم الاجرَ
للدّاعي الالهيّ، أَنْ تَخْنُقُوا صَوْتَهُ وتَقْطَعُوا عليه دعوته، هيهاتَ
الامر، وإنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّون .

١٤ (محمد) قُلْ : لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ..

* تُنادي الآيةُ بامرٍ هامٍّ و«نَبَأٌ عَظِيمٌ» . وهو أَنَّ المصلحَ الالهيَّ
لايسألُ احداً على اصلاحه ورسالته اجراً الا ما يعودُ الى الناسِ
انفسهم ويُفيدهم كاصلِ الدين . وما هو الا تركيزُ قواعده بتداومِ
رسالاته، وتثبيتِ القيادةِ الدّينيةِ واستمرارها بتابعٍ مَنْ يَنْوِبُ
الدّاعي الاولَ «ص»، ويُدِيمُ سيرته، ويُقيمُ شريعته، ويكونُ امتداداً

١ - سورة ص (٣٨) : ٨٦ - ٨٧ .

٢ - سورة الشورى (٤٢) : ٢٢ .

وجوده وعُصارة تعاليمه ووارث علومه وتربيته، وهم اوصياؤه الذين يُعبر عنهم القرآن الكريم بـ «القريب».

١٥ (محمد) أم تسألهم اجراً فهم من مغرمٍ مُنقلون *^١

* لا، لا يسألهم النبي «ص» اجراً ولا هم يُنقلون من مغرمٍ، بل هم مُكذَّبوا الحق، واعداء القسط والعدل، فلتنكُن مقاطعة هؤلاء، في ايّ زمنٍ، في مُقدّم اعمالٍ من يقومُ باصلاحٍ او تغيير، ولا سيما في الاسلام، لأن النبي الهادي «ص» نصّ على أنّهم شرارُ الأمة^٢. ولا يُرجى خيرٌ فعليٌّ غير مشوبٍ من الشرار.

الحديث

١ النبي «ص»: لو وُضعت الشمسُ في يميني والقمرُ في شمالي، ما تركتُ هذا القولَ حتى أنفذه، او أقتلَ دونه^٣.

٢ النبي «ص» - عبدالله بن عباس قال: إنّ النبي «ص» لما قدِم المدينة كانت تنوبه نوابٌ وحقوق، وليس في يده سعة. فقال الانصار، إنّ هذا الرجل قد هدأكم الله تعالى على يده، وهو ابنُ أخيتكم وجاركم في بلدكم، فأجمعوا له طائفةً من اموالكم. ففعلوا ثم اتوه به، فردّه عليهم ونزل قوله

١ - سورة الطور (٥٢) : ٤٠؛ سورة القلم (٦٨) : ٤٤.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٥٥، راجع ايضاً: الفصل ٨.

٣ - المناقب ١ / ٥٨.

تعالى: «قُل: لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اجْرًا»، اي: على الايمان ..^١ وقد نَزَلَ رسولُ الله «ص» - حين قَدِمَ المدينة - على ابي ايوب الانصاري، ولم يَكُنْ بالمدينةِ افقرَ منه.^٢

* واين هذه السيرة الالهية، من تملك الاموال الطائلة التي تُقبَلُ سهلاً من اولئك المتسلطين على ثروات الجماهير، الذين يتخذون دفع تلك النفقات ذريعة لامتصاص الناس واستغلالهم؟ وقد جاء من احد الاثمة «ع» بصدد بعض الاموال: «... وأما ما وصلتنا به، فلا قبول عندنا الا لما طاب وطهر».^٣
وهل كان نزول النبي «ص» على اقر اهل المدينة يوم ذاك، الا مقاطعة للاغنياء؟

٣ الامام علي «ع»: يا اهل البصرة! ما تنقمون مني؟ ان هذا لمن غزل اهلي - وأشار الى قميصه - وقال لعقبة بن علقمة: أدركت رسول الله ياكل ايس من هذا، ويلبس احسن من هذا..^٤

٤ الامام علي «ع»: لا يقيم امر الله سبحانه، الا من لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتبع المطامع.^٥

٥ الامام علي «ع»: كيف ينفصل عن الباطل، من لم يتصل بالحق؟^٦

١ و ٢ - سفينة البحار ١ / ٢٠١ و ٥١.

٣ - الاحتجاج ٢ / ٢٨٣، عن «الكافي».

٤ - المناقب ٢ / ٩٩.

٥ - نهج البلاغة / ١١٣٧؛ عبده ٣ / ١٧٦.

٦ - غرر الحكم / ٢٤٢.

- ٦ الامام علي «ع»: .. لا تداهنوا فيهجم بكم الإدهان على المعصية ..^١
- ٧ الامام علي «ع»: .. لكنني أضرب بالمقبل الى الحق، المدبر عنه، وبالسامع المطيع، العاصي المريب ..^٢
- ٨ الامام علي «ع»: أكثر مصارع العقول، تحت بروق المطامع ..^٣
- ٩ الامام علي «ع» - في ذم علماء السوء: .. يتواضع للاغنياء من دونهم، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاظم ..^٤
- ١٠ الامام الحسين «ع»: .. العمى والبكم والزمنى في المدائن مهملة لا ترحمون، ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعينون، وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون ..^٥
- ١١ الامام السجاد «ع» - فيما كتبه الى فقيه المدينة، محمد بن مسلم الزهري: ..
فما أخوفني أن تكون تبوء بائمك غداً مع الخونة، وأن تسأل عما أخذت باعانتك على ظلم الظلمة . إنك أخذت ما ليس لك ممن أعطاك، ودنوت ممن لم يرد على احدٍ حقاً، ولم ترد باطلاً حين أدناك ..^٦
- ١٢ الامام الصادق «ع»: .. من العلماء من يرى أن يصع العلم عند ذوي الثروة والشرف، ولا يرى له في المساكين وضعاً، فذاك في الدرر الثالث من النار ..

١ - نهج البلاغة / ٢٠٦؛ عبده ١ / ١٤٨ .

٢ - نهج البلاغة / ٥٩؛ عبده ١ / ٣٧ .

٣ - نهج البلاغة / ١١٨٤؛ عبده ٢ / ٢٢ .

٤ - روضة الواعظين / ٩ .

٥ - تحف العقول / ١٧٢؛ و ٢٣٨، من طبعة الفقاري .

٦ - تحف العقول / ١٩٨ .

٧ - الخصال / ٣٥٢ - ٣٥٣ .

نظرة الى الفصل

الاصلاح الاجتماعي، مقاطعة ودفاع: رُمننا بهذا الفصل، ان نُشير الى احدى المواصفات التي كان الانبياء الالهيون متصفين بها. وهي - بعد التوكل على الله القادر الغالب وايمانهم برسالتهم - كانت اهم صفاتهم وبواعث ظفرهم في نهضاتهم التغييرية. وما هي الا مقاطعة كل طاغوت سياسي او اقتصادي اولا، ثم الوقوف الى جانب المحرومين والدفاع عن حقوقهم. والذي نُحب ان نُؤكد عليه، بصورة باتة، هو ان هذين الامرين، يعني مقاطعة المستكبرين والمترفين والدفاع عن المستضعفين والمحرومين، بينهما ملازمة تامة لا يمكن غض البصر عنها بوجه، والعدول عنها في حال، فان لم يُقاطع نبي او مصلح او ثائر اجتماعي او مرجع ديني اولئك، لا ينجح ابدا في الدفاع عن هؤلاء. وهذا واضح ومجرب، لان الركون الى الذين يخلقون الحرمان والازمات والاقتراب منهم والطمع فيما بأيديهم - وان كان عن نية صالحة - لا يجتمع مع الدفاع عن المحرومين، الذين ليسوا الا حصائد مطامع اولئك ومنافعهم؟ لاجل هذه الواقعية الجلية، نشاهد ان الانبياء «ع» يبدؤون دعوتهم بمقاطعة اولئك المذكورين ويصرخون في وجههم: «لا اسألکم عليه اجرا»، «لا اسألکم عليه مالا».

ومن البين ان الذين يطمعون في المصلحين، ويدبرون الامر لان يعطوهم اجرا فيسكتوهم^١ او يميلوا بهم عن مقاصدهم، أو يشبّطوهم عن

١- وربما يكون ما يدفّعه الظالمون مبدولا لمقاصد خيرية واجتماعية، لاشخاص الدعاة انفسهم، فان فيهم من يتفرس ان الرجل لا يقبل لنفسه شيئا، فيدفع نفقاته اليه باسم اخرى صالحة، ويتدرع بها

نصرة المحرومين والمضطهدين، ليسوا الا اولي النعمة والاغنياء واصحاب الثروات الطائلة والمستكبرين الاقتصاديين، القادرين على الإعطاء، من الذين يُحْسُون - عند قيام كلِّ مصلحٍ وطالبِ عدلٍ - بأنَّ دخولهم ومنافعهم قد أشرفت على الفناء والزوال . ولذلك كان جوابُ الانبياء لهم : «لا أسألكم عليه اجراً»، «لا أسألكم عليه مالاً»، لكي ييأسوا من التذرعِ بالمال .

أجل ، إن قوماً يدعون الناس الى اقامة القسط، كيف يتسنّى لهم أن يركنوا الى الذين ظلموا الناسَ واغتصبوا حقوقهم وسرقوا ارزاقهم، وسحقوا القسطَ وارضيتاه باموالهم واعمالهم؟ فكانوا لا يضائعون هؤلاء بل يضادونهم ويكافحونهم، ويقفون في صفوف الضعفاء والمحرومين واطراف الناس بل عجزت عنهم، ويقولون : «وما أنا بطارد المؤمنين»، وان كان هؤلاء المؤمنون - في منطق الاغنياء المستكبرين - اراذلهم باذي الرأي . كان الاغنياء والمتكاثرون الذا اعداء العدل والحق، عبر التاريخ (كما يكونون كذلك في العصر الحاضر ايضاً)، مثلاً إن الذين آمنوا بدواود النبي «ع» ونصروا طالوت كانوا اوساط الناس، أما الاغنياء فلم ينصروه ولم ينضموا اليه وقالوا : «لم يؤت سعة من المال» ، اي ليس منا، لانهم كانوا اصحاب الاموال، وكان المقياس عندهم هو المال . وبهذا الصدد يقول الشيخ ابو علي الطبرسي : «كان اتباع الانبياء فيما مضى، الفقراء واطراف الناس، دون الاغنياء»^١.

نعم، إن الاغنياء كانوا يقلبون الامور للانبياء والمصلحين، والضعفاء كانوا ينصرونهم بدمائهم، وبقلة قليلة كانت بايديهم . والآن ايضاً يمضي

- في الأغلب - الى ما يريد . فليكن المصلحون والمغيرون والعلماء الملتزمون وخدمة الذين الصادقون على انتباه .

١ - مجمع البيان ٣٩٢/٨ . لاحظ ايضاً : كلام شيخنا ابن فهد الجلي، في الفصل ٣٩، من هذا الباب .

الامرُ كذلك ١.

وهذه الحالة تُواكبُ الواقعيّةَ بنفسِها. وذلك لأنّ طواغيتَ الغنيّ والتّكاثرِ يستغلّون بدورهمُ النَّاسَ ويمتصّونهم بالوان. وهم لا يريدون طبعاً أن تُنفى ارضيَّاتُ ذلك الاستغلالِ والامتصاص، فلذلك يُقدّمون على مكافحةِ المصلحين وخذلِ دُعاةِ الحقِّ وشيعةِ الفضيلة.

والمحرومون يكونون على العكسِ من هذا، حيث إنّهم يُعانون آلامَ الفقرِ وشدائدِ الحرمان، فيترصّدون لاستخلاصِ انفسِهِم - ولنصرةِ الحقِّ والعدلِ وقيَمِها - فيلتفتوا حولَ كلِّ مَنْ يدعُو الى عدالةٍ او حقٍّ.^٢ ولقد تكلمنا في الفصلِ الحادي والعشرين، عن أنّ الاغنياء كانوا اعداءَ الانبياء «ع»؛ وفي الفصلِ الثّاني والعشرين، عن أنّ مجانيّةِ الاغنياءِ والمترفينِ اصلٌ عظيم، وعن العلماءِ وتحضيضِهِم على تركِ مصاحبةِ الاغنياءِ ومخالطَتِهِم والتّواضعِ لهم. وكان كلّ ذلك على اساسِ ما دعت اليه تعاليمُ الكتابِ والحديث، واقوالِ السّلفِ الصّالحِ من علمائنا العاملين.

اصل و تنبيه

كان في قِمةِ الهرمِ من غاياتِ الانبياء «ع» ومقاصدِهِم، هو شجبُ

١ - وما كان هنامن استثناء، فليس في المتكاثرين المترفين، بل في الذين يكون غناهم مقتصدًا شرعيًا، وهذا الغنى ليس بذاك التكاثري، فان كان فصاحبه ذلك المتكاثر المترف وليس ما يدفعه من النفقات الاذريعة الى ادامة استغلاله وامتصاصه، كل على حسب مقدّره وظروفه المؤاتيّة له.

٢ - ولا ننسى هنا تعبيره الأستاذ عباس محمود العقّاد المصري: «... فقد أصبح اسم عليّ علمًا يلتفت به كل مغصوب» - (عبقريّة الإمام / ٩، طبعة بيروت، دارالكتاب العربي، ١٣٨٦ هـ. ق).

وتعبيره الكاتب الكبير، جرج جرداق اللبناني: «وكان اسم عليّ بن أبي طالب هو العلم الذي التفت حوله الثّائرون. وكان دستورُ عليّ أبدأ مع الثّائرين» - (صوت العدالة الإنسانية / ٥، ١١٨٥، طبعة بيروت، دار الرّوائع).

المستكبرين والاستكبار، روماً لتجسيد القسط^١، وهذا واضح من القرآن الكريم، بصورة خالدة؛ ومن التعاليم الحديثية ايضاً كذلك. فليكن اتخاذاً هذا الموقف التغييرى الصامداً اصلاً لا يقبل البدل عند من يرى نفسه متبعاً لسيرة المرسلين .

ومن اهم صور الاستكبارِ وأسوأها تأثيراً، واشدها سحقا للجماهير، واهداراً للقيم الانسانية والغايات الدينية، هو الاستكبار الاقتصادي . والاستكبار السياسى إماناشىء منه، أو ممهده له، أو مواكب معه - كما اشرنا اليه في موضع آخر .

ففي هذا الضوء، إن على العلماء - سوى المجتمع الاسلامي ورجال حكمه - أن :

- يتأسوا بالانبياء والاصياء «ع»، في مجانية المتكاثرين ومقاطعة المترفين؛

- وَيَقْطَعُوا الأمل بهم وبأموالهم تكالاً على الله؛
- وَيَلْتَحِمُوا فعلياً مع المحرومين، استرداداً لحقوقهم وكرامتهم؛
- وَيُقْبِلُوا على عيش بسيط، من كل جهة، هم وذووهم؛^٢
- وَيَسْعُوا لتقليل النفقات الدينية اللازمة، في مختلف المناحي، لأن تلك النفقات اذا لم تكن كثيرةً وباهظة، لا تمس الحاجة لتأمينها الى المتكاثرين؛^٣

- وَيَرْكَنُوا الى المؤمنين الصالحين، في انطلاق وصمود؛
- وَيَتَّصِلُوا الى العدل ودعيمه، حتى يتوقفوا للانفصال عن الظلم واهله؛^٤

- وَيَتَجَنَّبُوا المداهنة بالوانها والخوف؛

١ - راجع: الفصل ٧ و الفصول ٨ الى ٢٢، من هذا الباب ايضاً .
٢ و ٣ و ٤ - راجع لما مرَّ بصدد الموضوع: تنبيهات النظرة الى الفصل ٢٢.

- وَيَهْتَمُوا بِشَجْبِ الطَّاعُوتِ الْاِقْتِصَادِيّ اَيْضاً، لَانَ شَجْبَ الطَّاعُوتِ السِّيَاسِيّ، بِدُونِ شَجْبِ هَذَا الطَّاعُوتِ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ قَطْعِ الْاِغْصَانِ وَإِبْقَاءِ الْاَصُولِ. وَهَذَا رَبْمَا يُسَبِّبُ لِأَنَّ تَنْبَتَ الْاِغْصَانِ بِشَكْلِ اَصْلَبُ وَأَدْوَمُ.

أَجَل، إِنَّ عَلَى الْعَامِلِينَ النَّاهِبِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ، أَنْ لَا يُقَارَّوْا عَلَى كَيْفَاتِ الظَّالِمِينَ وَسُغُوبِ الْمَظْلُومِينَ (عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْاِمَامِ عَلِيِّ بْنِ اِبِي طَالِبٍ «ع»)^٢، وَأَنْ لَا يَكُونَ الْعُمَى وَالْبُكْمُ وَالزَّمْنَى (وَسَائِرُ الْمَعْدَبِينَ وَالْمَحْرُومِينَ) مَهْمَلَةً فِي الْمَدَائِنِ وَاطْرَافِهَا لَا يُرْحَمُونَ، وَهَمَّ بِاللَّهِ فِي عِبَادِهِ يُكْرَمُونَ (عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْاِمَامِ اِبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَسِينِ «ع»)^٣، وَأَنْ يُقَدِّمُوا بِجَمِيعِ الْقُدْرَةِ وَالْاِمْكَانِيَّاتِ عَلَى تَجْسِيدِ الْعَدْلِ وَبَسْطِهِ فِي الْقَوِيّ وَالضَّعِيفِ، إِذِ النَّاسُ لَوْ عُدِلَ فِيهِمْ لَأَسْتَعْنَوْا (عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْاِمَامِ مُوسَى الْكَاطِمِ «ع»)^٤.

وَإِذَا اسْتَعْنَى النَّاسُ، لِيُعْطِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَقَّوَهُ الشَّرْعِيَّةَ. وَهَذَا يَكْفِي لِاِقَامَةِ اِمْرِ الدِّينِ (إِنْ كَانَتْ بِصُورَةٍ سَالِمَةٍ مُقْتَصِدَةٍ يَرْضَى عَنْهَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ «ص»)، وَهُوَ حَلَالٌ طَيِّبٌ، بِاِحْتِيَاجِ اِلَى اِمْوَالِ اَوْلِيكَ الَّذِيْنَ تَكَدَّدْتَ اِلَى اِمْوَالِ لَدِيْهِمْ مِنْ طَرِقٍ مَشْبُوْهَةٍ، مِنْ حَلَالٍ وَغَيْرِ حَلَالٍ، بَلْ مِنْ طَرِقٍ مَغْصُوبَةٍ وَمَعْتَدِيَّةٍ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ تَعَالِيْمُ الدِّينِ، اِذِ الْكَثِيْرُ الْوَافِرُ - بَلْ الْكَثِيْرُ - لَا يَجْتَمِعُ مِنْ حَلَالٍ.^٥

١ - الْكَيْطَةُ بِمَعْنَى الْبِطْنَةِ، وَمَا يَعْتَرِي الْاِنْسَانَ عِنْدَ الْاِمْتِلَاءِ مِنَ الطَّعَامِ، وَالسَّعْبُ، الْجُوعُ. وَلَعَلَّكَ لَا تُشْكُّ بَعْدَ الْاِمْعَانِ فِي الْمَعْنَى، أَنَّ كَلَامَ الْاِمَامِ عَلِيِّ بْنِ اِبِي طَالِبٍ «ع» هَذَا، اَمَّا يَرْمِي اِلَى كِفَاحِ طَوَاغِيْتِ الْاِقْتِصَادِ وَالْمَالِ، سِيَاسِيَّيْنِ كَانُوْا هُمْ اَيْضاً اَوْلَا.

٢ - نَهْجُ الْبَلَاغَةِ / ٥٢: عِبْدُهُ ١ / ٣٢.

٣ - تَحْفُ الْعُقُولِ / ١٧٢.

٤ - الْكَافِي ١ / ٥٤٢.

٥ - رَاجِعْ: الْفَصْلُ ٣، مِنْ هَذَا الْبَابِ، فِقْرَةٌ «بَا».

وإنَّ عمودَ الحقِّ لا يَقومُ إلاَّ بانَّ يَسِيرُوا بالسَّيرةِ التي سارَ عليها
الانبياءُ «ع»، ثمَّ الاوصياءُ «ع»، حيث لم يَسألوا المتكاثرين والاغنياء بل
رَدُّوا ما جاؤوا به اليهم. وقد رَووا أنَّ شيعَةَ نيسابور بَعثوا اموالاً الى الامام
موسى بن جعفرِ الكاظم «ع»، وبعثت شطيطة - امرأة مؤمنة كانت بنيسابور
- معهم اليه درهماً وشقَّةً خامٍ من غَزَلٍ يدها تساوي اربعة دراهم، فقَبِلَ
الامامُ «ع» ما بَعَثته .. ١

وفي غيرِ الصَّورة لا يَسلمون من المداهنة، ومعاونةِ الظلم، وتشجيعِ
الطَّواغيت، وغَضُّ البصرِ عمَّا يَقَعُ من العدوانِ المعيشيِّ والاقتصاديِّ هنا
وهناك، واهمالِ جانبِ المحرومين وحقوقهم، والاكتفاءِ بالشَّعارِ في
الدَّعوةِ الى الحقِّ والعدل، وسحقِ قواعدِ القسطِ الاسلامي، وتشويهِ سُمعةِ
الاسلامِ المقدَّس، واخفاقِ نشاطِ الشَّبابِ والنَّابهين، وإكداءِ آمالِ
الثَّوريين والتَّغييريين، الصَّامدين الصَّادقين، الذين لا يرومون الا اقامة
دينِ اللهِ الحنيف، بدعمِ العدلِ وبسطِ القسطِ ..
ونحن نسالُ التَّوفيقَ للجميع، ولا نُريدُ الا الاصلاح، ولا حولَ ولا قوَّةَ
الا باللهِ العليِّ العظيم.

إخطار

السيدة خديجة في الجاهلية وفي الإسلام

زَعَمَ بعضُ أنَّ الاسلامَ يُقرُّ امتلاكَ الاموالِ الكثيرةِ الباهظة، كما
كانت للسيدة خديجة، زوجِ النبيِّ «ص». وقد ذَهبت عليهم امور:
١ - أنَّ تلك الاموالِ والثَّرواتِ قد امتلكتها خديجةُ المكرمةُ في

الجاهليّة، وعلى أعرافها ومقاييسها، لا في الاسلام .

٢ - أَنهَا وَهَبَتْ جَمِيعَ امْوَالِهَا لِمُحَمَّدٍ «ص» قَبْلَ الْبِعْثَةِ، عَلَى مَا جَاءَ فِي التَّارِيخِ.^١

٣ - أَنَّ تِلْكَ الْاَمْوَالَ لَمْ تَبَقَّ عَلَى حَالِهَا بَعْدَ الْبِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ، بَلِ اسْتَهْلِكَتْ فِي سَبِيلِ الْمَبْدِئِ الْحَقِّ،^٢ حَتَّى قَالُوا، إِنَّهُمْ لَمَّا حُوصِرُوا فِي شُعْبِ أَبِي طَالِبٍ، لَمْ يَبَقْ لَهُمْ مَالٌ. وَقَالُوا: «لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» وَبَنُو هَاشِمٍ، فِي أَيَّامِ الشُّعْبِ، مِنَ الْجُوعِ وَالْعُرْيِ، مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ»^٣. وَإِنَّ دَوْرَ تِلْكَ الثَّرْوَةِ الْمَبْدُولَةِ فِي تَعْبِيدِ الطَّرِيقِ لِتَرْكِيزِ الْاِسْلَامِ وَدَعْمِ أُسُسِهِ وَقَوَاعِدِهِ، وَسَدِّ خَلَّاتِ الْمُعْوِزِينَ، لِلغَايَاتِ الْمَذْكُورَةِ، أَمْرٌ مَشْهُورٌ فِي التَّارِيخِ، لِاِغْبَارِ عَلَيْهِ.

٤ - أَنَّ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ، لَمْ تَمْتَنَّ بِاِنْفَاقِ ذَلِكَ الْمَالِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ .

٥ - أَنَّهَا لَمْ تَطْلُبْ شَيْئاً، بَعْدَ اسْتِقْرَارِ الْاِسْلَامِ، جِزَاءً عَلَى مَا أَنْفَقَتْ، وَلَمْ تُطَالِبِ النَّبِيَّ «ص» بِأَنْ يُرَاعِيَ جَانِبَ الْاِغْنِيَاءِ أَوِ النِّسَاءِ، فِي التَّشْرِيعَاتِ الْاِسْلَامِيَّةِ أَوْ فِي التَّجْسِيدِ وَمَا لِيَهَا .

فَلْيَكُنْ وَعَيْنًا لِتَارِيخِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَعَيَا صَحِيحاً مُلْتَزِماً، حَتَّى لَا نَحِيدَ عَنِ مَهْمَعِ السَّبِيلِ الْاَلَّابِ . وَالِىَ اللَّهُ تُرْجَعُ الْاَمْوَرُ .

١ - البحار ١٦ / ٧١ .

٢ - راجع: المناقب ٢ / ٧١، من طبعة قم.

٣ - سفينة البحار ١ / ١٩٥ .

المال والدين على احوالها وما فيها لا في الاسلام
الذي هو دين العدل والحيطة والصدق
في كل شئ
والله اعلم
بما جاء
في الكتاب والسنن
والله اعلم
بما في
الغيب

عشر: الثالثُ لبالي

هذا هو الموضوع الثالث عشر
والذي هو من الموضوعات
التي هي من الموضوعات
التي هي من الموضوعات
التي هي من الموضوعات
التي هي من الموضوعات
التي هي من الموضوعات
التي هي من الموضوعات

الباب الثاني عشر: المدخل الى دراسة الاقتصاد الاسلامي (اصول عامة)؛ وفيه

فصول :

الفصلُ الأوّل

صور المالكيّة

أ - مالكيّة الله تعالى

الكتاب

- ١ ولِلّهِ ملكُ السّمّواتِ والأرضِ .. ١
- ٢ ولِلّهِ ما في السّمّواتِ وما في الأرضِ .. ٢
- ٣ ألا إنّ لِلّهِ ما في السّمّواتِ والأرضِ .. ٣
- ٤ لِلّهِ ملكُ السّمّواتِ والأرضِ .. ٤
- ٥ وَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي لَهُ ملكُ السّمّواتِ والأرضِ وما بينهما .. ٥
- ٦ قُلْ: لِمَنِ الأرضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟* ٦

١ و ٢ - سورة آل عمران (٣): ١٨٩ و ١٠٩.

٣ - سورة يونس (١٠): ٥٥.

٤ - سورة الشورى (٤٢): ٤٩.

٥ - سورة الزخرف (٤٣): ٨٥.

٦ - سورة المؤمنون (٢٣): ٨٤.

الحديث

- ١ النبي «ص»: .. و(اللّهُ) المَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمُ آيَاهُ ..^١
- ٢ الامام الباقر «ع»: الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لِلّهِ ..^٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: المَالُ مَالُ اللَّهِ ..^٣
- ٤ الامام الكاظم «ع»: إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ تَعَالَى، جَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى عِبَادِهِ ..^٤
- ٥ الامام الرضا «ع»: .. إِذْ كَانَ (اللّهُ) المَالِكُ لِلنُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ، الْمَلِكُ الْحَقِيقِيُّ، وَكَانَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ عَوَارِي ..^٥

* راجع بهذا الصّدد: الفصل الأوّل، من الباب الحادي عشر
ايضاً، فلقد فصلنا الكلام هناك تفصيلاً، لا حاجة معه الى التكرير.

ب - مالكيّة الحكم الاسلامي

الكتاب

١ - تحف العقول / ٣٢.

٢ - الكافي / ١ / ٤٠٨.

٣ - المستدرک / ٢ / ٤٢٣.

٤ - الوسائل / ١٧ / ٣٤٥.

٥ - المستدرک / ١ / ٥٥٢.

- ١ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ..
- ٢ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ..
- ٣ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ؟ قُلْ: الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ..
- ٤ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً، تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ..

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الباقر: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَأَقَطَعَهُ الدُّنْيَا قَطِيعَةً، فَمَا كَانَ لِآدَمَ «ع» فَلَرسولِ اللَّهِ «ص». وما كان لرسولِ اللَّهِ فهو للائِمَّةِ من آلِ مُحَمَّدٍ «ع»^٥.
- ٢ الامام الصادق «ع»: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَسْأَلْ خَلْقَهُ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ قَرْضًا، مِنْ حَاجَةٍ بِهِ إِلَى ذَلِكَ. وَمَا كَانَ لِلَّهِ مِنْ حَقٍّ، فَإِنَّمَا هُوَ لَوْلِيهِ^٦.

* هذه الاموال تُرْجَع اليهم لمنصِبِهِمُ الحُكُومِي، وما يحتاجون

اليه للاستهلاك في مصالح المجتمع المختلفة.

ج - مالكيّة النَّاسِ عامّة

- ١ - سورة الاحزاب (٣٣): ٦.
- ٢ - سورة الانفال (٨): ٤١.
- ٣ - سورة الانفال (٨): ١.
- ٤ - سورة التوبة (٩): ١٠٣.
- ٥ - الكافي ١ / ٤٠٩.
- ٦ - الوافي ٢ (٦ م) / ٣٧.

الكتاب

- ١ هو الذي خَلَقَ لَكُمْ ما في الارضِ جميعاً ..^١
- ٢ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الْآنْهَارَ ..^٢
- ٣ .. وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا، لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ*^٣

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع»: فَكَّرَ يَا مُفَضَّلُ! فِي هَذِهِ الْمَعَادِنِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمُخْتَلِفَةِ، مِثْلَ الْجِصِّ وَالْكِلْسِ وَالْجَبْسِ .. وَالزَّبْيِقِ وَالنُّحَاسِ وَالرِّصَاصِ وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَالزَّبْرَجِدِ وَالْيَاقُوتِ، وَالزُّمْرُدِ وَضُرُوبِ الْحِجَارَةِ؛ وَكَذَلِكَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الْقَارِ وَالْمُومِيَا وَالْكَبْرِيتِ وَالنَّفْطِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَعْمِلُهُ النَّاسُ فِي مَآرِبِهِمْ؛ فَهَلْ يَخْفَى عَلَى ذِي عَقْلِ أَنْ هَذِهِ كُلُّهَا ذَخَائِرُ ذُخِرَتْ لِلْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، لِيَسْتَخْرِجَهَا فَيَسْتَعْمِلَهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ..^٤

١ - سورة البقرة (٢): ٢٩.

٢ - سورة ابراهيم (١٤): ٣٢.

٣ - سورة النحل (١٦): ٥.

٤ - البحار ٣ / ١٢٨، عن «توحيد المفضل».

* راجع بهذا الصدد : الفصل الثالث من هذا الباب . وراجع للوقوف على رأي ثقة الاسلام، الشيخ ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني في الاموال : النظرة الي الفصل الخامس والعشرين، من الباب الحادي عشر، الفقرة ١٢.

د - مالكيّة الناس خاصّة

الكتاب

- ١ فإذا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ..
- ٢ .. لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا ..

* قال الطبرسي في «التفسير» : «... وثانيها أن لكل فريق من الرجال والنساء نصيباً مما كتبت من نعيم الدنيا، بالتجارات والزراعات وغير ذلك من أنواع المكاسب ..»^٣

الحديث

-
- ١ - سورة الجمعة (٦٢) : ١٠.
 - ٢ - سورة النساء (٤) : ٣٢.
 - ٣ - مجمع البيان ٣ / ٤٠.

- ١ النبي «ص»: لا يَحِلُّ لمؤمنٍ مالُ اخيه إلاّ عن طيبِ نفسٍ منه ١.
- ٢ النبي «ص»: حرمةُ ماله (المؤمن) كحرمةِ دمه ٢.
- ٣ النبي «ص»: المؤمنُ حرامٌ كُلُّه، عِرْضُه ومالهُ ودمُه ٣.

بالسحابة

... قالوا: لا يَحِلُّ له ان يَأْكُلَ من مالِ اخيه الاّ عن طيبِ نفسٍ منه
... قالوا: لا يَحِلُّ له ان يَأْكُلَ من مالِ اخيه الاّ عن طيبِ نفسٍ منه
... قالوا: لا يَحِلُّ له ان يَأْكُلَ من مالِ اخيه الاّ عن طيبِ نفسٍ منه
... قالوا: لا يَحِلُّ له ان يَأْكُلَ من مالِ اخيه الاّ عن طيبِ نفسٍ منه
... قالوا: لا يَحِلُّ له ان يَأْكُلَ من مالِ اخيه الاّ عن طيبِ نفسٍ منه
... قالوا: لا يَحِلُّ له ان يَأْكُلَ من مالِ اخيه الاّ عن طيبِ نفسٍ منه
... قالوا: لا يَحِلُّ له ان يَأْكُلَ من مالِ اخيه الاّ عن طيبِ نفسٍ منه
... قالوا: لا يَحِلُّ له ان يَأْكُلَ من مالِ اخيه الاّ عن طيبِ نفسٍ منه
... قالوا: لا يَحِلُّ له ان يَأْكُلَ من مالِ اخيه الاّ عن طيبِ نفسٍ منه
... قالوا: لا يَحِلُّ له ان يَأْكُلَ من مالِ اخيه الاّ عن طيبِ نفسٍ منه

شبهها

١ - تحف العقول / ٣٠.

٢ - الاختصاص / ٣٣٩.

٣ - تحف العقول / ٤٦.

نظرة الى الفصل

١- مالكيّة الله تعالى : لقد أوردنا الآياتِ والاحاديثَ المتعلقة بهذا الموضوع ودرّسناه وفصّلنا الكلام فيه، في الفصلِ الأوّل، من البابِ الحادي عشر، ففيه تفصيلٌ يُغني عن اعادة الكلام هنا، فراجع .

٢- مالكيّة الحكمِ الاسلامي : أنظر بهذا الصدد، مضافاً الى ما أوردناه هنا : الفصولَ الثامنَ والثلاثينَ والتاسعَ والثلاثينَ والاربعين، من هذا الباب ايضاً .

٣- مالكيّة الناسِ عامّة : راجع بهذا الصدد، بالاضافة الى ما في هذا الفصل : الفصولَ الأوّلَ والثانيَ والثالثَ، من البابِ الحادي عشر، والفصلينِ الثانيَ والثالثَ من هذا الباب، وما يربطُ بهذا الموضوع من سائرِ الفصول .

٤- مالكيّة الناسِ خاصّة : إنّ ملكيّة الناسِ لاموالهم مقدّسة في الاسلامِ مصنونة، غير أنّها محدودةٌ كماً وكيفاً، امتلاكاً واستهلاكاً، وإنّ محدوديّة الامتلاكِ كيفاً من المسلّماتِ في الفقهِ الاسلامي - وقد بحثوا عنها في المكاسبِ المُحرّمة - وهي تستلزمُ المحدوديّة الكميّة بالضرورة، كما لا يخفى. أضف الى ذلك سائرَ التعاليمِ الدّالة على هذه المحدوديّة؛ فراجع بهذا الصدد : الفصلينِ الثالثَ والعشرينَ والرّابعَ والعشرين، من البابِ الحادي عشر .

الفصل الثاني

الأرض .. موضوعة للأنام

الكتاب

- ١ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ *
- ٢ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَاراً ..
- ٣ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا ..
- ٤ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا *
- ٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا؟ *
- ٦ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا؟ *
- ٧ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا *

١ - سورة الرحمن (٥٥) : ١٠.

٢ - سورة غافر (٤٠) : ٦٤.

٣ - سورة الزخرف (٤٣) : ١٠.

٤ - سورة نوح (٧١) : ١٩.

٥ - سورة المرسلات (٧٧) : ٢٥.

٦ - سورة النبأ (٧٨) : ٦.

٧ - سورة البقرة (٢) : ٢٢.

- ٨ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْاَرْضَ مَهْدًا ١..
 ٩ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْاَرْضَ ذُلُولًا ٢..
 ١٠ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْاَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ٣..
 ١١ اُسْكُنُوا الْاَرْضَ ٤..
 ١٢ وَلَكُمْ فِي الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ٥..

الحديث

- ١ النبي «ص»: مَوَاتَانِ الْاَرْضِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَمَنْ أَحْيَا مِنْهَا شَيْئًا فَهِيَ لَهُ ٦.
 ٢ الامام علي «ع»: .. أَمَا وَجْهُ الْعِمَارَةِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ
 وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا» ٧، فَأَعْلَمْنَا سُبْحَانَهُ، أَنَّهُ قَدْ أَمَرَهُمْ بِالْعِمَارَةِ لِيَكُونَ ذَلِكَ
 سَبَبًا لِمَعَايِشِهِمْ، بِمَا يَخْرُجُ مِنَ الْاَرْضِ مِنَ الْحَبِّ وَالثَّمَرَاتِ وَمَا شَاكَلَ
 ذَلِكَ، مِمَّا جَعَلَهُ اللَّهُ مَعَايِشَ لِلخَلْقِ ٨.
 ٣ الامام الباقر «ع»: أَيُّمَا قَوْمٍ أَحْيَوْا شَيْئًا مِنَ الْاَرْضِ، أَوْ عَمَرُوهَا، فَهُمْ أَحَقُّ

١ - سورة طه (٢٠): ٥٣.

٢ - سورة الملِك (٦٧): ١٥.

٣ - سورة الاعراف (٧): ١٠.

٤ - سورة الاسراء (١٧): ١٠٤.

٥ - سورة البقرة (٢): ٣٦.

٦ - المستدرک ٣ / ١٤٩.

٧ - سورة هود (١١): ٦١.

٨ - الوسائل ١٣ / ١٩٥.

بها، وهي لهم^١.

٤ الامام الباقر «ع» - فيما رواه ابو خالد الكابلي: وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيِّ «ع»: .. فَمَنْ أَحْيَا أَرْضًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَعْمُرْهَا وَلْيُؤَدِّ خَرَاجَهَا إِلَى الْإِمَامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَلَهُ مَا أَكَلَ مِنْهَا، فَإِنْ تَرَكَهَا وَأَخْرَبَهَا فَأَخَذَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ، فَعَمَّرَهَا وَأَحْيَاهَا، فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا مِنَ الَّذِي تَرَكَهَا؛ فَلْيُؤَدِّ خَرَاجَهَا إِلَى الْإِمَامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَلَهُ مَا أَكَلَ مِنْهَا^٢.

* والحديث صحيح، رواه كلُّهم عالٍ:

أ - مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارِ.

ب - أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى.

ج - الْحَسَنُ بْنُ مَحْبُوبٍ.

د - هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ.

هـ - أَبُو خَالِدٍ الْكَابَلِيِّ.

وَأَسْتَدُّ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ وَامْتِثَالِهِ، مِنْ أَقْتِنِي بِعَدَمِ الْمَلَكَاتِ بِلِ الْأَحْقِيَّةِ فِي الْأَرَاضِي، كَشَيْخِ الطَّائِفَةِ الطُّوسِيِّ، كَمَا سَيَأْتِي.

٥ الامام الصادق «ع» - معاوية بن وهب قال: سمعت ابا عبد الله «ع» يقول: أَيُّمَا رَجُلٍ أَتَى خَرِبَةً بَاطِرَةً فَاسْتَخْرَجَهَا وَكَرَى أَنْهَارَهَا وَعَمَّرَهَا، فَإِنَّ عَلَيْهِ فِيهَا الصَّدَقَةَ - وَإِنْ كَانَتْ أَرْضًا لِرَجُلٍ قَبْلَهُ، فغَابَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا فَأَخْرَبَهَا ثُمَّ جَاءَ بَعْدُ يَطْلُبُهَا - فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَلِمَنْ عَمَّرَهَا^٣.

١ - الكافي ٥ / ٢٧٩.

٢ - الكافي ٥ / ٢٧٩: الوسائل ١٧ / ٣٢٩.

٣ - الكافي ٥ / ٢٧٩.

قال الفيض الكاشاني، في ذيل هذا الحديث: «...» في
«الاستبصار» حمل هذا الحديث وما في معناه على الأحقية دون
الملكية، جمعاً بين الاخبار، قال: لأن هذه الارض من جملة
الأنفال، التي هي خاصة الامام، الا أن من أحيائها فهو اولى
بالتصرف فيها، إذا أدى واجبها الى الامام. ثم استدل عليه
بحديث ابي خالد الكابلي^١.

وحديث ابي خالد الكابلي أوردناه قبل هذا الحديث^٢.
ومحكّي «الاستبصار» يصرح بالأحقية في التصرف لا الملكية - كما
هو صريح. وهذا رأي الشيخ الطوسي المشهور، الذي جاء في
«المبسوط» أيضاً حيث قال: «.. فأما الموات فإنها لا تغنم، وهي
للامام خاصة، فإن أحيائها احد من المسلمين كان اولى بالتصرف
فيها، ويكون للامام طسقتها»^٣.

٦ الامام الصادق «ع»: من أخذت منه ارض ثم مكثت ثلاث سنين لا يطلبها، لم
يجل له بعد ثلاث سنين أن يطلبها^٤.

٧ الامام الصادق «ع» - عمر بن يزيد قال: سمعت رجلاً من اهل الجبل يسأل
ابا عبد الله «ع» عن رجل اخذ ارضاً مواتاً تركها اهلها، فعمرها وكري أنهارها و
بنى فيها بيوتاً وغرس فيها نخلاً وشجراً؟ فقال ابو عبد الله «ع»: كان امير
المؤمنين «ع» يقول: من أحيأ ارضاً من المؤمنين فهي له، وعليه طسقتها
يؤديه الى الامام في حال الهدنة، فاذا ظهر القائم فليوطن نفسه على أن

١ - الوافي ٣ (١٠ م) / ١٣١.

٢ - راجع أيضاً: الفصل ٣٥ و ٣٦، من الباب ١١.

٣ - المبسوط ٢ / ٢٩.

٤ - الوسائل ١٧ / ٣٤٥.

تُؤَخَذُ مِنْهُ ١.

* هذا الحديثُ وامثاله يُدُلُّ على أَنَّ اخذَ الاراضي مَمَّنْ يَدْعُونَ المَلِكِيَّةَ، من الاصولِ الاصلاحِيَّةِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي يَقُومُ بتجسيدها الحُكْمُ المهدويُّ العادل، المُؤَسَّسُ على اساسِ القرآن .

٨ الامام الصادق «ع» - محمد بن مسلم قال: سألتُ ابا عبد الله عن الشراءِ من ارضِ اليهودِ والنصارى؟ فقال: ليس به بأس، قد ظَهَرَ رسولُ الله «ص» على اهلِ خيبر، فخارجَهُم على ان يتركَ الارضَ في ايديهم يَعْمَلُونَهَا وَيَعْمُرُونَهَا؛ فلا أرى بها بأساً لو أنك اشتريتَ منها شيئاً. وإيما قومٍ أَحَبُّوا شيئاً من الارضِ وَعَمَلُوهَا، فهم أَحَقُّ بِهَا، وهي لهم ٢.

٩ الامام الكاظم «ع»: إنَّ الارضَ لِلَّهِ تعالى، جَعَلَهَا وقفاً على عبادِهِ .. ٣

* يقولُ الامامُ المعصوم «ع»: «جَعَلَ اللهُ خالقُ الارضِ، الارضَ وقفاً على عبادِهِ»، لاعلى الاغنياءِ والمُتَرَفِّينِ والاقطاعِيِّينَ والمالِكِينَ الكِبارِ واصحابِ الرُّيُوعِ العَقَارِيَّةِ النَّادِرَةِ ومن اليهم . فلتَكُنِ النَّظْرَةُ الى الاراضي وامتلاكِها نظراً توافِقُ جعلَ اللهِ ورضاهُ ورضا الرسولِ «ص» .
ومن المُلْحَبِّ، أنَّ هذه التَّعبِيرَةُ: «جَعَلَهَا وقفاً على عبادِهِ»، تَعْدُو قَضِيَّةَ خلقِ الأَرْضِ وتمهيدِها العامِّ لعيشِ الإنسانِ فيها .

١ - الوسائل ٦ / ٣٨٣ .

٢ - الوسائل ١١ / ١١٨ .

٣ - الوسائل ١٧ / ٣٤٥ .

نظرة الى الفصل

لقد صرَّح القرآن الكريم بأن الارض وَضَعَهَا اللهُ الحَكِيمُ العادلُ
للانام، وجَعَلَهَا محلَّ قرارٍ للنَّاسِ، ومهداً وبساطاً لهم، فتَعَمُّ النَّاسَ كَافَّةً .
يقولُ اللهُ تعالى: «أُسْكُنُوا الارضِ ..»، ويقولُ: «ولُكُمْ في الارضِ
مُسْتَقَرٌّ...». ويُعبِّرُ الكُتَّابُ السَّمَائِيُّ في خطاباتِهِ الشَّائِعَةِ في هذه المسألة
بـ«لُكُمْ» الخُطْبِيَّةِ العامَّةِ (جَعَلَ لُكُمْ، اسْتَعْمَرَكُمْ، متاعاً لُكُمْ ..)؛ ويقولُ
وارثُ علمِ القرآنِ ومفسِّرُهُ: «جَعَلَهَا (الارض) وقفاً على عبادِهِ»، لا:
«على بعضِ عبادِهِ».

وكلُّ هذه التَّعاليمِ المُوجَّهَةِ، تَدُلُّ بالِصَّرَاحَةِ على أَنَّ هذه الظُّواهرَ
الطَّبِيعِيَّةَ موضوعةٌ لكلِّ النَّاسِ لا لِبَعْضِهِمْ. والاصلُّ في «المعيشة»
و«الرِّزْقِ» و«المتاع» ان تكونَ للكلِّ عامَّةً، لا لِبَعْضٍ خاصَّةً، لانَّها اذا
خَرَجَتْ من كونِها للعمومِ لا تَصُدِّقُ عليها هذه العناوين - كما هو واضح -
وسنُشيرُ اليه في الفصلِ القادمِ ايضاً.

ويقولُ الشَّيْخُ الطَّبْرَسِيُّ، في تفسيري «الكِفاتِ»، من آيةِ «المُرْسَلاتِ»
(الَمْ نَجْعَلِ الارضَ كِفاتاً؟): «لِلْعِبَادِ تَكْفِيتُهُمْ»^١ «أحياءً» على ظَهرِها، في
دُورِهِمْ ومنازلِهِمْ...»^٢.

وهل تكونُ هذه كُلُّها وامثالُها، بمعنى أَنَّ تُصْبِحَ الارضُ ملكاً خالِصاً
لِشِرْ ذِمَّةٍ من الموسرين، ويُصْبِحَ الآخرونَ فاقدين لِشِرِّ مِنْها، لَسَكَنِ او
زراعةٍ او قرارٍ؟

١ - اي: تَحُوزُهُمْ وَتَضَمُّهُمْ

٢ - مجمع البيان ١٠ / ٤١٧.

وهل يصحُّ أن تُصَبَّحَ الارضُ الكذائيّة، ذُرْعَةً في ايدي فئَةٍ، من الطّواغيتِ الاقتصاديّين، لاستغلالِ النَّاسِ وامتصاصِ الزُّرَاعِ والفلاحين، حتى تصلَ بذلك الى حياةٍ تَرْفِيَةٌ سَرْفِيَّةٌ وَأَشْرٌ وَبَطْرٌ، وتترسَّخَ في روحِها الاوصافُ الرَّذِيلةُ؟^١

لا، ليس الامرُ كذلك، في واقعِ النظرةِ الاسلاميّة، ليس كذلك حتى تفسدَ بذلك نفوسُ كثيرين من الفقيرِ والسَّعْبِ، ونفوسُ عدّةٍ قليلةٍ من التَّكَاثُرِ والكِظَةِ.

ليس الامرُ كذلك، حتى يرُضَّ العملُ المرهقُ الكثيرُ والكَدْحُ الشَّاقُ، في الأريافِ وفي المزارعِ والحقولِ والبساتين، اضلاعَ كثيرين من النَّاسِ وَيَجْتَرَّ اليهم اقسامَ المرضِ، وَيُعَيْقَهُم عن ايِّ طلبِ علمٍ او كمالٍ او دين، فيفسدَ عليهم الحياةَ التي هي أعلى هديّةٍ وَهَبَهَا اللهُ لكلِّ انسان، وَيَعِيشَ الى جانبِ هؤلاء المذكورين افرادٌ قليلون يَنْغَمِسُونَ هم وبنائوهم وبناتُهم - هنا وهناك - في الوانِ النِّعَمِ، وليس لهم ايُّ همٍّ او شغلٍ او عملٍ، الا الفراغُ والتَّنَزُّهُ و الأكلُ و ..

ليس الامرُ كذلك، حتى يَسْتَأْثِرَ المتكاثرونَ والمترفونَ ومن اليهم بدورٌ متعدّدة، و بمساحاتٍ شاسعةٍ منها في دُورِهِم، ذاتِ مروجٍ وجنّاتٍ ومسابيحٍ وقاعاتٍ وعُرفٍ، في حين أنّ قطاعاتٍ من النَّاسِ لا يَجِدُونَ اشباراً منها لأن يَأْوُوا اليها وَيَدْفَعُوا عن انفسِهِم ودويهِم فيها عاديةَ الحرِّ والبرِّدِ؟

ليس الامرُ كذلك، حتى يُصِيبَ النَّاسَ من جهةِ السُّكنى، تلكمُ المصائبُ والمصاعبُ - التي لا يَعْلَمُهَا الا اللهُ تعالى - وتلَمَّ بهم وبنائِهِم وبناتِهِم، لفقْدِ السَّكَنِ او لضيقِهِ، تلكمُ الفواقِرُ التي تَهْدِرُ كرامَتِهِم وتزعجُهُم وتُقْلِقُهُم، وتدفعُهُم الى التَّمِيْعِ والسَّقُوطِ، ممّا لا يَسَعُ ايُّ انسانٍ شريفٍ او

١ - راجع: الفصول التي درّسنا فيها هذه الموضوعات، من الباب ١١.

نظرة الى الفصل الثاني ..

مسلم ملتزم أن لا يُهمَّه، اولا يهتمَّ به؛ مع أن الجهات الملحوظة في خلق الارض وجعلها للانام ووقفها على العباد، هي جهة السكنى فيها للانسان مادام حياً يعيش في الارض - في الامصار والمدن وغيرها - كما نزل به القرآن الكريم، وصرَّح به الشيخ المفسر الطبرسي . والتعامل والسلوك المذكوران، كيف يوافقان «الأخوة الاسلامية» و «الانظمة الشرعية» و«المقاييس الانسانية»؟

ففي هذا الضوء، إنَّ حكمة التكوين - ولا بدَّ من أن تنسجم معها حكمة التشريع ايضاً - تُرشدنا الى أن نعتقد بأنَّ الله تعالى لم يجعل الارض للانام ولم يقفها على العباد، لأنَّ تصير الى هذا المآل العسوف؛ تعالى الله العادل الحكيم عن ذلك علواً كبيراً، بل خلقها وجعلها وقفاً على العباد، لأنَّ يتمتعوا منها ويقضوا ما ربهم وحاجاتهم المختلفة بها، ويستفيدوا من مياهاها وأكلائها ومناجمها وجبالها وأوديتها .. فيصلوا بذلك الى رشدهم المادي والروحي، ويبرزوا ما جعل فيهم من مواهب واستعدادات، ويتوسلوا بذلك كله الى تأمين حياة انسانية سليمة تحذوهم الى الفضيلة والحق، وتأخذ بأيديهم الى سلوك سبيل الله وتحصيل رضاه تعالى .

هذه هي حكمة خلقه الارض بساطاً وكفاتاً، وجعلها للانام، ووقفها على العباد . ولا اقلَّ من أن يصل افراد الانسان بسبب الارض، وما فيها وما عليها، الى معيشة كفاية وظلة واقية .

تنبیه

إنَّ صلة الانسان بالارض لها صور واشكال . احداها صورة الهية توافق جعل الالهي والقطرة السليمة . وهي ابقاؤها على ما جعلها الله له،

من كونها للانام كافة، واختصاص كل قطعة منها - بمقدار لا يُوافي حدّ التكاثر^١ - بمن عَمِلَ في الارض وعَمَرَهَا، ماداوَمَ على عمارتها وآدَى حقوقها. وكلُّ ذلك على اساس «الآحقيّة» المشروطة لا الامتلاك الدائم. هذا ما تقضيه الفطرة الانسانية - غير المُحرّفة - ويؤيِّده العقل السليم، والصَّميرُ النَّقِيُّ. فعلى هذا، اذا تحوّلت صلة الانسان بالارض الى صورةٍ أُخرى، تُصيِّحُ صورةً شيطانيةً و طاغوتيةً، تتبع من الأثره والاعتداء.

ومن اللاّحب، أنّ التعاليم الحديثية لا تُشدُّ ايضاً عمّا يقتضيه الجعل الالهى والعقل والفطرة، كما صرَّح به في الاخبار^٢. وهذا هو الذي يطابق فتوى عدّة من اكابر علماء الاسلام، كالشيخ ابي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني، فإنّه لا يرى الارض ولا غير الارض ملكاً لأحد^٣؛ وكشيخ الطائفة ابي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، وقد نقلنا رأيه الشريف. وكالفقيه المحقق السيّد محمّد بحر العلوم الطباطبائي، صاحب «بلغة الفقيه»، حيث مال الى «منع افادة الإحياء التملّك المجاني، من دون أن يكون فيه حقّ، فيكون للامام فيه بحسب ما يُقاطع المجبى عليها في زمان حضوره وبسط يده، ومع عدمه فله اجرة المثل. ولا يُنافي ذلك نسبة الملكية الى المُحيي في اخبار الإحياء - اي في قولهم: "مَنْ أَحْيَا اَرْضاً ففهي له" - وإن هي الآجارية مجرى كلام الملاكين للفلاحين، في العرف العام، عند تحريضهم على تعمير الملك: "مَنْ عَمَرَهَا او حَفَرَ اَنْهَارَهَا وَكَرَى سَوَاقِيهَا ففهي له" الدّالة على آحقيّته من غيره وتقدّمه على من سواه، لا على نفي الملكية من نفسه...»^٤.

١ - وذلك لأنّ التعاليم التي تشجّب التكاثر، تشمل الاراضي وامتلاكها ايضاً. وهذا واضح.

٢ - راجع: الفصول ٢٣ و ٢٤ و ٢٦، من الباب ١١، و ٣٠ و ٣٥، من الباب ١٢.

٣ - راجع النظرة الى الفصل ٢٥، من الباب ١١، الفقرة ١٢.

٤ - بلغة الفقيه / ٩٨.

نظرة الى الفصل الثاني ..

«وهذا الرأي الفقهي الذي يُفَرِّهُ الشَّيْخُ الطُّوسِيّ والفقهاء بحر العلوم، يَسْتَنِدُ الى عدّة نصوصٍ ثابتةٍ، بطرقٍ صحيحةٍ، عن أئمةِ اهل البيت - ع -...»^١.

إشارة

لم نَطْرَحْ هذه المسائل بوصفها رأياً فقهياً باتاً، بل لآن نُلْفِتْ انظارَ النَّابِهين وبُغَاةِ الحَقِّ والعدْلِ الى جوانبٍ من الانظِمةِ الشَّرْعِيَّةِ في ذلك، وَنَدْعُو فقهَاءَ الاسلام الى ان يُمَعِنُوا النَّظَرَ في جوانبٍ مَغْفُولَةٍ من قضايا الاراضي الاصلية، ممَّا يُشَادُ به معالمُ الدِّينِ، ويُوَدِّدُ به واجبُ الفِقاهاةِ الاسلاميَّةِ؛ وَيَسْتَتِيعُ حُسْنَ سُمْعَةِ الاسلام، وتَقَدِّمُ المسلمين، حيث يُجَسِّدُونَ العَدَالَةَ وَيَقُومُونَ بالقِسْطِ المنشود.

١ - اقتصادنا / ٤٦٤، من الطبعة السادسة عشرة.

الفصل الثالث

المواهب والأموال، تعميم وتأميم

الكتاب

- ١ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۖ
- ٢ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وزيتونًا ونخلًا * وحدائق غلبًا * وفاكهةً وأبًا * متاعاً لكم ولأنعامكم *^٢
- ٣ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا، فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسْقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ ۖ
- ٤ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِي، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ *^٤
- ٥ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ *^٥

١ - سورة البقرة (٢): ٢٩.

٢ - سورة عبس (٨٠): ٢٥ - ٣٢.

٣ - سورة ق (٥٠): ٩ - ١١.

٤ - سورة الحجر (١٥): ١٩ - ٢٠.

٥ - سورة النحل (١٦): ٥.

- ٦ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ، وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ *^١
- ٧ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ، لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ *^٢
- ٨ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً، نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ..^٣
- ٩ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ *^٤
- ١٠ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا، وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا ..^٥
- ١١ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ، وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ *^٦
- ١٢ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ..^٧

* هناك في الكتاب السماوي آيات كثيرة بهذا الصدد، أوردنا خمسين منها في الفصل السادس والثلاثين، من الباب الحادي عشر، فراجعها وأقرأها بامعان .

وليس من الصحيح الحق، أن نجعل تلكم الآيات الهامة بمعزل عن الفقهة والتوجيه المعيشي للجماهير ..

الحديث

١ - سورة النحل (١٦) : ١٠ .

٢ و ٣ - سورة المؤمنون (٢٣) : ١٩ و ٢١ .

٤ - سورة النازعات (٧٩) : ٣٣ .

٥ - سورة النحل (١٦) : ١٤ .

٦ - سورة الحجر (١٥) : ٢٠ .

٧ - سورة الاعراف (٧) : ١٠ .

١ النبي «ص»: النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: النَّارِ وَالْمَاءِ وَالْكَلِّ^١.

* عملاً بهذا الحديث يرى الشيخ الطوسي «أن علاقة الفرد بعين الماء (لا الحفرة التي حفرها للوصول الى الماء)، علاقة حق لا ملك»، فيقول: «.. كلُّ موضعٍ قلنا إنه يملك البئر فإنه أحقُّ من مائها بقدر حاجته لشربه وشرب ماشيته وسقي زروعه، فإذا فضل بعد ذلك شيءٌ وجب عليه بذله بلا عوضٍ لمن احتاج إليه لشربه وشرب ماشيته من السابلية وغيره. وليس له منع الماء الفاضل من حاجته حتى لا يتمكّن غيره من رعي الكلب الذي يقرب ذلك الماء. وإنما يجب عليه ذلك لشرب المحتاج إليه وشرب ماشيته، فأما لسقي زرعٍ فلا يجب عليه ذلك، لكنه يستحب. وفيهم (اي الفقهاء) من قال: يستحب ذلك لشرب ماشيته وسقي زرعٍ ولا يجب. وفيهم من قال: يجب بذله بلا عوضٍ لشرب الماشية ولسقي الزرع. وفيهم من قال: يجب عليه بالعرض فأما بلا عوضٍ فلا».

«وإنما قلنا ذلك لما رواه ابن عباس أن النبي «ص» قال: «النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: النَّارِ وَالْمَاءِ وَالْكَلِّ»^٢. وروى جابر أن النبي «ص» نهى عن بيع فضل الماء»^٣.

٢ النبي «ص»: خمسٌ لا يحلُّ منعهنَّ: الماء، والملح، والكلأ، والنار، والعلم. وفضل العلم خيرٌ من فضل العبادة. وكمال الدين الورع^٣.

١ - المستدرک ٣ / ١٥٠.

٢ - المبسوط ٣ / ٢٨١.

٣ - المستدرک ٣ / ١٥٠.

- ٣ النبي «ص»: مَوْتَانُ الْأَرْضِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَمَنْ أَحْيَا مِنْهَا شَيْئًا فَهُوَ لَهُ ١.
- ٤ النبي «ص»: قَضَى رَسُولُ اللَّهِ فِي أَهْلِ الْبَوَادِي أَنْ لَا يَمْنَعُوا فَضْلَ مَاءٍ، وَلَا يَبِيعُوا فَضْلَ كَلَأٍ ٢.
- ٥ النبي «ص»: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ «ص» عَنْ بَيْعِ الْمَاءِ وَالْكَلَأِ وَالنَّارِ ٣.
- ٦ الامام علي «ع»: مَنْ بَاعَ فَضْلَ مَائِهِ، مَنَعَهُ اللَّهُ فَضْلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٤.
- ٧ الامام الصادق «ع»: فَكَّرَ يَا مُفَضَّلُ! فِي هَذِهِ الْمَعَادِنِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمُخْتَلِفَةِ، مِثْلَ الْجَصِّ، وَالْكِلْسِ، وَالْجَبَسِ، وَالزَّرَانِيخِ، وَالْمِرْتَكِ، وَالْقُونِيَا، وَالزَّبْيِقِ، وَالنُّحَاسِ، وَالرَّصَاصِ، وَالْفِضَّةِ، وَالذَّهَبِ، وَالزَّبْرَجَدِ، وَالْيَاقُوتِ، وَالزُّمُرُدِ، وَضُرُوبِ الْحِجَارَةِ، وَكَذَلِكَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الْقَارِ، وَالْمُومِيَا، وَالْكَبْرِيتِ، وَالنَّفْطِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَعْمَلُهُ النَّاسُ فِي مَآرِبِهِمْ. فَهَلْ يَخْفَى عَلَيَّ ذِي عَقْلٍ أَنَّ هَذِهِ كُلَّهَا ذَخَائِرُ دُخِرَتْ لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ لِيَسْتَخْرِجَهَا فَيَسْتَعْمِلَهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ٥.
- ٨ الامام الصادق «ع»: قَضَى رَسُولُ اللَّهِ «ص» بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي مَشَارِبِ النَّخْلِ، أَنَّهُ لَا يَمْنَعُ نَفْعَ الشَّيْءِ. وَقَضَى «ص» بَيْنَ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، أَنَّهُ لَا يَمْنَعُ فَضْلَ مَاءٍ لِيَمْنَعَ بِهِ فَضْلُ كَلَأٍ، فَقَالَ: لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ ٦.

١ - المستدرک / ٣ / ١٤٩.

٢ - الوسائل / ١٧ / ٣٣٣.

٣ - المستدرک / ٣ / ١٥٠.

٤ - نوادر الراوندي / ٥٣.

٥ - البحار / ٣ / ١٢٨، عن «توحيد المفضل».

٦ - الكافي / ٥ / ٢٩٤.

* نُشَاهِدُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ قَاعِدَةَ الضَّرْرِ جِيءَ بِهَا فِي الْقَضَايَا الْعَامَّةِ، لَا الْقَضَايَا الشَّخْصِيَّةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، فَيُشَجَّبُ بِهَا الْوَأْنُ الضَّرْرِ الَّتِي تُصِيبُ النَّاسَ فِي صَلَاتِهِمْ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْعَامَّةِ. وَلَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى عَمُومِ الْقَاعِدَةِ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي، مِنَ الْبَابِ الْحَادِي عَشَرَ.

٩ الامام الصادق «ع»: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ «ص» عَنِ النَّطْفِ وَالْأَرْبَعَاءِ، قَالَ: وَالْأَرْبَعَاءُ أَنْ يُسْنَى مُسْنَأَةً فَيَحْمِلَ الْمَاءَ فَيَسْتَقِي بِهِ الْأَرْضَ ثُمَّ يَسْتَعْنِي عَنْهُ؛ فَقَالَ: لَا تَبِعْهُ، وَلَكِنْ أَعْرِهِ أَخَاكَ. وَالنَّطْفُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الشَّرْبُ فَيَسْتَعْنِي عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا تَبِعْهُ وَلَكِنْ أَعْرِهِ أَخَاكَ أَوْ جَارَكَ^١.

١٠ الامام الصادق «ع»: قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ: سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ تَكُونُ لَهُ الضَّيْعَةُ فِيهَا جَبَلٌ مِمَّا يُبَاعُ، يَأْتِيهِ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ وَلَهُ غَنَمٌ قَدْ أَحْتَاكَ إِلَى جَبَلٍ، يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَبِيعَهُ الْجَبَلَ كَمَا يَبِيعُ مِنْ غَيْرِهِ، أَوْ يَمْنَعَهُ مِنَ الْجَبَلِ إِنْ طَلَبَهُ بِغَيْرِ ثَمَنِ، وَكَيْفَ حَالُهُ فِيهِ وَمَا يَأْخُذُهُ؟ قَالَ: لَا يَجُوزُ لَهُ بَيْعُ جَبَلِهِ مِنْ أَخِيهِ لِأَنَّ الْجَبَلَ لَيْسَ جَبَلَهُ، إِنَّمَا يَجُوزُ لَهُ الْبَيْعُ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِ^٢.

١١ الامام الصادق «ع»: أَنْظِرْ يَا مُفَضَّلُ! إِلَى هَذِهِ الْجِبَالِ الْمَرْكُومَةِ، مِنَ الطِّينِ وَالْحِجَارَةِ، الَّتِي يَحْسَبُهَا الْغَافِلُونَ فَضْلًا لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا. وَالْمَنَافِعُ فِيهَا كَثِيرَةٌ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَسْقَطَ عَلَيْهَا الثَّلُوجُ^٣، فَيَقْفَى فِي قَلَالِهَا مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَيَذُوبُ مَا ذَابَ مِنْهُ، فَتَجْرِي مِنْهُ الْعُيُونُ الْغَرِيزَةُ الَّتِي تَجْتَمِعُ مِنْهَا

١ - الكافي ٥ / ٢٧٧.

٢ - الكافي ٥ / ٢٧٤.

٣ - لعلَّ الكلمة كانت في الاصل: «الثلج»، لمكان الضميرين بعدها في «إليه» و«منه»، ويدلُّ عليه تذكيرُ الفعل (يَبْقَى).

الانهار العظام، وَيَنْبُتُ فِيهَا ضُرُوبٌ مِنَ النَّبَاتِ وَالْعَقَاقِيرِ ..^١

١٢ الامام الصادق «ع»: سُئِلَ (عَمَّا) يَأْكُلُ النَّاسُ مِنَ الْفَاكِهِةِ وَالرُّطْبِ مِمَّا هُوَ لَهُمْ حَلَالٌ؟ فَقَالَ: لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ ضَرُورَةٍ، وَلَا يُفْسِدُ إِذَا كَانَ عَلَيْهِا فِتْنَاءٌ مُحَاطٌ. وَمَنْ أَجَلَ أَهْلَ الضَّرُورَةِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ «ص» أَنْ يُبْنَى عَلَى حَدَائِقِ النَّخْلِ وَالْتِمَارِ بِنَاءً، لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهَا كُلُّ أَحَدٍ^٢.

١٣ الامام الصادق «ع» - قال راوي الحديث: قلت له: جُعِلَتْ فِدَاكَ! بَلَّغَنِي أَنَّكَ كُنْتَ تَفْعَلُ فِي غَلَّةٍ «عَيْنِ زِيَادٍ» شَيْئًا، فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: نَعَمْ، كُنْتُ أَمُرُّ إِذَا أَدْرَكْتُ الثَّمْرَةَ أَنْ يُثَلَّمُ فِي حَيْطَانِهَا الثَّلَمُ، لِيَدْخُلَ النَّاسُ وَيَأْكُلُوا. وَكُنْتُ أَمُرُّ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْ تُوَضَعَ عَشْرُ بَنِيَاتٍ يَقْعُدُ عَلَى كُلِّ بَنِيَّةٍ عَشْرَةٌ، كُلَّمَا أَكَلَ عَشْرَةٌ جَاءَ عَشْرَةٌ أُخْرَى، يُلْقَى لِكُلِّ نَفْسٍ مِنْهُمْ مَدٌّ مِنْ رُطْبٍ. وَكُنْتُ أَمُرُّ لِحَيْرَانَ الضَّيْعَةِ كُلِّهِمْ، الشَّيْخَ وَالْعَجُوزَ وَالصَّبِيَّ وَالْمَرِيضَ وَالْمَرَأَةَ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَجِيءَ فَيَأْكُلَ مِنْهَا، لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَدًّا. فَإِذَا كَانَ الْجَذَاذُ أَوْ قِيَتِ الْقَوَامُ وَالْوُكَلَاءُ وَالرَّجَالُ أُجْرَتَهُمْ وَأَحْمِلُ الْبَاقِي إِلَى الْمَدِينَةِ .. أَرْبَعُ مِئَةِ دِينَارٍ، وَكَانَ غَلَّتْهَا أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ^٣.

١٤ الامام الصادق «ع»: يَا مُفْضَلُ! .. فَإِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْعَالَمَ بِفِكْرِكَ وَمَيَّزْتَهُ بِعَقْلِكَ، وَجَدْتَهُ كَالْبَيْتِ الْمَبْنِيِّ الْمَعْدَّةِ فِيهِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عِبَادُهُ، فَالسَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ كَالسَّقْفِ، وَالْأَرْضُ مَمْدُودَةٌ كَالْبِسَاطِ، وَالنُّجُومُ مَنْضُودَةٌ كَالْمَصَابِيحِ، وَالْجَوَاهِرُ مَخْزُونَةٌ كَالذَّخَائِرِ. وَكُلُّ شَيْءٍ فِيهَا لِشَأْنِهِ مَعْدَّةٌ وَالْإِنْسَانُ كَالْمَمْلُوكِ ذَلِكَ الْبَيْتِ وَالْمُخَوَّلِ جَمِيعُ مَا فِيهِ، وَضُرُوبُ النَّبَاتِ

١ - البحار ٣ / ١٢٧.

٢ - البحار ١٠٣ / ٧٥.

٣ - الوسائل ٦ / ١٤٠ - ١٤١.

مُهَيَّأَةً لِمَارَبِهِ، وَصُنُوفِ الْحَيَوانِ مَصْرُوفَةً فِي مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ .. ١

١٥ الامام الصادق «ع»: يا مُفَضَّلُ! .. فَإِنِ قَالَ قَائِلٌ: أَوَ لَيْسَ قَدْ يَنَالُ الطَّيْرُ مِنَ البُرِّ وَالْحُبُوبِ؟ قِيلَ لَهُ: بَلَى، عَلَى هَذَا قُدِّرَ الأمرُ فِيهَا، لِأَنَّ الطَّيْرَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَهُ فِيمَا تُخْرِجُ الأَرْضُ حَطًّا، وَلَكِنْ حُضِنَتِ الحُبُوبُ بِهَذِهِ الحُجُبِ لئَلَّا يَتَمَكَّنَ الطَّيْرُ مِنْهَا كُلَّ التَّمَكُّنِ، فَيَعْبَثَ فِيهَا وَيُفْسِدَ الفَسَادَ الفَاحِشَ؛ فَإِنِ الطَّيْرَ لَوْ صَادَفَ الحَبَّ بَارِزًا لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَحُولُ دُونَهُ، لِأَكَبَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْسِفَهُ اصِّلاً، فَكَانَ يَعْرُضُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَبْسُمَ الطَّيْرُ فَيَمُوتَ، وَيَخْرِجَ الزَّرَّاعَ مِنْ زَرْعِهِ صَفْرًا، فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الوَقَايَاتُ لِتَصُونَهُ، فَيَنَالُ الطَّائِرُ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا يَتَّقَوْتُ بِهِ، وَيَبْقَى أَكْثَرُهُ لِلإنْسَانِ، فَإِنَّهُ أَوْلَى بِهِ، إِذْ كَانَ هُوَ الَّذِي كَدَحَ فِيهِ وَشَقِيَ بِهِ، وَكَانَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الطَّيْرُ. ٢

١٦ الامام الصادق «ع»: فَكَّرَ يَا مُفَضَّلُ! فِي الصَّحْوِ وَالْمَطَرِ .. أَلَا تَرَى الَّذِي يُزْرَعُ سَيْحًا أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَالأمطارُ هِيَ الَّتِي تُطَبِّقُ الأَرْضَ؛ وَرَبْمَا تُزْرَعُ هَذِهِ البَرَارِي الواسِعَةُ وَسفوحُ الجبالِ وَذُرَاهَا، فَتَغِلُّ الغَلَّةُ الكَثِيرَةَ، وَبِهَا يَسْقُطُ عَنِ النَّاسِ فِي كَثِيرٍ مِنَ البُلْدَانِ مُؤُونَةٌ سِياقِ المَاءِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَمَا يَجْرِي فِي ذَلِكَ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّشَاجُزِ وَالتَّظَلُّمِ، حَتَّى يَسْتَأْثِرَ بِالمَاءِ ذُوو العِزَّةِ، وَالقُوَّةِ، وَيُحْرِمُهُ الضُّعْفَاءُ. ٣

١٧ الامام الصادق «ع»: . ثُمَّ المَاءُ لَوْلَا كَثْرَتُهُ وَتَدَفُّقُهُ فِي العَيُونِ وَالأَوْدِيَةِ وَالأَنْهَارِ، لَضَاقَ عَمَّا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ لِشُرْبِهِمْ وَشَرَبِ أَعْنَامِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ

١ - البحار ٣ / ٦١، عن «توحيد المفضل».

٢ - البحار ٣ / ١٣٠.

٣ - البحار ٣ / ١٢٥ - ١٢٦.

وَسَقَى زُرُوعِهِمْ وَاشْجَارِهِمْ وَاصْنَفِ غَلَاتِهِمْ ١..

١٨ الامام الكاظم «ع»: إِنَّ الارضَ لِلَّهِ تَعَالَى، جَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى عِبَادِهِ، فَمَنْ عَطَلَ
ارضاً ثلاثَ سنينَ متواليَّةٍ بغيرِ ما عَلَّةٍ، أُخْرِجَتْ مِنْ يَدِهِ وَدُفِعَتْ إِلَى غَيْرِهِ .
وَمَنْ تَرَكَ مَطَالِبَةً حَقًّا لَهُ عَشْرَ سَنِينَ فَلَا حَقَّ لَهُ ٢.

* قالوا بصدد الحديث : ... يُجْبِرُهُ الإِمَامُ بَعْدَ الثَّلَاثِ عَلَى الإِحْيَاءِ،

فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ يَدْفَعُهَا إِلَى الْعَامِرِينَ .

وقال العلامة المجلسي، بصدد المقطع الأخير: «لعله أريد عُسرُ

إثباته، أو يُحْمَلُ عَلَى مَا إِذَا دَلَّتِ الْقَرَأَنُ عَلَى الإِبْرَاءِ» ٣.

١ - البحار ٣ / ١٢٢ .

٢ - الكافي ٥ / ٢٩٧ .

٣ - راجع: «الكافي»، الصَّفحةُ المذكورة ، الهامش.

نظرة الى الفصل

يَتَّضِحُ التَّوْجِيهُ الْقُرْآنِيُّ الْمَذْكُورُ، فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ، مِنْ تَعَالِيمِ هَذَا الْفَصْلِ أَيْضاً، بِجَلَاءٍ وَوُضُوحٍ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا خُلِقَ وَأُعِدَّ لِإِسْتِفَادَةِ الْإِنْسَانِ وَلَا سِتْمَاعٍ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ بِهِ، لِأَنَّ يَحْتِكِرُهُ الْمُحْتَكِرُونَ وَيَسْتَعْلَهُ الْمُسْتَعْلُونَ .

إِنَّ هَذَا الْخُطَابَ الْقُرْآنِيَّ «لَكُمْ» قَدْ جَاءَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ، وَلَقَدْ مَرَّبْنَا خَمْسُونَ آيَةً مِمَّا يُمْتُّ إِلَيْهِ فِي الْفَصْلِ السَّادِسِ وَالثَّلَاثِينَ، مِنْ الْبَابِ الْحَادِي عَشَرَ. وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُسْتَهَانَ بِهِ فِي التَّنْظِيمِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالرَّمَجَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْمَعِيشِيَّةِ. وَإِنَّ هَذَا التَّعْمِيمَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَقْيَاساً مِنْ الْمَقْيَاسِ لَدِي الْمُبْرَمِجِينَ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ لَا تَغْفَلَ عَنْهُ الْفُقَاهَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ. وَلَقَدْ ذُكِرَ فِي الْإِحَادِيثِ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ سَتُجَسَّدُ فِي دَوْلَةِ الْمَهْدِيِّ «ع»، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي دَوْلَتِهِ تَصَلُّ السُّلْطَةُ الْعَمَلِيَّةُ إِلَى أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ الْعَادِلِينَ. فَكَلَّمَا حَصَلَتِ السُّلْطَةُ يَجِبُ تَنْفِيذُ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الرُّقْعَةِ الَّتِي قَدْ سَادَهَا الْمُؤْمِنُونَ الْقُرْآنِيُّونَ. وَهَذَا أَمْرٌ لَا مَحِيدَ عَنْهُ لِأَيِّ إِصْلَاحِ اجْتِمَاعِيٍّ، وَلَا مَفْرَّ مِنْ الْبُخُوعِ بِهِ وَبِتَطْبِيقِهِ لِأَيِّ مُسْلِمٍ نَابَهُ .

وَلَعَلَّ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ وَالتَّعَالِيمَ الْحَدِيثِيَّةَ الَّتِي أَوْرَدْنَا فِي الْمَتْنِ فِي هَذَا الْفَصْلِ - وَالْفُصُولِ الْمُضَاهِيَّةِ لَهُ - كَافِيَةً لِتَرْكِيزِ هَذَا الْإِتْجَاهِ الْقُرْآنِيَّ وَالتَّوْجِيهِ الْإِسْلَامِيِّ عِنْدَ كُلِّ مَنْ يُرِيدُ خَيْراً وَصَلَاحاً وَتَنْبِيئاً لِأَصُولِ دِينِ اللَّهِ الْعَمَلِيَّةِ .

الفصل الرابع

العمل والعمالة، ودورهما الرئيسي في البناء الاقتصادي (١)

أ - العمل في سنة التكوين

الكتاب

- ١ .. أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ..^١
- ٢ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا *^٢
- ٣ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ..^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: مَنْ يَعْمَلْ يَزِدَّهُ قُوَّةً .^٤

١ - سورة هود (١١) : ٦١ .

٢ - سورة الفرقان (٢٥) : ٤٧ .

٣ - سورة القصص (٢٨) : ٧٣ .

٤ - غرر الحكم / ٢٦٩ .

- ٢ الامام علي «ع»: من يُقَصِّرَ في العملِ يَزِدُّ فِتْرَةً ١.
- ٣ الامام السجاد «ع»: الحمدُ لله الذي رَكَّبَ فينا آلاَتِ البسطِ، وجَعَلَ لنا ادواتِ القبضِ، ومَتَّعنا بارواحِ الحِياةِ، وأَثَبَتَ فينا جوارِحَ الاعمالِ، وغَدَّانا بطِيباتِ الرِّزقِ، وأَغْنانا بفضلهِ، وأَقنانا بمنه ٢.
- ٤ الامام السجاد «ع»: الحمدُ لله الذي خَلَقَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ بِقُوَّتِهِ .. يُوَلِّجُ كُلَّ واحدٍ منهما في صاحِبِهِ، ويُوَلِّجُ صاحِبَهُ فيه، بتقديرٍ منه للعبادِ، يما يَغْذُوهم به وَيُنْشِئُهُم عليه، فخلقَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فيه من حركاتِ التَّعبِ ونَهَضاتِ النَّصبِ، وجَعَلَهُ لباساً لِيَلْبَسُوا من راحتهِ ومناهِمِهِ، فيكونَ ذلكَ لَهُمُ جَماماً وَقُوَّةً، وليَنالُوا به لَذَّةَ وشهوةً. وخلقَ لَهُمُ النَّهَارَ مُبْصِراً، لِيَتَبَغَّوا فيه من فضلهِ، وليَتَسَبَّبُوا الى رزقِهِ، وَيَسْرَحُوا في ارضِهِ، طلباً لما فيه نيلُ العاجلِ من دنياهم، ودركُ الآجلِ في آخِرائِهِم ٣.
- ٥ الامام الصادق «ع»: اِعْتَبِرْ يا مُفضَّلُ! باشياءِ خُلِقْتَ لِمآرِبِ الانسانِ، وما فيها من التَّدبيرِ، فانه خُلِقَ له الحَبُّ لَطعامِهِ، وكُلِّفَ طَحْنَهُ وَعَجْنَهُ وَخَبْزَهُ. وَخُلِقَ له الوَبْرُ لِكِسوتِهِ، فكلِّفَ نَدْفَهُ وَغَزْلَهُ وَنَسْجَهُ . وَخُلِقَ له الشَّجَرُ فُكَلِّفَ غَرَسَهَا وَسَقِيَهَا والقيامَ عليها. وَخُلِقْتَ له العَقاقيرُ لِادْوِيَّتِهِ، فُكَلِّفَ لِقَطْطَها وَخَلْطَها وَصُنْعَها . وكذلك تَجِدُ سائِرَ الاشياءِ على هذا المِثالِ . فانظُر! كيفَ كُفِيَ الخَلقةَ التي لم يَكُنْ عندهِ فيها حيلةٌ، وتُرِكَ عليه في كُلِّ شَيْءٍ من الاشياءِ موضعُ عملٍ وحركةٍ لما له في ذلكِ من الصِّلاحِ، لانه لو كُفِيَ هذا كُلُّه، حتى لا يَكُونَ له في الاشياءِ موضعُ شِغْلِ وعَمَلٍ، لما حَمَلَتْهُ الارضُ أَشْراً وَبَطْراً، ولَبَلَّغَ به كذلك الى ان يَتَعَاطَى اموراً فيه تَلْفُ نَفْسِهِ . ولو كُفِيَ

١ - غرر الحكم / ٢٦٩ .

٢ - الصَّحيفة السَّجَّادِيَّة / ٣٦ (الدَّعاء ١).

٣ - الصَّحيفة السَّجَّادِيَّة / ٦٨ - ٦٩ (الدَّعاء ٦).

النَّاسُ كُلُّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، لَمَا تَهَنَّأُوا بِالْعَيْشِ، وَلَا وَجَدُوا لَهُ لَذَّةً؛ الْآتَى لَوْ أَنَّ امْرَأَةً نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَقَامَ حِينًا بَلَغَ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَخِدْمَةٍ، لَتَبَرَّمَ بِالْفِرَاقِ، وَنَازَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى التَّشَاغُلِ بِشَيْءٍ؟ فَكَيْفَ لَوْ كَانَ طَوَّلَ عَمْرِهِ مَكْفِيًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ؟

وكان من صواب التدبير في هذه الاشياء التي خلقت للانسان أن جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة، ولتكفه عن تعاطي ما لا يناله، ولا خير فيه إن ناله ١.

٦ الامام الصادق «ع»: يا مُفْضَلُ! .. انظر الى العصافير كيف تطلب اكلها بالنهار، فهي لا تفقده، ولا هي تجده مجموعاً معداً، بل تناله بالحركة والطلب، كذلك الخلق كله؛ فسبحان من قدر الرزق .. فلم يجعل مما لا يُقدَّر عليه، اذ جعل للخلق حاجةً اليه، ولم يجعله مبذولاً وينال بالهويناء، اذ كان لا صلاح في ذلك، فإنه لو كان يوجد مجموعاً معداً كانت البهائم تتقلب عليه ولا تنقلع حتى تبشم فتهلك . وكان الناس ايضاً يصيرون بالفراغ الى غاية الاشر والبطر، حتى يكثر الفساد ويظهر الفواحش ٢.

٧ الامام الصادق «ع»: .. ربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في تقصي الاعمال بالنهار، او لشدة الحرِّ وافراطه؛ فيعمل في ضوء القمر اعمالاً شتى كحرث الارض وضرب اللبن وقطع الخشب وما اشبه ذلك، فجعل ضوء القمر معونة للناس على معاشهم إذا احتاجوا إلى ذلك .. ٣

١ - البحار ٣ / ٨٦ - ٨٧.

٢ - البحار ٣ / ١٠٦.

٣ - البحار ٣ / ١١٣ - ١١٤.

ب - العمل في سنة التشريع

الكتاب

- ١ فإذا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ..
- ٢ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ..

الحديث

- ١ النبي «ص»: «كُلُوا مِنْ كَدِّ أَيْدِيكُمْ»^٣.
- ٢ النبي «ص»: «طَلَبَ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ»^٤.
- ٣ النبي «ص» - سَأَلَ النَّبِيَّ «ص»: «أَيُّ كَسْبِ الرَّجُلِ أَطْيَبُ؟ قَالَ عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ»^٥.
- ٤ النبي «ص» - فِيمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ، عَنْ آبَائِهِ: «طَلَبُ الْكَسْبِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ»^٦.

١ - سورة الجمعة (٦٢): ١٠.

٢ - سورة يس (٣٦): ٣٥.

٣ - البحار ٦٦ / ٣١٤.

٤ - البحار ١٠٣ / ٩، عن «جامع الاخبار».

٥ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٠.

٦ - البحار ١٠٣ / ١٧.

- ٥ الامام علي «ع»: في كلِّ وقتٍ عملٌ^١.
- ٦ الامام الصادق «ع» - قال راوي الحديث: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع»، اذَاقِبَلَ الْعَلَاءُ بْنَ كَامِلٍ، فَجَلَسَ قُدَّامَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع» فَقَالَ: اُدْعُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي فِي دَعَاةٍ فَقَالَ: لَا اُدْعُوكَ، اُطْلُبْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ!^٢

ج - الحثُّ على العمل (١)

الكتاب

- ١ .. وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً *^٣
- ٢ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ *^٤

الحديث

- ١ النبي «ص»: مَنْ أَكَلَ مِنْ كَدِّ يَدِهِ، مَرَّ عَلَى الصَّرَاطِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ.^٥

١ - غرر الحكم / ٢٢٥.

٢ - الكافي / ٥ / ٧٨.

٣ - سورة الانسان (٧٦): ٢٢.

٤ - سورة الغاشية (٨٨): ٩.

٥ - المستدرک / ٢ / ٤١٧.

- ٢ النبي «ص»: من أكل من كدّ يده حلالاً، فُتِحَ له ابوابُ الجنّة، يدخلُ من أيّها شاء^١.
- ٣ النبي «ص»: من أكل من كدّ يده، نظر الله اليه بالرحمة، ثم لا يُعذّبُه ابداً^٢.
- ٤ النبي «ص»: - فيما رواه الامامُ الصادق، عن آبائه: من باتَ كالألّا من طلبِ الحلال، بات مغفوراً له^٣.
- ٥ النبي «ص» - جاء رجلٌ الى النبيّ «ص» وقال: ما طَعَمْتُ طعاماً منذ يومين. فقال: عليك بالسُّوقِ^٤..
- ٦ النبي «ص»: من لم يَسْتَحْيِ من الحلالِ نَفَعَ نفسه، وخَفَّتْ مؤونته، ونَفِيَ عنه الكبر^٥..
- ٧ النبي «ص»: إنَّ من الذُّنوبِ ذُنوباً لا يُكفِّرُها صلاةٌ ولا صدقةٌ. قيل: يا رسولَ الله! فما يُكفِّرُها؟ قال: الهمومُ في طلبِ المعيشة^٦.
- ٨ النبي «ص»: من أكل من كدّ يده، كان يومَ القيامةِ في عِدَادِ الانبياء، ويأخذُ ثوابَ الانبياء^٧.
- ٩ عيسى المسيح «ع» - روي في اخبارِ الحواريين: انهم اتَّبَعُوا عيسى «ع»، وكانوا اذا جاعوا قالوا: يا روحَ الله جُعنا! قَيضِرْبُ بيده على الارض - سهلاً كان او جبلاً - فيخْرُجُ ماءٌ فيشْرَبُونُ .. قالوا: يا روحَ الله! من افضلُ منّا، اذا شِئنا اطْعَمْتنا، واذا شِئنا سَقَيْتنا، وقد آمنّا بك واتَّبَعناك؟ قال: افضلُ

١ و ٢ - المستدرك ٢ / ٤١٧.

٣ - الوسائل ١٢ / ١٣.

٤ - سفينة البحار ١ / ٥٨٤.

٥ - تحف العقول / ٤٨.

٦ و ٧ - المستدرك ٢ / ٤١٥ و ٤١٧.

منكم مَنْ يَعْمَلُ بِيَدِهِ وَيَأْكُلُ مِنْ كَسْبِهِ ١.

د - الحثّ على العمل (٢)

الكتاب

١ وجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُرَةً، لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ٢.

الحديث

- ١ النبي «ص»: الكادُّ على عياله كالمجاهدِ في سبيلِ الله ٣.
- ٢ الامام علي «ع»: .. الحرفةُ مع العفّةِ خيرٌ من الغنى مع الفُجور ٤.
- ٣ الامام علي «ع»: اوصيكم بالخشية من الله في السرِّ والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والاكْتسابِ في الفقر والغنى ٥.
- ٤ الامام الباقر «ع»: إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمَحْتَرِفٍ، وَلَا لِمَنْ مَرَّ بِمِرَّةٍ سَوِيٍّ قَوِيٍّ،

١ - سفينة البحار ٢ / ٤٧٨.

٢ - سورة الاسراء (١٧): ١٢.

٣ - المستدرک ٢ / ٤٢٤.

٤ - نهج البلاغة / ٩٣٠: عبده ٣ / ٥٨.

٥ - تحف العقول / ٢٨٨.

فَتَنَزَّهُوا عَنْهَا .^١

٥ الامام الصادق «ع» - إِنَّ رَجُلًا أَتَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ «ع» فَقَالَ : إِنِّي لَا أَحْسِنُ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا بِيَدِي، وَلَا أَحْسِنُ أَنْ أَتَجِرَ، وَأَنَا مُحَارِفٌ مُحْتَاجٌ، فَقَالَ : اِعْمَلْ، فَأَحْمِلْ عَلَى رَأْسِكَ، وَاسْتَعِنْ عَنِ النَّاسِ .^٢

٦ الامام الكاظم «ع» : مَنْ طَلَبَ هَذَا الرَّزْقَ مِنْ حِلِّهِ، لِيَعُودَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ، كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .^٣

٧ الامام الرضا «ع» : إِنَّ الَّذِي يَطْلُبُ مِنْ فَضْلِ يَكْفُ بِهِ عِيَالَهُ، أَعْظَمَ اجْرَاءً مِنَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .^٤

٨ الامام علي «ع» : مَا غُدُوءَةُ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَعْظَمَ مِنْ غُدُوتِهِ يَطْلُبُ لُوْلَدِهِ وَعِيَالِهِ مَا يُصْلِحُهُمْ .^٥

هـ - إتقان العمل -

١ النبي «ص» : إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا فَلْيَتَّقِنْ .^٦

٢ النبي «ص» : .. لَكِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ عَبْدًا إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَحْكَمَهُ .^٧

١ - الوسائل ٦ / ١٥٩ ..

٢ - الوسائل ١٢ / ٢٣ .

٣ - الوسائل ١٢ / ١١ .

٤ - تحف العقول / ٣٢٨ .

٥ - المهذب ١ / ٣٤٤ .

٦ - سفينة البحار ٢ / ٢٧٨ .

٧ - أمالي الصدوق / ٣٤٤ .

و - انتظام العمل

- ١ - النبي «ص» - فيما نقله «ص» عن صُحُفِ ابراهيم «ع» لا بي ذرَّ الغفاري :
على العاقلِ اَنْ (لا) يَكُون ظاعناً الا في ثلاثٍ : تزوُّدٍ لمعادٍ، او مرَّمةٍ
لمعاشٍ، او لذَّةٍ في غيرِ مُحَرَّمٍ !
- ٢ - الامام علي «ع» - في وصيَّته التاريخية المشهورة : .. ونظم امرِكم .
- ٣ - الامام علي «ع» : .. اياك والعجلة بالامورِ قبلَ اوانِها، او التَّساقُطَ فيها عندَ
امكانِها، او اللِّجاجةَ فيها اذا تَنَكَّرت، او الوهنَ عنها اذا اسْتَوْضَحَتْ؛
فَضَعْ كُلَّ امرٍ موضَعه، و اَوْقِعْ كُلَّ عملٍ موقِعَه .
- ٤ - الامام علي «ع» : .. اَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَه، فَاِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ ما فيه .
- ٥ - الامام علي «ع» : الدُّنيا دُوْلٌ، فَاَطْلُبْ حَظَّكَ مِنْها بِاَجْمَلِ الطَّلَبِ .

ز - العمل بالعلم والاختصاص

الكتاب

١ - مكارم الاخلاق / ٥٥٧.

٢ - نهج البلاغة / ٩٧٧؛ عبده ٣ / ٨٥.

٣ - نهج البلاغة / ١٠٣١؛ عبده ٣ / ١٢٠.

٤ - نهج البلاغة / ١٠٢٢؛ عبده ٣ / ١١٤.

٥ - الوسائل ١٢ / ٢٩.

١ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ *

الحديث

١ الامام علي «ع»: النَّاسُ ابْنَاءُ مَا يُحْسِنُونَ ٢.

٢ الامام علي «ع»: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ ٣.

* قال الشريف الرضي، في ذيل هذه الحكمة: «وهذه الكلمة التي لا تُصَابُ لها قيمة، ولا تُوزَنُ بها حكمة، ولا تُقَرَنُ اليها كلمة». وهذا الكلام اداءً لحق هذه الحكمة الخالدة والبناءة. وهي بدورها تنفي القِيمَ الواهية التي يحسبها الانسان قيمةً لنفسه. فليست قيمة كل امرئ ما امتلكه من المال والثروة، او ما حازه من الجاه والجلالة، وما الى ذلك كله، بل قيمته الواقعية هي ما يحسنه. ولا فرق بين ان يكون المراد ما يحسنه الانسان، او ما يحسن الانسان. لان الثاني ايضاً هو الاول في النظرة الحكيمة.

٣ الامام الصادق «ع»: ما أبالي الى من ائتمنت، خائناً او مُضِيئاً ٤.

٤ الامام الصادق «ع»: كلُّ ذي صناعةٍ مضطَّرُّ الى ثلاثٍ خِلالٍ يَجْتَلِبُ بها

١ - سورة يوسف (١٢): ٥٥.

٢ - ارشاد المفيد / ١٤٢: وفي طبعة: ١٥٨.

٣ - نهج البلاغة / ١١٢٢: عبده ٣ / ١٦٨.

٤ - تحف العقول / ٢٧٠.

المَكْسَب، وهو: أَنْ يَكُونَ حَازِقًا بِعَمَلِهِ ١..

* راجع ايضاً: الفصل الحادي عشر، من هذا الباب .

ح- العمل بالالتزام

الكتاب

١ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * ٢

٢ .. إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرََتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينِ * ٣

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: كُلُّ ذِي صِنَاعَةٍ مُضْطَرٌّ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالٍ يَجْتَلِبُ بِهَا
المَكْسَب، وهو: أَنْ يَكُونَ حَازِقًا بِعَمَلِهِ، مُؤَدِّيًّا لِلْأَمَانَةِ فِيهِ، مُسْتَمِيلًا لِمَنْ
اسْتَعْمَلَهُ ٤.

١ - تحف العقول / ٢٣٧ .

٢ - سورة المعارج (٧٠): ٣٢ .

٣ - سورة القصص (٢٨): ٢٦ .

٤ - تحف العقول / ٢٣٧ .

نظرة الى الفصل

إن للعملِ اهميةً رئيسيةً في حياة الانسان، وهي امرٌ معلوم . ولقد تجسدت تلك الهمية في التعاليم الاسلامية وبدت واضحة الجوانب، مكشوفة الاغوار، بوصفها حافزاً ايجابياً قوياً لنفخ روح السعي والاجتهاد في الافراد والقطاعات . إن هذه التعاليم قد اوضحت، بصورةٍ واسباب شتى، أن العمل كما أن له دوراً حياتياً في نظام الانتاج والزراعة وال عمران والاقتصاد الاجتماعي، فكذا له دورٌ حياتي هامٌ في النظام الثقافي والاخلاقي والروحي والتربوي والسياسي والدفاعي ايضاً . ومن هنا قد اتخذ الاسلام بالنسبة الى العمل والترغيب البالغ المحتم فيه، موقفاً حاسماً حافزاً يوفّي الموضوع حقه، ويتمتع باصالة وتوجيه، كأبلغ ما تكون الاصالة والتوجيه .

ولعله يكفي للتدليل على هذا الموضوع، أن نتمعق في كلمات الامام المعلم، ابي عبدالله جعفر الصادق «ع»، حيث يشرح اسرار العمل الفردية والاجتماعية واهميته المختلفة، لتلميذه المفضل بن عمر الجعفي، في حديثٍ طويل، أوردنا مقاطع منه في الفصل، الفقرة «أ» .
ولأن نلقي ضوءاً على ما للعمل من الهمية في التصور الاسلامي، نشير الى جهات هامة تركز قيمة العمل وتجلي تأثيره الايجابي الوحيد في شتى مناحي حياة الانسان، وترغب الناس في تربيته والتفاعل معه :

- ١ - الجهة الطبيعية .
- ٢ - الجهة الانسانية الجسمية .
- ٣ - الجهة الانسانية الروحية .

- ٤ - الجهة الحياتية .
- ٥ - الجهة التربوية .
- ٦ - الجهة التعليمية .
- ٧ - الجهة الاخلاقية .
- ٨ - الجهة التكاملية .
- ٩ - الجهة الاجتماعية .
- ١٠ - الجهة البيئية .
- ١١ - الجهة الاقتصادية .
- ١٢ - الجهة التشريعية .
- ١٣ - الجهة الثقافية .
- ١٤ - الجهة السياسية .
- ١٥ - الجهة الدفاعية .
- ١٦ - الجهة الفنية .
- ١٧ - الجهة الصحية .
- ١٨ - الجهة التقدمية .
- ١٩ - الجهة الصناعية .
- ٢٠ - الجهة الرفاهية .

والى القارئ شرحاً مقتضباً لهذه الجهات :

شرح الجهات الهامة التي تركز قيمة العمل

١ - الجهة الطبيعية : إنَّ النواميس السائدة على الكون والخلق و المجتمع ، توجبُ العملَ وتحتّمه بالذات ، لِأَنَّ اخراجَ المواهبِ الطبيعيّة من القوّة الى الفعلية وإعدادها لاستفادة الانسان في حياته منها ، إنّما يحتاجُ

الى العمل، بل يتوقّف عليه في الاغلبِ رأساً؛ فكلُّ شيءٍ يقع في مُتناوَلِ
الإنسانِ لاستهلاكِهِ ليلَ نهار، إنّما يتِمُّ بفضلِ ما عمِلَ فيه .

٢- الجَهةُ الانسانيةُ الجسميّةُ: إنّ العملَ يُؤدّي كذلك الى خروجِ قُوَى
الانسانِ الجسميّةِ الى الفعليةِ، والى تقويمِ بدنه وفتلِ عَضَلاته، وبروزِ
مواهبهِ النَّظريّةِ لدى التفاعلِ مع الواقعِ في صُورٍ من العملِ والكُدِّ؛
فبهما يتقوى كيانُ الانسانِ العمليِّ، ويتجلّى نشاطهُ الصّامد، فتكْمَلُ قواه
وتتزايدُ . وهذا كما يقولُ الامامُ عليّ «ع»: «من يَعْمَلُ يَزِدُّ قُوَّةً، من يُفْصِرُ
في العملِ يَزِدُّ فَتْرَةً»^١.

في هذا الصّوء، إنّ تركَ العملِ بل التقليلَ منه، يُوجبُ الفتورَ
الجسميِّ فالروحيِّ . وعلى العكسِ منه، التوفّرُ على العملِ، فإنّه سببُ
يَخْرُجُ به قُوَى الانسانِ وقُدْرته الجسميّةُ الى الفعليةِ والظُّهورِ - كما مرَّ -
وبكلامٍ آخر، كما أنّ الانسانَ يَحْتَاجُ الى الغِذاءِ كذلك يَحْتَاجُ الى العملِ .
وإنّ العملَ للجسمِ الانسانيِّ كالماءِ للنباتِ .

٣- الجَهةُ الانسانيةُ الروحيّةُ: من الواضح، أنّ تأثيرَ العملِ في الكيانِ
الانسانيِّ بالتقويةِ والتنشيطِ لا ينحصرُ في الجَهةِ الجسميّةِ فقط، بل
يتعدّاهما الى الجَهةِ الروحيّةِ والمعنويّةِ، اذ العملُ يُصَفّي الروحَ ويَجَلّي
المواهبَ الباطنةَ ويصقلُ الضميرَ الانسانيِّ . وبالعملِ تُودَى الاعمالُ
والوظائفُ الدنيّةُ، فالانسانُ يَحْتَاجُ الى العملِ لا من جهةِ جسمه فقط، بل
من جهةِ روحه ايضاً . والعملُ يصنعُ روحَ الانسانِ ويشيدُ كيانه المعنويِّ .
والفراغُ والبطالةُ - بما لهما من الآثارِ السّلبيةِ - يمحَقانِ معنويّةَ الانسانِ
ويفينانها . ولقد عدَّ الامامُ الصّادقُ «ع» - فيما نقلناه - العملَ للانسانِ

١ - غرر الحكم / ٢٦٩ .

نظرة الى الفصل الرابع ..

واجباً تكوينياً وضرورةً طبيعياً وانشائيةً. وإنَّ تعبيره «كُلَّفَ»، يُفهم بوضوح، أنَّ العملَ وظيفةٌ جدِّيةٌ قد وَضَعَتْها حكمةُ العالمِ ونواميسُه على عاتقِ الانسان.

٤ - الجهةُ الحياتيةُ: إنَّ حياةَ الانسان على ظهرِ هذه السَّيارةِ وبقائه فيها، مع ما يَكْتَنِفُ الحياةَ الارضيةَ من النواميسِ والقوانينِ والملائماتِ والمضاداتِ، إِنَّمَا تحتاجُ الى العملِ، بل تقومُ به و تتوقَّفُ عليه. فلا حياةٌ لولا العملِ. فالعملُ ضرورةٌ حياتيةٌ قبلَ كلِّ شيءٍ. وهذه حقيقةٌ قائمةٌ ملموسةٌ لكلِّ احد، وقد قرَّرته حكمةُ العالمِ هكذا. وألهمَ الانسانُ القيامَ بتطبيقها لأنَّ يعيشَ ويدوم. ولقد اشار الامامُ الصادقُ «ع» في كلامه عن فلسفةِ العملِ والاشتغال، الى أنَّ العملَ يَصُونُ الانسانَ من التلفِ والبوارِ والفناءِ.

٥ - الجهةُ التربويةُ: يُؤدِّي العملُ الى تفاعلِ الانسانِ مع الطبيعةِ ولمسِ قوانينِها، لإثارةِ ما فيها من المواهبِ، والانصهارِ بما فيها من الرموزِ. فالانسانُ يتعاملُ مع الطبيعةِ ومظاهرها وظواهرها بعمله، والطبيعةُ كذلك تتعاملُ مع الانسانِ وتخلُقُ فيه آثاراً ايجابيةً جليلةً، تُربِّيه وتوسِّعُ آفاقَ وجوده وتجاربه. نعم، الانسانُ يُثَقِّفُ بمباشرةِ العملِ وتَمُو قواه الادراكيةُ في ميادينِ الكدِّ والاجتهادِ العمليِّ، مثلما يُثَقِّفُ وتَمُو قواه الادراكيةُ في ميادينِ الفكرِ والعلمِ.

٦ - الجهةُ التعليميةُ: يَكْشِفُ الانسانُ في أثناءِ العملِ والمباشرةِ ما لم يكنْ مكشوفاً له من قبل. فالعملُ مدرسةُ المعرفةِ والتجربةِ، لأنَّه يُعَلِّمُ

١ - البحار ٣ / ٨٦، مرَّ حديثه في الفصل.

الانسان ما لم يَعْلَمْ، وَيَرْفَعِ السُّتَارَ له عن التّواميسِ الحاكِمَةِ على الطَّبيعةِ، وَيُكُونُ له عقلاً عملياً جباراً يسيطرُ به على الآفاقِ، حيثُ يَفْتَحُ عينيه على الطَّبيعةِ وما فيها، وما يلزِمُ للاستمتاعِ بها وتسخيرها من المساعي الباهظةِ والادواتِ الدَّقِيقَةِ . وهناك يَنكشِفُ لدى الانسانِ ما في العالمِ من الصَّلَاتِ الثَّانَوِيَّةِ والاسرارِ المتشابهةِ، من التي ربما لا تَنكشِفُ بغيرِ العملِ .
ومن هنا نشاهدُ أنّ العلمَ الذي قد حَصَلَ للبشريَّةِ من العملِ والسَّعيِ المباشرِ، من سالفِ الايامِ الى العصرِ الحاضرِ، له شأنٌ لا يُستهانُ به، في حياةِ الانسانِ وتطويرها المُعجِبِ .

٧- الجَهَةُ الاخلاقيَّةُ: إنّ دورَ العملِ في اغناءِ الخلقِ الانسانيِّ وتهذيبه واضحٌ ايضاً، اذ العملُ مسؤوليَّةٌ، فَمَنْ شَعَرَ بتلكِ المسؤوليَّةِ واقدم على ادائها يَتَبَعِدُ عن العَطَالَةِ واللامبالاةِ، فَيَسْلَمُ من مفسدِ الفراغِ واضرارهِ واضرارِ الاشتغالِ بالعبثِ واللَّهو . وهنا تَتَفَتَّحُ فُؤادُ الاخلاقيَّةِ وتَهْتَدِبُ نَفْسُهُ الشَّاعِرَةُ بالمسؤوليَّةِ، السَّاعِيَةُ لتجسيدها. وإنَّ مَضْرَاتِ العَطْلَةِ والفراغِ الخُلقيَّةِ واضحةٌ . وهذا ما اشارَ اليه الامامُ الصَّادِقُ «ع» بقوله: «... وكان النَّاسُ ايضاً يَصِيرُونَ بالفراغِ الى غايةِ الاَشْرِ والبَطْرِ، حتى يَكْتُرُ الفسادُ وَيظْهَرُ الفواحشُ»^١. ولقد اشارَ الامامُ «ع» في مقطعٍ آخَرَ من هذا الكلامِ الى أنّ العملَ والاشتغالَ يُحَصِّنُ الانسانَ ضدَّ الاَشْرِ والبَطْرِ والتَّمَيُّعِ والسُّقُوطِ^٢.

٨- الجَهَةُ التَّكاملِيَّةُ: إنّ العملَ والسَّعيَ يَجْعَلانِ الانسانَ يَمْسُ واقعَ الحياةِ الارضيَّةِ، التي هي حركةٌ هادفةٌ (والحركةُ الهادفةُ متكاملةٌ بالطَّبعِ)، وَيُمْكِنانِهِ من أن يَتَّصِلَ بالطَّبيعةِ، اتَّصالَ التَّعاملِ، وأن يَأْنَسَ بها من كَتَبِ .

١ و ٢ - البحار ٣ / ٨٦ وما بعدها، مرَّ بعضُ هذا الكلامِ في الفصل .

وهذه مرحلة عظيمة في التجربة الانسانية والسير التكاملي . فكيف يتكامل انسان لا يعرف الطبيعة وابعادها الغامضة الاسرار، البعيدة الاغوار، ولا يعالج تلك الابعاد ولا يمارسها ولا يقف عليها مباشرة؟
فبالعمل يغوص الانسان في غمرات الطبيعة وبحار الحياة، ويغطس فيها ليستخرج منها انفس الاشياء واثمنها، وهو انصهاره بروح الحركة النشيطة المتجاوبة مع سائر ما في الوجود من كائن، في استهداف وسعي، فيصير بذلك جزءاً فعالاً هادفاً منسجماً مع سائر اجزاء العالم الفسيح ..
فيصعد في سلم التكامل المنشود . وهذا مالا تصل اليه ايدي العاطلين والبطالين والفارغين والعابثين واللاهين، اذ العبت واللهو يفضل الانسان عن الواقعية والحياة، ويحجبه عن حقائق الطبيعة ومضمون الزمن . فالانسان العاطل يلمس البعد عن الواقع باليد، ويستنكر الموضوعيات الحياتية، ويحرم من التفاعل معها ولا يجاوبها ولا ينصهر بروحها .

٩ - الجهة الاجتماعية : نجد من الجانب الاجتماعي ايضاً ان العمل ضرورة اجتماعية، لا يمكن اهمالها، ولا تحمد عقبى التخلي عنها، فواجب كل فرد من افراد المجتمع ان يشتغل بعمل، وان يشارك الناس في تأمين حاجات الناس - وهو منهم - وان يسعى تماماً لان يطور ملامح الحياة بانتاج . فالعامل يفيد المجتمع بعمله وانتاجه، ويستفيد من السائرين باعمالهم وانتاجهم، فهو منتج متاعاً ومستهلك متاعاً، فيتعامل مع الناس، يعطي لقسم منهم ويأخذ من قسم آخر . وبذلك يخرج من الركود والسكون والاهمال واحساس الغربة والبعد عن الناس الى الحركة والنشاط والكد والتألف، فلا يكون ملقياً كله على الناس، ولا يكون منفصلاً منهم، بل يكون مشاركهم في دفع عجلة الحياة الاجتماعية الى الامام . وهذا الانسان يحس بالامل، وينظر الى المستقبل نظر امل نشيط،

وَيَتَخَلَّصُ مِنْ مَخَالِبِ الْيَأْسِ وَالْإِهْمَالِ وَالْعَبَثِ وَالتَّكْرَارِ الْمُمِلِّ الْمُزْعِجِ،
وسائر ما هنالك من سلبيات الفراغ ومفاسده . وهذا ما يُشيرُ إليه الامامُ
الصّادق «ع» بقوله : «وهكذا الانسان لو خلا من الشغل، لخرج من الاشر
والعبث والبطر الى ما يعظمُ ضرره عليه وعلى مَنْ قَرَبَ منه؛ واعتبر ذلك
بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترّفه والكفاية، وما يُخرجه ذلك
اليه» .

١٠- الجهة البيئية: من أهم آثار العمل الايجابية، إخضاع النفس
لتكاليفه، فيعمل الانسان ولا يأبى عنه. وعند ذلك يجد نفسه مُفيداً لنفسه
ولعائلته، مُعززاً في بيئته، حيث لا يجدّه الاقرباء والاصدقاء فارغاً كسلاً،
بل يجدونه كاداً ساعياً مُجداً، قد وضع المسؤولية على عاتقه كانسان ملتزم،
ويشارك العائلة والبيئة في تأمين الحاجيات وتطوير العيش وتغييرها، ولا
يُجانِبُ الساعين والملتزمين بوجهه، فهو عزيز كسائر الاعزاء، مفيد مُثمر
كما ينبغي لأي فرد أن يكون . وهذه الحالة إنما تحصل بفضل ما يقوم به
الانسان من العمل واداء ما عليه من الواجب . فيعدُّ حاجياته بنفسه،
وحاجيات عائلته وغيرها، ويدفعُ بذلك عن نفسه الفقر ودلّه، فيحصنُ
جانِبَ شخصيته عن اي وهنٍ او ازدياء، ويتمتع من رضا الخالق - جلَّ
اسمه - وتوقير المخلوق، واطمينان النفس وسكينة الضمير .

١١- الجهة الاقتصادية: لعل هذه الجهة - من الجهات التي تجسّد امامنا
اهمية العمل - لا تحتاج الى ايضاح، لانها من اجلى الواضحات .
فالاقتصاد يقوم على التصرف في الطبيعة وما لها من الموارد . وهذا لا
لايتسنى الا بالعمل . فالعمل للاقتصاد كالعماد للبيت، فكما انه لا بيت

بلاعماد، فكذلك لا اقتصاد بلا عمل. ولا فرق هنا بين الاقتصاد الفردي والمجتمعي؛ فعلى الانسان أن يكون ذا عملٍ وشغلٍ، بصورة تؤمن حاجاته وحاجات مجتمعه، وتزيد على ثروات أمته. ولذلك قد جعل الله للناس القدرة على العمل، و«رَكَّبَ فِيهِم آيَاتِ الْبَسْطِ، وَجَعَلَ لَهُمْ آدَوَاتِ الْقَبْضِ، وَمَتَّعَهُمْ بِأَرْوَاحِ الْحَيَاةِ، وَأَثَبَتْ فِيهِمْ جَوَارِحَ الْأَعْمَالِ...»^١ - على حدّ تعبير مولانا الامام عليّ بن الحسين السّجّاد «ع» - وطبّعهم على الشّوق الى السّعي والكّد، ومنحهم الفكر الهادي والباعث على العمل (والفكر مرآة صافية)^٢، وجعل الارض وما فيها وما عليها بحيث يتيسر للانسان العمل فيها، فلا عذر للانسان في ترك العمل والاشتغال، والقائه الكلّ على الآخرين. ولقد لعن الاسلام من القى كله على الناس، وكان وبالا على الاقتصاد الاجتماعي والاموال العامة، مُسْتَمْتِعاً بِكُدُودِ الْآخَرِينَ. وَحَتَمَ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ أَنْ يَقُومَ بِعَمَلٍ وَشُغْلٍ، سَاعِيًا، جَادًّا، مُلْتَمِزًا، أَمِينًا، مُتَقِينًا، حَتَّى تَدُورَ عَجَلَةُ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ بِصُورَةِ التَّعَاوُنِ وَالتَّوَاتُؤِ، وَيَجْنِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ ثَمَارَ عَمَلِهِ، لَا أَعْمَالَ غَيْرِهِ فَقَطْ، وَتَكُونُ جَنَاحَ كُلِّ يَدٍ لِفِيهَا.

١٢ - الجهة التشريعية: لقد أشرنا في البحوث السالفة الى أنّ النظام التشريعي مبني على النظام التكويني متجاوب معه، وأنّ الاحكام الالهية التشريعية، تتجه نحو ما تتجه اليه النواميس الالهية التكوينية والفطرية، من جميع الجوانب، كالسداد والدقة والنظم والانسجام. ومن هنا فإنّ مستوى العمل واهميته في التشريع هو مستواه واهميته في النظام التكويني. ولا جلّ ذلك فقد أكدّ الشارح على العمل واهميته وأوضح

١ - الصحيفة السجادية / ٣٦ (الدعاء ١)، مرّ المقطع في الفصل.

٢ - نهج البلاغة / ١٠٩٠ و ١٢٥٦: عبده ٣ / ١٥٢ و ٢٣٩.

حِكْمَه ورموزَه وفوائده، ودعا الى مُنْشَطَاتِ العملِ وَرَدَعَ عن مُثَبِّطَاتِهِ .
ومن اهمّ ما ألقاه الشارح الاسلامي ترغيباً في العملِ و تشجيعاً عليه، هو
التصريح بأنّ الفارغ والعاطل لا تُستجابُ لهما دعوة . قال النبي «ص»:
«إِنَّ أَصْنَافاً مِنْ أُمَّتِي لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعَاؤُهُمْ .. وَرَجُلٌ يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ
وَيَقُولُ: يَا رَبِّ ارْزُقْنِي». سيأتي الحديث في الفصل القادم .

١٣ - الجهة الثقافية: إن الثقافة فكرٌ وعملٌ وعملٌ وفكرٌ . فلا ثقافة
ناضجة بدون العمل، كما أنه لا ثقافة واعية بدون الفكر . وهذا واضح . فأي
قومٍ وُجِدُوا في العالمِ قد تَمَتَّعُوا من ثقافةٍ راقية، من دون أن يكونوا اهل
العملِ والمثابرة والسعي؟ فالشعبُ اذا كان افراده عاملين ساعين - كلُّ
في حقلهم - ممارسين لاداء ما عليهم من الواجب العملي، بحيث يُعدون
الشغلَ والعملَ التزاماً، وَيَجْتَنِبُونَ كُلَّ عَثِّ او اهمالٍ او كسلٍ، ولا يُوجدُ
فيه أناسٌ عابثون فارغون، فإن ذلك يُؤدّي الى رُسده الثقافي ايضاً، و
يَسْتَتِيعُ نَضْجاً ثقافياً عملياً، تنبع منه اسبابُ التّقدّم، وتترسّخ فيه
عناصرُ النّباهة والالتزام، بخلاف ما اذا كان الاهمالُ والتعطلُ سائدين في
شعبٍ، وكان تركُّ الالتزامِ العمليِّ امراً هيناً عند افرادِه .

١٤ - الجهة السياسيّة: يحوي العملُ من الجانبِ السياسيِّ ايضاً اهميةً
كبرى، فإنّ الناسَ اذا كانوا ملتزمين بالعمل، آخذين انفسهم به باستمرارٍ،
مستظهرين بروح الكدّ والسعي والممارسة، يُطَوَّرُونَ المجتمعَ الى الغنى
والاكتفاء الذاتي، ولا سيما اذا قاموا بايفاء العملِ حقّه، مع رعاية السّلامة
والإتقان، ومع تبني الاختصاص، والتوفّر على الامانة، وحسن السّمعة،
والمثابرة على التطوير والتحديث والتّقدّم، في اعمالهم ونتاجاتهم
وصناعاتهم .

من المعلوم، أنّ هذه الحالة تُجرب المجتمع الى الامام، وتُحسن الوضع السياسي، خصوصاً لدى الاجانب؛ فتكون سبباً وحافزاً لتقدم القوم على المستوى العالميّ بِسْمَعَةٍ حسنةٍ وكيانٍ مصون .

١٥- الجهة الدفاعية: إنّ الذي قلناه في الجهة السابقة يجري هنا ايضاً. اذ لا شك في أنّ الحركات والاعمال الدفاعية لا تصدر عن قوم لاهين فارغين عاطلين، ذوي اراداتٍ واهيةٍ وابدانٍ هزيلة . فالجد الذي يقتضيه الدفاع عن البلد والدين والعرض والاموال والمواريث، لا يقوم الا على العزائم الراسخة والسواعد المفتولة، التي صقلها العمل و سددها. والدفاع يقوم عمدة امره على اساس اقتصاد المجتمع وكيفيته . وذلك لواقعين هاميين :

١- القوّات الدفاعية؛ إنّ تلك القوّات - ولا بدّ من أنّ تكون مسلحة - تحتاج الى ادوات الدفاع وآلاته الدقيقة والرصينة والغالية - ولا سيما الحديثة منها - وكلّ ذلك لا يحصل الا بالعمل والانتاج، خصوصاً في المصانع العسكرية .

٢ - الاقتصاد المستقلّ؛ إنّ بنية المجتمع الاقتصادية هي التي تُحصنه ضدّ الهجمات المعادية، وهي تُعدّ من أهمّ قدرات ايّ مجتمع من المجتمعات وايّ بلدٍ من البلاد، وليست الا حصيلة السعي والعمل الجادّ والانتاج المُستمرّ الرّاقى في مختلف الحقول - كما هو واضح .

١٦- الجهة الفنيّة: إنّ الفنّ ايضاً عملٌ، كما أنّ العمل فنٌّ من وجه . ومما لا شك فيه أنّ الفنّ يُطوّر الحياة الانسانية ويوجّهها توجيهاً . ولا فرق في ذلك بين الحياة المادية والمعنوية، والفردية والاجتماعية، والسياسية

والتقافية وما الى ذلك . وهل يحصل فنٌّ او ينضج بدون العمل؟ فالفنُّ يحصل من العمل، كما انه يدعو الى العمل ثانياً . وتفاعل الفن هذا مع الروح البشرية هو جوهر الفن وسره . فمن الصحيح ان نقول ان الفن جوهر العمل، كما ان العمل مفتاح الفن . فاي فنّان وصل الى تحسين فنّه وانضاجه بدون ان يعمل ليل نهار، وان يكدح مع شروق الشمس الى غروبها، في الليل المرخي سدوله . فالعمل بوصفه شغلاً وممارسة، امرٌ لا بد منه في كل شيء من مظاهر العيش الانساني، وله آثار في تبلورات روجه .

١٧- الجهة الصحيّة: ومما يحصل من العمل ويستفاد منه ومن ادامته هي الصّحة البدنيّة، كما ان الصّحة العامّة ايضاً تتوقّف على عمل العاملين في حقلها من الأطباء ومساعديهم والمطبّبين والمطبّبات وسائر من يعمل في المستشفيات والصيّدليات وما اليها .. فصّحة الجسم الانساني وقوام قواه وتوازنه وتناسب اعضائه منوطه بالعمل، وكذلك صّحة المجتمع تتوقّف على اعمال كثيرين ممن ذكروا .

١٨- الجهة التقدّميّة: لقد مرّت اشارة الى هذه الجهة في سالف القول في هذه النظرة. ان تقدّم المجتمعات والبيئات إنّما ينشأ من العمل الجاد وينبع منه . ان الحافز الذي يوجب تعالي الانسان واكتمال حياته وعيشه، ويميّز حياته عن سائر الحيوانات، هو من حيث الاساس، هذا الفكر الجوال الذي اعطاه الله سبحانه، وهذه اليد العاملة، والصّلة القويمة بين العمل الفكري واليدوي؛ فالانسان قادر على ان يسخر الطبيعة بهاتين الاداتين، يعني ان يفكر أولاً، ثم يعمل وينفذ فكره ويجسّده، فيصل الى

نظرة الى الفصل الرابع ..

مُبْتَغَاهُ مِنْ تَعْبِيدِ الطَّبِيعَةِ وَنَوَامِيسِهَا لِمَا يُرِيدُهُ مِنْهَا .
وَتَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْاِخْتِرَاعَاتُ وَالْكَشُوفُ الَّتِي أَوْجَدَتِ الْحَضَارَاتِ
الْبَشَرِيَّةَ السَّالِفَةَ وَالْمَعَاصِرَةَ . وَلَعَلَّ الْعَمَلَ الْفِكْرِيَّ وَالْيَدَوِيَّ الْجَادَّ هُوَ
الَّذِي يُوْطِدُ السَّبِيلَ لِلْحَضَارَاتِ الطَّالِعَةِ اَيْضاً ، لِأَنَّ الْاِنْسَانَ يُفَكِّرُ وَيُمَارِسُ
وَيَعْمَلُ ، وَيَتَوَفَّرُ عَلَى تَجَارِبَ وَنَتَائِجَ ، فَيَسْتَخْلِصُهَا وَيَنْقُلُهَا إِلَى الطَّالِعِينَ
وَالْمُقْبِلِينَ . وَبِهَذَا الْاِسْلُوبِ تَتَقَدَّمُ حَيَاةُ الْاِنْسَانِ وَتَقَعُ فِي مَسِيرَةِ التَّكَامُلِ
الْمُسْتَمِرِّ .

١٩ - الْجَهَّةُ الصَّنَاعِيَّةُ : مِنَ الْوَاضِحِ اللَّاحِبِ ، أَنَّ الْعَمَلَ رَكْنٌ اِسَاسِيٌّ
مِنْ اِرْكَانِ الصَّنَاعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ . فَالصَّنَاعَاتُ كَانَتْ مِنْ اِقْدَامِ الْعَصُورِ
التَّارِيخِيَّةِ نَابِعَةً مِنْ اَعْمَالِ الْمَفَكِّرِينَ وَالْعَامِلِينَ وَالصَّنَاعِ . وَالْيَوْمَ اَيْضاً
يَكْفِي لِلْوُقُوفِ عَلَى اَهْمِيَّةِ الْعَمَلِ فِي الصَّنَاعَاتِ وَدَوْرِهِ الْحَيَاتِيِّ فِي
الْمَجْتَمَعِ الْاِنْسَانِيِّ ، أَنْ نَنْظُرَ إِلَى الْمَعَامِلِ وَالْمَصْنَعِ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ
فِي مَخْتَلَفِ اَنْحَاءِ الْعَالَمِ ، وَمَا لِعَمَلِ الْعَامِلِينَ فِيهَا مِنْ دَوْرٍ كَبِيرِ .

٢٠ - الْجَهَّةُ الرَّفَاهِيَّةُ : إِنَّ رِفَاهِيَّةَ الْعَيْشِ الْحَاصِلَةَ لِأَيِّ شَعْبٍ اَوْ بَلَدٍ ، اِنَّمَا
حَصَلَتْ لَهُمْ بِفَضْلِ مَا قَامُوا بِهَا مِنْ اَعْمَالٍ . فَالرَّفَاهُ بِجَمِيعِ صُورِهِ وَفِي
جَمِيعِ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ ، اِنَّمَا هُوَ نَتِيجَةُ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ . وَالَّذِي اَبْدَاهُ
الْمَفَكَّرُونَ وَعِلْمَاءُ الصَّنَاعَاتِ ، مِنْ الْاَدْوَاتِ الرَّفَاهِيَّةِ الَّتِي اَخْتَرَعُوهَا ، اِنَّمَا
تَحَقَّقُ اَصْلُهُ وَلَعِبَ دَوْرَهُ ، بَعْدَ اَعْمَالٍ مُسْتَمِرَّةٍ - كَمَا هُوَ وَاضِحٌ .
ثُمَّ إِنَّ الرَّفَاهَ الْفَرْدِيَّ قَائِمٌ بِالْعَمَلِ اَيْضاً ، فَالْفَرْدُ الْفَارِغُ وَالْعَاظِلُ كَيْفَ
يَسْعُهُ أَنْ يُوسِّعَ عَلَى نَفْسِهِ اَوْ ذَوِيهِ ، لَوْلَا قِيَامُهُ بِالسَّعْيِ وَتَوَفُّرُهُ عَلَى مَا
يُرْوَمُهُ .

الفصل الخامس

العمل والعمالة، ودورهما الرئيسي في البناء الاقتصادي (٢)

أ - تقسيم الوقت

الكتاب

١ الله الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا، إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ، لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ *^١

الحديث

١ الامام علي «ع»: لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ، فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَرْمِي مَعَاشَهُ، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمَلُ^٢.

٢ الامام الصادق «ع»: فَكَّرْ يَا مُفَضَّلُ! فِي مَقَادِيرِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، كَيْفَ وَقَعْتَ

١ - سورة غافر (٤٠): ٦١؛ اقرأ أيضاً: سورة يونس (١٠): ٦٧، وسورة التمل (٢٧): ٨٦.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٧١؛ عبده ٣ / ٢٤٨.

على ما فيه صلاح هذا الخلق، فصار مُنتَهَى كُلِّ واحدٍ منهما إِذَا أَمْتَدَّ الى خمسَ عَشْرَةَ سَاعَةً لَا يُجَاوِزُ ذَلِكَ . افرأيتَ لو كان النَّهَارُ يَكُونُ مَقْدَارُهُ مِئَةَ سَاعَةٍ أَوْ مِئَتَيْ سَاعَةٍ، أَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ بَوَارُ كُلِّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ؟ أَمَّا الحَيَوَانُ فَكَانَ لَا يَهْدَأُ وَلَا يَقْرُّ طَوَلَ هَذِهِ المَدَّةِ، وَلَا البِهَائِمُ كَانَتْ تُمَسِكُ عَنِ الرِّعِيِّ لَو دَامَ لَهَا ضَوْءُ النَّهَارِ، وَلَا الأِنْسَانُ كَانَ يَقْتَرُّ عَنِ العَمَلِ وَالحَرَكَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبْهَلُكُهَا أَجْمَعُ وَيُؤَدِّي الى التَّلْفِ ..^١

٣ الامام الصادق «ع» : .. رَبِمَا أَحْتَاجَ النَّاسُ الى العَمَلِ بالليلِ، لضيقِ الوَقْتِ عَلَيْهِمْ فِي تَقْصِي الأَعْمَالِ بالنَّهَارِ، أَوْ لشدَّةِ الحَرِّ وَافراطِهِ ..^٢

* إِنَّ هَذَا التَّعْلِيمَ يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَّةِ رِعَايَةِ الوَقْتِ وَالاستفادَةِ الصَّحِيحَةِ المُناسِبَةِ مِنْهُ، نَهَاراً كَانَ أَوْ لَيْلاً، إِذَا اقْتَضَتِ الحِكْمَةُ العَمَلِيَّةُ ذَلِكَ .

٤ الامام الصادق «ع» : مَنْ بَاتَ سَاهِراً فِي كَسْبٍ وَلَمْ يُعْطِ العَيْنَ حَقَّهَا (حَظَّهَا - خ ل) مِنَ النَّوْمِ، فَكَسَبَهُ ذَلِكَ حَرَامٌ.^٣

٥ الامام الصادق «ع» : الصُّنَاعُ إِذَا سَهَرُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَهِيَ سُحْتٌ.^٤

* هَذَانِ التَّعْلِيمَانِ يُرْشِدَانِ الى رِعَايَةِ الحَدِّ وَتَجَنُّبِ الإفراطِ المُضَرِّ، وَحَفِظِ الصَّحَّةِ البَدَنِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَهَمُّ .

١ - البحار ٣ / ١١٨ .

٢ - البحار ٣ / ١١٣ .

٣ و ٤ - الوسائل ١٢ / ١١٨ .

ب - تقسيم العمل

- ١ الامام علي «ع» - من وصيّة كَتَبَهَا الى ابْنِهِ الحسن «ع» بحاضرين، منصرفاً من صِفَيْنِ : .. اجْعَلْ لِكُلِّ انْسانٍ من خَدَمِكَ عملاً تَأْخُذُهُ به، فَإِنَّه آخِرُى أَنْ لا يَتَوَكَّلُوا في خَدَمَتِكَ ١.

ج - العمل ودوره في مطاردة الفقر

الكتاب

- ١ وجَعَلْنَا فيها جَنّاتٍ من نَخيلٍ وَاَعْنابٍ، وَفَجَّرْنَا فيها مِنَ العُيُونِ * لِيَأْكُلُوا من ثَمَرِهِ وما عَمِلَتْهُ اَيْدِيهِمْ ٢.

الحديث

- ١ النبي «ص»: لو أنّ رجلاً اخَذَ حَبْلاً فَيَأْتِي بِحَزْمَةِ حَطَبٍ على ظَهْرِهِ، فَيَبِيعُهَا فَيَكْفُفُ بها وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ من أَنْ يَسْأَلَ ٣.

١ - نهج البلاغة / ٩٣٩: عبده ٣ / ٦٣: تحف العقول / ٦٢.

٢ - سورة يس (٣٦): ٣٤ - ٣٥.

٣ - الوسائل ٦ / ٣١٠.

٢ النبي «ص»: إذا أَعَسَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُخْرِجْ، وَلَا يَغْمِ نَفْسَهُ وَاهْلَهُ.

٣ النبي «ص» - أَصَابَ انصَارِيًّا حَاجَةً، فَأَخْبَرَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ «ص»، فَقَالَ: «إِيَّتِي بِمَا فِي مَنْزِلِكَ وَلَا تُحَقِّرْ شَيْئًا»، فَاتَاهُ بِجِلْسٍ وَقَدَحٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: «مَنْ يَشْتَرِيهِمَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ: هُمَا عَلَيَّ بِدَرْهَمٍ. فَقَالَ: «مَنْ يَزِيدُ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: هُمَا عَلَيَّ بِدَرْهَمَيْنِ؟ فَقَالَ: «هَمَالِكُ». فَقَالَ: «إِبتَعْ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا لِأَهْلِكَ، وَابْتَعْ بِالْآخِرِ فِئَاسًا». فَاتَاهُ بِفِئَاسٍ، فَقَالَ «ص»: «مَنْ عِنْدَهُ نِصَابٌ لِهَذِهِ الْفِئَاسِ؟» فَقَالَ أَحَدُهُمَا: عِنْدِي. فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ «ص» فَأَثَبَتْهُ بِيَدِهِ وَقَالَ: «إِذْهَبْ فَاحْتَطِبْ، وَلَا تُحَقِّرَنَّ شَوْكًا وَلَا رَطْبًا وَلَا يَابِسًا». ففعل ذلك خمسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، فَاتَاهُ وَقَدْ حَسُنَتْ حَالُهُ. فَقَالَ «ص»: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَجِيءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي وَجْهِكَ كُدُوحُ الصَّدَقَةِ»^٢.

٤ الامام الصادق «ع» - ابو عمارة الطَّيَّار قال : قلتُ لا بي عبدِ الله «ع»: إنِّي قد ذهب مالي وتفرَّق ما في يدي وِعِيَالِي كثير. فقال له ابو عبدِ الله «ع»: «إِذَا قَدِمْتَ الْكُوفَةَ فَافْتَحْ بَابَ حَانُوتِكَ وَأَبْسُطْ بِسَاطِكَ وَضَعْ مِيزَانَكَ وَتَعَرَّضْ لِرِزْقِ رَبِّكَ». فَلَمَّا أَنْ قَدِمَ الْكُوفَةَ فَتَحَ بَابَ حَانُوتِهِ وَبَسَطَ بِسَاطَهُ وَوَضَعَ مِيزَانَهُ. قَالَ: فَتَعَجَّبَ مَنْ حَوْلَهُ بِأَن لَيْسَ فِي بَيْتِهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَتَاعِ وَلَا عِنْدَهُ شَيْءٌ. قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: اشْتَرِ لِي ثَوْبًا. قَالَ: فَاشْتَرَى لَهُ وَأَخَذَ ثَمَنَهُ وَصَارَ الثَّمَنُ إِلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَهُ آخَرٌ فَقَالَ لَهُ: اشْتَرِ لِي ثَوْبًا. قَالَ: فَطَلَبَ لَهُ فِي السُّوقِ ثُمَّ اشْتَرَى لَهُ ثَوْبًا فَأَخَذَ ثَمَنَهُ فَصَارَ فِي يَدِهِ .. فَجَعَلَ يَشْتَرِي وَيَبِيعُ حَتَّى أَثْرَى^٣.

١ - الوسائل ١٢ / ١٢.

٢ - البحار ١٠٣ / ١٠، عن كتاب «مجموعه ورام».

٣ - الكافي ٥ / ٣٠٤ - ٣٠٥.

* قال شيخنا الشهيد الأوّل في «الدروس»: «يَسْتَحِبُّ
التَّعَرُّضُ لِلرِّزْقِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِضَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، فَيَفْتَحُ بَابَهُ وَيَبْسُطُ
بَسَاطَةً..»^١.

٥ الامام الصادق «ع» - قال راوي الحديث: قال ابو عبدالله «ع»: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ
رَجُلًا دَخَلَ بَيْتَهُ وَأَغْلَقَ بَابَهُ، أَكَانَ يَسْقُطُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ السَّمَاءِ؟»^٢

د - العمل ودوره في صيانة الدين

- ١ الامام الباقر «ع»: الكَسَلُ يَضُرُّ بِالْدِّينِ وَالْدُّنْيَا.^٣
- ٢ الامام الصادق «ع»: لَا تَدْعُ طَلِبَ الرِّزْقِ مِنْ جِلِّهِ، فَإِنَّهُ عَوْنُ لَكَ عَلَى
دِينِكَ..^٤

هـ - السعي والمثابرة في العمل

- ١ الامام الصادق «ع»: اِقْرَأُوا مِنْ لَقِيْتُمْ مِنْ اصْحَابِكُمْ السَّلَامَ، وَقُولُوا لَهُمْ: إِنَّ
فُلَانَ بَنَ فُلَانَ (جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ) يَقْرَأُكُمْ السَّلَامَ؛ وَقُولُوا لَهُمْ: عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا يُنَالُ بِهِ مَا عِنْدَ اللَّهِ. إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمُرُّكُمْ إِلَّا بِمَا نَأْمُرُ بِهِ
أَنْفُسَنَا، فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ. وَإِذَا صَلَّيْتُمْ الصُّبْحَ وَأَنْصَرَفْتُمْ فَبَكُّرُوا فِي

١- الكافي ٥ / ٣٠٤، من التعاليق.

٢- الكافي ٥ / ٧٨.

٣- تحف العقول / ٢١٩.

٤- امالي الطوسي / ١ / ١٩٦.

طلب الرزق، وأطلبوا الحلال، فإن الله عز وجل يرزقكم ويعينكم عليه ١.

و- الاغتراب في طلب الرزق والتماس العمل

الكتاب

١ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا، فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا، وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ .. ٢

٢ .. وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ، يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ .. ٣

٣ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ .. ٤

الحديث

١ الامام الصادق «ع» : إن الله - تبارك وتعالى - ليجب الاغتراب في طلب الرزق . ٥

٢ الامام الصادق «ع» : .. لعل من ينكر هذه الفلوات الخالية والقفار الموحشة يقول : ما المنفعة فيها؟ فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها ومرعاها، ثم

١ - الكافي ٥ / ٧٨ - ٧٩ .

٢ - سورة الملوك (٦٧) : ١٥ .

٣ - سورة المزمل (٧٣) : ٢٠ .

٤ - سورة الجاثية (٤٥) : ١٢ .

٥ - الوسائل ١٢ / ٥٠ .

فيها بعد مَنَّفَسٌ ومُضْطَرَبٌ للنَّاسِ، إِذَا احْتَأَجُّوا إِلَى الاستبدالِ باوطانِهِمْ. وكم ببداءٍ وكم فَدْفِدٍ حَالَتْ قُصُوراً وَجِنَاناً، بانتقالِ النَّاسِ إِلَيْهَا وحُلُولِهِمْ فِيهَا. ولولا سَعَةُ الارضِ وَفُسْحَتُهَا لكان النَّاسُ كَمَن هُوَ فِي حِصَارٍ ضَيِّقٍ لَا يَجِدُ مندوحةً عن وطنِهِ، إِذَا أَحْزَنَهُ امرٌ يَضْطَرُّهُ إِلَى الانتقالِ عَنْهُ ..

٣ الامام الصادق «ع»: إِنِّي أَرْكَبُ فِي الْحَاجَةِ الَّتِي كَفَاهَا اللَّهُ، مَا أَرْكَبُ فِيهَا إِلَّا التَّماسَ أَنْ يَرَانِي اللَّهُ أَضْحِي فِي طَلَبِ الْحَلالِ؛ أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»؟ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ بَيْتًا وَطِينَ عَلَيْهِ بَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: رِزْقِي يَنْزِلُ عَلَيَّ مِنَ السَّمَاءِ .. أَمَا إِنَّهُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعْوَةٌ .. ٢

٤ الامام الرضا «ع» - البَزَنْطِيُّ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْكُوفَةَ قَدْ نَبَتْ بِي وَالْمَعَاشَ بِهَا ضَيِّقٌ، وَإِنَّمَا كَانَ مَعِاشُنَا بِبَغْدَادَ، وَهَذَا الْجَبَلُ قَدْ فُتِحَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ بَابُ رِزْقٍ. فَقَالَ: إِنْ أَرَدْتَ الْخُرُوجَ فَأَخْرُجْ، فَإِنَّهَا سَنَةٌ مُضْطَرِبَةٌ. وَلَيْسَ لِلنَّاسِ بَدٌّ مِنْ طَلَبِ مَعِاشِهِمْ، فَلاتَدَعِ الطَّلَبَ ٣.

ز - لا يستجاب دعاء الفارغ والعاطل

١ النبي «ص»: إِنْ اصْنَفًا مِنْ أُمَّتِي لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعَاؤُهُمْ .. وَرَجُلٌ يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ وَيَقُولُ: يَا رَبِّ ارْزُقْنِي! وَلَا يَخْرُجُ وَلَا يَطْلُبُ الرِّزْقَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: عَبْدِي أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ السَّبِيلَ إِلَى الطَّلَبِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْأَرْضِ

١ - البحار ٦٠ / ٨٦.

٢ - عُدَّة الداعي / ٨١ - ٨٢.

٣ - الوسائل ١٢ / ١٨.

بجوارحٍ صحيحةٍ .. ١

٢ الامام الصادق «ع» - عليُّ بنُ عبدِ العزيز قال : قال ابو عبدِ الله «ع» : ما فعَل عمرُ بنُ مسلمٍ؟ قلت : جُعِلْتُ فِدَاكَ! اقبل على العبادةِ وتركِ التِّجارةِ . فقال : وَيَحَهُ، اَمَا عَلِمَ اَنْ تاركَ الطَّلِبِ لَا يُسْتَجَابُ لَهُ . اِنَّ قومًا من اصحابِ رسولِ الله «ص» لَمَّا نَزَلَتْ : «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»، اَغْلَقُوا الابوابَ، واَقْبَلُوا على العبادةِ وقالوا : قد كُفِينَا . فَبَلَغَ ذلكَ النَّبِيُّ «ص» فَارْسَلَ اليهِم، فقال : ما حَمَلَكُم على ما صَنَعْتُمْ؟ قالوا : يا رسولَ الله! تُكْفَلُ لَنَا بارزاقِنَا فاقْبَلْنَا على العبادةِ . فقال : اِنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذلكَ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ، عَلَيْكُم بِالطَّلِبِ . ٢

٣ الامام الصادق «ع» - عمرُ بنُ يزيد قال : قلتُ لابي عبدِ الله «ع» : رجلٌ قال، لَأَقْعُدَنَّ فِي بَيْتِي وَلَا صَلِّيَنَّ وَلَا صُومَنَّ وَلَا عَبُدَنَّ رَبِّي، فَاَمَّا رِزْقِي فَسَيَأْتِينِي؛ فقال ابو عبدِ الله «ع» : هذا احدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِيْنَ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ . ٣

ح - الانبياء والاصياء والعمل

الكتاب

١ وما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى * قال : هِيَ عَصَايَ اَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا، وَاَهْشُ بِهَا على

١ - الوسائل ١٢ / ١٥ .

٢ - الكافي ٥ / ٨٤ .

٣ - الوسائل ١٢ / ١٤ .

- غَنَمِي، وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى *^١
- ٢ قال: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ، عَلَى أَنْ تَأْجِرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ،
فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
مِنَ الصَّالِحِينَ *^٢
- ٣ وَعَلَّمَنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ، لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ، فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الباقر: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، حِينَ أَهْبَطَ
آدَمَ «ع» مِنَ الْجَنَّةِ، أَمَرَهُ أَنْ يَحْرُثَ بِيَدِهِ، فَيَأْكُلَ مِنْ كَدِّهَا، بَعْدَ نَعِيمِ
الْجَنَّةِ *^٤
- ٢ الامام علي «ع»: أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ «ع»، إِنَّكَ نَعِمَ الْعَبْدَ، لَوْلَا أَنَّكَ
تَأْكُلُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَلَا تَعْمَلُ بِيَدِكَ شَيْئًا. قَالَ: فَبَكَى دَاوُدَ «ع» أَرْبَعِينَ
صَبَاحًا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحَدِيدِ أَنْ: لِيَنَّ لِعَبْدِي دَاوُدَ. فَلَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
لَهُ الْحَدِيدَ، فَكَانَ يَعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ دِرْعًا فَيَبِيعُهَا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ. فَعَمِلَ ثَلَاثَ مِئَةِ
وَسْتِينَ دِرْعًا، فَبَاعَهَا بِثَلَاثِ مِئَةِ وَسْتِينَ أَلْفًا، وَأَسْتَغْنَى عَنِ بَيْتِ الْمَالِ *^٥

١ - سورة طه (٢٠): ١٧ - ١٨.

٢ - سورة القصص (٢٨): ٢٧.

٣ - سورة الانبياء (٢١): ٨٠.

٤ - المستدرک ٢ / ٤١٧.

٥ - الكافي ٥ / ٧٤.

* وجاء في الاحاديث : «ان سليمان بن داود «ع» كان قوته من سفائف الخوص، يعملها بيده»^١.

٣ الامام علي «ع» - انه لما كان يفرغ من الجهاد، يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم، فاذا فرغ من ذلك اشتغل في حائط له، يعمل فيه بيده، وهو مع ذلك ذاكر الله جل جلاله^٢.

٤ الامام علي «ع» : جعت يوماً بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجت اطلب العمل في عوالي المدينة، فاذا انا بامرأة قد جمعت مدراً فظننتها تريد بله، فاتيها فقاطعتها عليه : كل ذنوب علي تمرة؛ فمددت ستة عشر ذنوباً حتى مجلت يداي، ثم اتيت الماء فاصبت منه، ثم اتيتها فقلت : بكفي هذا، بين يديها .. فعدت لي ستة عشرة تمرة؛ فاتي النبي «ص» فاخبرته فاكل معي منها^٣.

٥ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الصادق : كان امير المؤمنين «ع» يضرب بالمر ويستخرج الارضين .. وان امير المؤمنين «ع» اعتق الف مملوك من ماله وكد يده^٤.

٦ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الصادق : كان امير المؤمنين «ع» يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز^٥.

* وقد روي عن امير المؤمنين في ذلك نماذج كثيرة^٦.

١ - ارشاد القلوب / ١٥٧.

٢ - عُدَّة الداعي / ١٠١؛ المستدرک ٢ / ٤١٧ - ٤١٨.

٣ - كشف الغمّة ١ / ١٧٥ - ١٧٦.

٤ - الكافي ٥ / ٧٤.

٥ - الوسائل ١٢ / ٢٤.

٦ - راجع : الفصل ١٥، من الباب ٧، فقرة «هـ»، في الجزء الثاني.

- ٧ الامام الصادق «ع» - عبد الأعلى مولى آل سام قال: اسْتَقْبَلْتُ ابا-
عبدالله «ع» في بعض طُرُقِ المدينة، في يومٍ صائفٍ شديدِ الحرِّ، فقلتُ:
جُعِلْتُ فِدَاكَ! حَالُكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقِرَابَتُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ «ص»،
وانت تُجْهِدُ نَفْسَكَ (لنفسك - خ ل) في مثلِ هذا اليوم؟ فقال: يا
عبد الأعلى! خَرَجْتُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، لِاسْتِغْنِي بِهِ عَنِ مِثْلِكَ. ١
- ٨ الامام الصادق «ع» - ابو عمرو الشَّيباني قال: رَأَيْتُ ابا عَبْدِ اللَّهِ «ع» وَبِيدهِ
مِسْحَاةً، وَعَلَيْهِ اِزَارٌ غَلِيظٌ، يَعْْمَلُ فِي حَائِطٍ لَهُ، وَالْعَرَقُ يَتَّصِبُ عَنْ ظَهْرِهِ،
فقلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! اَعْطِنِي اَكْفِكَ. فقال لي: اِنِّي اُحِبُّ اَنْ يَتَّذَى الرَّجُلُ
بِحَرِّ الشَّمْسِ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ. ٢
- ٩ الامام الصادق «ع» - ابو بصير قال: سَمِعْتُ ابا عَبْدِ اللَّهِ «ع» يَقُولُ: اِنِّي
لَأَعْمَلُ فِي بَعْضِ ضِيَاعِي حَتَّى اَعْرَقَ، وَاِنْ لِي مَنْ يَكْفِينِي، لِيَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ اِنِّي اَطْلُبُ الرِّزْقَ الْحَلَالَ. ٣
- ١٠ الامام الكاظم «ع» - عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ ابيه قال: رَأَيْتُ ابا الْحَسَنِ «ع»
يَعْْمَلُ فِي اَرْضٍ لَهُ، قَدْ اسْتَنْقَعَتْ قَدَمَاهُ فِي الْعَرَقِ، فقلتُ له: جُعِلْتُ
فِدَاكَ، اَيْنَ الرَّجَالُ؟ فقال: يا عَلِيُّ! قَدْ عَمِلَ بِالْيَدِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي فِي
اَرْضِهِ وَمِنْ ابي. فقلتُ له: وَمَنْ هُوَ؟ فقال: رَسُولُ اللَّهِ «ص» وَاَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
وَأَبَائِي «ع» كُلُّهُمْ، كَانُوا قَدْ عَمَلُوا بِاَيْدِيهِمْ، وَهُوَ مِنْ عَمَلِ النَّبِيِّينَ
وَالْمُرْسَلِينَ وَالْاَوْصِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ. ٤

١ - الوسائل ١٢ / ١٠.

٢ - الكافي ٥ / ٧٦.

٣ - الوسائل ١٢ / ٢٣.

٤ - الكافي ٥ / ٧٥ - ٧٦.

* والاحاديثُ في ذلك من الانبياءِ والاصياءِ كثيرة .

تنبية

إنَّ العيشَ الانسانيَّ في المجتمعاتِ على قسمين : طبيعيٍّ وغير طبيعيٍّ .

١ - فالعيشُ الطبيعيُّ هو أنْ يَعْمَلَ الانسانُ بنفسِهِ، ويَأْكُلُ ممَّا يَحْضُلُ عليه بكَدِّهِ وَجَهْدِهِ - كما يُرْشِدُنَا اليه المرَبِّيُّ الاكبر بقوله : «كُلُوا مِنْ كَدِّ اَيْدِيكُمْ»^١ . والانسانُ في هذه الحالةِ قادرٌ على أنْ يَدْرِكَ معنى العملِ والكَدِّ وما يُعانيه العَمَّالُ، وأنْ يُحَسَّ واقِعَ الحرمانِ والاقْلالِ وما يُكادِيهِ المُعْدِمون والمَقْلُون لا في غيرِها . ولاجلِ ذلك جاءَ في الحديثِ : «أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الى داودَ «ع» : إِنَّكَ نِعَمَ العبدِ، لولا أَنَّكَ تَأْكُلُ مِنْ بَيْتِ المَالِ، ولا تَعْمَلُ بِيَدِكَ شَيْئاً» . وذلكَ لِأَنَّ الانسانَ الفارِعَ الَّذي لا يَعْمَلُ لا يُتَأَحُّ له أنْ يَفْهَمَ واقِعَ العملِ والكَدِّ، وأنْ يَلْمَسَ مُعاناةَ طَلِبِ الخُبْزِ والحصولِ عليه . فهذا الانسانُ لا يَدْرِكُ مَتاعِبَ الحِياةِ ولا يَعْلَمُ ما يُعانيه النَّاسُ لِعَيْشِهِمْ ولطَلِبِ رِزْقِهِمْ، فلا يَصِلُ الى تفاهمِ حَقِيقَتِيٍّ مع أناسِيِّ المجتمعِ وافرادِهِ وقِطاعاتِهِ .

٢ - والعيشُ غيرُ الطَّبيعيِّ ما يَكُونُ بخلافِ ذلك . وهو أنْ يَعِيشَ الانسانُ وَيَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ الآخِرِينَ وَكُدُودِهِمْ . وهذا العيشُ لا يُنابِغُ مِنْ يَتَصَدَّى لتربيةِ النَّاسِ وارْشادِهِمْ، اذ المرَبِّيُّ والمرْشُدُ يَجِبُ أنْ يَكُونَ واقِفاً على مشكلاتِ الافرادِ في عَمَلِهِمْ وَكَدِّهِمْ وطلِبِهِمُ الرِّزْقَ تمامَ الوقوفِ، مُنْصَهراً بروحيَّاتِهِمْ في مُعاناةِ مَتاعِبِ

١ - البحار ٦٦ / ٣١٤ ، من حديثِ النبيِّ «ص» .

الحياة ومصاعب العيش .

وإنَّ ائِمَّتَنَا الطَّاهِرِينَ «ع» كانوا يَعْمَلُونَ بيدهم، وَيَأْخُذُونَ
الدَّلْوَ وَالذَّنُوبَ وَالْمَرَّوِ الْمِسْحَةَ وَيَعْمَلُونَ بها حتى يَعْرقون، وَيَرَوْنَهَا
«من عملِ النَّبِيِّينَ والمرسلينِ والاصفياءِ والصالحين» .
فعلى كلِّ من يرومُ تربيةَ النَّاسِ وارشادهم في الحياة، وَيُرِيدُ
أَنْ يَبِينِي نَفْسَهُ لهذا الامرِ الهامِّ، أَنْ يَعْرِفَ واقعَ ما في حياة النَّاسِ من
تَعَبٍ وَمَرَارَةٍ ومعاناةٍ من كَثَبٍ، حتى يَظْفَرَ بالاقترابِ منهم وادراكِ
مسائلهم ومشكلاتهم، بشكلٍ ملموسٍ، ولا يكونَ كلامُهُ ووعظُهُ
وتوجيهُهُ في وادٍ والنَّاسُ في وادٍ .

تذيلان

أ- العمل، اخلاق و آداب

الحديث

١ - رعاية الاعتدال

١ الامام الحسن «ع» : لا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ جِهَادَ الغالبِ، ولا تَتَّكِلْ على القَدْرِ
اتَّكَالَ المُسْتَسْلِمِ، فَإِنَّ ابْتِغَاءَ الفضلِ من السُّنَّةِ، والإِجْمَالَ في الطَّلَبِ من
العِفَّةِ، وليست العِفَّةُ بدافعةٍ رزقاً .^١

١ - تحف العقول / ١٦٨ .

٢ - لا حرص ولا ضعف

٢ الامام الصادق «ع»: لِيَكُنْ طَلْبُكَ لِلْمَعِيشَةِ فَوْقَ كَسْبِ الْمُضَيِّعِ، وَدُونَ طَلْبِ الْحَرِيصِ، الرَّاضِي بِدُنْيَاهِ الْمُطْمَئِنُّ إِلَيْهَا. وَلَكِنْ أَنْزِلْ نَفْسَكَ مِنْ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْمُنْصَفِ الْمُتَعَفِّفِ، تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَنْ مَنْزِلَةِ الْوَاهِنِ الضَّعِيفِ، وَتَكْتَسِبَ مَا لَا يُدْمِنُهُ ١.

٣ - الحذق واستعماله

٣ الامام الصادق «ع»: كُلُّ ذِي صِنَاعَةٍ مُضْطَرٌّ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالٍ، يَجْتَلِبُ بِهَا الْمَكْسَبَ. وَهُوَ: أَنْ يَكُونَ حَازِقًا بِعَمَلِهِ ٢.

٤ - الالتزام بالامانة

٤ الامام الصادق «ع»: كُلُّ ذِي صِنَاعَةٍ مُضْطَرٌّ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالٍ، يَجْتَلِبُ بِهَا الْمَكْسَبَ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ .. مُؤَدِّيًّا لِلْإِمَانَةِ فِيهِ ٣.

٥ - حسن التعامل

٥ الامام الصادق «ع»: كُلُّ ذِي صِنَاعَةٍ مُضْطَرٌّ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالٍ، يَجْتَلِبُ بِهَا الْمَكْسَبَ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ .. مُسْتَمِيلًا لِمَنْ اسْتَعْمَلَهُ ٤.

١ - الكافي ٥ / ٨١.

٢ و٣ و٤ - تحف العقول / ٢٣٧.

٦ - التحذير من التسويف وتضييع اوقات الناس

٦ النبي «ص»: ويل لصنّاعِ أمتي من «اليوم» و«غدًا»!

ب- لا عمل للحكم الجائر

٧ الامام الصادق «ع»: وأما وجهُ الحرامِ من الولاية، فولايةُ الوالي الجائر وولايةُ وُلاتِهِ، الرئيسِ منهم وأتباعِ الوالي فمن دونه من ولاةِ الولاية الى أدنانهم، باباً من ابوابِ الولاية على من هو والٍ عليه. والعملُ لهم والكسبُ معهم، بجهةِ الولاية لهم، حرامٌ ومحرمٌ، مُعذَّبٌ من فعل ذلك على قليلٍ من فعله او كثير، لأنَّ كلَّ شيءٍ من جهةِ المعونةِ معصيةٌ كبيرةٌ من الكبائر.

وذلك أنّ في ولايةِ الوالي الجائرِ دوسَ الحقِّ كلّهُ، وإحياءَ الباطلِ كلّهُ، وإظهارَ الظلمِ والجورِ والفسادِ، وإبطالَ الكتبِ، وقتلَ الانبياءِ والمؤمنين، وهُدْمَ المساجدِ، وتبديلَ سُنَّةِ اللَّهِ وشرائعِهِ. فلذلك حرّمَ العملُ معهم ومعونتهم والكسبُ معهم، إلا بجهةِ الضّرورةِ نظيرَ الضّرورةِ الى الدّمِ ولحمِ الميتةِ^٢.

* اللَّهُ أكبرُ على عظمةِ هذا التّعليمِ! الذي يتجسّدُ فيه نفسُ الانبياءِ «ع»، ويتجلّى به السّموّ الانسانيّ في اعظمِ معانيه وأشملها، حيث يُعدُّ الدّاعي الالهيّ الصّادق، العملُ مع الجائرين سبيلاً لدوسِ الحقِّ كلّهِ وإحياءِ الباطلِ كلّهِ، وإظهارِ الظلمِ والجورِ

١ - الوسائل ١٢ / ٣١٠.

٢ - تحف العقول / ٢٤٥ و ٣٣٢، من طبعة الغفاري. راجع ايضاً: «الكافي» / ٥.

والفساد، وإبطال الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وقتلِ النَّبِيِّينَ والمؤمنين،
وهدمِ المساجد، وتبديلِ سَنَةِ اللَّهِ وشرائعِهِ .

ومن هنا يُعَلِّمُ بوضوح، ما للعدلِ واقامته من الأهمية الرَّئيسِيَّةِ
في الدِّينِ الإلهِيِّ، وَأَنَّ رِسَالَةَ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ والانبِيَاءِ والمؤمنين
المجاهدين والمساجِدِ إنما هي إقامةُ العدلِ؛ وَأَنَّ سَنَةَ اللَّهِ وشرائعَهُ
هي إقامةُ العدلِ . وَأَنَّ دَعْمَ الحَقِّ كُلَّهُ، واماتةُ الباطلِ كُلَّهُ، وإبادةُ
الظُّلْمِ والجورِ والفسادِ، وإحقاقِ الكُتُبِ الإلهِيَّةِ، وإحياءِ نَفْسِ
الانبِيَاءِ والمؤمنين، وعمارةِ المساجدِ، وتثبيتِ سَنَةِ اللَّهِ وشرائعِهِ،
أَمَّا تَتَجَسَّدُ كُلُّهَا بِإقامةِ العدلِ وإزاحةِ الظُّلْمِ في المجتمعاتِ
البشريَّةِ، ولا سِيَّما بيدِ الحكوماتِ الَّتِي تَسَمَّى بِاسْمِ الإسلامِ .

ومن أجلِ الواضحاتِ، إنَّ العدلَ الاقتصاديَّ والمعيشيَّ، هو
العمدَةُ من أقسامِ العدلِ . وَأَنَّ الظُّلْمَ الاقتصاديَّ من أهمِّ مصاديقِ
الظُّلْمِ - حيثِ يستتبعُ سائرَ أنواعِهِ - فَإِنَّ كانَ هناكِ حُكْمٌ يميلُ إليه، أو
يَتَقَاعَسُ في شجبه، أو لا يُبرِّمُجُ لا سَتِيصَالِهِ، فهو محكومٌ بتلكِ الأحكامِ .

لمحة

أليس تومي الأحاديثُ الحائِثَةُ على العملِ باليدِ (الدَّالَّةُ على
أَنَّهُ طَلِبٌ لِلحلالِ مِنَ الرِّزْقِ)، إلى أَنَّ الرِّزْقَ الحلالِ - واقِعاً - هو
ما حَصَلَ مِنَ الكَدِّ واليدِ ولقد قالَ الرَّسولُ «ص»: «كُلُوا مِنْ كَدِّ
أَيْدِيكُمْ». أَضِفْ إلى ذلكِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُوقِفُ الإنسانَ على ما يُعَانِيهِ
العَمَلُ الكادِحونَ والفلايِحُ الكادُّونَ، المَعْدَّبونَ .. المحرومونَ ..
من مَتاعِبِ مُرهِقَةٍ وَمَصاعِبِ .

ولقد عَقَدَ شَيْخُنَا صاحِبُ «الوسائلِ»، باباً لا سَتِحبابِ العملِ
باليدِ، فراجع: الجزءَ الثَّانِي عَشَرَ .

نظرة الى الفصل

نعمد في هذه النظرة الى ذكر فائدتين :

١ - ضرورة العمل للانسان بحسب المقياس التكوينية : لقد اشار الامام الصادق «ع»، في رسالته التوحيدية المعروفة، الى موضوع عميق ببناء، فقال : «أنظر يا مفضل! الى لطف الله - جل اسمه - بالبهائم، كيف كسيت اجسامهم هذه الكسوة، من الشعر والوبر والصوف ليقبها من البرد وكثرة الآفات، وألبست قوائمها الأظلاف والحوافر والأخفاف ليقبها من الحفا، اذ كانت لا ايدي لها ولا أكف ولا أصابع مهيأة للغزل والنسج، فكفوا بان جعل كسوتهم في خلقتهم باقية عليهم ما بقوا، لا يحتاجون الى تجديدها والاستبدال بها؛ فاما الانسان فإنه ذو حيلة وكف مهيأة للعمل فهو ينسج ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة، ويستبدل بها حالاً بعد حال»^٢

هذا التعلیم يدل على أن العمل لما كان امراً ضرورياً للانسان في هذه الحياة، من جهات عديدة (قد ذكرها الامام في حديثه هذا ونقلنا شذوراً منه)، فقد جعل الله كيفية الخلق وميكانيكية العالم بحيث يضطر الانسان لسد عوزه وتلبية حاجاته المختلفة الى العمل، ولذلك حوَّله الله تعالى ما يحتاج اليه في ذلك، وهو امران :

(١) - الفكر (فإنه ذو حيلة)،

(٢) - اليد (وكف مهيأة للعمل).

١ - جعلت «البهائم» في بعض الضمانر والأفعال بمنزلة الناس .

٢ - البحار ٣ / ٩٨ - ٩٩ .

ولقد أشرنا الى هذا الموضوع فيما سلف من القول ايضاً . وهذه الحقيقة هي التي يُشيرُ اليها القرآن الكريم بقوله : «ولقد خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ»^١.

٢- لذة العيش في العمل : وهناك حكمة عظيمة أخرى للعمل وإيجابه التكويني والتشريعي، يُشيرُ اليها الامام الصادق «ع» بقوله : «ولو كُفِيَ النَّاسُ كُلُّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، لَمَا تَهَنُّوا بِالْعَيْشِ وَلَا وَجَدُوا لَهُ لَذَةً»^٢. فالعمل ينطوي على فوائد كثيرة، مما اشارت اليها التعاليم . ونحن قد ألمحنا الى عدة منها . غير أن هذه الحكمة العظيمة، وهي التهنؤ بالعيش عن طريق العمل، يجب أن تتخذ مقياساً حاسماً للحث على العمل، والحصول على فوائده ونتائجه الايجابية المثمرة . فالالتذاد الحقيقي من الحياة إنما يحصل للانسان بالعمل والسعي، لا بالبطالة والتعطل والفراغ، كما يزعمه البطالون والفارغون .

وهذا امر هام في صنع الفرد والمجتمع، يتوقف عليه تقدم أي شعب، فيجب ان ينهج له، ويدرج تعليمه وتوعيته في المناهج التربوية والبرامج التعليمية للناشئة، حتى تتوفر على حب العمل والانضمار به والاكباب عليه^٣. نعم، إن الانسان العاقل والفارغ، تقطع صلته الفيزيائية - فكرياً ويداياً - بالعالم وما فيه، فيحس الاجنبية مع العالم. وكذلك يقطع صلته بامكانيات نفسه ومواهبها، فيحس الاجنبية معها ايضاً؛ ومن هنا وهناك، فلا يلتذ بالحياة التذاذاً موضوعياً ملتجماً الصلة بواقع الانسان وحياته، وبطبيعة المجتمع البشري الخلاق .

١ - سورة البلد (٩٠) : ٤ .

٢ - البحار ٣ / ٨٦ .

٣ - وستشيرُ في الفصل القادم، إلى أن العمل يجب أن يُوزع بحيث لا يكون مرهقاً لأحد .

الفصل السادس

العطل والكسل، استنكار ورفض

أ - العُطل

الكتاب

١ .. فإذا جاء أمر الله قُضِيَ بالحقِّ، وخَسِرَ هُنَالِكَ المُبطلون *^١

الحديث

١ النبي «ص» - إذا نَظَرَ الى الرَّجُلِ فَأَعَجَبَهُ قال : له حرفة؟ فإن قالوا : لا، قال : سَقَطَ من عيني . قيل : وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال : لأنَّ المؤمنَ إذا لم يَكُنْ له حرفةٌ يَعِيشُ بِدينِهِ.^٢

٢ النبي «ص» - فيما رواه الأمامُ الصَّادقُ «ع» : مَلعونٌ من ألقى كَلَّهُ على

١ - سورة غافر (٤٠) : ٧٨ .

٢ - المستدرک ٢ / ٤١٥ .

الناس ١

- ٣ النبي «ص»: ملعون ملعون من يضع من يعول.^٢
- ٤ الامام علي «ع»: المؤمن .. مشغول وقته.^٣
- ٥ الامام علي «ع»: ان يكن الشغل مجهداً، فاتصال الفراغ مفسدة.^٤
- ٦ الامام السجاد «ع» - كان بالمدينة رجل بطال يضحك الناس منه .. فقال «ع»: قولوا له: ان لله يوماً يخسر فيه المبطلون.^٥
- ٧ الامام الباقر «ع»: قال رسول الله «ص»: لاتحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي، ولا لمحترف، ولا لقوي. قلنا: ما معنى هذا؟ قال: لا يحل له ان يأخذها وهو يقدر على ان يكف نفسه عنها.^٦
- ٨ الامام الباقر «ع»: قال موسى «ع»: يا رب أي عبادك أبغض اليك؟ قال: جيفة بالليل، بطال بالنهار.^٧
- ٩ الامام الصادق «ع»: .. جاء عن النبي «ص»: ان اصنافاً من أمتي لا يستجاب لهم دعاؤهم .. ورجل يقعد في بيته ويقول: يا رب ارزقني! ولا يخرج ولا يطلب الرزق. فيقول الله عز وجل له: عبي! ألم اجعل لك السبيل الى الطلب والتصرف في الارض بجوارح صحيحة..^٨

١ - الوسائل ١٢ / ١٨ .

٢ - عُدّة الداعي / ٧٢ .

٣ - نهج البلاغة / ١٢٤٣ : عبده / ٣ / ٢٣٢ .

٤ - الارشاد / ١٥٨ .

٥ - سفينة البحار / ١ / ٨٨ .

٦ - الوسائل ٦ / ١٦٠ .

٧ - البحار ٧٦ / ١٨٠ .

٨ - الوسائل ١٢ / ١٥ .

- ١٠ الامام الصادق «ع»: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضِيعَ مِنْ يَعُولٍ ١.
- ١١ الامام الكاظم «ع»: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيُبْغِضُ الْعَبْدَ النَّوَامَ، إِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْعَبْدَ الْفَارِغَ ٢.

ب - الكسل

الكتاب

- ١ .. وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى، وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ * ٣

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: .. لِلْكَسَلَانِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ: يَتَوَانَى حَتَّى يَفْرُطَ، وَيَفْرُطُ حَتَّى يُضِيعَ، وَيُضِيعُ حَتَّى يَأْتِمَ ٤.
- ٢ الامام علي «ع»: أَيَاكُمْ وَالْكَسَلُ، فَإِنَّهُ مَنْ كَسِلَ لَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ ٥.

١ - عُدَّة الدّاعي / ٧٢.

٢ - الوسائل ١٢ / ٣٧.

٣ - سورة التوبة (٩): ٥٤.

٤ - قرب الاستناد / ٢٢.

٥ - تحف العقول / ٧٨.

٣ الامام علي «ع» : مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فَهُوَ خَلِيقٌ بَانَ لَا يَنْزِلُ بِهِ مَكْرُوهٌ أَبَدًا . قِيلَ : وَمَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : الْعَجَلَةُ ، وَاللَّجَاجَةُ ، وَالْعُجْبُ ، وَالتَّوَانِي .^١

٤ الامام الباقر «ع» : الْكَسَلُ يُضُرُّ بِالْدُّنْيَا وَالْدُّنْيَا .^٢

٥ الامام الباقر «ع» : أَنِّي لَأُبْغِضُ الرَّجُلَ (أَوْ أُبْغِضُ لِلرَّجُلِ) أَنْ يَكُونَ كَسَلَانًا عَنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ . وَمَنْ كَسِلَ عَنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ فَهُوَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ أَكْسَلَ .^٣

٦ الامام الصادق «ع» : لَا تَسْتَعِنْ بِكَسَلَانٍ ..^٤

٧ الامام الصادق «ع» : مَنْ كَسِلَ عَنْ طَهْوَرِهِ وَصَلَاتِهِ ، فَلَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ لِأَمْرِ آخِرَتِهِ . وَمَنْ كَسِلَ عَمَّا يُصْلِحُ بِهِ أَمْرَ مَعِيشَتِهِ ، فَلَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ لِأَمْرِ دُنْيَاهُ .^٥

٨ الامام الصادق «ع» : لَا تَكْسَلُوا فِي طَلَبِ مَعَايِشِكُمْ ، فَإِنَّ آبَاءَنَا كَانُوا يَرْكُضُونَ فِيهَا وَيَطْلُبُونَهَا .^٦

٩ الامام الصادق «ع» - كَتَبَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ : وَلَا تَكْسَلْ عَنْ مَعِيشَتِكَ فَتَكُونَ كَلًّا عَلَى غَيْرِكَ - أَوْ قَالَ : عَلَى أَهْلِكَ .^٧

١٠ الامام الكاظم «ع» : قَالَ أَبِي لِبَعْضِ وُلْدِهِ : أَيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ ، فَإِنَّهُمَا يَمْنَعَانِكَ مِنْ حَظِّكَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .^٨

* راجع أيضاً : الفصل الثالث والثلاثين ، من الباب الحادي عشر .

١ - تحف العقول / ١٥٩

٢ - تحف العقول / ٢١٩ .

٣ و٤ و٥ و٦ - الوسائل ١٢ / ٣٧ - ٣٨ .

٧ و٨ - الوسائل ١٢ / ٣٧ - ٣٨ .

نظرة الى الفصل

نذكر في نظرتنا الى هذا الفصل مسائل لها اهمية، وهي موجهة:

١ - من اللازم على زعماء المجتمع ومديري الشعب ورجال الحكم، ان يسعوا لتوفير العمل للعاطلين، وان يوجدوا للناس العمل والشغل، ولا سيما اذا كانت البطالة سبباً للفقر والاقلاق (و الفقر كاد ان يكون كُفراً)١، او كان عاملاً على التميع والسقوط الخلقي.

٢ - كذلك من اللازم ان يوزع العمل على الذين يطبقونه بصورة عادلة؛ فليس من العدل والاسلامية ان يكذب ويكذح اناس ليل نهار، لينالوا لماظلة من العيش، ويحصل قوم آخرون بادننى سعي على كثير من المال. وكان هناك كثيرون لا يرون انفسهم محتاجين الى مثابة وسعي وشغل. ان هذا لظلم. فاللازم ان يكون لكل انسان عمل وشغل يقدر عليه، ويناسب ذوقه ومواهبه وقدرته، جسماً وروحاً، حتى لا يكون الشغل والعمل مضراً به، بل مفيداً له.

٣ - من الواضح ان تقسيم العمل بصورة عادلة، انما يرتبط بقيام التوازن في المجتمع ارتباطاً وثيقاً؛ فاذا لم يكن التوازن بمقاييسه سائداً في المجتمع، لا يتاح له الظفر بتوزيع عادل فيما يمت الى سائر الامور ومنها العمل. وذلك لان الحفنة التي استغلت الناس وحصلت على حياة تكاثرية ترفية، اذا لم تردع عما تفعله باقامة التوازن، لا تخضع امام العدالة والحق، ولا تقر التقسيم العادل للعمل ايضاً.

٤ - ان المتكاثرين واصحاب الثروات، فضلاً عن انهم لا يحتاجون الى

١ - راجع: الفصل ٣٢، من الباب ١١.

أَنْ يَعْمَلُوا بِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يُضِرُّونَ النَّاسَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى . وَهِيَ أَنَّهُمْ - بِمَا لَهُمْ مِنَ الْغِنَى الْمَفْرُطِ وَالْإِمْكَانِيَّاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ - يَضْطَرُّونَ النَّاسَ إِلَى أَنْ يَعْمَلُوا لَهُمْ . وَحِينَئِذٍ فَهَمْ يُعِينُونَ الْأَجْرَ وَمَقْدَارَهَا، فَيَبْخَسُونَ النَّاسَ أَعْمَالَهُمْ، فَيُعْطُونَهُمْ أَجُورًا زَهِيدَةً فِي مِقَابِلِ أَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ وَمُرْهَقَةٍ، وَبِذَلِكَ يُشْيَعُونَ الظُّلْمَ فِي الْمَجْتَمَعِ وَيَسْتَعْلُونَ الْجُمَاهِيرَ اسْتِغْلَالًا؛ وَلَقَدْ قَالَ الْقُرْآنُ: «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ»، وَقَالَ فِي التَّفْسِيرِ: «أَيُّ وَلَا تَنْقُصُوا النَّاسَ حَقُوقَهُمْ وَلَا تَمْنَعُوها»^١، وَأَيْنَ هَذَا النَّهْيُ الْقُرْآنِيُّ مِنَ الْحَالَةِ السَّائِدَةِ فِي أَصْحَابِ الْمَعَامِلِ مَعَ عُمَّالِهِمْ؟

٥ - مِنَ الْوَاضِحِ، أَنَّ الْعَمَلَ إِذَا لَمْ يُقَسَّمْ عَلَى النَّاسِ بِصُورَةٍ مُتَنَاسِبَةٍ، يُوجِبُ الْإِفْرَاطَ وَالتَّفْرِيطَ، وَعَدَمَ التَّنَاسُقِ فِي أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْاجْتِمَاعِيِّ . وَنَتِيجَةُ هَذِهِ الْحَالَةِ الْغَاشِمَةِ أَنْ يَفْسُدَ قَوْمَانُ: قَوْمٌ مِنَ الْفَرَاغِ وَرَفَاهِيَةِ الْعَيْشِ وَعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَى عَمَلٍ وَكَدٍّ وَقَوْمٌ مِنْ كَثْرَةِ الْعَمَلِ وَالْكَدِّ وَالْحَاجَةِ الْمُلِحَّةِ إِلَى الْعَمَلِ دَوْمًا . نَعَمْ، فِي هَذِهِ الْحَالَةِ تَظْهَرُ حَفْنَةٌ مُتَطَفِّلَةٌ قَدْ أَلْقَتْ كُلَّهَا عَلَى السَّائِرِينَ، وَحَفْنَاتٌ مُضْطَهَدَةٌ تَحْتَ نِيرِ الْاسْتِغْلَالِ وَالْإِمْتِنَاعِ .

فَفِي هَذَا الضُّوءِ، لَا يَتَحَقَّقُ الْقِسْطُ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، إِلَّا بِأَنْ يُطَبَّقَ فِي جَمِيعِ الْحُقُوقِ، وَمِنْهَا الْعَمَلُ وَتَقْسِيمُهُ بَيْنَ النَّاسِ بِصُورَةٍ يُجَسِّدُ بِهَا الْقِسْطَ، وَتُصَانَ بِهَا الْكِرَامَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ وَعِزَّةُ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ .

٦ - يَجِبُ أَنْ تَرَاعَى فِي جَانِبِ الْعُمَالِ جِهَاتٌ عَدِيدَةٌ حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقُوقَهُمْ عَلَى مَخْتَلِفِ الْمَسْتَوِيَّاتِ، وَتَقْتَرِبَ الْحَالَةُ مِنْ أَهْدَافِ الْإِسْلَامِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَيَجِبُ أَنْ يُحَافَظَ عَلَى:

أ - شَخْصِيَّتِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ ،

١ - سُورَةُ الشُّعْرَاءِ (٢٦) : ١٨٣ .

٢ - مَجْمَعُ الْبَيَانِ ٧ / ٢٠٢ .

- ب - حقوقهم الدينية ،
- ج - حقوقهم الفردية ،
- د - حقوقهم العائلية ،
- هـ - حقوقهم الثقافية ،
- و - حقوقهم الصحية ،
- ز - حقوقهم التربوية والتعليمية ،
- ح - حقوقهم الرفاهية ،
- ط - حقوقهم السياسية ،
- ي - وحقوقهم التقنية .

ولقد جاء في كلام الامام ابي الحسن علي بن موسى الرضا «ع» في تعليق الزكاة وفوائدها، ان منها انها تعاون الفقراء على امورهم الدينية^١، فكيف تُنك بالعمال وما يجب بالنسبة اليهم؟ ولقد يسحق كثير من حقوقهم الدينية وما يمتُّ بصله الى اقامة وظائفهم الشرعية في المعامل سحقا.

تدليل

لم نجعل من منهج هذا الكتاب، ان نستوعب الآيات والاحاديث في كل موضوع، وان نستقصي جميع ما يمكن ان يستخرج منها من العناوين والموضوعات والمغازي . وهذا واضح للقارئ الفاضل، ونحن ايضا اشرفنا اليه في مواضع اخرى . وذلك لان الاستيعاب المذكور امر صعب لا يمكن ان يقوم به الا لجان، حيث يستدعي ان يؤلف و يصنف في كل موضوع من الموضوعات الرئيسية، موسوعة مستقلة وكبيرة، حتى يتاح بها ان توضع

١ - علل الشرايع / ٣٦٩ : «... وتقوية الفقراء، والمعونة لهم على امر الدين ..».

أُسُسُ الخُطَّةِ المنشودة .

فمن هنا كان الغرضُ توعيةَ الناسِ بِنماذجٍ ممَّا جاء في هدايةِ الثَّقَلَيْنِ
الباقيين (كتابِ اللهِ تعالى و عترةِ النبيِّ «ص» الوارثين لعلمه وهداه)
وتعاليمهما لصنعِ الافرادِ وبنائِ المجتمعات، فليست هي الا خطوةً بدئيةً
لبناءِ حضارةٍ قرآنيةٍ، بدعمِ أُسُسِ القسطِ القرآنيِّ، وتزويداً للقسمِ
الفقاهيِّ من العلومِ الاسلاميَّةِ، فيما يرجعُ الى عرضِ «الاقتصادِ
الاسلاميِّ»، في هذه الاجزاءِ الاربعة .

ففي الضوءِ المذكور، يُصبحُ من واجبِ الباحثِ أن يراجعَ المصادرَ
والمراجعَ في كلِّ ما يُعرضُ عليه في الكتاب، اذا ارادَ الفحصَ والاستيعابَ
عن جميعِ ما جاء بصددِ موضوعه الذي يُعالجهُ بالدراسةِ والبحثِ .
ومن الموضوعاتِ الهامَّةِ التي اعتدَّ الاسلامُ بشأنها اعتداداً كبيراً
وجعلها رئيسيةً في البناءِ الاقتصاديِّ، هو العملُ وشؤونه و العُمالُ
المختلفون وحقوقهم وما يمتُّ الى حياتهم وصحتهم وأجرتهم وكرامتهم
ودينهم وحرّيتهم . هذا موضوعُ اسلاميٍّ وانسانيٍّ وحياتيٍّ وتقدُّميٍّ هامٍّ،
يَجِبُ أن يُفردَ له موسوعةٌ شاملة، بيدَ الباحثينِ والأخصائيينِ، بالرُّجوعِ و
الاستقاءِ من المراجعِ الاسلاميَّةِ، من القرآنِ الكريمِ وتفسيره المعتمدة،
وكتبِ الحديثِ المعتمدةِ و شروحها؛ هذا .

وحيث وقفنا اخيراً، على كتابِ^١ «الشؤون الاقتصادية في نصوصِ
الكتابِ والسُّنة»^٢ ولا حظناه، وجدنا أنه قد جاء فيه بعضُ احاديثٍ مفيدةٍ
بِناءةٍ، وخصوصاً فيما يتعلّقُ بالعملِ و العُمالِ، لذلك احببنا أن لا نُغفلَ ذكره .
وعقدَ فيه للعملِ واهميّته و العُمالِ وحقوقهم فصلان . ونحن نُوردُ هنا

١ - بعد ما اهدى الينا بعضُ الاصدقاءِ نسخةً منه .

٢ - تأليفُ احدِ علماءِ «قم» المشرّفةِ وبعضِ اصحابه، إصدارُ «مكتبةِ الامام امير المؤمنين عليّ عليه

السلام العامّة» - اصفهان (١٤٠٣ هـ.ق).

عناوين الموضوعات المذكورة فيهما تمييزاً للفائدة، واستيفاءً لحقوقِ العُمالِ والفلاحين والكادحين، من الذين يُظلمون هنا و هناك، بيدِ الطّواغيتِ الاقتصاديّين^١، وان كانت عدّةٌ منها متداخلةً مع ماوردناه في هذه الفصولِ الثلاثة التي عقّدها للعملِ والعُمالِ وشجبِ الكسلِ والعُطلِ :

«الفصلُ الأوّلُ : اهمية الكدِّ والكُدْحِ والعملِ (٣٣ - ٧٨) :

- ١ - العملُ والكسبُ في القرآنِ الكريمِ .
- ٢ - العزّةُ والكرامةُ في ظلالِ الكُدْحِ والعملِ .
- ٣ - الكُدْحُ والعملُ كالجهادِ في سبيلِ الله .
- ٤ - العملُ لطلبِ الحلالِ عبادة .
- ٥ - الكُدْحُ والعملُ سببٌ لغفرانِ الذُّنوبِ .
- ٦ - العملُ والغنى المشروعُ وسيلةٌ لنيلِ الآخرة .
- ٧ - العملُ مستحبٌّ ذاتاً، واجبٌ عندِ الضّرورة .
- ٨ - لا حياةً في طلبِ الرّزقِ الحلالِ .
- ٩ - استحبابُ التّعبِ لطلبِ الرّزقِ .
- ١٠ - استحبابُ السّفْرِ والاغترابِ لطلبِ الرّزقِ .
- ١١ - استحبابُ البُكورِ لطلبِ الرّزقِ .
- ١٢ - فضلُ العملِ باليدِ .
- ١٣ - العملُ سنّةُ الانبياءِ وسيرةُ الاولياءِ .
- ١٤ - الاعتمادُ على النفسِ والاستغناء عن النّاسِ .
- ١٥ - فضلُ العملِ للانفاقِ على النفسِ والعيالِ .
- ١٦ - النهيُ عن التراخي والكسلِ في طلبِ الرّزقِ .

١ - من اصحابِ المعاملِ والمُنتجين الكبارِ والإقطاعيّين والمستوردين وسلطينِ الاسواقِ والمُسعّرين ومن اليهم .

- ١٧ - النهي عن التوكّل الكاذب والنوم الكثير .
- ١٨ - تارك الكدح والعمل لا يُستجاب دعأؤه .
- «الفصل الثالث : حقوق العامل (١٧٣ - ٢٢٦) :
- ١ - كراهة استعمال الاجير قبل تحديد أجرته .
- ٢ - حرمة منع الاجير والعامل أجرته .
- ٣ - استحباب اعطاء العامل والاجير أجره قبل جفاف عرقه .
- ٤ - ما يجوز للعامل العمل فيه اجارةً ومالاً . يجوز .
- ٥ - حرية اختيار العمل .
- ٦ - الإذن للعامل بالاستراحة والسّماح له بحضور صلاة الجمعة .
- ٧ - عدم جواز احالة العامل للعمل الى عامل آخر بنقصة دون أن يكون قد عمّل فيه شيئاً .
- ٨ - جواز انقاص أجره العامل برضاه .
- ٩ - لاغبن للعامل ولا اضرار به .
- ١٠ - استحباب كتابة العقود والاتفاقيات والمعاملات .
- ١١ - احترام العقود والاتفاقيات والمواعيد .
- ١٢ - التّأمين والضّمان الاجتماعي للعامل .
- ١٣ - العامل غير ضامن الا اذا فرط او تعدى او خان .
- ١٤ - العمل عن طريق المضاربة والمزارعة والمساقاة .

١ - وجاء في التعليق على هذا العنوان : «تعتبر المضاربة من افضل ما طرّحه الاسلام للعمال - الذين يملكون المهارات ولا يملكون المال - من طريقة لاكتساب تصون حرمة العامل وتحفظ حقوقه، وتعود عليه بالربح المناسب، ودون أن يضطرّ للرّضوخ للشروط الظّالمة او القبول بالاجور الزهيدة التي يفرضها بعض ارباب العمل الاستغلاليون . والمضاربة هي أن يكون المال من صاحب المال والعمل من الآخر والربح بينهما، حسبما يتفقان عليه بالرضا والاختيار، دون الخسارة . وهذا هو من افضل ما يجعل العامل يحصل على ما يريد من الربح العادل، فيما يحفظ حق صاحب المال ايضاً، كما وأنه خير ردّ على عملية الربا التي حرّمها الاسلام اشدّ

١٥ - العمل عن طريق الجعالة».

تكميل

النبيّ «ص» يقبل يد العامل

و جاء في الكتاب المذكور، نقلاً عن بعض المصادر، هذه القطعة
المشرقة والكبيرة :

«إن رسول الله «ص» لما أقبل من غزوة "تبوك"، استقبله سعد
الأنصاري، فصافحه النبيّ «ص» ثم قال له: "ما هذا الذي أكبت (أي
أخسنت) يديك؟" فقال: يا رسول الله! أضرب بالمرء والمسحاة فأنفقهُ على
عِيالي . فقبل يده رسول الله وقال: "هذه يد لا تمسها النار».

→
تحريم . على أن أكثر حقوق العمّال ومسائلهم تُوجد في هذا الباب من ابواب الفقه والحديث ..
ومن هذا الباب المزارعة والمساقاة، التي تعني أن تكون الارض من شخص والزراعة من آخر
بحصة من المحصول، او الاشجار من شخص والسقي من آخر كذلك . هذا، ونحن ندعو القراء
الكرام الى مطالعة جميع احاديث هذه الابواب الثلاثة، التي تتعرض لأدق حقوق العامل وصاحب
العمل».

١ - ص ٥٧ .

الفصل السابع

الفلاحة والزراعة

الكتاب

- ١ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ؟ * أَلَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ؟ ١
- ٢ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ٢
- ٣ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدائقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ٣
- ٤ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ٤
- ٥ .. هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ٥

١ - سورة الواقعة (٥٦) : ٦٣ - ٦٤.

٢ - سورة يس (٣٦) : ٣٣ - ٣٤.

٣ - سورة عبس (٨٠) : ٢٥ - ٣٢.

٤ - سورة النحل (١٦) : ١١ - ١٢.

٥ - سورة هود (١١) : ٦١.

* جاء في تفسير الآية، من معانيها: أَمَرَكُم من عمارتها بما
تحتاجون اليه من المساكن والزراعات وغرس الاشجار.^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: من سَقَى طَلْحَةً أو سِدْرَةً، فَكَانَ مَا سَقَى مُؤْمِنًا مِنْ طَمَأً.^٢
- ٢ النبي «ص»: ما من مسلمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أو يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ انْسانٌ أو طَيْرٌ أو بهيمة، إلا كانت له به صدقة.^٣
- ٣ النبي «ص»: من غَرَسَ غَرْسًا فَاتَّمَر، أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الاجْرِ قَدْرَ ما يُخْرِجُ مِنَ الثَّمَرِ.^٤
- ٤ النبي «ص»: إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ احِدِكُمْ الفَسِيلَةُ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لا تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا.^٥
- ٥ النبي «ص»: من بَنَى بُنيانًا بِغَيْرِ ظَلَمٍ ولا اعتداء، أو غَرَسَ غَرْسًا بِغَيْرِ ظَلَمٍ ولا اعتداء، كان له اجراً جاريًا ما انتفع به احدٌ من خلقِ الرَّحْمَنِ.^٦
- ٦ الامام علي «ع» - إِنَّهُ كان يَعْملُ بيده وَيُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ .. ولقد كان يُرى ومعه القَطَارُ مِنَ الابلِ وعلية النوى، فيقال: ما هذا يا ابا الحسن؟ فيقول: نخلٌ إِنْ شاءَ اللهُ، فَيَغْرِسُها فما يُغادرُ منه واحدة.^٧

١ - مجمع البيان ٥ / ١٧٤.

٢ - الوسائل ١٢ / ٢٥.

٣ و ٤ - المستدرک ٢ / ٥٠١.

٥ و ٦ و ٧ - المستدرک ٢ / ٥٠١.

- ٧ الامام علي «ع»: .. وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمَالَ (النَّخِيلَ) عَلَى أَصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ، حَيْثُ أَمْرَبَهُ وَهُدِيَ لَهُ، وَأَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِهِ نَخِيلَ هَذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً حَتَّى تُشَكَلَ أَرْضُهَا غِرَاسًا^١..
- ٨ الامام الباقر «ع» - مِمَّا رَوَاهُ عَنْ أَبِيهِ الْإِمَامِ السَّجَّادِ: خَيْرُ الْأَعْمَالِ زَرْعُ يَزْرَعُهُ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ الْبُرُّ وَالْفَاجِرُ.. وَيَأْكُلُ مِنْهُ السَّبَّاعُ وَالطَّيْرُ^٢.
- ٩ الامام الصادق «ع»: إِزْرَعُوا وَاغْرَسُوا، وَاللَّهُ مَا عَمِلَ النَّاسُ عَمَلًا أَحَلَّ وَأَطْيَبَ مِنْهُ^٣.
- ١٠ الامام الصادق «ع»: مَا فِي الْأَعْمَالِ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الزَّرْعَةِ، وَمَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا زَرَّاعًا، إِلَّا أُدْرِيسَ فَإِنَّهُ كَا خِيَّاطًا^٤.
- ١١ الامام الصادق «ع» - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ؟ قَالَ: زَرْعُ زَرَعَهُ صَاحِبُهُ وَأَصْلَحَهُ، وَأَدَّى حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَايُّ الْمَالِ بَعْدَ الزَّرْعِ خَيْرٌ؟ قَالَ: رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ، قَدْ تَبِعَ بِهَا مَوَاضِعَ الْقَطْرِ.. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَايُّ الْمَالِ بَعْدَ الْغَنَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: الْبَقْرُ تَعْدُو بِخَيْرٍ وَتَرُوحُ بِخَيْرٍ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَايُّ الْمَالِ بَعْدَ الْبَقْرِ خَيْرٌ؟ قَالَ: الرَّاسِيَاتُ فِي الْوَحْلِ، وَالْمُطْعِمَاتُ فِي الْمَحْلِ، نَعْمَ الشَّيْءُ النَّخْلُ. مِنْ بَاعَهُ فَإِنَّمَا ثَمَنُهُ بِمَنْزِلَةِ رَمَادٍ عَلَى رَأْسِ شَاهِقَةٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، إِلَّا أَنْ يُخْلِفَ مَكَانَهَا^٥.
- ١٢ الامام الصادق «ع» - يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ -

١ - نهج البلاغة / ٨٧٧: عبده ٣ / ٢٤.

٢ - سفينة البحار / ١ / ٥٤٩.

٣ و ٤ - سفينة البحار / ١ / ٥٤٩.

٥ - امالي الصدوق / ٣١٢ - ٣١٣: الوسائل ١٣ / ١٩٢.

- محمّد «ع» عن الفلاحين؟ قال: هم الزّارعون، كُنوزُ اللهِ في ارضه؛ وما في الاعمالِ شيءٌ أحبُّ الى الله من الزّراعة^١..
- ١٣ الامام الصادق «ع»: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبُّ لَانبِيَاءِهِ «ع» من الاعمال، الحرث والرّعي^٢..
- ١٤ الامام الصادق «ع» - في تفسير قول الله: «وعلى الله فليتوكّل المتوكّلون»، قال: الزّارعون^٣.
- ١٥ الامام الصادق «ع»: الزّارعون كُنوزُ الأنام، يزرعون طيباً أخرجهُ اللهُ عزَّ وجلَّ. وهم يومَ القيامةِ احسنُ مقاماً، واقربهم منزلةً، يُدعون المباركين^٤.

* يُشيرُ هذا التّعليمُ الصّادقِيُّ الى نكتةٍ توحيديةٍ هامةٍ، ربما يَغفلُ عنها الغافلون. وهي أنّ المحصولاتِ الزراعيّةِ التي تحصلُ من زرعِ الزّارعين، وثمارِ الغراس، ليست الا ما يُعدهُ اللهُ ويُخرِجهُ لعبادِهِ (قل: مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ؟)^٥. فالزُّراعُ يزرعون ما يُخرِجهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، والغارسون يغرّسون ذلك لاغير؛ فالفاعلُ الحقيقيُّ هو اللهُ - تعالى شأنه - بتعبئته النّواميس وإعداده القوى والجنود الفعّالة في العالم.

١٦ الامام الصادق «ع»: الكيمياء الاكبرُ الزّراعة^٦.

١ - الوسائل ١٢ / ٢٥.

٢ - علل الشرايع ١ / ٣٢.

٣ - الوسائل ١٢ / ٢٥.

٤ - الوسائل ١٣ / ١٩٤.

٥ - سورة الاعراف (٧): ٣٢.

٦ - الوسائل ١٣ / ١٩٤.

- ١٧ الامام الصادق «ع» - عن ابيه: كان امير المؤمنين «ع» يقول: من وجد ماءً وتراباً ثم افتقر، فأبعده الله. ^١
- ١٨ الامام الصادق «ع»: ذكّر (فكّر - خ ل) يا مفضل! فيما أُعطي الانسان علمه.. وكذلك أُعطي علم ما فيه صلاح دنياه، كالزراعة، والغراس، واستخراج الارضين.. واستنباط المياه.. ^٢
- ١٩ الامام الصادق «ع»: . خَلِقَ له (للانسان) الشجر، فكُلَّفَ غرسها وسقيها والقيام عليها.. ^٣
- ٢٠ الامام الكاظم «ع» - فيما رواه عن ابيه، عن جدّه (الامام الباقر «ع»): إن بايع الضيعة ممحوق، ومشتريها مرزوق. ^٤

تذييل

الزراعة، آداب و حقوق

الحديث

- ١ الامام السجاد «ع»: ما أزرع الزرع لطلب الفضل فيه، وما أزرع الآل لئتناولهُ الفقير، وذو الحاجة.. ^٥

١ - الوسائل ١٢ / ٢٤.

٢ و ٣ - البحار ٣ / ٨٢ - ٨٣ و ٨٤.

٤ و ٥ - سفينة البحار ١ / ٥٤٩.

٢ الامام الصادق «ع»: مَنْ زَرَعَ حِنْطَةً فِي اَرْضٍ فَلَمْ يَزُكْ فِي اَرْضِهِ، او خَرَجَ زَرْعُهُ كَثِيرَ الشَّعِيرِ، فَبْظَلَمَ عَمَلَهُ فِي مَلِكِ رَقَبَةِ الارضِ، او بْظَلَمَ لَزَارِعِهِ وَاكْرَمَتِهِ، لَانَ اللّٰهَ يَقُولُ: «فَبْظَلَمَ مِنَ الَّذِيْنَ هَادُوا، حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ»^١.

الفات نظر

يُسْتَفَادُ مِنْ اسْتِدْلَالِ الْاِمَامِ الصَّادِقِ «ع» بِهَذِهِ الْاَيَّةِ، اَنَّ الْاَيَاتِ السَّمَاوِيَّةَ النَّازِلَةَ بِصَدِّ الظَّالِمِيْنَ مِنْ سَائِرِ الْاَقْوَامِ وَالشُّعُوْبِ، لَا تَخُصُّهُمْ بَلْ تَعْمُ الْمُسْلِمِيْنَ اَيْضًا، اِذَا عَمِلُوا عَمَلَهُمْ. وَلِهَ فِي الْاِحَادِيْثِ نِظَائِرٌ مُتَعَدِّدَةٌ - وَلَعَلَّ عَدَمَ كَوْنِ الْمُوْرِدِ مُخَصَّصًا يَشْمَلُ امْتَالَ الْمَقَامِ بِنَحْوِ - .

فَفِي هَذَا الضُّوْءِ، اِنَّ الْاَيَاتِ الْكَثِيْرَةَ النَّازِلَةَ فِي رَفْضِ الْاَغْنِيَاءِ وَالْمُتْرَفِيْنَ مِنَ الْعَابِرِيْنَ وَالتَّنْذِيْدِيْبِهِمْ وَبِحَيَاتِهِمْ الْبَاذِخَةَ، تَعْمُ الَّذِيْنَ يُضَاهُوْنَ نَهْمَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ، اِذِ الْهَدَايَةُ لَا تَخُصُّ قَوْمًا دُوْنَ قَوْمٍ.

١ - سفينة البحار ١ / ٥٤٩. وتذكير الضمير في «لم يزك» - إن صحت النسخة - فبا اعتبار «الزرع».

نظرة الى الفصل

لقد عَقَدَ في «البحار» باباً عنوانه: «باب استحباب الزَّرْعِ والغَرَسِ
وحَفْرِ القُلْبَانِ وإِجْرَاءِ القَنَوَاتِ والأنْهَارِ، وآدَابِ جَمِيعِ ذلك»، فَلْيُرِ اجْعُهُ
الطَّالِبُونَ والبَاحِثُونَ .

ولعلَّه غَيْرُ خَافٍ عَلَى آيِّ نَابِهِ، أَنَّ الزَّرْعَ والحَرْثَ يَقْتَرِنَانِ فِي العَصْرِ
الحَاضِرِ بِالآدَوَاتِ الحَدِيثَةِ والتَّقْنِيَّةِ المَعَاصِرَةِ . وَعَلَى المَسْلُمِينَ أَنْ
يَسْتَفِيدُوا مِنْهَا وَيَتَمَهَّرُوا فِيهَا، بَلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصْنَعُوهَا وَيَجِدُّوا لِإِخْتِرَاعِ مَا
هُوَ أَحَدُثٌ وَأَدْقُ وَأَنْفَعُ مِنْهَا .

إِنَّ العُلُومَ والإِخْتِرَاعَاتِ الحَدِيثَةَ، قَدْ اقْتَبَسَتْ مِنْ عُلُومِ المَسْلُمِينَ،
كَمَا تَشْهَدُ بِهِ عَشْرَاتٌ مِنَ الكُتُبِ والمَقَالَاتِ، مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرْقِ والغَرْبِ،
المُخْتَصِّصِينَ بِهَذِهِ التَّحْقِيقَاتِ والبُحُوثِ، فَلْيَقْتَدِ المَسْلُمُونَ بِسَلْفِهِمْ، فِي
بَسْطِ دَائِرَةِ العُلُومِ وَإِنْجَازِ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا مَا يَرْجِعُ إِلَى تَطْوِيرِ الزَّرَاعَةِ
وَالِاسْتِفَادَةِ الوَاقِرَةِ مِمَّا أَوْدَعَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الطَّبِيعَةِ والمِياهِ والنُّورِ والهَوَاءِ
وَالْأَرْضِ .

الفصل الثامن

الرعي وتربية المواشي

الكتاب

- ١ والْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ، فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ *^١
- ٢ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ *^٢
- ٣ .. وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ..^٣
- ٤ .. وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ اقَامَتِكُمْ، وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا ..^٤
- ٥ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءُ ..^٥
- ٦ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً، نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ *^٦

١ - سورة النحل (١٦) : ٥.

٢ - سورة غافر (٤٠) : ٧٩.

٣ - سورة طه (٣٠) : ٥٣ - ٥٤.

٤ - سورة النحل (١٦) : ٨٣.

٥ - سورة الانعام (٦) : ١٤٢.

٦ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٢٢.

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام علي بن ابي طالب «ع»: عليكم بالغنم والحرث، فإنهما يغدوان بخير، ويروحان بخير^١.
- ٢ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن آبائه: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: .. فأيُّ المالِ بعدَ الزَّرْعِ خَيْرٌ؟ قال: رجلٌ في غنمِهِ قد تَبِعَ بها مواضعَ القَطْرِ .. قيل: يا رسولَ الله! فأيُّ المالِ بعدَ الغنمِ خَيْرٌ؟ قال: البَقْرُ تَغْدُو بخيرٍ وتروحُ بخيرٍ^٢.
- ٣ النبي «ص» - قال لَعَمْتِهِ: ما يَمْنَعُكَ من أن تَتَّخِذِي في بيتِكَ البرَكَةَ؟ فقالت: يا رسولَ الله! ما البرَكَةُ؟ فقال: شاةٌ تُحَلَبُ، فإنَّهُ من كانت في دارِهِ شاةٌ تُحَلَبُ أو نَعِجَةٌ أو بقرَةٌ فبركاتٌ كلُّهنَّ^٣.
- ٤ النبي «ص»: .. إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ ثَلَاثَ بَرَكَاتٍ: المَاءَ والنَّارَ والشَّاةَ^٤.
- ٥ الامام الصادق «ع»: .. وكذلك أُعْطِيَ (الانسان) عِلْمَ ما فيه صلاحُ دنياه كالزَّراعةِ .. واقتناءِ الأَغنَامِ والأَنعامِ^٥.

* لاحظ: كلمتنا في النظرة الى الفصل السابق.

١ - البحار ٤٤ / ١٣٣، عن كتاب «المحاسن».

٢ - امالي الصدوق / ٣١٢ - ٣١٣: الوسائل ١٣ / ١٩٢.

٣ و ٤ - سفينة البحار ١ . ٧.

٥ - البحار ٣ / ٨٣ - ٨٤.

الفصل التاسع

البحر، صيده واستخراج فوائده والصناعة البحرية واهمية طرق البحر

الكتاب

- ١ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ..^١
- ٢ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً ..^٢
- ٣ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ .. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْحَانُ ..^٣
- ٤ .. وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ..^٤
- ٥ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ..^٥

الحديث

١ - سورة المائدة (٥) : ٩٤.

٢ - سورة النحل (١٦) : ١٤.

٣ - سورة الرحمن (٥٥) : ١٩ و ٢٢.

٤ - سورة البقرة (٢) : ١٦٤.

٥ - سورة الاسراء (١٧) : ٦٦.

- ١ الامام علي «ع» - في خطابه لاهل البصرة: .. سَخَّرْكُمْ المَاءَ يَغْدُو عَلَيْكُمْ وَيُرُّوحَ، صَلَاحاً لِمَعَاشِكُمْ، وَالْبَحْرَ سَبِيلاً لِكثْرَةِ اَمْوَالِكُمْ ..^١
- ٢ الامام الصادق «ع»: .. وَكَذَلِكَ أُعْطِيَ (الانسان) عِلْمَ مَا فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَاهُ كَالزَّرَاعَةِ .. وَرُكُوبِ السُّفُنِ، وَالغُوصِ فِي الْبَحْرِ، وَضُرُوبِ الْحَيْلِ فِي صَيْدِ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالْحَيْتَانِ ..^٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: .. فَإِنْ شَكَّكَتَ فِي مَنفَعَةِ هَذَا الْمَاءِ الْكَثِيرِ الْمُتْرَاكِمْ فِي الْبِحَارِ وَقَلَّتْ: مَا الْأَرَبُ فِيهِ؟ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ مُكْتَنَفٌ وَمُضْطَرَّبٌ مَا لَا يُحْصَى، مِنْ أَصْنَافِ السَّمَكِ، وَدَوَابِّ الْبَحْرِ، وَمَعْدِنِ السُّوْلُوِّ وَالْيَاقُوتِ وَالْعَنْبَرِ، وَأَصْنَافِ شَتَّى تُسْتَخْرَجُ مِنَ الْبَحْرِ. وَفِي سِوَا حِلَّةِ مَنَابِتِ الْعُودِ وَالْيَلَنْجُوجِ، وَضُرُوبٍ مِنَ الطَّيِّبِ وَالْعَقَاقِيرِ، ثُمَّ هُوَ بَعْدَ مَرَكَبِ النَّاسِ وَمَحْمَلٍ لِهَذِهِ التِّجَارَاتِ، الَّتِي تُجَلَّبُ مِنَ الْبُلْدَانِ الْبَعِيدَةِ، كَمَثَلِ مَا يُجَلَّبُ مِنَ الصِّينِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَمِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الصِّينِ. فَإِنَّ هَذِهِ التِّجَارَاتِ لَوْلَمْ يَكُنْ لَهَا مَحْمَلٌ إِلَّا عَلَى الظَّهْرِ، لِبَارَتْ وَبَقِيَتْ فِي بُلْدَانِهَا وَأَيْدِي أَهْلِهَا، لِأَنَّ أَجْرَ حَمْلِهَا كَانَ يُجَاوِزُ أَرْثَمَانِهَا، فَلَا يَتَعَرَّضُ أَحَدٌ لِحَمْلِهَا، وَكَانَ يَجْتَمِعُ فِي ذَلِكَ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا فَقْدُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ تَعْظُمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا، وَالْآخَرُ انْقِطَاعُ مَعَاشٍ مَنِ يَحْمِلُهَا وَيَتَعَيَّشُ بِفَضْلِهَا.^٣

١ - البحار ٦٠ / ٣٩

٢ - البحار ٣ / ٨٢ - ٨٣.

٣ - البحار ٣ / ١٢٢ - ١٢٣.

نظرة الى الفصل

إن أهمية البحر وفوائده والاستفادة من الطُّرُقِ البحريَّة، في المناطق التي يُوجدُ فيها بحرٌ، امرٌ معلوم. ولقد جاءت في القرآن الكريم آياتٌ متعددةٌ تُصرِّحُ بأهمية البحر وركوبه واستخراج فوائده الغذائية، غير الغذائية. قال الشيخ ابو علي الطبرسي، في تفسير الآية ١٤، من سورة النحل: «وهو الذي سَخَّرَ البحر» اي دَلَّلَهُ لَكُمْ وَسَهَّلَ لَكُمْ الطَّرِيقَ الى ركوبه واستخراج ما فيه من المنافع، «لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا»، اي لِتَصْطَادُوا مِنْهُ اَنْوَاعَ السَّمَكِ وَتَأْكُلُوا لَحْمَهُ ..»^١.

وقال في تفسير الآية ٦٦، من سورة الإسراء: «الذي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ»، اي يَجْرِي لَكُمْ السُّفْنَ «في البحر»، بما خلق من الرياح، وبأن جعل الماء على وجهه يُمكنُ جري السُّفْنِ فيه، «لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ»، اي لِتَطْلُبُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِرُكُوبِ السُّفْنِ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، فيما فيه صلاحٌ دنيائكم من التجارة ..»^٢.

وهناك في البحار فوائدٌ عظيمةٌ ومنافعٌ كبيرة، للانسان والمجتمع الانساني، من جوانب عديدة، لكل منها أهمية خاصة:

- ١- أن البحر من عمدة المنابع للمواد البروتينية.
- ٢- أن البحر من اهم المنابع لمعرفة الحياة وتوسيع آفاق التجارب العلمية، بما فيه من مختلف انواع الحيوان وغيره.
- ٣- أن البحر من أنفع الوسائل لحمل الاشياء الجسيمة من قطر

١- مجمع البيان ٦ / ٣٥٤.

٢- مجمع البيان ٦ / ٤٢٧.

نظرة الى الفصل التاسع ..

الى قُطْر. والاستفادة من الطُّرُقِ البحريَّة لها فوائد اقتصاديةٌ وحياتيَّة هامةٌ .

٤ - أنَّ البحرَ مُتنزَّهٌ عظيم، للسفرِ وللسباحةِ وكذلك سواحله وما فيها من الفوائد .

٥ - وللبحرِ مضمونٌ توحيدِيٌّ عظيم، من حيث بدايته في الخلقِ وعظمتِه وعجائبِ ما فيه . ولذلك جاء في الحديث : «النَّظْرُ الى البحرِ عبادةٌ»^١ .

وللمسلمين اشواطٌ بعيدةٌ فيما يُمْتُّ الى البحرِ وعلومه وكشفِ طُرُقِه وما يتعلَّقُ بذلك، يَدُلُّ عليها تأليفُه في هذا الموضوعِ كرسائلِ البَحَّارِ، شهابِ الدِّينِ ابنِ ماجد .

١ - البحار ١٠ / ٣٤٨ . وتأمَّ الحديث : «قال رسولُ الله «ص» : النَّظْرُ في ثلاثة اشياء عبادة : النَّظْرُ في وجهِ الوالدين، وفي المصحف، وفي البحر» . والحديثُ مُسنَدٌ قد نقله العلامةُ المجلسيُّ، عن جزءٍ (فيه احاديثُ مُسنَدَةٌ عن الامامِ ابى الحسنِ عليِّ بنِ موسى الرِّضا «ع»)، بخطِ الشَّيخِ محمَّد بنِ عليِّ الجبائيِّ، نقلًا عن خطِّ شيخنا الشَّهيدِ الأوَّلِ محمَّد بنِ مكِّي، وروايةِ السيِّدِ الفقيهِ شمسِ الدِّينِ فخار بنِ معدِّ الموسويِّ (-م ٦٣٠)، رحمةُ اللهِ عليهم أجمعين .

الفصلُ العاشرُ

الصِّناعاتُ والاختراعاتُ

الكتاب

- ١ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ..١
- ٢ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا..٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - في العهد الاشرقي : .. ولا قوامَ لهم (اصنافِ الناسِ المختلفةِ) جميعاً الا بالتُّجَّارِ، وذوي الصِّناعاتِ، فيما يجتمعون عليه من مراقبتهم، ويُقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفُّقِ بأيديهم، ممَّا لا يبلِّغه رفقٌ غيرهم..٣

١ - سورة الانبياء (٢١) : ٨٠.

٢ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٢٧.

٣ - نهج البلاغة / ١٠٠٣ : عبده ٣ / ١٠٠ - ١٠١.

٢ الامام علي «ع»: ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً ..

٣ الامام الصادق «ع»: .. وجعل اسباب ارزاقهم في ضروب الاعمال، وانواع الصناعات، وذلك أدوم في البقاء، وأصح في التدبير.^٢

٤ الامام الصادق «ع»: .. وكذلك أُعطي (الانسان) علم ما فيه صلاح دنياه .. ومعرفة العقاقير، التي يُستشفى بها من ضروب الاسقام، والمعادن التي يُستخرج منها انواع الجواهر، وركوب السفن والغوص في البحر، وضروب الحيل في صيد الوحش والطيور والحيتان، والتصرف في الصناعات.^٣

٥ الامام الصادق «ع»: .. خلقت له العقاقير لأدويته، فكلف لقطها وخطها وصنعها ..^٤

٦ الامام الصادق «ع»: .. خلق له الوبر لكسوته، فكلف ندفه وغزله ونسجه.^٥

٧ الامام الصادق «ع»: ثم فكر في خلق هذه الارض، على ما هي عليه، حين خلقت راتبة راکنة، فتكون موطناً مستقراً .. فإنها لو كانت رجراجة متكفئة، لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما أشبه ذلك.^٦

٨ الامام الصادق «ع»: فكر في هذه الاشياء التي تراها موجودة معدة في العالم من مآربهم، فالتراب للبناء، والحديد للصناعات، والخشب للسفن وغيرها،

١ - نهج البلاغة / ١٠١٧: عبده ٣ / ١١٠.

٢ - الاحتجاج ٢ / ٨٤.

٣ و ٤ و ٥ - البحار ٣ / ٨٢ - ٨٣ و ٨٤.

٦ - البحار ٣ / ١٢١.

والحجارة للآرحاء وغيرها، والنحاس للآواني ..^١

٩ الامام الصادق «ع»: فكريا مُفضّل! في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة، مثل الجصّ، والكلس، والجبس، والزرايخ، والمرتك، والقونيا (التوتيا - خ ل)، والزبيق، والنحاس، والرصاص، والفضة، والذهب، والزبرجد، والياقوت، والزمرد، وضروب الحجارة؛ وكذلك ما يخرج منها من القار، والموميا، والكبريت، والنفط، وغير ذلك، مما يستعمله الناس في مآربهم؛ فهل يخفى على ذي عقل أنّ هذه كلّها ذخائر دُخِرَت للانسان في هذه الارض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة اليها. ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعها (اي الكيمياء) على حرصهم واجتهادهم في ذلك، فانهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى يكثر الذهب والفضة ويسقطا عند الناس، فلا يكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما .. وقد اعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس، والزجاج من الرمل، والفضة من الرصاص، والذهب من الفضة، واشباه ذلك مما لا مضرة فيه.^٢

١٠ الامام الصادق «ع»: .. اما تفسير الصناعات، فكل ما يتعلم العباد او يعلمون غيرهم من صنوف الصناعات، مثل الكتابة والحساب والتجارة والصياغة والسراجة والبناء والحياكة والقصارة والخياطة وصنعة صنوف التصاوير ما لم يكن مثل الروحاني، وانواع صنوف الآلات التي يحتاج اليها العباد، التي منها منافعهم، وبها قوامهم، وفيها بلغة جميع حوائجهم.^٣

١ - البحار ٣ / ٨٦ .

٢ - البحار ٣ / ١٢٨ .

٣ - تحف العقول / ٢٤٧ .

١١ الامام الصادق «ع»: .. الخشبُ لكلِّ شيءٍ من انواعِ النِّجَارَةِ وغيرها،
واللِّحاءِ والورقِ والأصولِ والعروقِ والصُّمُوغِ لضروبٍ من المنافع^١.

اشارة

الكشوف والاختراعات التي تكون رهينة العصور وتطوراتها

١ الامام الصادق «ع»: .. فاذا اردت ان تعرف سَعَةَ حِكْمَةِ الخالقِ وقِصَرَ علمِ
المخلوقين، فَانظُرْ الى ما في البِحارِ من ضروبِ السَّمَكِ، ودوابِّ الماءِ
والاصْدافِ، والاصنافِ التي لا تُحصى ولا تُعرفُ منافعُها، الا الشَّيءُ بعدَ
الشَّيءِ، يَدْرِكُهُ النَّاسُ باسبابٍ تَحْدُثُ .. مِمَّا يَقِفُ النَّاسُ عليه حالاً بعدَ
حالٍ، وزماناً بعدَ زمانٍ^٢.

* في هذه التعبيرات: «باسبابٍ تَحْدُثُ ..»، و«مِمَّا يَقِفُ النَّاسُ
عليه حالاً بعدَ حالٍ، وزماناً بعدَ زمانٍ»، اشاراتٌ صريحةٌ الى
الاسبابِ والادواتِ المستحدثةِ والاختراعاتِ الحديثةِ، ممَّا وصلَ
اليه الانسانُ في معرفةِ الاشياءِ ورؤيةِ ما في الطَّبِيعَةِ وما في السَّماءِ
والارضِ والبِحارِ، فلاحظ.

٢ الامام الصادق «ع»: .. وَاعْتَبِرْ ذلكَ بانَّه قد يَظْهَرُ الشَّيءُ الطَّرِيفُ مما يُحْدِثُهُ
النَّاسُ، من الاواني والامْتِعَةِ^٣.

١ - البحار ٣ / ١٢٩.

٢ و٣ - البحار ٣ / ١٠٩ و ١٢٩.

نظرة الى الفصل

لقد أشرنا في النظرة الى الفصل السابع، الى أن المسلمين لهم سابقة هامة وقدم في العلوم والصناعات، منها الطب والصيدلة. والان يجب عليهم أن ينتبهوا لامور:

١- أن الحاجة تدفع المجتمع والبلد والحكم الى التبعية الاقتصادية فالسياسية، فيجب أن يهتم المسلمون بامور الصناعات المختلفة والحديثة، حتى لا يحتاجوا الى الاجانب، «استغن عن شئت تكن اميره، واحتج الى من شئت تكن اسيره».

٢- أن الا جانب اجتهدوا لان يأخذوا العلوم والصناعات من المسلمين، فسنوا الغارة على مكتباتهم ونسخهم الخطية وادواتهم العلمية والعملية، وذهبوا بما ذهبوا به، وبنوا عليه اساس علومهم وصناعاتهم، كما هو مقرر في محله. فعلى المسلمين ان يستردوا ما سرق منهم، ويمنعوا بذلك جانبهم، ويرفها مجتمعاتهم، في حرية وتقدم.

٣- ان يراعوا الحدود القومية في الصناعة والانتاج الصناعي، حتى لا يخرج الامر الى ترف واستهلاك مبيد.

٤- ان يتقنوا انتاجهم الصناعي، حتى تحسن سمعتهم الصناعية في العالم، ويصبح ذلك حافزا يدفع البلاد لاستيراد منتجات المسلمين الصناعية وشرائها.

٥- ان يعمدوا الى القيام بالقسط، حتى يمدهم الله بالنجاح، لأنهم غير سائر البشر، حيث دعاهم الله بالقرآن الى القيام بالقسط، فإن لم يجيبوا داعي الله فلا نجاح.

الفصل الحادي عشر

الأخصائية الملتزمة

الكتاب

- ١ قال اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْم * ١
- ٢ .. إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِين * ٢
- ٣ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَقَتْ غُرُوبُهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَانًا .. ٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: من عَمِلَ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ، كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ. ٤
- ٢ النبي «ص»: يَا ابْنَ مَسْعُودٍ! إِذَا عَمِلْتَ عَمَلًا فَأَعْمَلْ بِعِلْمٍ وَعَقْلٍ، وَإِيَّاكَ

١ - سورة يوسف (١٢): ٥٥.

٢ - سورة القصص (٢٨): ٢٦.

٣ - سورة النحل (١٦): ٩٢.

٤ - تحف العقول / ٣٩.

- وَأَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا بَغِيرَ تَدَبُّرٍ وَعِلْمٍ، فَإِنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - يَقُولُ: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا»^١.
- ٣ النبي «ص»: إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا فَلْيَتَّقِنُ^٢.
- ٤ الامام علي «ع»: قِيمَةُ كُلِّ إِمْرٍيٍّ مَا يُحْسِنُهُ^٣.
- ٥ الامام علي «ع»: النَّاسُ أَبْنَاءُ مَا يُحْسِنُونَ^٤.
- ٦ الامام علي «ع»: .. الْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ^٥.
- ٧ الامام الصادق «ع»: كُلُّ ذِي صِنَاعَةٍ مُضْطَرٌّ إِلَى ثَلَاثٍ خِلَالَهَا يَجْتَلِبُ بِهَا الْمَكْسَبَ؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ حَازِقًا بِعَمَلِهِ^٦.
- ٨ الامام الصادق «ع»: مَا أَبَالِي إِلَى مَنْ أَتَمَّنَتْ: خَائِنًا أَوْ مُضَيِّعًا^٧.

الفات نظر

هذا تعليمٌ عظيم، ينبغي أن يُكْتَبَ كَأَمْرٍ لِكُلِّ النَّاسِ، فِي جَمِيعِ أَقْسَامِ الْمَجْتَمَعِ، وَلَا سِيَّامًا لِلْمَسْئُولِينَ الْإِدَارِيِّينَ وَأَصْحَابِ الْأَعْمَالِ.

إِنَّ هَذَا التَّعْلِيمَ يُعَدُّ تَضْيِيعَ الْعَمَلِ عَدْلًا لِلْخِيَانَةِ فِيهِ. وَالتَّضْيِيعُ نَيْشًا إِمَّا مِنْ عَدَمِ الْعِلْمِ بِالْعَمَلِ وَعَدَمِ الْأَخْصَائِيَّةِ وَالتَّمَهُّرِ فِيهِ، أَوْ

١ - مكارم الاخلاق / ٥٣٨.

٢ - سفينة البحار / ٢ / ٢٧٨.

٣ - نهج البلاغة / ١١٢٢: عبده ٣ / ١٦٨.

٤ - الارشاد / ١٥٨.

٥ - نهج البلاغة / ٤٨٠: عبده ٢ / ٥٨.

٦ - تحف العقول / ٢٣٧.

٧ - تحف العقول / ٢٧٠.

من عدم الالتزام. فلهذا التعليم أهمية كبيرة، من جهة التربية والاجتماع والاقتصاد والانسانية والرقي والحضارة، وسلامة الحياة، وتسديد الصلات، واجادة الاعمال، وتقدم الصناعات. ولعل تأثير رعايته الايجابي يمتد الى حقول اخرى هامة للانسانية، كالطب والصحة والصيدلة، والتعليم والتربية، وكالدفاع وما الى ذلك، فليتخذ دستوراً حاسماً شاملاً لكل مجتمع، ولكل مسلم نابه ملتزم يقدم على عمل، او يختار فرداً او افراد العمل. وعلى من لا يجيد العمل لعدم العلم به وعدم الاختصاص والمهارة فيه، ان يدعه ولا يقبله، وان طلبوه له باصرار.. صوناً لحقوق الناس، وحفظاً لسلامة الصلات الحياتية، وصيانة لاموال المجتمع وثرواته وادواته.

٩ الامام الصادق «ع»: العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا يزيده سرعة السير الا بعداً.^١

نظرة الى الفصل

إنَّ الأَخْصَائِيَّةَ والالتزام، امران حياتيان لكلِّ مجتمعٍ وبلدٍ وادارةٍ وحكم، ولكلِّ حضارةٍ ورُقِّيِّ علميٍّ او صناعيٍّ. ولقد توفَّرتِ التَّعاليمُ الاسلاميَّةُ على بيانِ اهميةِ العلمِ والمعرفةِ في كلِّ امرٍ (بالاضافة الى حكمِ العقل، وناموسِ التجربة) وكذلك على لزومِ الايمانِ بالعملِ والالتزامِ العقيديِّ به، فيقولُ النَّبيُّ «ص»: «اذا عَمِلْتَ عملاً، فاعْمَلْ بعلمٍ وعقلٍ». ويقولُ: «من عَمِلَ على غيرِ علمٍ، كان ما يُفسدُه اكثرُ ممَّا يُصلِحُ» - كما مرَّ بنا في الفصل. ويقولُ الامامُ عليُّ بن ابي طالبٍ «ع»: «يا كميل! ما من حركةٍ الا وانت محتاجٌ فيها الى معرفةٍ». وكذلك ماوردَ عن الائمةِ الهادين بهذا الصِّدق، كالحديثِ الَّذي روَّيناه عن الامامِ الصَّادقِ «ع»، الَّذي عدَّ فيه تضييعَ العملِ (المنبعثُ عن عدمِ الالتزامِ او عدمِ الاختصاصِ) بمنزلةِ الخيانة. وافتننا الانظارَ هناك الى اهميةِ هذا التَّعليمِ وقيمتهِ التربويَّةِ والاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ والانسانيَّةِ.

اجل، إنَّ الأَخْصَائِيَّةَ امرٌ لا تقومُ الحضارةُ والرُقِّيُّ الا به، كما أنَّ الالتزامَ والايمانَ امرٌ لا تتعالى الحضارةُ والرُقِّيُّ الا به. وهما جناحا الوصولِ الى مجتمعٍ مُتقدِّمٍ وحياةٍ زاهرة. وهذه حقائقٌ وواقعيَّاتٌ لا نحتاجُ الى اطالةِ البحثِ عنها والوقوفِ عندها.

والَّذي ينبغي بل يجبُ أن نُؤكِّدَ عليه، هو أنَّ المسلمين والمجتمعاتِ والحكوماتِ الاسلاميَّةِ، يجبُ عليهم أن يهتمُّوا بامرِ «الأَخْصَائِيَّةِ» ويواظبوا عليه، ويتعاهدوه بجميعِ صورهِ والوانهِ. فعليهم أن يربُّوا الناشئةَ على

معرفة «الالتزام» ووجوب تبنّيه، ويدخلوا في برامجهم الدراسية ما يصنعهم ملتزمين، مُتَبَنِّينَ للإيمان قلباً وعملاً، مُتَمَتِّعِينَ بِبِقَظَةِ الضَّمِيرِ وَرَهَافَةِ الاحساس، حتى لا يَكُونُوا خَائِنِينَ؛ وكذلك عليهم أن يسوقوا المجتمع، في كلِّ قطاعه واعماله، الى التوفّر على «الأخصائية» و«الحِذَاقَةِ» في أيِّ عملٍ او صناعةٍ، كما صرّح به الامام الصادق «ع». وعليهم أن يجعلوا هذين الاصلين محوراَ تدورُ عليه رَحَى حَيَاةِ النَّاسِ، حتى لا يكونوا مُضَيِّعِينَ.

الفصل الثاني عشر

الأجراء، الفلاحون، العمال، لا ظلم ولا استغلال

الكتاب

- ١ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ..
- ٢ .. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *
- ٣ .. لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ..
- ٤ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ *
- ٥ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ..
- ٦ .. فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ..
- ٧ .. وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ *

١ - سورة النحل (١٦) : ٩٠.

٢ - سورة المائدة (٥) : ٤٢؛ سورة الحجرات (٤٩) : ٩؛ سورة الممتحنة (٦٠) : ٨.

٣ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٤ - سورة يونس (١٠) : ٤٤.

٥ - سورة الشورى (٤٢) : ٤٢.

٦ - سورة الاعراف (٧) : ٨٥.

٧ - سورة هود (١١) : ٨٥.

٨ .. وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ *^١

* قال الشيخ الطبرسي، في تفسير الآية من سورة الاعراف (ولا تبخسوا الناس اشياءهم): «اي ولا تنقصوهم حقوقهم»^٢. وقال في تفسير الآية من سورة هود: «اي ولا تنقصوا الناس، "اشياءهم"، اي اموالهم»^٣. وقال في تفسير الآية من سورة الشعراء: «اي ولا تنقصوا الناس حقوقهم ولا تمنعوها»^٤.

الحديث

- ١ النبي «ص»: خصلتان ليس فوقهما من الشر شيء: الشرك بالله، والضرب لعباد الله^٥.
- ٢ النبي «ص»: ليس مئامن غش مسلماً، او ضره، او مأكره^٦.
- ٣ النبي «ص» - إن النبي «ص» بعث الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب، أن اصعد المنبر وأدع الناس اليك، ثم قل: أيها الناس! من انتقص اجيراً اجره، فليتبوأ مقعده من النار^٧.

١ - سورة الشعراء (٢٦): ١٨٣.

٢ - مجمع البيان ٤ / ٤٤٧.

٣ - مجمع البيان ٥ / ١٨٧.

٤ - مجمع البيان ٧ / ٢٠٢.

٥ - تحف العقول / ٣٦.

٦ - تحف العقول / ٣٦.

٧ - البحار ٤٠ / ٥٩، عن «تفسير فرات الكوفي».

٤ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن آبائه، في حديث المناهي: من ظَلَمَ اجيراً أجرته، أَحَبَطَ اللهُ عمله، وَحَرَّمَ اللهُ عليه رِيحَ الجنة، وإن رِيحَهَا لِيُوجَدُ من مسيرةِ خمسِ مئةِ عامٍ^١.

٥ الامام علي «ع» - كان عليّ «ع» يُوصى بالآكارين . وهم الفلاحون^٢.

٦ الامام الصادق «ع»: وَصَى رسولُ الله «ص» عليّاً عند وفاته فقال: يا عليّ! لا يُظَلِّمُ الفلاحون بحضرتك، ولا يَزَادُ على ارضٍ وَضَعْتَ عليها، ولا سُخْرَةَ على مسلم، يعنى الاجير^٣.

٧ الامام الصادق «ع»: أَقْدَرُ الذُّنُوبِ ثلاثة: قتلُ البهيمة، وحبسُ مهرِ المرأة، ومنعُ الاجيرِ اجره^٤.

٨ الامام الصادق «ع»: . اولى قد ينال الطير من البر والحبوب .. ويبقى اكثره للانسان، فانه اولى به، اذ كان هو الذي كَدَحَ فيه وشَقِيَ به^٥.

* ومن شَقِيَ به - في الواقع - الآفلايح والعمال الذين

يَكْدَحُونَ في الارض هنا وهناك؟

١ - الوسائل ١٣ / ٢٤٧.

٢ - البحار ١٠٣ / ١٧٢.

٣ - الوسائل ١٣ / ٢١٦.

٤ - البحار ١٠٣ / ١٦٩.

٥ - البحار ٣ / ١٣٠.

نظرة الى الفصل

لا يُبَرِّرُ الاسلامُ الظُّلمَ بالنسبةِ الى احد، بوجهٍ من الوجوه، حتى حيوانٍ صغيرٍ كالنملة، يقولُ الامامُ عليُّ بنُ ابي طالبٍ «ع»: «والله لو أُعْطِيتُ الاقاليمَ السبعةَ بما تحتَ افلاكِها، على انْ أعصِيَ اللهَ في نَمَلَةٍ اسْلُبُها جَلْبَ شَعيرةٍ، ما فعلتُه».

انَّ العددَ الوافرَ من الآياتِ النَّاهيةِ عن الظُّلمِ والاحاديثِ الرَّادعةِ عنه، يكفي لآن يَدُلُّ على انَّ الظُّلمَ اَقْبَحُ ما يكونُ في نظري الاسلام. وانَّ من اشنعِ انواعِ الظُّلمِ وصوره - واقْدَرِ الذُّنوبِ، على حدِّ تعبيرِ الامامِ الصَّادقِ «ع» - هو ظلمُ المأجورينِ والعَمالِ والكادحين، من الذين يَكْدُون ليلَ نهار، وَيَخْدِمُونَ الآخريينَ بحياتهمِ وابدانهم وما لهم من القدرةِ والامكانيات. وانَّ ظلمَ هؤلاء له صورٌ واشكال، مُعلنةٌ وغيرُ مُعلنة، ولا تَسُوغُ ايةَ صورةٍ منه بحقِّهم، بوجهٍ من الوجوه، فإِنَّ الكِتَابَ السَّمَاوِيَّ يُنادي: «لا تَبْخَسُوا النَّاسَ اَشياءَهُمْ». وهذا يَدُلُّ بدوره على عدمِ جوازِ البَخْسِ بالنسبةِ الى ايِّ شيءٍ، اذ الجمعُ المضافُ يُفيدُ العمومَ ايضاً كالمَحَلِّي؛ فيجبُ انْ تُوفى حقوقُهُمُ المختلفةُ كلاً، وانْ تُصانَ كرامتُهُم، كما اشرنا اليه في النظرةِ الى الفصلِ السَّادسِ.

ففي هذا الضوء، انَّ من غَشَّهم، او صَرَّهم، او ما كَرَّهم او غَبَنَهم في الاشكالِ التَّاليةِ او ما يَضاهيها، فقد تَعَدَّى حدودَ الاسلاميةِ والانسانيةِ. ولذلك لَقَدْ اَكَّدَتِ التَّعاليمُ الاسلاميةُ على رعايةِ حقوقِهِم وتاديةِ اُجورِهِم

وحفظ شخصيتهم ومنزلتهم والنظر اليهم بعين الحُب والكرامة .
فلا يُظلم الأجراء والعَمال والفلاحون والمزارعون والمُتجولون ومن
اليهم في :

- أ - بخس حقوقهم المختلفة ،
- ب - قسْرهم على قبول الحدِّ الاقلِّ للاجر، لما هنالك من الحاجات
والدواعي المُرغمة ،
- ج - منعهم من اللبثِ أثناء العمل للاستجمام ،
- د - الاهمال في دفع تعويضاتهم ،
- هـ - عدم الاعتدادِ بشأنِ العاطلين عن العمل منهم ،
- و - المنع عن ارتفاع أجورهم، بمراوغةٍ وتشبُّث ،
- ز - عدم إعداد ما يجب أن يُعدَّ لهم في المعاملِ او غيرها، من ادوات
العملِ وتجديدها او تحديثها، لئلا يستعسر العملُ عليهم ،
- ح - عدم الاقدام على تأمينهم وتأمينهم، وخصوصاً فيما يرجع الى
صحتهم وصحة اطفالهم، والى ازمة التقاعد ،
- ط - عدم الاهتمام بما يتعلَّق بحاجاتهم السكَّنية وما اليها ،
- ي - عدم تسهيل الامر عليهم فيما يُمْتُّ الى ذهابهم واياهم ،
- يا - عدم امهالهم لتعليم فرائضهم الدينيَّة وما يتصلُّ بها وبادائها ،
- يب - حطُّ كرامتهم الانسانيَّة وحفض قدرهم الاجتماعي ..

الفصل الثالث عشر

الاستيراد والبيع

الكتاب

- ١ يا أيها الذين آمنوا، لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، إلا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم، ولا تقتلوا أنفسكم، إن الله كان بكم رحيماً *^١
- ٢ أحلَّ اللهُ البيعَ وحَرَّمَ الربَّا..^٢
- ٣ أوفوا الكيلَ ولا تكونوا من الخسرين * وزنوا بالقسطاسِ المستقيم * ولا تبخسوا الناسَ أشياءهم ولا تعثوا في الارضِ مُفسدين *^٣
- ٤ .. فأوفوا الكيلَ والميزانَ، ولا تبخسوا الناسَ أشياءهم، ولا تفسدوا في الارضِ بعدَ اصلاحها، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين *^٤
- ٥ وَيَلِلِ الْمُطْفَفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟ *^٥

١ - سورة النساء (٤) : ٢٩.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٧٥.

٣ - سورة الشعراء (٢٦) : ١٨١ - ١٨٣.

٤ - سورة الاعراف (٨) : ٨٥.

٥ - سورة المُطَفِّين (٨٣) : ١ - ٦.

* إن الاستيراد والانتاج والبيع والكسب امورٌ محدودةٌ في الاسلام، من جهاتٍ عديدة، كما هو الحال في ايّ مذهبٍ اقتصاديٍّ ملتزم، فضلاً عن كونه الهيباً. فلا تجدنّ الاسلام يُطلق سراحَ المستوردين والمُنتجين والبائعين لأن يستوردوا ويبتجوا ما شاؤوا وشاءت لهم الميول، وأن يعلموا بامتعتهم ويعرضوها في الاسواقِ كيفما شاؤوا وشاءت لهم الميول، وأن يبيعوها من الناسِ بأيّ سعرٍ شاؤوا وشاءت لهم الميول. لا، ليس الامرُ كذلك. لأن هذه الحرية بمفاسدها العظيمة والرئيسية، تسحقُ القسطَ الاسلاميَّ والعدالةَ الاقتصاديةَ وصيانةَ حقوقِ الناسِ ولا سيما الضعفاء منهم، فلا تلائمُ الدينَ وادارته العادلةَ الاقتصاديةَ، ومنهاجه القويمَ في الرقابة على الامور لمصلحة الجماهير - وخصوصاً المستضعفين والمحرومين - وكذلك لا تلائمُ سوقَ المجتمعات الى التقوم بالحق (باعطاء الحق واخذ الحق - كما يأتي)، والوقوف دون الحدّ الملتزم، والحركة الى ارساء قواعد التوازن والعدل. راجع بهذا الصدد: الفصلين الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين، من هذا الباب.

ومن اللاّحِب أن الاستيراد الحرّ يستتبع التبعية الاقتصادية، ولا سيما اذا كان من غير بلاد المسلمين، فيؤدّي الامر الى استيلاء غير المسلمين عليهم^١. وهذا ما يرفضه الاسلام رفضاً، فلن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً^٢. وهذه علة هامةٌ اخرى لأن يرفض الاسلام الاستيراد الحرّ، من غير أن يجعل له حداً. ودونك تعاليم هامةٌ من الاحاديث:

١ - راجع للبحث عن هذا الموضوع: تذييل النظرية الى الفصل ٢٠، من الباب ١١.

٢ - سورة النساء (٤): ١٤١.

الحديث

أ - الحِضُّ عَلَى الْكَسْبِ وَالِاسْتِيرادِ

١ الامام علي «ع»: تَعَرَّضُوا لِلتَّجَارَاتِ، فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا غَنًى عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ.^١

٢ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الكاظم: أُوصِيَكُمْ بِالْخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَالِاِكْتِسَابِ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى.^٢

٣ الامام الصادق «ع» - مَعَاذُ بَنٍ كَثِيرٍ، بِيَّاعِ الْكَاكِسِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي - عَبْدِ اللَّهِ «ع»: إِنِّي قَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَدَعَ السُّوقَ وَفِي يَدِي شَيْءٌ؟ فَقَالَ: إِذَا يَسْقُطُ رَأْيُكَ، وَلَا يُسْتَعَانُ بِكَ عَلَى شَيْءٍ.^٣

٤ الامام الرضا «ع»: .. حَرَّمَ السَّرْقَةَ لِمَا فِيهَا مِنْ فِسَادِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْإِنْفُسِ لَوْ كَانَتْ مَبَاحَةً، وَلِمَا يَأْتِي فِي التَّغَاصِبِ مِنَ الْقَتْلِ وَالتَّنَازَعِ وَالتَّحَاوُسِ، وَمَا يَدْعُو إِلَى تَرْكِ التَّجَارَاتِ وَالصَّنَاعَاتِ، فِي الْمَكَاسِبِ وَاقْتِنَاءِ الْأَمْوَالِ، إِذَا كَانَ الشَّيْءُ الْمُقْتَنَى لَا يَكُونُ أَحَدٌ أَحَقَّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ.^٤

ب - الْفَقْهُ ثُمَّ الْمَتَجَرُّ (الْكَسْبُ وَالِاسْتِيرادِ)

١ - الوسائل ١٢ / ٤.

٢ - تحف العقول / ٢٨٨.

٣ - الوسائل ١٢ / ٧.

٤ - الوسائل ١٨ / ٤٨٢.

- ٥ النبي «ص»: الفقّه ثُمَّ الْمُتَجَرُّ، فَمَنْ أَتَجَرَ بِغَيْرِ فِقْهِ، فَقَدْ ارْتَضَمَ فِي الرَّبَا، ثُمَّ ارْتَضَمَ ١.
- ٦ النبي «ص»: التَّاجِرُ فَاجِرٌ، وَالْفَاجِرُ فِي النَّارِ، إِلَّا مَنْ أَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَى الْحَقَّ ٢.
- ٧ الامام علي «ع» - الْأَصْبَغُ بَيْنُ نُبَاتَةٍ قَالَ: سَمِعْتُ امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «ع» يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ: يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ! الْفَقْهُ ثُمَّ الْمُتَجَرُّ! الْفَقْهُ ثُمَّ الْمُتَجَرُّ! الْفَقْهُ ثُمَّ الْمُتَجَرُّ. وَاللَّهُ لِلرَّبَا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا ٣.
- ٨ الامام الصادق «ع» - فِيمَا رَوَاهُ عَنْ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «ع»: مَنْ أَتَجَرَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، ارْتَضَمَ فِي الرَّبَا، ثُمَّ ارْتَضَمَ ٤.
- ٩ الامام الصادق «ع»: كَانَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» يَقُولُ: لَا يَقْعُدَنَّ فِي السُّوقِ إِلَّا مَنْ يَعْقِلُ الشَّرَاءَ وَالْبَيْعَ ٥.
- ١٠ الامام الصادق «ع»: مَنْ أَرَادَ التِّجَارَةَ فَلْيَتَفَقَّهْ فِي دِينِهِ، لِيَعْلَمَ بِذَلِكَ مَا يَحِلُّ لَهُ مِمَّا يَحْرُمُ عَلَيْهِ. وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي دِينِهِ ثُمَّ أَتَجَرَ تَوَرَّطَ الشُّبُهَاتِ ٦.

ج - السّنة في البيع والشراء

- ١١ النبي «ص» - فِيمَا رَوَاهُ الامامُ الصّادق: مَنْ بَاعَ وَأَشْتَرَى فَلْيَحْفَظْ خَمْسَ خِصَالٍ، وَالْأُولَى فَلَا يَشْتَرِيَنَّ وَلَا يَبِيعَنَّ: الرَّبَا، وَالْحَلْفَ، وَكُتْمَانَ الْعَيْبِ،

١ - المستدرک ٢ / ٤٦٣.

٢ - من لا يحضره الفقيه ٣ / ١٢١.

٣ و ٤ و ٥ - الكافي ٥ / ١٥٠ و ١٥٤.

٤ - الوسائل ١ / ٢٨٣.

والحمد إذا باع، والدم إذا اشترى^١.

١٢ النبي «ص» - عبد الله بن القاسم الجعفري، عن بعض اهل بيته قال: إن رسول الله «ص» لم يأذن لحكيم بن حزام بالتجارة حتى ضمن له إقالة النادم، وإنظار المعسر، وأخذ الحق وافية وغير وافي^٢.

١٣ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: جاءت زينب العطاره الحولاء الى نساء النبي؛ فجاء النبي فاذا هي عندهم، فقال النبي «ص»: «إذا أتيتنا طابت بيوتنا». فقالت: «بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله!». فقال لها رسول الله «ص»: «إذا بعته فأحسني ولا تعشي، فإنه أتقى لله وأبقى للمال»^٣.

* إذا كانت هذه وصاة رسول الله «ص» لامرأة عابرة تبع أشياء جزئية، فما ظنك أيها القارئ بهذه الصفقات الكبيرة والاستيرادات الباهظة والمنتجات الهامة وأسعارها ومعاملتهم فيها مع الناس؟

١٤ الامام الصادق «ع» - قال في جواب من سأله عن التجارة: عليك بصدق اللسان في حديثك، ولا تكتم عيباً يكون في تجارتك، ولا تغبن المشتري المسترسل فإن غبنه رباً، ولا ترض للناس إلا ما ترضاه لنفسك، وأعط الحق وخذه.. فإن التاجر الصدوق مع السفرة الكرام البررة يوم القيامة. اجتنب الحلف فإن اليمين الفاجرة تورث صاحبها

١ و ٢ - الكافي ٥ / ١٥٠ - ١٥١.

٣ - الكافي ٥ / ١٥١.

النَّارِ. وَالتَّاجِرُ فَاجِرٌ إِلَّا مَنْ أَعْطَى الْحَقَّ وَأَخَذَهُ ..^١

* وَكُونَ التَّاجِرَ (البائع والكاسب) مع «السَّفَرَةَ الْكِرَامِ
الْبَرَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وهو مقامٌ عظيم، انّما يَفُوزُ به لتقدّمه الخدمة
الى النَّاسِ وتموينه لهم واعداده ما يحتاجون اليه في حياتهم واداء
تكاليفهم المختلفة. وتقع هذه كلّها اذا كانت لله تعالى وموافقةً
للموازنِ والسُّنَنِ الشَّرْعِيَّةِ، فهي من اهمّ الاعمال، ممّا يوجب رضا
الله والرّسول «ص».

١٥ الامام الرضا «ع» - من «فقه الرضا» المنسوب اليه: انّ من باع او اشترى
فَلْيَحْفَظْ خَمْسَ خِصَالٍ وَالْأَفْلَايِبُ وَلَا يَشْتَرِيَ: الرِّبَا، وَالْحَلْفَ، وَكُتْمَانَ
الْعَيْبِ، وَالْمَدْحَ اِذَا بَاعَ، وَالذَّمَّ اِذَا اشْتَرَى.^٢

١٦ الامام الرضا «ع»: .. اِذَا كُنْتَ فِي تِجَارَتِكَ وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهَا
مَتَجَرِّكُ، فَإِنَّ اللَّهَ وَصَفَ قَوْمًا وَمَدَحَهُمْ فَقَالَ: «رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ». وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ يَتَجَرَّوْنَ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ تَرَكُوا
تِجَارَتَهُمْ وَقَامُوا اِلَى صَلَاتِهِمْ، وَكَانُوا اعْظَمَ اجْرًا مِمَّنْ لَا يَتَجَرَّرُ فَيُصَلِّي. وَمَنْ
اتَّجَرَ فَلْيَتَجَنَّبِ الْكُذْبَ .. وَاسْتَعْمِلْ فِي تِجَارَتِكَ مَكَارِمَ الْاِخْلَاقِ، وَالْاِفْعَالَ
الْجَمِيلَةَ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.^٣

* راجع ايضاً: الفصل الثامن، من الباب الحادي عشر، فقرة

«ه».

١ - المستدرک ٢ / ٤٤٣ - ٤٤٤.

٢ - المستدرک ٢ / ٤٤٣؛ البحار ١٠٣ / ١٠٠.

٣ - البحار ١٠٣ / ١٠٣.

د - تحديد الربح

- ١٧ النبي «ص»: ربحُ المؤمنِ على المؤمنِ رباً^١.
- ١٨ الامام الصادق «ع»: ربحُ المؤمنِ على المؤمنِ رباً، إلا أن يشتريَ بأكثرَ من مئةِ درهمٍ، فأربحَ عليه قوتَ يومك، او يشتريه للتجارة، فأربحوا عليهم وأرفقوا بهم^٢.
- ١٩ الامام الرضا «ع»: ربحُ المؤمنِ على اخيه رباً، إلا أن يشتري منه شيئاً بأكثرَ من مئةِ درهمٍ، فيربحَ فيه قوتَ يومه، او يشتري متاعاً للتجارة، فيربحَ ربحاً خفيفاً^٣.

هـ - شجب الأرباح الضخمة والتكاثرية

- ٢٠ الامام الباقر «ع»: وجدنا في كتاب علي بن الحسين «ع»: «الآ! إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، اذا أدوا فرائض الله، وأخذوا بسنن رسول الله «ص»، وتورعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا، ورغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطيب من رزق الله - لا يريدون التفاضر والتكاثر - ثم أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة؛ فاولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا، ويثابون على ما قدموا لآخرتهم»^٤.

- ٢١ الامام الصادق «ع»: دعا ابو عبد الله مولى له يُقال له «مُصادف»، فأعطاه الفَدينارَ

١ - البحار ١٠٣ / ١٠٣، عن «اعلام الدين».

٢ - الكافي ١٥٤ / ٥.

٣ - البحار ١٠٣ / ١٠٠؛ المستدرک ٢ / ٤٦٤.

٤ - تفسير نور الثقلين ٢ / ٣٠٩.

وقال له : تَجَهَّزْ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى مِصْرَ فَإِنَّ عِيَالِي قَدْ كَثُرُوا .. فَتَجَهَّزْ بِمَتَاعٍ
وَخْرُجْ مَعَ التُّجَّارِ إِلَى مِصْرَ . فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مِصْرَ اسْتَقْبَلَتْهُمُ قَافِلَةٌ خَارِجَةٌ مِنْ مِصْرَ ،
فَسَأَلُوهُمْ عَنِ الْمَتَاعِ الَّذِي مَعَهُمْ مَا حَالُهُ فِي الْمَدِينَةِ - وَكَانَ مَتَاعُ الْعَامَّةِ -
فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ بِمِصْرَ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَتَحَالَفُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَى أَنْ لَا يَنْقُصُوا
مَتَاعَهُمْ مِنْ رِبْحِ دِينَارٍ دِينَارًا .

فَلَمَّا قَبِضُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَنْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَدَخَلَ مِصَادِفٌ عَلَى أَبِي -
عَبْدِ اللَّهِ «ع» وَمَعَهُ كَيْسَانٌ فِي كُلِّ وَاحِدٍ أَلْفُ دِينَارٍ . فَقَالَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! هَذَا
رَأْسُ الْمَالِ وَهَذَا الْآخِرُ رِبْحٌ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّبْحَ كَثِيرٌ ، وَلَكِنْ مَا صَنَعْتَهُ فِي
الْمَتَاعِ ؟ فَحَدَّثَهُ كَيْفَ صَنَعُوا وَكَيْفَ تَحَالَفُوا . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! تَحْلِفُونَ عَلَى
قَوْمٍ مُسْلِمِينَ أَلَّا تَبِيعُوهُمْ إِلَّا بِرِبْحِ الدِّينَارِ دِينَارًا ؟ ثُمَّ أَخَذَ أَحَدَ الْكَيْسَيْنِ فَقَالَ :
هَذَا رَأْسُ مَالِي ، وَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي هَذَا الرَّبْحِ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا مِصَادِفُ ! مُجَادَلَةٌ
السَّيُوفِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ ١ .

الفتا نظر

قد جاءت احاديثٌ متعدّدةٌ تُرشدُ إلى تركِ الربحِ في البيعِ
من المؤمنِ وتَحُضُّ عليه ٢ . وجاء في احاديثٍ أُخرى اناطته بزمانِ
ظهورِ الحقِّ والعدلِ ، في دولةِ القائمِ المهديِّ «ع» : ٣ غيرَ أَنَّ الْقِسْمَ
الْأَوَّلَ مِنَ الْإِحَادِيثِ لَا تَقْيِيدَ فِيهِ ، وَلِسَانُهُ لِسَانُ الْإِطْلَاقِ ، وَبَعْضُهَا
صَرِيحٌ فِيهِ ، كَالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ (رقم ١٧) وَالْحَدِيثِ الصَّادِقِيِّ (رقم
١٨) وَالْحَدِيثِ الرَّضَوِيِّ (رقم ١٩) . وَعَلَى أَيِّ ، لَا حَرَمَةَ لِأَخِذِ
الرَّبْحِ إِذَا كَانَ خَفِيفًا عَادِلًا ، وَلَا جَوَازَ لِأَخِذِهِ بِغَيْرِ الشَّكْلِ

١- الكافي ٥/ ١٦١-١٦٢ .

٢- فيما لم يكن للتجارة ، أو لم يزد على مئة . وحُضُوا فِيهَا أَيْضًا عَلَى التَّخْفِيفِ وَالْإِكْتِفَاءِ بِقَوْتِ يَوْمِ

٣- ولعلَّ المَنَوطَ بِالْعَهْدِ الْمَهْدِيِّ مَطْلُوقٌ فِي جَمِيعِ الصُّورِ وَالصَّفَقَاتِ . وَهَذَا وَاضِحٌ .

المذكور، لدخوله في العناوين المحرمة كالظلم والغبن ..
 ولقد عقد شيخنا الحرّ العامليّ باباً بهذا العنوان: «باب كراهة
 الربح على المؤمن إلا أن يشتري للتجارة، أو باكثر من مئة درهم؛
 واستحباب تقليل الربح والاقتصار على قوت يوم، وعدم تحريم
 الربح ولو على المضطرّ»، ومن اللاّجب، أنّ عدم تحريم الربح
 مُتَيَقِّنٌ في الخفيف منه - كما ورد في الاخبار - فمأزاد على ذلك اذا
 صار الى حدّ الظلم والاعتداء والاجحاف والحيف، ولا سيما في
 معاملة المضطّرين، فهذا ما لا يسوغه الشرع الاسلاميّ البتة .
 وبعد ذلك كلّهُ، فأنظر الى هذه التعاليم الواردة عن الدّين، وما
 يجري في الاسواق التي تُسمّى «اسواق المسلمين»! لماذا آل الامرُ
 الى هذا المآل، السيّء العسوف، لماذا؟ ولماذا تجرّأ اغنياء الأُمَّة
 على هذا الظلم والاجحاف والحيف، وعلى تلك المعاملة مع
 الناس، عباد الله وعياله، لماذا؟ ومن الذين ربّوهم هذه التّربية
 وجرّأوهم على ما يعملون، من هم؟..

و- السّماح والسهولة في البيع

- ٢٢ النبي «ص»: إنّ الله - تبارك وتعالى - يُحبُّ العبد، يكون سهلاً في البيع، سهلاً
 الشراء .. ٢
- ٢٣ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: بارك الله على سهل البيع، سهلاً
 الشراء .. ٣

١ - وفيهم من يُعدّون انفسهم من خدمة الدّين واعضاد الاسلام والمسلمين!

٢٤ الامام علي «ع»: لِيَكُنَ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ
بِالْفَرِيقَيْنِ، مِنْ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ ١.

* هذا حُضٌّ عَلَى التَّسْعِيرِ وَالرَّقَابَةِ عَلَى الْأَسْعَارِ، إِذَا احْتُمِلَ
أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ اجْحَافٌ .

ز - البيع في الظلال غش

٢٥ الامام الكاظم «ع» - قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ: كُنْتُ أَبِيعُ السَّابِرِيَّ فِي الظَّلَالِ،
فَمَرَّ بِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَوَّلُ «ع» رَاكِبًا، فَقَالَ لِي: يَا هِشَامُ! إِنَّ الْبَيْعَ فِي
الظَّلَالِ غَشٌّ. وَالغَشُّ لَا يَحِلُّ ٢.

* راجع لعدم جواز «بيع المجهول»: الوسائل ١٢ / ٢٤٣
وما بعدها .

ح - الغش ورفضه الحاسم

٢٦ النبي «ص»: مَنْ غَشَّ مُسْلِمًا فِي شِرَاءٍ أَوْ بَيْعٍ، فَلَيْسَ مِنَّا وَيُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ
الْيَهُودِ، لِأَنَّهُمْ أَغَشُّ الْخَلْقِ لِلْمُسْلِمِينَ ٣.

٢٧ النبي «ص»: مَنْ بَاتَ وَفِي قَلْبِهِ غَشٌّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، بَاتَ فِي سَخَطِ اللَّهِ وَأَصْبَحَ
كَذَلِكَ حَتَّى يُتُوبَ ٤.

١ - نهج البلاغة / ١٠١٨؛ عبده ٣ / ١١٠.

٢ - الوسائل ١٢ / ٣٤٣.

٣ و٤ - سفينة البحار ٢ / ٣١٨.

- ٢٨ النبي «ص»: «ألا! ومن غَشَّنَا فليس منا (قالها ثلاث مرّات). ومن غَشَّ اخاه المسلم نَزَعَ اللَّهُ بركةَ رزقه، وأفسدَ عليه معيشته، ووكله الى نفسه ١.
- ٢٩ الامام الصادق «ع»: «.. إياك والغش! فإنه من غَشَّ غُشَّ في ماله، فإن لم يكن له مالٌ غُشَّ في اهله ٢.
- ٣٠ الامام الصادق «ع»: نهى النبي «ص» أن يُشَابَ اللَّبْنُ بالماءِ للبيع ٣.

ط - غبن المؤمن والمسترسل ربا

- ٣١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن ابيه، عن آبائه: غَبْنُ المُسْتَرَسِلِ ربا ٤.
- ٣٢ الامام الصادق «ع»: غَبْنُ المؤمنِ حرام ٥.

ي - الصّدق واخذ الحقّ واعطاؤه، والأالفجور

- ٣٣ النبي «ص»: «يا معشرَ التُّجَّارِ! انتم فُجَّارٌ، إلا من اتقى وبرَّ وصدَقَ ٦.
- ٣٤ النبي «ص» - إنه مرَّ بالتُّجَّارِ، وكانوا يَوْمِئِذٍ يُسَمَّونَ السَّماسِرةَ، فقال لهم: «أما! إنني لا أُسَمِّيكم السَّماسِرةَ، ولكن أُسَمِّيكم التُّجَّارَ. والتاجرُ فاجرٌ.

١- الوسائل ١٢/ ١٢١.

٢- الوسائل ١٢/ ٢٠٩ و ٢٠٨.

٣- البحار ١٠٣/ ١٠٤. وفي «الكافي» (٥/ ١٥٣)، عن الامام الصادق «ع»: «غبنُ المُسْتَرَسِلِ سُحْتٌ». والمُسْتَرَسِلُ: «الَّذِي يَتَّقُ بِالْبَائِعِ وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي قِيَمَةِ الشَّيْءِ».

٤- الكافي ٥/ ١٥٣.

٥- مجمع البيان ٢/ ٣٨٠.

والفاجر في النار». فَعَلَّقُوا ابْوَابَهُمْ وَأَمْسَكُوا عَنِ التَّجَارَةِ؛ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» مِنْ غَدٍ فَقَالَ: «أَيْنَ النَّاسُ؟». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! سَمِعُوا مَا قُلْتَ بِالْأَمْسِ فَأَمْسَكُوا. قَالَ: «وَأَنَا أَقُولُهُ الْيَوْمَ أَيْضًا، إِلَّا مَنْ أَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَاهُ»^١.

٣٥ النبي «ص»: يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ! اِرْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ، فَقَدْ وَضَعَ لَكُمْ الطَّرِيقَ. تَبِعْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَارًا، إِلَّا مَنْ صَدَقَ حَدِيثُهُ^٢.

* لقد نظر اولياء الاسلام الى التجار والمستوردين واهل الاسواق والبائعين نظر الشبهة والتعسف، الا من استثنوهم من المتقين الصادقين المقتنعين. وقليل ما هم. فالتاجر الذي لا يسعّر عليه، هو المتقي الصادق الحديث، الآخذ للحق والمعطي له، التارك للربح او المحفف له جداً، المكتفي بقوت يوم او ما يقاربه، لا اهل الفجور والخيانة - بنص الاحاديث - الكذبة، المتشاحون على الاموال، المجحفون بالاسعار، المحرقون الناس في جهيم التضخم والاحتكار والغلاء! اهؤلاء لا يسعرون عليهم؟ اهكذا تتبع امير المؤمنين «ع»، الذي يعهد الى الاشر النخعي، ان لا تكون الاسعار في مصر مجحفةً بالفريقين؟ اهكذا تقتضي الفقهة القرآنية، التي يجب ان تكون سناد الضعفاء والمحرومين، وعدو الظلمة والمعتدين؟ ان كان هذا فليذهب الاسلام - والعياد بالله - بنقسطه وعدله واحسانه الى حيث يشاء^٣.

١ - المستدرک ٢ / ٤٤٣. عن «دعائم الاسلام».

٢ - من لا يحضره الفقيه ٣ / ١٢١.

٣ - راجع للكلام عن التسعير: الفصل ١٥، من هذا الباب.

٣٦ الامام علي «ع»: .. التاجرُ فاجرٌ، والفاجرُ في النار، الا من اخذ الحقَّ
وأعطى الحقَّ^١.

يا - شراء الجيد وبيع الجيد

٣٧ الامام الصادق «ع» - عاصمُ بنُ حميد قال: قال لي ابو عبدالله «ع»: «أيُّ
شيءٍ تُعالج؟ قلت: أبيعُ الطَّعام. فقال لي: اشترِ الجيِّد، وبعِ الجيِّد، فإنَّ
الجيِّدَ اذا بعتَه قيلَ له: بارَكَ اللهُ فيكَ وفيمنَ باعَكَ^٢.

يب - لا يمين في البيع

٣٨ الامام علي «ع» - قام اميرُ المؤمنين «ع» على دارِ ابنِ ابي مُعيط، وكان تُقامُ
فيها الابل، فقال: يا معاشرَ السَّماسِرَةِ! أَقْلُوا الأيْمَانَ، فَإِنَّهَا مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ،
مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ^٣.

٣٩ الامام الكاظم «ع»: ثلاثةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ اليهم: احدهم رجلٌ اتَّخَذَ اللهُ بضاعَةَ،
لا يَشْتَرِي الاَّ يمينين، ولا يَبِيعُ الاَّ يمينين^٤.

يج - لا بخس لاشياء الناس

*مَرَّ القُرْآنُ الدَّالُّ النَّاصُ عليه. وراجع: الفصل الثالث عشر،

من الباب الحادي عشر.

١ - الكافي ٥ / ١٥٠.

٢ - الكافي ٥ / ٢٠٢.

٣ و٤ - الوسائل ١٢ / ٣٠٩ - ٣١٠.

يد - لا تطفيف ولا إفسار

* مرّ القرآن الدالُّ النَّاصُّ عليه . وراجع : الفصل الثالث عشر ،

من الباب الحادي عشر .

يه - لا تسويف ولا تأخير

٤٠ النبي «ص» : ويلٌ لتُجَارِ أُمَّتِي من «لا والله» و «بلى والله» . وويلٌ لُصَّاعِ أُمَّتِي من «اليوم» و «غداً»^١ .

يو - مجادلة السيوف اهون من طلب الحلال

٤١ الامام علي «ع» : .. ألا! فتوقّعوا ما يكون من اِدْبَارِ امورِكم .. ذاك حيث تكون ضربة السيوف على المؤمن اهون من الدرهم من حله^٢ .

٤٢ الامام الصادق «ع» - ممّا قاله لمولاه مُصادف ، حينما باع متاعه بمصر ، بربح الدينار ديناراً : يا مُصادف! مُجادلةُ السيوفِ اهون من طلبِ الحلال^٣ .

يز - بيع المضطرين ممنوع

٤٣ الامام علي «ع» : يأتِي على الناسِ زمانٌ عَضُوضٌ ، يَعَضُّ المويسرُ فيه على ما في يديه ، ولم يؤمّرْ بذلك . قال الله سبحانه : «ولا تَسْؤُوا الفِضْلَ بَيْنَكُمْ» ،

١ - الوسائل ١٢ / ٣١٠ .

٢ - نهج البلاغة / ٧٥٥ : عبده ٢ / ١٤٩ - ١٥٠ .

٣ - الكافي ٥ / ١٦١ - ١٦٢ . مرّ الحديث برقم ٢١ .

الفصل الثالث عشر: الاستيراد والبيع

تَنهَدُ فِيهِ الْإِشْرَارَ، وَتُسْتَدَلُّ فِيهِ الْإِخْيَارَ، وَيُبَاعُ الْمُضْطَرُّونَ. وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ «ص» عَنِ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ^١.

* راجع أيضاً: الفصل الثالث عشر، من الباب الحادي عشر،

فقرة «ب»، فلقد اوردنا هناك حديثاً عن الامام الصادق «ع»، سَمِيَ فِيهِ بَيْعَ الْمُضْطَرِّ اغْتِيالاً.

يح - رفض الوساطة في البيع

٤٤ النبي «ص»: لا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ، دَعَا النَّاسَ يَرْزُقِ اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ^٢.

٤٥ النبي «ص» - فيما رواه الامام الباقر: لا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَالْمُسْلِمُونَ يَرْزُقُ اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ^٣.

٤٦ الامام الصادق «ع»: لا تَلَقَّ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» نَهَى عَنِ التَّلَقِّيِ^٤.

راجع أيضاً: الفصل الثالث عشر، من الباب الحادي عشر،

فقرة «ي».

يط - حق الميزان والوفاء به

١ - نهج البلاغة / ١٣٠٠؛ عبده ٣ / ٢٤٤.

٢ - الوسائل ١٢ / ٣٢٨.

٣ - الوسائل ١٢ / ٣٢٧.

٤ - الوسائل ١٢ / ٣٢٦.

٤٧ الامام علي «ع» - قال الامام الصادق: مرّ امير المؤمنين «ع» على جاريةٍ قد اشترتَ لحمًا من قصاب، وهي تقول: زدني. فقال له امير المؤمنين: زدّها فانه اعمُّ للبركة^١.

٤٨ الامام الصادق «ع»: لا يكون الوفاء حتى يرجح^٢.

٤٩ الامام الصادق «ع»: انو الوفاء، فان اتى على يدك - وقد نويت الوفاء - نقصان، كنت من اهل الوفاء. وان نويت النقصان، ثم اوفيت كنت من اهل النقصان^٣.

٥٠ الامام الصادق «ع»: ان فيكم خصلتين هلك بهما من قبلكم من الأمم. قالوا: وما هما يا ابن رسول الله «ص»؟ قال: المكيال والميزان^٤.

ك - لا يُباع السلاح من أعداء الاسلام

٥١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: يا علي! كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة .. وبائع السلاح من اهل الحرب^٥.

تنبيه

يَدْخُلُ في الموضوع، بيع المناجم وما يُستخرج منها، من اعداء الاسلام والمستعمرين والمستكبرين، اذا استعملوها ضدّ الاسلام والمسلمين والمستضعفين، لملاكات معلومة، منها ممنوعيةٌ معاونة الظلم والعدوان. فعلى الحكومات الاسلامية ان لا

١ و ٢ - الوسائل ١٢ / ٢٩٠.

٣ و ٤ - الوسائل ١٢ / ١٩١.

٥ - الوسائل ١٢ / ٧١.

تبيع المناجم من أعداء الاسلام والمسلمين .

كا - اي كاسب حبيب الله؟

٥٢ الامام علي «ع»: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ، يُحِبُّ الْمُحْتَرِفَ الامين^١ .

كب - تَدَنَّ وسقوط

٥٣ النبي «ص»: «شَرُّ النَّاسِ التُّجَّارُ الْخَوَنَةُ^٢ .

٥٤ الامام علي «ع» - في العهد الاشرقي : وَأَعْلَمَ مَع ذَلِكَ، أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْفًا فَاحْشَاءً، وَشُحًا قَبِيحًا، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَعَاتِ^٣ ..

٥٥ الامام علي «ع»: «شَرُّ الرَّجَالِ، التُّجَّارُ الْخَوَنَةُ^٤ .

كج - قيم مثلي للحياة الاسلامية في الاسواق

٥٦ الامام الباقر «ع»: «كَانَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» بِالْكَوْفَةِ .. فَيَطُوفُ فِي أَسْوَاقِ الْكَوْفَةِ، سُوقًا سُوقًا، وَمَعَهُ الدَّرَّةُ عَلَى عَاتِقِهِ .. فَيُنَادِي : يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، اتَّقُوا اللَّهَ .. قَدَّمُوا الِاسْتِخَارَةَ، وَتَبَرَّكُوا بِالسُّهُولَةِ، وَاقْتَرِبُوا مِنَ الْمُتَبَاعِينَ، وَتَزَيَّنُوا بِالْحِلْمِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْيَمِينِ، وَجَانِبُوا الْكُذْبَ، وَتَجَافَوْا عَنِ الظُّلْمِ،

١ - الوسائل ١٢ / ٤ .

٢ - المستدرک ٢ / ٤٤٣ .

٣ - نهج البلاغة ١٠١٧ : عبده ٣ / ١١٠ .

٤ - البحار ١٠٣ / ١٠٣ .

وَأَنْصِفُوا الْمَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْرَبُوا الرِّبَا، «وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ». قال: فَيَطُوفُ فِي جَمِيعِ أَسْوَاقِ الْكُوفَةِ،^١ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَقْعُدُ لِلنَّاسِ.^٢ قال: وكانوا إذا نَظَرُوا إِلَيْهِ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْهِمْ قال: «يا مَعْشَرَ النَّاسِ!»، أَمْسِكُوا أَيْدِيَهُمْ وَأَصْغُوا إِلَيْهِ بِأَذَانِهِمْ وَرَمَقُوهُ بِأَعْيُنِهِمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ كَلَامِهِ، فإِذَا فَرَغَ قَالُوا: السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!^٣

٥٧ الامام الصادق «ع» - الحسين بن المختار القلنسي قال: قلت لأبي - عبدالله «ع»: إنا نعمل القلائس فنجعل فيها القطن العتيق فنبيعها، ولا نبيّن لهم ما فيها؟ فقال: إني أحبُّ لك أن تبين لهم ما فيها.^٤

* فبرعاية هذه السنن والآداب وامتثالها، وما يدخل منها في حدّ الواجب، تصير الأسواق اسلامية، لا بالاسم.

كد - اوقات و حقوق

١ - وفي بعض المصادر: ثم يقول:

تَفَنَى اللَّذَاذَةُ مَمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا
مِنَ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ

تَبَقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَعْبَتِهَا
لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

- (سفينة البحار ١ / ١٢١)

٢ - الكافي ٥ / ١٥١.

٣ - المستدرک ٢ / ٤٤٣.

٤ - من لا يحضره الفقيه ٣ / ١٠٥.

٥٨ النبي «ص» - نهى رسول الله «ص» عن السَّوم، ما بين طلوعِ الفجرِ الى طلوعِ الشَّمسِ.^١

٥٩ الامام الصادق «ع»: الصَّنَاعُ اذا سَهَرُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ فهو سُحْتٌ.^٢

كه - السُّوقِ سَوْقَانِ

١ - مسيرة الى الله ومغفرته وجنته

٦٠ النبي «ص»: مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فِي السُّوقِ مَخْلِصاً عِنْدَ غَفْلَةِ النَّاسِ وَشَغْلِهِمْ بما فيه، كتب الله له الفَ حَسَنَةً وَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً لَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.^٣

٦١ الامام الصادق «ع» - في تفسير قول الله عزَّ وجلَّ: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ» قال: كانوا اصحابَ تِجَارَةٍ، فِإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ تَرَكُوا التِّجَارَةَ، وَأَنْطَلَقُوا إِلَى الصَّلَاةِ.^٤

٦٢ الامام الصادق «ع»: ثَلَاثَةٌ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ: اِمَامٌ عَادِلٌ، وَتَاجِرٌ صَدُوقٌ، وَشَيْخٌ أَفْنَى عَمْرِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ.^٥

٢ - ميدان الشيطان و محضره

١ - الكافي ٥ / ١٥٢.

٢ - الوسائل ١٢ / ١١٨.

٣ - سفينة البحار ١ / ٦٧٤.

٤ - الوسائل ١٢ / ٨.

٥ - ثواب الاعمال / ١٦٢.

٦٣ النبي «ص»: شرُّ بقاعِ الارضِ الاسواق، وهو ميدان ابليس، يَغْدُو برايته ويَضَعُ كرسيه ويَبِثُ ذُرِّيَّته؛ فبينَ مُطَفِّفٍ في قفير، او طائشٍ في ميزان، او سارقٍ في ذراع، او كاذبٍ في سلعة؛ فيقول: ^١ عليكم برجلٍ مات ابوه، وابوكم حيٌّ؛ فلا يزالُ مع اولٍ من يدخلُ وآخر من يرجع. وخيرُ البقاعِ المساجد؛ واحبُّهم اليه (الى الله) اولُّهم دخولاً وآخرهم خروجاً. ^٢

٦٤ الامام علي «ع»: .. اياك ومقاعد الاسواق، فانها محاضرُ الشيطان، ومعارضُ الفتن. ^٣

* وستشيرُ الى اهمية الرقابة على الاسواق، في التنبيه العاشر، من التنبهات التي ستأتي في مُختَمِ الفصلِ الخمسين، من هذا الباب، فلا حظَّه بتأملٍ وامعان.

تتميمات

١- التعريف بشرِّ الناس

٦٥ النبي «ص»: حَصَلَتان ليس فوقها من الشرِّ شيءٌ: الشُّرك بالله، والضُّرُّ لعبادِ الله. ^٤

٦٦ النبي «ص»: ليس منّا من غَشَّ مسلماً، او ضَرَّهُ، او ما كَرَّه. ^٥

١- اي: يقول الشيطان لذُرِّيَّته المبتوثة في السوق.

٢- سفينة البحار ١ / ٦٧٣ - ٦٧٤.

٣- نهج البلاغة / ١٠٦٩، عبده ٣ / ١٤٣.

٤ و٥- تحف العقول / ٣١ و٣٦.

٦٧ الامام علي «ع»: شرُّ النَّاسِ، من يُعْشُّ النَّاسَ .^١

٢- الظلم الذي لا يترك

٦٨ الامام علي «ع»: .. وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ . وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَحْضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظَلَمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَّدِينَ؛ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمُرْصَادِ .^٢

٦٩ الامام الباقر «ع»: .. وَامَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَدَّعُهُ اللَّهُ، فَالْمُدَائِنَةُ بَيْنَ الْعِبَادِ .^٣

٣- خلط الطعام في البيع

٧٠ الامام الباقر «ع»، او الصادق «ع» - عن محمد بن مسلم، عن أحدهما «ع»، أنه سُئِلَ عَنِ الطَّعَامِ يُخْلَطُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَبَعْضُهُ أَجْوَدُ مِنْ بَعْضٍ؟ قَالَ: إِذَا رُبِّيَا جَمِيعًا فَلَا بَأْسَ، مَا لَمْ يُعْطَ الْجَيِّدُ الرَّدِيءَ .^٤

١ - غرر الحكم / ١٩٦ .

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٥ - ٩٩٦؛ عبده ٣ / ٩٥ .

٣ - تحف العقول / ٢١٤ .

٤ - الكافي / ٥ / ١٨٣ .

نظرة الى الفصل

يُقصد بالتجارة في مصطلح التعاليم الاسلامية معناها الاعم، يعني الكسب وممارسته بيعاً وشراءً، سواءً أكان ذلك بإنتاج أم كان باستيرادٍ أم بغيرهما من سائر انواع البيوع والمكاسب. فهي تشمل ما هو اعم من الاستيراد المصطلح، فيدخل فيها الكسب والحرفة بصورهما ايضاً. يقول الامام عليّ «ع»: «تعرضوا للتجارات، فإن لكم فيها غنى عمّا في ايدي الناس، وإن الله عز وجل يحب المحترف الامين...»^١.

وهناك مسائل تلقي اضواءً على حقيقة التجارة في مذهب الاسلام الاقتصادي، نذكر عدّة منها، رجاء الكشف عن جوانب من الحقيقة في هذا الحقل:

١- التجارة عمل: إن الاستفادة من التعاليم أنّ التجارة ايضاً عمل يعملهُ التجار والمستوردون، فالامام عليّ «ع» هكذا يصف اغلبهم «... وجلابها (المنافع - السلع والبضائع) من المباعد والمطرح في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها...»^٢.

كان الاستيراد في سالف الزمان - بحسب الاغلب - يتطلب جهداً ومخاطرة. والآن تحصل الاستيرادات الكبيرة، بأهون سعي، كالانصال بالهاتف، او ارسال البرقية وامثالها. ويربح المستوردون بهذا السعي

١- الوسائل ١٢ / ٤.

٢- نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠.

القليل مقادير باهظة من المال، تُقدَّر بالملايين . فيجبُ أن نلاحظَ أنَّ هذا العملَ ماذا يكونُ حكمه الشرعيّ؟ اهو بيعُ اسلاميٍّ محمديٍّ سمح حلال، يبيعه مؤمنٌ من المؤمنين؟ نحن لا نَظُنُّ هكذا؛ فإن كان، فأين هو من شريعة القسط التي جاء بها محمدٌ بنُ عبدالله «ص»؟ وإن من المسلم به أنَّ هذه الظاهرة الاقتصادية، ظاهرةٌ حديثةٌ يجبُ أن تستنبطَ احكامها الاسلامية الفقهية، من جديدٍ، في حقلِ «الحوادثِ الواقعة الاقتصادية».

٢ - ملامح الاستيراد في العالم الحديث : كان الاستيراد في الايام الخالية امراً بسيطاً من جهاتٍ عدّة، ينصبُّ على المُنتجاتِ المحدودة، غير أنَّ الامر في العالمِ المعاصرِ والاقتصادِ الحديثِ ليس على ذلك النمط، بل اضحى تابعاً للشركاتِ الرأسماليةِ العالمية - في كثيرٍ من الحالات - فالمستوردون والمنتجون يُسْعرون الموادَّ الخامَ باسعارٍ زهيدةٍ ويشترونها بها، ثم يُقدّمون المستورداتِ والمنتجاتِ الى الاسواقِ ويبيعونها باسعارٍ غاليةٍ وباهظةٍ كما يشاؤون . ويتوقّفون لذلك الغرضِ بفضلِ طبيعةِ حقِّ الحصريةِ . وإن كثيراً من التضخمِ الماليِّ اوقلة الامتعة والسَّلَعِ واضطرابِ الناسِ الى شرائها بثمانٍ غالٍ، انما ينشأ من هذه العمليةِ الغاشمة .

فمن هذا الجانب، نشاهدُ أنَّ الاستيرادَ يتفاوتُ بحسبِ ماهيته مع التجارة القديمة، ايامَ لم تكن صلاتُ عالمية، ولا اتحادُ الشركاتِ الرأسماليةِ العالمية . فاليومَ يجبُ أن نتفكّرَ في حقيقةِ هذه الظاهرة، وأن نلاحظَ بجانبها الاحتكار، والتسعيرَ المُجحف، والاعتداء الماليّ، والارباحِ الباهظة، حتى يتسنّى لنا أن نستخلصَ لها برأيٍ يقاربُ الصواب، وأن نعلمَ أنَّ هذه الارباحُ هل تكونُ مشروعاً بهذه الصورة، وحلالاً طيباً يرتضيه الاسلام ويقرُّه ويراه ذلك المال الذي يملكه المسلم الملتزم؟ أو تكونُ غير ذلك. وفي النابهين من العلماءِ المعاصرين من عدّها من أقسام

الرّبا . ويؤيّدُه عدّة من الاحاديثِ وجوهرُ التعاليمِ والانظّمةِ الاسلاميّةِ .

٣ - الاستيرادُ ودوره في نظامِ الاقتصادِ الاسلاميِّ : إنّ التجارةَ - وهي التي تُسمّى التصديرَ والاستيرادَ في المصطلحِ الحديثِ - على اساسِ التعاليمِ الاسلاميّةِ، هي ذريعةٌ لطلبِ الرّزقِ وتأمينِ المعيشةِ وايصالِ ما يحتاجُ اليه النَّاسُ الى ايديهم، حلالاً طيباً، واعطاءِ الحقِّ واخذُه، وليست هي ذريعةٌ للاستغلالِ التّكاثريِّ والاعتداءِ الماليِّ ابدأ . وهناك أدلّةٌ قويمةٌ واحاديثُ كثيرةٌ تُرشّدنا الى الاصلِ المذكورِ . واليك نبذةٌ منها :

الأحاديثُ المؤشّرةٌ للبيعِ والاستيرادِ الإسلاميِّ

١ - الاحاديثُ الواردةٌ بصدِّ الكسبِ وطلبِ المالِ، فإنّها توضّحُ هدفَ الطّلبِ والكسبِ الاسلاميِّ وتحدّده وتُرسّم ملامحه الاصليةَ . إنّ تلك الاحاديثُ تدعو الى طلبِ الرّزقِ الحلالِ (عن طريقِ العملِ، سواءً كان صناعةً او زراعةً او تجارةً)، لتأمينِ حاجياتِ العيشِ او لتحسينِ المعيشةِ وترفيهِ العائلةِ والانفاقِ على الآخرين . ولقد جاء في الحديثِ : «كُنَّا جُلوساً عندَ ابي عبدالله «ع»، إذ أقبلَ العلاءُ بنُ كاملٍ فجلسَ قُدّامَ ابي- عبدالله «ع» فقال : أدعُ اللهَ أن يرزقني في دعةٍ . فقال : لا أدعوك، أطلبُ كما أمَرَكَ اللهُ» . وقال الامام ابو الحسنِ عليُّ بنُ موسى الرضا «ع» : «ليس للناسِ بُدٌّ من طلبِ معاشِهِم، فلا تدعِ الطّلبَ» . فالطّلبُ إنّما أمرٌوا به للاستغناءِ عن الآخرين . وقولُ الامامِ الصادقِ «ع» للعلاءِ بنِ كاملٍ : «كما أمَرَكَ اللهُ»، يُشعرُ ايضاً بأنّ الطّلبَ يجبُ أن يكونَ كما أمرَ اللهُ تعالى . ومن الواضحِ، أنّ ما أمرَ اللهُ به لا يكونُ الا طلبَ

١ - الكافي ٥ / ٧٨ .

٢ - الوسائل ١٢ / ١٨ .

نظرة الى الفصل الثالث عشر ..

الحلال لتأمين المعيشة ورفع الكَلِّ عن النَّاس - في حدودٍ مقتصدة - وبذلِ الفضلِ من المال، لا الطَّلَبُ التَّكاثُرِيُّ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنَ الْحَرَامِ الْبَيْتَةِ، وَيُؤَدِّي إِلَى الطُّغْيَانِ وَالتَّرَفِ .

٢ - الاحاديث الواردة بصدد التجارة نفسها، فإنها أيضاً تعدُّ التجارة

سبباً للخلاص من الحاجة والفقر والاستغناء عن النَّاس، كقول الامام الصادق «ع»: «من طَلَبَ التَّجَارَةَ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ»^١. ويقول في حديثٍ آخر: «اسْتَعِينُوا بِبَعْضِ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ، وَلَا تَكُونُوا كُلُولًا عَلَى النَّاسِ»^٢.

٣ - الاحاديث التي تقول إن تارك التجارة والكسب لا تستجاب له دعوة^٣. ومن الواضح البين، أن ما يكون ترك طلبه سبباً لردِّ الدعاء، ليس الاستيراد الحُرِّ والتكاثري، الملهي والمطغي، بنص القرآن والحديث. فالمقاديِرُ التي تحصل من الاستيراد الحُرِّ في الاقتصاد الحديث، باساليب يعرفها اهلها، لا تكون ذلك الطَّلَبُ الحلال الذي يقرُّه الاسلام وإن زاوَّله مسلم.

٤ - الاحاديث التي تدعو الى الاجمال في الطَّلَبِ وتمنع من التكاثر وجمع المال وتعدُّه مهلكاً، كقول الامام عليّ «ع»: «... فحفض في الطَّلَبِ، وأجمل في المكتسب .. وإياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة»^٤.

٥ - الاحاديث التي تحدّد الطَّلَبَ وتجعل له مؤشراً لا يتجاوز حدِّي الاعتدال والقصد، كقول الامام الصادق «ع»: «لِيَكُنْ طَلْبُكَ لِلْمَعِيشَةِ فَوْقَ كَسْبِ الْمُضَيِّعِ وَدُونَ طَلْبِ الْحَرِيصِ ..»^٥. فهذا الحديث وامثاله

١ - الوسائل ١٢ / ٤ .

٢ - الوسائل ١٢ / ١٨ .

٣ - مرّت نماذج من هذه الاحاديث في الفصل ٥، فراجع .

٤ - نهج البلاغة / ٩٢٩: عبده ٣ / ٥٧ .

٥ - الوسائل ١٢ / ٣٠ .

يَدْعُو الكَاسِبَ والمُسْتَوْدَ المُسَلِّمَ الى أَن يَكُونَ طَلْبُهُ لِمَالٍ فَوْقَ كَسْبِ
 المُضَيِّعِ الكَسِيلِ، ودون طلبِ الحَرِيصِ المِيَالِ الى الدُّنْيَا وَثَرَوَاتِهَا. فَأَيْنَ
 هَذَا مِنَ الاستِيرَادِ الحُرْفِيِّ «الاقتصادِ الحديثِ». فما بَالُنَا نَجْهَلُ حُدُودَ
 المُؤَشِّرَاتِ الاسلامِيَّةِ او نتجاهلُ عنها، ثُمَّ نَتَكَلَّمُ بِاسْمِ الاسلامِ ونُعَرِّفُه دِيناً
 يُقِرُّ تلكَ الرأسماليَّةَ العاشمةَ والاقتصادَ التكاثريَّ، المُمتَصِّصَ للنَّاسِ، المُدَمِّرَ
 لِأُسُسِ الحَيَاةِ العادِلَةِ، السَّاحِقَ لِأَصُولِ الفِضِيلَةِ والانصافِ. أَكُلُّ هَذَا
 يَرْتَضِيهِ الاسلامُ؟ واتَّخِذْ هَذَا الموقِفَ اشادةً بذكره وترويحُ له، ومحاماةً عنه
 وعن فقهِه واحكامه، وعن ادارته المَالِيَّةِ الَّتِي تَأْخُذُ بَعْضُ الجَماهيرِ؟

٦ - الاحاديثُ الَّتِي تَقُولُ إِنَّ طَلَبَ الحلالِ عَسِيرٌ، وَإِنَّ مِجَادِلَةَ
 السُّيُوفِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ الحلالِ، وَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا مَعَ الإِجْمَالِ
 (الاعتدالِ) فِي الطَّلَبِ، لَا بِالطَّلَبِ التَّكَاثِرِيِّ، كَقَوْلِ النَّبِيِّ «ص» - فِيما
 رَوَاهُ الامامُ الصَّادِقُ «ع»: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ .. فَاطْلُبُوا
 ارزاقكم من حلال، فإنكم إن طلبتموها من وجوهها أكلتموها حلالاً، وإن
 طلبتموها من غير وجوهها أكلتموها حراماً». وَإِنَّ صَدْرَ الحديثِ يُفسِّرُ
 «الوجوهَ» بَأَنَّ مِنْهَا «الإجمالَ» فِي الطَّلَبِ.

٧ - الاحاديثُ الَّتِي تَمْنَعُ - بِاسَالِبٍ مُخْتَلَفَةٍ - عَنِ الاكْتِنَازِ والجمعِ
 التَّكَاثِرِيِّ والبخلِ بِالمالِ - كَمَا مَرَّتْ لَمَعَةٌ مِنْهَا.

٨ - الاحاديثُ الَّتِي تَدْعُو الى إِغْءاءِ الرِّيحِ او تحديدهِ البالغِ، كَقَوْلِ
 النَّبِيِّ «ص»: «رَبِحُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ رَبًّا»^٢. وكَقَوْلِ الامامِ الصَّادِقِ:
 «رَبِحُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ رَبًّا، إِلَّا أَنْ يَشْتَرِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ مِئَةِ دِرْهَمٍ، فَارْبِحْ
 عَلَيْهِ قَوْتَ يَوْمِكَ، أَوْ يَشْتَرِيهِ لِلتِّجَارَةِ، فَارْبِحُوا عَلَيْهِمْ وَأَرْفُقُوا بِهِمْ»^٣.

١ - الوسائل ١٢ / ٢٩.

٢ - البحار ١٠٣ / ١٠٣، عن «اعلام الدين».

٣ - الكافي ٥ / ١٥٤.

نظرة الى الفصل الثالث عشر ..

٩ - الاحاديث التي تدل على لزوم التراضي في البيع، كما ورد في القرآن الكريم ايضاً. ومن المعلوم، ان التراضي يتوقف حصوله على رضا الطرفين، ومنهما المبتاع. وإن رضاه الواقعي لا يحصل باخذ الربح الكثير منه، او ببيع السلعة منه بسعر غال. وكثيراً ما يتفق ان المشتري يشتري السلعة بسعر غال وبيع كثير مفروض، لا اضطراره وحاجته اليها. وهذا لا يكون من التراضي واقعاً، بل هو بيع المضطر، اذ المضطر اعظم من ان يكون اضطراره معلناً او غير معن. ففي هذا الضوء، ان نفس التراضي (الوارد في القرآن)، يحدد الربح ويرفض الغلاء والتسعير الحر.

١٠ - الاحاديث التي تدل على ان الظلم المالي بالنسبة الى شخص يكون كفتله، كقول الامام ابي الحسن علي بن موسى الرضا «ع»: «.. وحرّم السرقة لما فيها من فساد الاموال وقتل النفس لو كانت مباحة، ولما يأتي في التغايب من القتل و..». ففي هذا الضوء، لا يسع اي نايه ان يقول بان الاسلام يرحب بالاستيراد الحر والتسعير الحر والربح الحر، مع ما في هذه الامور من الظلم الاقتصادي والعدوان المالي. ان هذه الامور تؤدي الى افطع الامور ملاكاً، وهو ابادة النفوس واستيصالهم وقتلهم الاقتصادي وسحقهم المعاشي، واقصاؤهم من المعتقد الديني والسلامة الخلقية، وادناؤهم الى ما يصادها.

يقول القرآن الكريم، عقب امره بالانفاق: «ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»^٢، فيكون كلام الامام ابي الحسن الرضا «ع» تفسيراً لهذا القول وتبييناً له مآلاً؛ وخصوصاً مع ملاحظة ان الفرد عضو من اعضاء الجسد الاجتماعي، وان القانونية السائدة على وجود الفرد هي توكب القانونية السائدة على وجود المجتمع، وان تجاوب التكامل الفردي والاجتماعي

١ - الوسائل ١٨ / ٤٨٢.

٢ - سورة البقرة (٢): ١٩٥.

يُبتني على تجاوب النواميس السائدة على الوجودين، فقتل الفرد هو قتل المجتمع وقتل المجتمع هو قتل الفرد: (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل: أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ، فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)¹.

١١ - الاحاديث التي تدل على أن التجارة الصحيحة هي أخذ الحق واعطاؤه بامانة وصدق، كقول النبي «ص»: «يا معشر التجار! انتم فجار إلا من اتقى وير وصدق»²، وكقول الامام علي «ع»: «التاجر فاجر، والفاجر في النار، إلا من أخذ الحق وأعطى الحق»³؛ فحركة المال الاسلامية الملتزمة في المجتمع، هي حركة ايجابية قوامية محدودة، في إطار اخذ الحق واعطاؤه وطلب الحلال ونيله. وهذا غير الاستيراد التكتائري الحر الذي لا يعرف حداً لغاياته، في اشتراء المستوردات وفي تسعيرها، وفي بيعها من الجماهير بآية صورة شاء. بل هذا الى اكل المال بالباطل أقرب منه الى كونه تجارة شرعية يقرها الاسلام.

١٢ - الاحاديث التي تقول إن التجارة فجور وخيانة، ان لم تكبلها اواصر التقوى وروادع الالتزام. ورفض هذه الاحاديث للاستيراد والتسعير الحريين واضح ملموس.

تذييلات

١ - لقد ظهر مما مر، أن الاسلام لا يقر الصلات الاقتصادية والاستيرادية، المبنية على الحرية الاقتصادية والاقتصاد الحر (الليبرالية

١ - سورة المائدة (٥): ٣٢.

٢ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٠.

٣ - الكافي ٥ / ١٥٠.

الاقتصادية)، بما لها من المفسدِ العظيمة ابدأ. فعلى هذا، يجب أن لا يكون الاستيراد حُرّاً، ولا مُلقًى بأيدي المتكاثرين خاضعاً لميولهم، بل يجب أن يُبرمجَ لاستيراد حاجيات الناس وجعلها في مُتناولهم بصورة اسلامية: يبيع عن تراضٍ، من البائع والمبتاع، اسلامي سَمحٍ، وريحٍ قليل، وتسعيرٍ عادل، واعلامٍ سالم.

٢ - من المعلوم، أن ارساء قواعد العدالة الاجتماعية، هو من اهم واجبات الحكم الاسلامي وتكليفه - كما مر بنا فيما مضى - والعدالة الاجتماعية لا سبيل لها الى التجسيد الا عن طريق التوازن الاجتماعي. فعلى الحكم الاسلامي أن يراقب حركة الاستيراد في المجتمع، مراقبة حاسمة ودقيقة وامينة، كما يرتضيها الاسلام، وان يكون للظالم خصماً وللمظلوم عوناً. ولا ظالم أخطر ظملاً من هؤلاء الطواغيت الاقتصاديين، كما قال مولانا الامام علي بن الحسين السجاد «ع»: «بصيبتكم الطواغيت من اهل الرغبة الى الدنيا»، ولا مظلوم ألم اضهاداً من تلك الجماهير التي تحتاج في حياتها الى هؤلاء وأمتعتهم وأسواقهم، بما يفرضونه عليها.. وهم الشياهُ الذين تجرُّ شعورهم ويؤكل لحومهم ويكسر عظمهم - على ما مر في التعليم السجادي المنذر.^٢

٣ - ومما لا يسوغ الإهمال فيه، هو أن أجهزة الحكم وأصحاب السلطة والنفوذ، يجب أن لا يتدخلوا في النشاطات المالية والاستيرادية - في صورها المختلفة، مُعلنة وغير مُعلنة - لكيلا يتحولوا إلى طواغيت اقتصاديين (وسرعان ما يتحولون إذا تدخلوا)، وذئاب مُمتصة لدماء الجماهير، حيث يغرقون في جحيم الأضرار؛ وعند ذلك فأنى يسعهم أن يدعّموا الحق ويسندوا العدل؟؟

١ - امالي المفيد / ١١٧.

٢ - راجع: الفصل ١٣، من الباب ١١، فقرة «ج» - في الجزء الثالث.

الفصل الرابع عشر

الرِّبَا، سَحَقُ جِبَارٍ

الكتاب

أ - أكل الربا عمل شيطانيّ

١ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا، وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *

ب - اذان الحرب من الله تعالى

٢ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسَ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ *

ج - الربا يمحق

١ و ٢ - سورة البقرة (٢): ٢٧٥ و ٢٧٩.

- ٣ يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * ١
- ٤ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُؤَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤَا عِنْدَ اللَّهِ، وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ * ٢

د - الْمُؤْمِن لَا يَأْكُل الرَّبَا

- ٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبَا، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * ٣
- ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَأْكُلُوا الرَّبَا أضعافاً مضاعفةً، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * ٤

هـ - أَكَل الرَّبَا سِيرَةٌ يَهُودِيَّةٌ

- ٧ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا، حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ، وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نَهَوْا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * ٥

و - الرَّبَا مُضَاعَفَةٌ وَتَكَاتُرٌ

- ٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَأْكُلُوا الرَّبَا أضعافاً مضاعفةً .. ٦

١ - سورة البقرة (٢): ٢٧٤ .

٢ - سورة الروم (٣٠): ٣٩ .

٣ - سورة البقرة (٢): ٢٧٨ .

٤ - سورة آل عمران (٣): ١٣٠ .

٥ - سورة النساء (٤): ١٦٠ - ١٦١ .

٦ - سورة آل عمران (٣): ١٣٠ .

* قال الطبرسي: «وإنما أعادَ تحريمَ الربّاءِ مع ما سبقَ ذكرُه في سورة البقرة لأمّرين: أحدهما التّصريحُ بالنّهْيِ عنه بعد الإخبارِ بتحريمه، لما في ذلك من تعريفِ الخطرِ له وشدّةِ التّحذيرِ منه. والثّاني لتأكيدِ النّهْيِ عن هذا الضّرْبِ منه، الَّذي يجري على الأضعافِ المضاعفةِ ..»^١.

راجع أيضاً: الفصل الرَّابِعَ والعشرين، من البابِ الحادي عشر، فقرة «هـ» حيثُ بحثنا هناك عن أنّ الربّاءَ يُخرِجُ المالَ عن حدّه الإلهيِّ. وإنّ إخراجَ الربّاءِ المالَ عن الحدِّ الإلهيِّ أيضاً أمرٌ لا يُستهانُ به، فلا حظُّه هناك. وكذلك راجع: «تعريفُ المال»، من الفصلِ المذكور.

الحديث

ز - شرّ المكاسبِ واخبثها

- ١ - النبي «ص»: شرُّ المكاسبِ كسبُ الربّاءِ.^٢
- ٢ - النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الصّادق: شرُّ الكسبِ كسبُ الربّاءِ.^٣
- ٣ - الامامُ الباقر «ع»: أخبثُ المكاسبِ كسبُ الربّاءِ.^٤

١ - مجمع البيان ٢ / ٥٠٢.

٢ - الاختصاص / ٣٣٩.

٣ - امالي الصدوق / ٤٣٨.

٤ - الوسائل ١٢ / ٤٢٣.

ح - الوزر الاكبر

- ٤ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن آبائه، عن النبي «ص» فيما أوصى به علياً «ع»: «يا علي! الربا سبعون جزءاً، أيسره مثل أن ينكح الرجل أمه في بيت الله الحرام. يا علي! درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنيةً كُلُّها بذاتٍ محرم، في بيت الله الحرام.^١
- ٥ الامام الصادق «ع»: درهم ربا أشدُّ عند الله من ثلاثين زنيةً، كُلُّها بذاتٍ محرمٍ مثل عمّةٍ وخالة..^٢
- ٦ الامام الصادق «ع»: درهم ربا أعظم عند الله عز وجل، من سبعين زنيةً كُلُّها بذاتٍ محرمٍ، في بيت الله الحرام.^٣
- ٧ الامام الصادق «ع»: إن للربا سبعين جزءاً، أيسره أن ينكح الرجل أمه في بيت الله الحرام.^٤

ط - اخوف ما يخاف منه على الأمة

- ٨ الامام الكاظم «ع» - عن آبائه: قال رسول الله «ص»: «إنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي، هَذِهِ الْمَكَاسِبُ الْمُحَرَّمَةُ، وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ، وَالرِّبَا».^٥

١ - مكارم الاخلاق / ٥١٥.

٢ - الوسايل / ١٢ / ٤٢٣ - ٤٢٤.

٣ - سفينة البحار / ١ / ٥٠٧.

٤ - تفسير القمي / ١ / ٩٣ - ٩٤.

٥ - البحار / ١٠٣ / ٥٤، عن «نوادير الراوندي».

ي - أكل الربا بالحيلة

٩ النبي «ص»: يا عليّ! إنّ القوم سيقتنون بعدي بأموالهم، ويؤمنون بدينهم على ربّهم، ويتمنون رحمته، ويؤمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء السّاهية، فيستحلّون الخمر بالتّبئد، والسُّحت بالهدية، والربا بالبيع»^١.

يا - الربا وفساد الاموال والتجارات وتعطيل حركة العمل

١٠ الامام الصادق «ع»: .. ما طابَ وطهرَ، كسبُك الحلال من الرزق؛ وما خبثَ فالربا^٢.

١١ الامام الصادق «ع» - هشام بن الحَكَم قال: سألت ابا عبدالله «ص» عن علّة تحريم الربا؟ قال: إنّهُ لو كان الربا حلالاً لترك الناس التجارات وما يحتاجون اليه، فحرّم الله الربا، لتفرّ الناس عن الحرام الى التجارات، و الى البيع والشراء ..^٣

١٢ الامام الرضا «ص» - عن محمد بن سنان، إنّ ابا الحسن عليّ بن موسى الرضا «ع» كتب اليه فيما كتب، من جواب مسائله: علّة تحريم الربا، إنّما نهى الله عزّ وجلّ عنه، لما فيه من فساد الاموال، لانّ الانسان اذا اشترى الدرهم بالدرهمين، كان ثمن الدرهم درهماً، وثنم الآخر باطلاً، فيبيع الربا وشراؤه وكس على كلّ حال، على المشتري وعلى البائع، فحظّر الله - تبارك وتعالى - على العباد الربا، لعلّة فساد الاموال، كما حظّر على السفيه ان يدفّع

١ - نهج البلاغة / ٤٩١: عبده ٢ / ٦٥.

٢ - الوسائل ١٢ / ٤٢٦ - ٤٢٧.

٣ - علل الشرائع ٢ / ٤٨٢: راجع ايضاً: الوسائل ١٢ / ٤٢٤.

اليه ماله، لما يَتَخَوَّفُ عليه من إفساده، حتى يُؤْنِسَ منه رُشداً؛ فلِهذه العلة حَرَّمَ اللهُ الرِّبَا، وبيع الدرهم بدرهمين يداً بيد.. وعلةُ تحريمِ الرِّبَا بالنسيئة، لعلةِ ذهابِ المعروف، وتلفِ الاموال، ورغبةِ الناسِ في الرِّبْح، وتركِهِمُ القرض، وصنائعِ المعروف، ولما في ذلك من الفسادِ، والظُّلم، وفناءِ الاموال^١.

يب - آكل الربا ملعون

١٣ الامام علي «ع»: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» الرِّبَا، وآكَلَهُ، وبياعه، ومشتريه، وكاتبه، وشاهديه^٢.

١٤ الامام علي «ع»: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» في الرِّبَا خمسةً: آكَلَهُ، ومُوكَّلَهُ، وشاهديه، وكاتبه^٣.

يج - آكل الربا يقتل

١٥ النبي «ص»: من آخَذَ الرِّبَا وَجَبَ عَلَيْهِ القَتْلُ؛ وكلُّ من أَرَبَى وَجَبَ عَلَيْهِ القَتْلُ^٤.

١٦ الامام الصادق «ع» - عن ابن بكير قال: بَلَغَ ابا عَبْدِ اللَّهِ «ع» عن رجلٍ، أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ الرِّبَا، وَيُسَمِّيهِ اللَّبَا. فَقَالَ: لَنْ أَمْكِنِي اللهُ مِنْهُ لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ^٥.

١ - علل الشرايع ٢ / ٤٨٣.

٢ - الوسائل ١٢ / ٤٣٠.

٣ - الوسائل ١٢ / ٤٣٠.

٤ - تفسير القمي ١ / ٩٣.

٥ - الوسائل ١٢ / ٤٢٩.

١٧ الامام الصادق «ع» - عن ابي بصير قال : قلت : آكل الربا بعد البيّنة؟ قال :
يُؤدّب، فإن عاد أدّب، فإن عاد قُتِلَ.^١

* قال شيخ الطائفة الطوسي، في تفسير قوله تعالى : «فإن لم تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ..»^٢ : «قال ابن عباسٍ وقُتادةُ والرَّبِيعُ : من عاملَ بالربِّبا استتابه الامامُ، فإن تابَ والآ قتله . وقال البلخي، لَوِ اجْتَمَعَ اهلُ قَرْيَةٍ على اِظهارِ المعاملةِ بالربِّبا، لكان على الامامِ محاربتُهُم، وان كانوا مُحَرِّمِينَ له . ولو فعل الواحدُ بعد الواحد - والاكثرُ منكرٌ لفعله - لم يُقتلِ الواحد، لكن يُقامُ عليه من الحكمِ ما يَسْتَحِقُّه . وعندنا أَنَّهُ يُؤدِّبُهُ الامامُ ثلاثَ مرَّاتٍ بما يَرْتَدِعُ معه عن فعلِ مثله، فإن عادَ رابعاً قُتِلَ»^٣.

وهذا من مواقف الاسلام الحاسمة، في حماية المحرومين والمظلومين الاقتصاديين والدفاع عنهم.

يد - اوزار وعظائم

١٨ الامام الصادق «ع» - فيما روى عن الامام الباقر «ع» : إِنَّهُ أُتِيَ بِأَكْلِ الرَّبِّبا فَاسْتَتَابَهُ قَتَابٌ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ، ثُمَّ قَالَ : «يُسْتَتَابُ أَكْلُ الرَّبِّبا، كَمَا يُسْتَتَابُ مِنَ الشَّرْكِ»^٤.

١٩ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عبد العظيم بن عبد الله الحسيني، عن الامام

١ - الوسائل ١٨ / ٥٨٠.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٧٩.

٣ - التبيان ٢ / ٣٤٧.

٤ - الوسائل ١٨ / ٥٨١.

ابي جعفر الثاني الجواد «ع»، عن ابيه الامام ابي الحسن علي بن موسى الرضا «ع»، عن ابيه الامام ابي ابراهيم موسى الكاظم «ع»: دخل عمرو بن عبيدا على ابي عبدالله «ع»، فلما سَلَّمَ وجلس تلا هذه الآية: «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ»^٢، ثم أمسك فقال ابو عبدالله «ع»: ما أسكتك؟ قال: أحبُّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل، فقال: نعم يا عمرو! اكبر الكبائر الإِشْرَاقُ بالله، يقول الله: «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^٣؛ وبعده الإيَّاسُ من رَوْحِ اللَّهِ، لأنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقول: «إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»^٤؛ ثم الأَمْنُ لمكرِ اللَّهِ، لأنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقول: «فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ»^٥.. وأكلُ الرِّبَا، لأنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقول: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا، لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ»^٦..

٢٠ الامام الصادق «ع»: إن رسول الله «ص» قَبِلَ الْجِزْيَةَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، عَلَى أَنْ لَا يَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا يَأْكُلُوا لَحْمَ الْخَنزِيرِ، وَلَا يَنْكِحُوا الْأَخْوَاتِ وَالْبَنَاتِ الْأَخِ وَالْبَنَاتِ الْأَخْتِ؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ «ص»^٧..

يه - احوال عظيمة

١ - الظاهر أنه عمرو بن عبيد المعتزلي المعروف - كما في تعاليق «الكافي».

٢ - سورة التجم (٥٣): ٣٢.

٣ - سورة المائدة (٥): ٧٢؛ والآية في المصحف هكذا: «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ...».

٤ - سورة يوسف (١٢): ٨٧.

٥ - سورة الاعراف (٧): ٩٩.

٦ - الكافي ٢ / ٢٨٥ - ٢٨٦.

٧ - الوسائل ١١ / ٩٥.

٢١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق: لَمَّا أُسْرِيَ بي الى السَّمَاءِ، رَأَيْتُ اقواماً يُريدُ احدهم أن يَقومَ ولا يَقدرُ عليه من عِظَمِ بطنِهِ . فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا..^١

٢٢ النبي «ص»: لَمَّا أُسْرِيَ بي الى السَّمَاءِ رَأَيْتُ رجالاً بَطونُهُم كالبيوت، فيها الحَيَّاتُ، تُرى من خارجِ بَطونِهِم، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء أَكَلَةُ الرِّبَا.^٢

يو - الرِّبَا يَمْحَقُ الدِّينَ

٢٣ الامام الصادق «ع» - في قوله تعالى: «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ»، قيلَ لِلصَّادِقِ «ع»: قد نَرَى الرَّجُلَ يُرْبِي وَمالُهُ يَكْتُرُ؟ فقال: يَمْحَقُ اللَّهُ دينَهُ، وان كان مالُهُ يَكْتُرُ.^٣

يز - الرِّبَا ظَلَمٌ

٢٤ الامام الرضا «ع»: .. عِلَّةُ تحريمِ الرِّبَا .. لما في ذلك من الفسادِ والظلمِ.^٤

يح - ذهاب المعروف

٢٥ الامام الباقر «ع»: إِنما حَرَّمَ اللَّهُ الرِّبَا لِئلاَّ يَذْهَبَ المَعْرُوفُ.^٥

١ و ٢ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٩.

٣ - تفسير القمي ١ / ٩٣.

٤ - علل الشرائع / ٤٨٣.

٥ - علل الشرائع / ٤٨٣.

٢٦ الامام الصادق «ع»: «إِنَّمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، الرَّبَا لثَلَاثَتُمْ تَمْتَنِعُوا عَنْ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ١.

٢٧ الامام الرضا «ع»: «.. عِلَّةُ تَحْرِيمِ الرَّبَا بِالنَّسِيئَةِ لَعَلَّه ذَهَابِ الْمَعْرُوفِ .. وَتَرْكِهِمُ الْقَرْضَ وَالْفَرْضَ وَصِنَايِعَ الْمَعْرُوفِ ٢.

يط - الربا هلاك فردي

٢٨ النبي «ص»: «مَنْ أَكَلَ الرَّبَا مَلَأَ اللَّهُ بَطْنَهُ نَارَ جَهَنَّمَ بِقَدْرِ مَا أَكَلَ، فَإِنْ كَسَبَ مِنْهُ مَالًا لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ، وَلَمْ يَزَلْ فِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَمَلَأَتْ كَيْتَهُ مَا دَامَ مَعَهُ قَيْرَاطٌ ٣.

ك - الربا هلاك اجتماعي

٢٩ الامام علي «ع»: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَرْيَةٍ هَلَاكًا، ظَهَرَ فِيهِمُ الرَّبَا ٤.

٣٠ الامام الصادق «ع»: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ هَلَاكًا، ظَهَرَ فِيهِمُ الرَّبَا ٥.

١ - ٢ و ١ - علل الشرايع / ٤٨٢ - ٤٨٣.

٢ - سفينة البحار / ١ / ٥٠٧.

٣ - مجمع البيان / ٢ / ٣٩٠.

٤ - الوسائل / ١٢ / ٤٢٧.

نظرة الى الفصل

لقد استند الحديث في علة تحريم الربا، الى أنه يُوجبُ فسادَ الاموالِ وتلفها وفناءها، كما مرَّ نموذجٌ منه في التعليمِ الرضويّ (الحديث ١٢). وهذه التعابيرُ الثلاثةُ الواردةُ في الحديث: «فسادُ الاموالِ .. تلفُ الاموالِ .. وفناءُ الاموالِ»، تكشفُ عن واقعِ النظامِ الربويّ. ففسادُ الاموالِ وفناؤها وتلفها في المعاملاتِ الربويّةِ لا تنشأُ من فسادٍ في الاستهلاكِ، او من الاسرافِ، او تضييعِ السلعةِ وما يربطُ بهذه الامور؛ وكذلك لا تنبعُ من جهةِ استهلاكِ المالِ في امرٍ محرّمٍ وشراءِ امةٍ فاسدةٍ ومُضرةٍ، بل المذكوراتُ إنّما تقعُ من جهةِ انحرافِ المالِ من موضعهِ الاصليّ، وتبدّلهِ الى محورٍ مستقلٍّ مفصولٍ عن العملِ والسعيِ والكسبِ الحلالِ.

نعم، إنّ المالَ في النظامِ الربويّ، يخرجُ من مداره القواميِّ وينزلقُ من كونه قواماً وقياماً لحياةِ الناسِ، ويتحوّلُ الى ما يعملُ على فسادِ المجتمعِ وهلاكه، ويؤدّي الى سقوطِ افرادٍ يأخذون الربا ويأكلونه، من مستويّ سالمٍ مفيدٍ للآخرين. وكما أنّ الغضبَ والسرقةَ يُلِفُّ اموالَ الناسِ، فإنّ الرباَ ايضاً يُلِفُّ الاموالَ بصورةٍ اخرى ويبيدها ويخرجها من ايدي الناسِ ويجعلها دولةً بين آكلي الربا الظالمين.

وقد شجّب الاسلامُ فسادَ الاموالِ وتلفها بالربا، كما شجّب اتلافها باسبابٍ اخرى. ففي هذا الضوء، يتضحُ أنّ شجّب افسادِ المالِ واتلافه، اصلٌ رئيسيٌّ في مذهبِ الاسلامِ الاقتصاديّ. ويمكنُ أن يعبرَ عن هذا الاصلِ في الاسلامِ بالطريقةِ التالية: «اصلُ شجّبِ كلِّ نظامٍ اقتصاديٍّ

يُؤدِّي الى فساد الاموال وتلفها». وهذا الاصل يُعَيِّن اتِّجَاهَ الاسلام
الاقتصادي وَيَفْرِزُهُ مِنَ النُّظُمِ التَّكاثِرِيَّةِ وَالرَّأْسَمَالِيَّةِ الَّتِي لَا تَتَحَرَّجُ مِنْ
افسادِ اموالِ الجماهيرِ واتلافِها.

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

ج - الاحكار واحتراره بدين المحتكر

وهيئة جلاله في الدنيا والآخرة

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

والسُّرْمِ والمُسلِّ والخبزِ والحبِّ والارزِ والقمحِ

الفصل الخامس عشر

الاحتكار

الكتاب

١ .. وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَبَشِّرْهُمْ

بعذاب اليم *١

الحديث

أ - احتكار الاموال

١ النبي «ص»: أُمْتِي فِي الدُّنْيَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَطْبَاقٍ .. وَأَمَّا الطَّبَقُ الثَّلَاثُ، فَإِنَّهُمْ

يُحِبُّونَ جَمْعَ المَالِ مِمَّا حَلَّ وَحُرِّمَ، وَمَنْعَهُ مِمَّا افْتَرَضَ وَوَجِبَ . إِنْ أَنْفَقُوهُ

أَنْفَقُوا اسْرَافًا وَبِدَارًا، وَإِنْ أَمْسَكُوهُ أَمْسَكُوا بُخْلًا وَاحْتِكَارًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ

مَلَكَتِ الدُّنْيَا زِمَامَ قُلُوبِهِمْ، حَتَّى أَوْرَدَتْهُمْ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ ٢ .

١ - سورة التوبة (٩): ٣٤ .

٢ - البحار ١٠٣ / ٢٣ - ٢٤: عدة الداعي / ٩٢ - ٩٣، مع اختلافٍ يسير .

ب - احتكار الارزاق

٢ النبي «ص»: الاحتكارُ في عشرة: البُرُّ والشَّعِيرُ والتَّمْرُ والزَّيْبُ والذُّرَّةُ والسَّمْنُ والعَسَلُ والجُبْنُ والجوزِ والزَّيْتُ.^١

* راجع لتعميم «الاحتكار»، وأن المذكورَ في الاحاديث كان كقضية خارجية لا حقيقية، وكان كذكر المثل له: النظرة الى الفصل.

ج - الاحتكار وإضراره بدين المحتكر

٣ النبي «ص»: من جمع طعاماً يترَبَّصُ به الغلاءَ اربعين يوماً، فقد برئ من الله وبرئ الله منه.^٢

د - الاحتكار وإضراره بدنيا المحتكر

٤ الامام علي «ع»: الاحتكارُ داعيةُ الحرمان.^٣

٥ الامام علي «ع»: المحتكرُ محرومٌ (من) نعمته.^٤

٦ الامام الصادق «ع»: كلُّ حُكْرَةٍ تُضُرُّ بالنَّاسِ وتُغْلِي السَّعْرَ عليهم، فلا خيرَ فيها.^٥

١ - سفينة البحار / ١ / ٢٩١.

٢ - سفينة البحار / ١ / ٢٩١.

٣ - غرر الحكم / ١٥.

٤ - غرر الحكم / ٣١.

٥ - دعائم الاسلام / ٢ / ٣٥.

هـ - الاحتكار وإضراره بالمجتمع

٧ الامام علي «ع»: .. وذلك (احتكار المنافع، السَّلْع، البضائع)، باب مَضْرَبَةٌ للعامّة ١.

و - الاحتكار وإضراره بالحكم

٨ الامام علي «ع» - في العهد الآشوري: .. وذلك (الاحتكار) .. عيبٌ على الوُلاة ٢.

ز - الاحتكار خطأ، دناءة، رذيلة و شرارة

- ٩ النبي «ص»: لا يَحْتَكِرُ الطَّعَامَ الآ خاطيء ٣.
- ١٠ الامام الباقر «ع» - فيما رواه الامامُ الصّادق: لا يَحْتَكِرُ الطَّعَامَ الآ خاطيء ٤.
- ١١ الامام علي «ع»: مِنْ طَبَائِعِ الأَعْمَارِ، إِتْعَابُ النُّفُوسِ فِي الأَحْتِكَارِ ٥.
- ١٢ الامام علي «ع»: الأَحْتِكَارُ رذيلة ٦.
- ١٣ الامام علي «ع»: الأَحْتِكَارُ شِيمٌ الأَشْرَارِ ٧.

١ و ٢ - نهج البلاغة / ١٠١٧ - ١٠١٨: عبده ٣ / ١١٠ - ١١١.

٣ - الاستبصار ٣ (القسم الأوّل) / ١١٤.

٤ - الوسائل ١٢ / ٣١٥.

٥ - غرر الحكم / ٣٠٤.

٦ - غرر الحكم / ١٣.

٧ - غرر الحكم / ٢١.

ح - الاحتكار فجور

١٤ الامام علي «ع»: الاحتكارُ شيمةُ الفُجَّارِ.^١

ط - المحتكر آثم

١٥ الامام علي «ع»: المُحتكرُ آثمٌ عاصٍ.^٢

ي - المحتكر ملعون

١٦ النبي «ص»: المحتكرُ ملعون.^٣

١٧ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الصادقُ: .. الجالبُ مرزوق، والمحتكرُ ملعون.^٤

١٨ الامام الصادق «ع»: الحُكْرَةُ في الخِصْبِ اربعون يوماً، وفي الشِدَّةِ والبلاءِ ثلاثةُ اَيَّامٍ؛ فمآزاد على الاربعين يوماً في الخِصْبِ فصاحبُه ملعون، ومآزاد على ثلاثة اَيَّامٍ في العُسْرَةِ فصاحبُه ملعون.^٥

* قال صاحبُ «الوسائل»: «هذا التَّحْدِيدُ محمولٌ على عدم

حصولِ الضَّرورةِ في اقلِّ من المَدَّةِ المذكورةِ ..»^٦.

١ - غرر الحكم / ١٧.

٢ - دعائم الاسلام / ٢ / ٣٥.

٣ - سفينة البحار / ١ / ٢٩١.

٤ - الوسائل / ١٢ / ٣١٣.

٥ و ٦ - الوسائل / ١٢ / ٣١٢ - ٣١٣.

فالزّمان المذكور (من اربعين يوماً في الخصب، وثلاثة ايام في العسرة) لاموضوعيّة له، وإنّ الملاك حصول الضيق وصدق الاحتكار. «يشكل الالتزام بموضوعيّة الاربعين والثلاثة شرعاً، ولو بنحو الامارة الشرعيّة المجعولة. بل الظاهر أنّ التّحديد بهما كان بلحاظ الاعمّ الاغلب، فإنّ الانسان ولو في الشدّة يتّمكّن غالباً من تهيّة القوت لثلاثة ايام، فلا يصدق الاحتكار المضرّ الا بعد هذه المدة، كما أنّه لو تحقّق حبسُ الاقوات اربعين يوماً فلامحالة يتحقّق الضيق والغلاء للاكثر ولو في حال الخصب؛ فالملاك في الاحتكار المحرّم هو وقوع الناس بسببه في الضيق والشدّة. قال الشّهيد في شرح اللّمة: "ولا يتّقيد بثلاثة ايام في الغلاء واربعين في الرّخص، وما روي من التّحديد بذلك محمول على حصول الحاجة في ذلك الوقت لانه مظنتّها".

يا - المحتكر شرٌّ من السّارق

١٩ النبي «ص» - فيما رواه الامام الكاظم: .. لئن يلقى الله العبد سارقاً أحبّ اليّ من ان يلقاه قد احتكر طعاماً اربعين يوماً..

يب - التّجار والاحتكار

٢٠ الامام علي «ع»: انّ في كثير منهم (التّجار والمستوردين واهل الكسب)، ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع..

١ - الاحتكار والتّسعير / ٢٨ - ٢٩: الرّوضة البهيّة ٣ / ٢٩٩.

٢ - معاني الاخبار / ١ / ١٤٨.

٣ - نهج البلاغة / ١٠١٧: عبده ٣ / ١١٠.

يج - المنع من الاحتكار

٢١ النبي «ص» - فيما رواه الامام امير المؤمنين في عهده للاشتر النخعي : ..
فَأَمَّنَعُ مِنَ الْاِحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» مَنَعُ مِنْهُ ١.

٢٢ الامام علي «ع» : كُنْ مُؤَثِّرًا وَلَا تَكُنْ مُحْتَكِرًا ٢.

٢٣ الامام علي «ع» - نهى امير المؤمنين «ع» عن الحُكْرَةِ في الامصار ٣.

* هذا ما رواه شيخنا الصدوق في «الفقيه» و«إسناد النهي

الى امير المؤمنين «ع» بنحو البت والجزم، يدل على ثبوت الرواية

عند الصدوق . اذ فرق بين هذا التعبير وبين أن يقول مثلاً : «رُوي

عن امير المؤمنين» وظاهر النهي - مادة وصيغة - هو الحرمة» ٤.

٢٤ الامام علي «ع» - كان ينهى عن الحُكْرَةِ في الامصار ٥.

٢٥ الامام علي «ع» - فيما كتبه الى رفاعَةَ بنِ شَدَّادِ البِجَلِيِّ، قاضيه على

الأهواز: إِنَّهُ عَنِ الْحُكْرَةِ، فَمَنْ رَكِبَ النَّهْيَ فَأَوْجِعَهُ، ثُمَّ عَاقِبَهُ بِأَظْهَارِ مَا

اِحْتَكَرَ ٦.

يد - لا كفارة للاحتكار

١ - نهج البلاغة / ١٠١٧ : عبده / ٣ / ١١٠ .

٢ - غرر الحكم / ٢٤٥ .

٣ - الوسائل / ١٢ / ٣١٤ .

٤ - الاحتكار والتسعير / ٢١ .

٥ - سفينة البحار / ١ / ٢٩١ .

٦ - دعائم الاسلام / ٢ / ٣٦ .

٢٦ النبي «ص» - فيما رواه الامام الباقر: أَيُّمَا رَجُلٍ اشْتَرَى طَعَامًا فَكَبَسَهُ
ارْبَعِينَ صَبَاحًا يُرِيدُ بِهِ غَلَاءَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ بَاعَهُ فَتَصَدَّقَ بِشِمْنِهِ، لَمْ يَكُنْ
كَفَّارَةً لِمَا صَنَعَ.^١

يه - عذاب المحتكرين

١ - عقوبتهم في الدنيا .

أ - بما يُناسبُ فعلهم

٢٧ الامام علي «ع» - في العهد الاثري: .. فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ أَيَّاهُ،
فَنَكَّلْ بِهِ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ اسْرَافٍ.^٢

* والظاهر أنّ معاقبة المحتكرين تختلف بحسب الازمنة
والامكنة والبيئات والظروف، فعقوبتهم في حال الحرب تختلف
عنها في حال السلم، وهي في عهد الثورة تختلف عما يقع في
غيره .

٢٨ الامام علي «ع»: .. فَمَنْ رَكِبَ النَّهْيَ (عَنِ الْحُكْرَةِ) فَأَوْجِعْهُ.^٣

ب - باظهار ما يحتكرون

١ - الوسائل ١٢ / ٣١٤ .

٢ - نهج البلاغة / ١٠١٧ - ١٠١٨؛ عبده ٣ / ١١١ .

٣ - دعائم الاسلام ٢ / ٣٦ .

٢٩ الامام علي «ع» - فيما كتبه الى قاضي الاهواز: .. ثم عاقبه (المحتكر)
بإظهار ما احتكر.^١

ج - باحراق اموالهم وباديتها

* روى ابن حزم في «المحلى» بسنده عن ابي الحكم: «أن
علي بن ابي طالب «ع» أحرق طعاماً احتكر بمئة الف». وروى
عن حبيش قال: «أحرق لي علي بن ابي طالب «ع» بيادر بالسواد
كنت احتكرتها، لو تركها لريحت فيها مثل عطاء الكوفة».^٢
والظاهر أن الاحراق وقع بعدما اضر الاحتكار الناس، وخرج
ما احتكر عن مظان استفادة المجتمع.

٢ - عذابهم في الآخرة

٣٠ النبي «ص» - مما قال له جبرئيل: «أطلعت في النار، فرأيت وادياً في جهنم
يغلي، فقلت: يا مالك لمن هذا؟ فقال: لثلاثة: المحتكرين، والمؤمنين
الخمير، والقوادين».^٣

تذييل

مسؤولية الحكم الاسلامي بالنسبة الى المحتكرين وعرض اموالهم على
الناس واجبارهم على البيع

١- دعائم الاسلام ٢/ ٣٤.

٢ - المحلى ٦ / ٦٥: الاحتكار والتسعير / ٢٦.

٣ - الوسائل ١٢ / ٣١٤ - ٣١٥.

الكتاب

١ .. إَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .. ١

٢ .. وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ، أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ .. ٢

الحديث

١ النبي «ص» - فيما رواه الامام امير المؤمنين: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» مَرَّ بِالْمَحْتَكِرِينَ، فَأَمَرَ بِحُكْرَتِهِمْ أَنْ تُخْرَجَ إِلَى بَطُونِ الْأَسْوَاقِ، وَحَيْثُ تَنْظُرُ الْأَبْصَارُ إِلَيْهَا. ٣

٢ النبي «ص» - فيما رواه الامامُ الصّادق: نَفِدَ الطَّعَامُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ «ص»، فَأَتَاهُ الْمُسْلِمُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ نَفِدَ الطَّعَامُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَ فُلَانٍ، فَمُرْهُ يَبْعَهُ النَّاسَ. قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَنْتَنِي عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا فُلَانُ! إِنَّ الْمُسْلِمِينَ ذَكَرُوا أَنَّ الطَّعَامَ قَدْ نَفِدَ الْأَشْيَاءَ عِنْدَكَ، فَأَخْرِجْهُ وَبِعْهُ كَيْفَ شِئْتَ وَلَا تَحْبِسْهُ» ٤.

٣ الامام علي «ع» - فيما كتبه الى قاضي الاهواز: .. ثم عاقبه باظهار ما احتكر. ٥

١ - سورة المائدة (٥): ٨.

٢ - سورة النساء (٤): ٥٨.

٣ - التهذيب ٧ / ١٦١.

٤ - الكافي ٥ / ١٦٤.

٥ - دعائم الاسلام ٢ / ٣٦.

الفات نظر

إن إجبارَ المحتكرِ على البيعِ أمرٌ جاء في الاخبارِ و تقتضيه المِلاكاتُ الشرعيَّةُ والعقليَّةُ (من الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاخلاقيَّة والانسانيَّة وما إليها). ولقد أفتى به اكابرُ الفقهاء، امثال :

- الشيخ المفيد، في «المقنعة» (/ ٩٦) ؛
- الشيخ الطوسي، في «النهاية» (/ ٣٧٤) و«المبسوط» (/ ٢)
؛ (١٩٥)

- الشيخ تقي الدين ابي الصلاح الحلبي، في «الكافي» (/ ٣٦٠)؛
- ابن حمزة الطوسي المشهدي، في «الوسيلة» (الجوامع
الفقهية / ٧٠٩)؛

- ابن ادريس الحلبي، في «السرائر» (/ ٢١٢)؛
- المحقق الحلبي، في «الشرائع» (٢ / ٢١) و«المختصر
النافع» (/ ١٢٠)؛

- العلامة الحلبي؛ في «القواعد» (١ / ١٢٢)؛
- الشهيد الاول، في «الدروس» (/ ٣٣٢)؛
- الشيخ يوسف البحراني، في «الحدائق» (١٨ / ٤٤)؛
- الشيخ محمد حسن الاصفهاني، في «الجواهر» (/ ٢٢)
؛ (٤٨٥)

والشيخ مرتضى الانصاري، في «المكاسب» (٢١٣)،
حيث قال: «الظاهرُ عدمُ الخلاف - كما قيل - في اجبارِ
المحتكرِ على البيع - حتى على القولِ بالكراهة - بل عن المهذب
البارع الاجماع، وعن التنقيح - كما في الحدائق - عدمُ الخلافِ
فيه. وهو الدليلُ المُخرجُ عن قاعدةِ عدمِ الاجبارِ لغيرِ الواجب.

ولذا ذكرنا أنّ ظاهر أدلّة الاجبار تدلّ على التّحريم، لأنّ الزام غير اللّازم خلاف القاعدة^١.

تتميمان

١- تعيين موضوعات الاحتكار

الكتاب

- ١ وإن حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *^٢
- ٢ وَأَنْ أَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ..^٣

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما كتب لعتاب بن أسيد عهداً على مكة : .. وقد قلّد رسول الله، عتاب بن أسيد، احكامكم ومصالحكم .. وتقويم أود مضطربكم ..^٤
- ٢ النبي «ص» - فيما كتبه لمعاذ بن جبل، لما بعثه الى اليمن : .. وعليك

١ - الاحتكار والتسعير / ٥٤ - ٥٦.

٢ - سورة المائدة (٥) : ٤٢ و ٤٩.

٣ - البحار / ٢١ / ١٢٢ - ١٢٣، عن «تفسير الامام العسكري».

بالرفق والعفو، في غير تركٍ للحقّ ..^١

٣ الامام علي «ع» - في العهد الأشرقيّ: .. وليكن أحبُّ الامور اليك، اوسطها في الحقّ، واعمّها في العدل، واجمعها لرضا الرعيّة ..^٢

* إن فلسفة التمسك بالآيات والاحاديث المذكورة وامثالها في امثال المقام لاجبة؛ وذلك لأن الحكم بالقسط وبما أنزل الله في كتابه - حيث أمر بالعدل والاحسان واقامة القسط ونهى عن الظلم - وكذلك رعاية مصالح الجماهير، وتقويم أودمّا اضطرب من معاشهم، والاجتناب عن ترك الحقّ، وقرار ما هو الاوسط في الحقّ والاعم في العدل والاجمع لرضا الناس، كل ذلك يقتضي أن يهتم الحكم الاسلامي بامور الناس وصلاتهم في المعيشة والحياة، حتى لا يظلم مسلم او معاهد؛ فمن واجبه أن يقوم بنصرتهم حينما يظلمون، اذ لا ينصّر المظلوم بلاناصر - على حد قول مولانا امير المؤمنين «ع»^٣

فلا يسع الحكم أن يدع قطاعات الناس اسيرة في ايدي طواغيت الثروة والمال، من المحتكرين الظالمين ومن اليهم، لأن يُعاملوها على ما يشاؤون. فعليه أن يمنع من الاحتكار بشكل حاسم، وأن يخرج حكراتهم الى بطون الاسواق ومُتسوّنين الشوارع، وأن يجبرهم على البيع، وأن يعين الموضوعات التي تحتاج اليها النفوس، في كل عصر ومصر وبيئة وبلد على حسبها. نعم، إن تعيين موضوعات الاحتكار امر راجع الى والي

١ - تحف العقول / ٢٥.

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٦: عبده ٣ / ٩٥ - ٩٦.

٣ - غرر الحكم / ٣٤٩.

المسلمين والحكم الاسلامي، اذ المذكور في الاخبار لم يُرد به حكم فقهي، حيث إنّ الحكم الفقهي هو ما يشمل جميع الازمنة والامكنة والظروف. والحصر الوارد ليس كذلك، وهو واضح. فالحق في هذا الموضوع الحياتي الهام (الاقتصادي، المعيشي، الاداري، الاجتماعي، السياسي ..)، مع الفقهاء الذين يرون الامر على واقعه في المسألة، حيث يقول احدهم:

«إنّ الحصر في الروايات الحاصرة لم يكن حكماً فقهيّاً كلياً لجميع الازمنة والظروف، بل حكماً ولائياً لعصرٍ خاصٍّ ومكانٍ خاصٍّ، فيكون تعيين الموضوع من شؤون الحاكم بحسب ما يراه من احتياجات الناس في عصره ومجال حكمه».

«والمناسب للشيعة السّميحة السّهلة المُشرّعة لجميع الاعصار والظروف، أن يُشرّع فيها الكليات القابلة للانطباق في كلِّ عصرٍ ومكان، ويُفوض تعيين الموضوعات الجزئية لها الى الحُكّام والوُلاة، نظير ما احتملناه في باب الزّكاة، من أنّ المُشرّع في الكتاب الكريم كان اصل وجوب الزّكاة واخذ الصدقات من اموال الناس؛ وتعيين الموضوع لها فوض الى الوُلاة والحُكّام على حسب تشخيصهم للثروات العمومية. وتعيين الموضوعات التسعة من قبل النبيّ «ص» كان حكماً ولائياً صدر عنه بما أنّه كان والياً على المسلمين في عصره، وكان عمدة ثروة العرب الموضوعات التسعة، كما ربما يشعر بذلك بعض التعبيرات الواردة في الروايات، كقوله «ع»: «وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» الزّكاة على تسعة اشياء وعفى عمّا سوى ذلك».. ومما يشهد لكون امر الحكرة والنهي عنها من شؤون الوُلاة والحُكّام، امر امير المؤمنين «ع» مالكاً ورفاعة بالنهي عن الحكرة ومعاقبة من تخلف، بل امر رسول الله «ص»

بالاخراج والبيع في خبر حذيفة،^١ فتدبر^٢.

٢- التسعير

الكتاب

- ١ .. وتعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثمِ والعدوان^٣..
- ٢ .. فَلَاتَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا^٤..
- ٣ .. هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؟*^٥

الحديث

- ١ النبي «ص» - في ذكرُموا صفاتٍ من يصلحُ للامامةِ والحكم: .. وحسنُ
الولاية على مَنْ يلي، حتى يكونَ لهم كالوالدِ الرَّحيمِ^٦. (وفي روايةٍ
أخرى: حتى يكونَ للرعيَّةِ كالأبِ الرَّحيمِ)^٧.

١ - راجع: الحديث ٢، في تذييلِ الفصل.

٢ - الاحتكار والتسعير / ٤٧ - ٤٨.

٣ - سورة المائدة (٥): ٢.

٤ - سورة النساء (٤): ١٣٥.

٥ - سورة النحل (١٦): ٧٦.

٦ و ٧ - الكافي ١ / ٤٠٧.

٢ الامام علي «ع» - في العهد الآشوري : .. وَلَيْكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَاسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ، مِنْ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ ..^١

* هذا تدليلٌ صريحٌ على التّسعير عند الاجحاف . وهو حكم أوّلِيّ - كما لا يخفى - فالَّذين يمنعون التّسعير مطلقا، لا يفهمون واقع الاسلام، ولا يتبعون سيرة علي «ع» . وهو اتّجاهٌ يرجّح الكفّة لحساب الطّواغيتِ الاقتصاديّين والذّئابِ المُمْتَصِّين .

٣ الامام علي «ع» - من العهد : .. وَتَفَقَّدَ امُورَمَنَ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ، مَمَّنَ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْفَرُهُ الرِّجَالُ .. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرِّعِيَّةِ اِحْوَجُ إِلَى الْانصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ ..^٢

* إِنَّ مَسْأَلَةَ «التّسعير» لَا تُطْرَحُ إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ تَضَخُّمٌ وَاجْحَافٌ، وَاحْتِكَارٌ لِلْمَنَافِعِ وَالْحَاجِيَّاتِ، وَاسْتِبْدَادٌ وَتَحَكُّمٌ فِي الْبَيْعِ، لَا فِي الْاِحْوَالِ الطّبيعيّةِ وَالْاِسْعَارِ الْعَادِيَّةِ، أَوْ الْغَلَاءِ الطّبيعيّ الَّذِي يَسْنَحُ فِي بَعْضِ الْاِحْيَانِ لَمَّا يَبْدُو مِنْ اِحْوَالٍ وَعِلَلٍ، مِمَّا لَا يَنْبَغُ مِنْ مَقَاصِدِ اسْتِغْلَالِيَّةٍ وَلَا يُؤَدِّي إِلَى اجْحَافٍ أَوْ ظَلَمٍ (وهذه الحالة هي مصبُّ اخبار المنع).

وعندئذٍ فالَّذين يحتاطون في امر التّسعير وتسويغه - مع ما ورد بصدده مواصفات التّجار والبائعين^٣ - كيف يفهمون الاسلام؟ وكيف يقرأون القرآن وآياته الآمرة بالعدل والقسط، والنّاهية عن الظلم

١ - ٢ - نهج البلاغة / ١٠١٧ - ١٠١٩؛ عبده ٣ / ١١٠ - ١١٢.

٣ - راجع: الفصل ١٣، من هذا الباب، فقرة «ي»، وبعض فقر هذا الفصل، والفصل ٨، من الباب ١١.

والعدوان والتعاون عليه؟ وكيف يدعون القِطاعاتِ ممتصّة، مجحفاً بها، اسيرةً في مخالِبِ المُسعّرِين الذّئابِ لكي يعاملوهم بما تشاء لهم الميول وتبعثهم عليه الدُّخول؟ ومع ذلك يعتقدون أنّ الاسلام يدافع عن المحرومين والمظلومين والمستضعفين؟ كيف يجمع هؤلاء المحتاطون بين هذه المتضادات؟

إنّ الحاكمَ المسلمَ الذي يراه النبيّ «ص» والداً رحيماً بالرعيّة كيف يسعه أن يتركها تُظلم ظلماتاً وتُنهب اموالها في الاسواق وترض عظامها تحت نير التّضخّم والغلاء؟

إنّ البيعَ السّمحَ الذي يوصي به امير المؤمنين «ع» ويدعو الى أن يكون بموازين عدلٍ واسعارٍ لا تُجحف بالفريقين، كيف يتجسّد مع التسعيرِ الحرّ، عند التّضخّم والحِصارِ الاقتصاديّ والغلاءِ المفروض؟

وما هي تلك الشّدائدُ والمصائبُ التي يعانيتها اولئك المنسيون الذين تفتحهم العيون وتحقرهم الرجال، من الذين هم احوج الى الانصاف من غيرهم، ويا لله لهؤلاء المظلومين المعذّبين ومعيشتهم الضنك في جحيم التّضخّم والغلاء والإقلال؟! وكيف يدرك حالهم من لا يمرّ عليه يومٌ من أيّامهم؟!

اكل هذه عدلٌ واصلامٌ وانصافٌ؟ اكل هذه تحكيمُ القرآنِ على الحياةِ وصلاتها، واتباعُ سيرةِ النبيّ «ص» واوصيائه «ع»؟ كيف يكون ذلك؟ وكيف يقومُ الناسُ بالقسط، وترسنى قواعدُ العدل، وتُصانُ حقوقُ المستضعفين، مع التسعيرِ الحرّ والتّضخّم وما اليهما؟ ومع الامتلاكِ اللّامحدود؟ ومع الاهمالِ في التّوزيعِ وعدمِ الرّقابةِ

١- ان كلام امير المؤمنين «ع» هذا، في العهدِ الاشترقي، صريحٌ في لزومِ التسعيرِ والرّقابةِ عليه، عند الاجحاف. ولقد صدر عنه في «مقام البيان».

على الاسواق؟ ومع عدم حذف الوُسَطَاءِ والمُتَلَقِّينِ او تقليصهم؟
نعم، إنَّ استلالَ آياتٍ من الكتابِ وجعلها فقهيةً، ونسيانَ
البقيَّةِ في مقامِ التَّفَقُّهِ والاستنباطِ والافتاءِ، لمَّا يُؤدِّي الى امثالِ
هذه الاتِّجاهاتِ!

نعم، إنَّ عدمَ مقاطعةِ الاغنياءِ بل مخالطتهم، وعدمَ
مصاحبةِ الفقراءِ بل مجانبتهم وعدمِ الوقوفِ على آلامهم القاسيةِ،
لمَّا يُؤدِّي الى امثالِ هذه الاتِّجاهاتِ!

نعم، إنَّ السَّدَاجَةَ الفكريةَ والانخداعَ بحيلِ الاغنياءِ وفراغتهِ
المالِ وقبولَ ما يُلصِقُونَ من الاتِّهاماتِ الواهيةِ بدعاةِ العدلِ،
لمَّا يُؤدِّي الى هذه الاتِّجاهاتِ!

إنَّ القرآنَ الكريمِ، انما يُبنى به الفردُ ويصنَعُ به المجتمعُ، اذا
استُفيدَ من كَلِّهِ منظوماً وبشكلٍ مجموعيٍّ، لا بصورةِ هداياتٍ
مُبَعَثَةٍ. إنَّ شأنَ القرآنِ هو هدايةُ الفردِ وبناءُ المجتمعِ الانسانيِّ لا
غيرِ، فما هو يسرُّدُ القِصَصَ ويوردُ التاريخَ الاً لذلكِ الشَّانِ. فلو
كانتِ خمسُ مئةِ آيةٍ منه كافيةً لذلكِ المقصدِ الهامِّ العظيمِ، ليُصيحَ
تنزيلُ البقيَّةِ الباقيةِ لغواً، مع أنَّه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ. وما من آيةٍ
من آياته الاً وفيها هدايةٌ خاصَّةٌ او عامَّةٌ ذاتُ صلةٍ جذريَّةٍ تنظيميَّةٍ
بالآياتِ الأخرى وما فيها من الهداياتِ. فكلُّ ما في القرآنِ جزءٌ
رئيسيٌّ من اجزاءِ رسالتهِ الكريمةِ الخالدةِ، وهدايتهِ العامَّةِ الشاملةِ،
وادواته المتوفِّرةِ اللازمةِ لبناءِ الافرادِ والمجتمعاتِ.

وإنَّ لآياتِ العدالةِ الاجتماعيةِ والاقتصاديَّةِ والقسطِ، وآياتِ
شجبِ التَّكاثُرِ والترفِ والاسرافِ وجمعِ المالِ الكثيرِ، وآياتِ
رفضِ ظلمِ الناسِ بعضهم بعضاً وردعِ الإثمِ والعدوانِ والتَّعاونِ
عليه، شأناً من ذلكِ الشَّانِ العظيمِ. فهي لا بدَّ من أن لا تكونَ منسيَّةً

في كل رأيٍ أو فقاهاةٍ أو افتاء، بل لا بدّ من ان تكون مقياساً رئيسياً للكلّ عند الكلّ - كما اشرنا اليه ايضاً - وبذلك يقوم عمود الحقّ، وتتجلّى عظمة الصّلاة، وتتجسّد امثلة العدل في جليل الامور وحقيرتها وصغيرها وكبيرها، لا بغيره .

وهذا هو الامر المصيريّ الهامّ، الذي يجب ان يتبناه علماء المسلمين، في هذه الازمان، تبنياً لامحيد عنه .

وبعد هذا الإشارة اللازمة نرجع إلى بقية الكلام عن التسعير، فنقول: إنه من المسائل المهمة الاجتماعية والاقتصادية والإدارية للناس، بل الأخلاقية والسياسية والدفاعية أيضاً؛ ولا سيّما في أوقات خاصه. وللتسعير - في هذه الأسواق - دور كبير في إقامة القسط وضيانه الحقوق .. خصوصاً مع ما جاء في الاحاديث من وصف التجار والمستوردين والبائعين بالخيانة والفجور (الا المتقين منهم)، وما ورد في نفي الضرر وخفض الربح والسماحة في البيع، فعلى الفقاهاة الاسلامية ان تتخذ في هذا الامر الحياتي العظيم (الذي يمتُّ الى «اصل قوامية المال» في المجتمع الاسلامي بوشيح صلة، وله دوره الحاسم في تقوم الأمة والكيان الاسلامي)، موقفاً حاسماً، مقاطعاً للمستكبرين الاقتصاديين وحيلهم، موقفاً يواكب روح التعاليم القرآنية، الآمرة باقامة القسط، الناهية عن معاونة الجور، موقفاً يرضي الله والرسول «ص»، في حين كونه حافزاً قوياً على صنع مجتمع اسلامي لا يظلم فيه المضطهدون، واسواق اسلامية لا تصبح مسترق اموال الجماهير .

وبذلك يحتفظ بحيثة الحكم الاسلامي، حيث لا يتهم بالجنوح الى اصحاب الثروات وطواغيت التكاثر والارتاف، وبالضعف في الادارة الاقتصادية والتنظيم المعيشي للناس،

وبعدم استطاعته لحماية القطاعات باقامة العدل فيها ودفع الجور عنها .

ولقد جَنَحَ عدَّةٌ من اعظم الفقهاء الى التسعير، عند الاجحاف بالثمن - وهو محلُّ القول - كما «في المقنعة، والوسيلة، والمختلف، والايضاح، والدروس، واللمعة، والمقتصر، والتنقيح، انه يُسَعَّرُ عليه إن أَحَجَفَ في الثمن، لما فيه من الإضرار المنفي»^١، ولان عدم التسعير في صورة التشديد والاجحاف، يُضادُّ رعاية العدل والقسط، فضلاً عن الاحسان الذي يأمر به القرآن .

ولقد افتي صاحبُ الجواهر بالتسعير - كما مرّ . وفي غير المذكورين ايضاً من افتى به مع الاجحاف، كالشَّهيد الثاني، في «المسالك»^٢؛ وفي «الرّوضة»^٣ يُجوزُ ما في معناه ..

ولاهمية التسعير والرقابة على الاسعار، في البيئات التي لا يُراعي المستوردون والمُسعِّرون حدود العدل والانصاف ولا يلتزمون بما فرضه الاسلام عليهم، لسلامة الصّلات الاقتصادية، ويعاملون الناسَ معاملة الذّئاب - كما ورد في الحديث - لقد أوردنا في الباب العاشر، من الكتاب، بحثاً عن «مجابهة الاحتكار والرقابة على الاسعار»، قبل سنين، فراجع .

ولقد وردت اخبارٌ تمنع التسعير، وبها افتى جمع . وهذه الاخبارُ يجبُ أن تُفهمَ بصورة اجتهادية لائقة، على تفقّه واع . ولقد جاء في رسالة «الإحتكار والتسعير»، توضيحٌ وتبيينٌ تلك

١ - مفتاح الكرامة ٤ / ١٠٩؛ الإحتكار والتسعير / ٦٠ .

٢ - المسالك / ١ / ١٧٧؛

٣ - الرّوضة البهية ٣ / ٢٩٩؛ الإحتكار والتسعير / ٦٦ .

الاجبار وتعيين مصبها بحيث يضاف، مع ايضاح السعيرين، الطبيعي العادي الذي تقتضيه الظروف والشروط الطبيعية، والعسوف الذي يخلقه الظلم والاجحاف من المالك، وخصوصاً بعد الحصار الاقتصادي، وفي ازمة الحروب والاحوال الخاصة، ولاغراض يبيتونها المستعمرون والغاشمون؛ فليراجعها القارئ الباحث عن الموضوع.

تذويب

هناك امران يُحذران البعض من تسويغ التسعير. احدهما حرمة مال المؤمن^١ (فإنها كحرمة دمه). ولعل إضافة المال الى «المؤمن» - كما ورد في الحديث^٢ - لا الى المالك، تُشعر بأن المال الذي يؤكد الاسلام على قداسته، هو الذي يمتلكه المؤمن بوصفه مراعياً للحدود والحقوق الشرعية في البيع والشراء والاقتناء والامتلاك، مجتنباً عن الظلم والاجحاف والتضخيم وما الى ذلك، معتقداً في المال بأنه قوام للناس، بلا مكاثرة او ترف او اعتداء. والامر الثاني، التراضي. ومن الواضح ان هذا التراضي يجب أن يكون من الطرفين - كما يفيدُه صريح اللفظ - فكما يجب أن يكون

١ - ومما لا يقضى منه العجب، أن هذه الاحتياطات إنما تتم في الاغلب لحساب المستكبرين وعلى حساب المستضعفين. ولم نجد أن يحتاط محتاط القوم في اقامة العدل، وفي استرداد حقوق المحرومين والمغضوبين، وفي توفية اجور العمال والكادحين، وفي اعانة من هو أحوج الى الانصاف من غيره، وفي تحصيل رضا الله سبحانه ورضا الرسول «ص» يا نعاشر المضطهدين والمعذبين واخراج أموالهم وازاقتهم من حلقوم اولئك الجبابرة المنتعنين؟! غفرانك اللهم ربنا واليك المصير..

٢ - راجع: الفصل ٣، من الباب ١١.

البائع راضياً يجب أن يكون المبتاع أيضاً راضياً. وكما لا يجوز أن ينتقل المتاع الى المبتاع الا بصورة يرضاها المالك، كذلك لا يجوز أن ينتقل الثمن الى المالك الا بصورة يرضاها المبتاع. وفي احيان كثيرة لا يكون الامر كذلك، لاستبداد الباعين (وهم الذين فيهم ضيق فاحش، وشح مطاع، واحتكار للمنافع، وتحكم في البياعات)، وحاجة المبتاع واضطراره الى المتاع والسلعة، وعند ذلك يصير رضا المبتاع والمشتري منسياً عملاً.

وهذا جانب هام، لا تصح ولا تسلم صلات الناس الاقتصادية الآبه، ولكن يغفله كثير من الفضلاء، فضلاً عن متعاطي البيوع، فيؤكدون على التراضي في القول، ويرجعون رضا المالك في العمل (وخصوصاً أن عدم رضا المشتري المحتاج الى السلعة غير معن في اغلب الاحوال)، فيشتري المبتاع المتاع في حالة لا يدري ما يفعل به وعلي حساب في التسعير.

نظرة الى الفصل

١ - جاء في كلام النبي «ص» (في التذييل) قوله: «بِعُهُ كَيْفَ شِئْتَ». وهذا الكلام يُدَلُّ على تسويغ البيع بأية صورة شاءها البائع، لا بأيِّ سِعْرٍ شاء، للعموماتِ الدّاعيةِ الى اعطاء الحقِّ واخذه، وحذفِ الرِّيحِ أو تخفيفه، والنّاهيةِ عن الظلمِ والاجحافِ والتّعدي عن الحدودِ وتضخيمِ الرِّيحِ وما الى ذلك. وهناك لصاحب «الجواهر» كلامٌ يُؤيِّد ما قلناه. واليك نصّه: «والاذنُ بالبيعِ كيف يشاء، محمولٌ على ما هو الغالبُ من عدم اقتراحِ المُجحف»^١.

٢ - جاء في عهد امير المؤمنين «ع» لمالكِ الاشترِ النّخعيّ، بحقّ المحتكر: «فَنَكَّلْ بِهِ». قال اللّغويون: «نَكَّلَ بِهِ، صَنَعَ بِهِ صَنِيعاً يُحَدَّرُ غَيْرَهُ وَيَجْعَلُهُ عِبْرَةً لَهُ». وقال الرّاغِبُ الاصفهانيّ: «نَكَّلْتُ بِهِ: اِذَا فَعَلْتُ بِهِ مَا يُنَكَّلُ بِهِ غَيْرُهُ. وَاسْمُ ذَلِكَ الْفِعْلِ نَكَالٌ، قَالَ: "فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا"»^٢.

وهذا الحديثُ العلويُّ ممّا يُسْتَدَلُّ به على حرمةِ الإحتكار، و«تقريبُ الاستدلالِ أنّ امره «ع» بالتّنكيلِ والمعاقبة، دليلٌ واضحٌ على الحرمة، لعدمِ جوازِ العقوبةِ على المكروه»^٣ كما مرّ عن الشّيخِ الانصاريّ ايضاً.

١ - الجواهر ٢٢ / ٤٨٦.

٢ - المفردات / ٥٠٦.

٣ - الإحتكار والتسعير / ٢١.

٣ - والحق في امر «الاحتكار» مع القائلين بالتحريم والتعميم، أما الأوّل فللنهي عنه في الاخبار، ولأنّه من مصاديق الظلم والتعدي المنهيين عنهما في القرآن؛ ولأنّ العقوبات الواردة بصدد الاحتكار والمحتكرين في الاخبار تُوجبُ الحرمة بل المرتبة الشديدة منها؛ ولحكم العقل ايضاً. وأما الثاني، فلأنّ ملاك ممنوعية الاحتكار - الذي ذكّر في الاخبار - يُعمّم جميع ما يحتاج اليه الناس في المعيشة. ويدلّ على أنّ الشارع الحكيم إنّما أراد أن يكون الناس في سعة. ويحكم بذلك العقل ايضاً. ولا يكون للزمان مدخلة فيه بعد ما حصل الضيق وصدق الاحتكار. وممن أفتى بالتعميم، من الفقهاء المتأخرين والمعاصرين، الشيخ محمّد حسن النجفي في «الجواهر»^٢، والسيد ابوالحسن الاصفهاني، في «الوسيلة»، والشيخ مرتضى الحائري، في شرحها (ابتغاء الفضيلة).

٤ - ولقد كتب احد الفقهاء المعاصرين،^٣ رسالة في «الاحتكار والتسعير»، وجاء فيها بآراء قيّمة وفاقهة مُتَفَتِّحة في المسألة، تُنبئ عن طاقة فقهنا للتطور الحياتي المنشود، من غير أن نجح الى غير «الدلة الاربعة»، ومن غير أن نعتزل اصول «الاجتهاد» الرئيسيّة وجوهريّات الفقه الثابتة.

والفقيه المذكور يورد مسائل من المناسب أن نقضّب منها ما يلي :
أ - «إنّ مسألة احتكار الامتعة والسّلع الضرورية وتسعيرها، من أهمّ مشاكل عصرنا الحاضر ومما بليت بها وبلوازمها وآثارها الحكومات الدارجة، بحيث ربما توشك بسببها على التزلزل والسقوط. وصارت

١- وفي بعض الاحيان يُصبح من مصاديق خلق التوتّر في المجتمع الاسلامي، وتشويه سمعة الاسلام.

وتضعيف حكمه، وما الى ذلك. وحرمة هذه الامور واضحة.

٢ - وسياقي كلامه.

٣ - وهو آية الله، الشيخ حسين علي المنتظري النجف آبادي.

النَّاحِيَةُ السِّيَاسِيَّةُ فِيهَا تَغْلِبُ عَلَى النَّاحِيَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْبَحْتَةُ ..».

ب - «لا يخفى أَنَّ الاحتكارَ ليس امراً مستحدثاً غيرَ معروفٍ في القرونِ السَّالفةِ، بل كان في جميعِ الاعصارِ مشكلةً اجتماعيةً كبيرةً، ولا سيما طَوَالَ الحروبِ الواسعةِ النَّطاقِ، فانه وليدُ الحرصِ والطَّمعِ المَجْبُولِ عليهما نوعُ الانسانِ .. وكلما اتَّسَعَتِ مجالاتُ التَّبادلِ التَّجَارِيِّ وتكاملتِ فنونها، كَثُرَتِ الحُكْرَةُ والحِصاراتُ الاقتصاديةُ وسَرَتِ الى جميعِ ما يحتاجُ اليه الانسانُ في نفقاتِهِ وصناعاتِهِ وانتاجاتِهِ، فَعَمَّتِ شُرورها وكَثُرَتِ أضرارُها».

ج - «وقد بلغت سَعَةُ مجالاتِها في اعصارِنا حدًّا صارت اكبَرُ وسيلةٍ استعماريَّةٍ تستخدمُها الدُّولُ الكبرى المستكبرَةُ ضدَّ الدُّولِ والأُممِ المستضعفةِ، للضَّغَطِ عليها والتسلُّطِ على سياستها وثقافتِها وثوراتها. فيفرضُ على الرِّجالِ العقلاءِ الملتزمين - من العالمِ الثالثِ - أن يُفكِّروا في حلِّ هذه المشكلةِ التي بُلِيَتْ بها دولُهُم واممُهُم . ونقول اجمالاً إنَّ الوسيلةَ الوحيدةَ لذلك، هي التَّمسُّكُ بالاسلامِ وشرائعهِ وتوحيدُ الكلمةِ تحتِ لوائِهِ، وقطعُ العلاقاتِ معِ الدُّولِ الكبرى الظَّالمةِ الا بقدرِ الضَّرورةِ ..»

د - «وهو - بحسبِ المفهومِ - عامٌّ لكلِّ ما يحتاجُ اليه الناسُ ويكونُ منعُهُم منه موجِباً للظلمِ والتَّنقُصِ، فلا يَخْتَصُّ بالطَّعامِ . و اضافتهِ اليه في الكلماتِ من بابِ المِثالِ لكونِ الطَّعامِ من اظهرِ الحاجاتِ، هذا».

هـ - «والاحتكارُ يُضَيِّقُ على اهلِ البلادِ الكبيرةِ ايضاً، لانَّ ما قاله البعضُ من "عدمِ تأثيرِ الاحتكارِ في البلادِ الكبيرةِ" انما كان من جهةِ انه لم يكن يوجَدُ في تلكِ الاعصارِ الشَّرَكَاتُ الواسعةُ والحِصاراتُ الاقتصاديةُ العظيمةُ التي ربما تَقْبِضُ بايادِها وبرائِثِها الخبيثةِ جميعَ منابعِ المادِيَةِ لمنطقةٍ كبيرةً، بل لمناطقٍ كثيرةً، وتحكُمُ فيها بما تريد، وتستخدمُها للضَّغَطِ

على الدُولِ فضلاً عن الأمم - كما توجد في اعصارنا ..»
 و - «إِنَّ تَرَكَ النَّاسِ بِلَا طَعَامٍ مِمَّا يَحْكُمُ الْعَقْلُ بِقَبْحِهِ . وَالْحَكْمُ
 بِجَوَازِهِ بَعِيدٌ مِنْ مَذَاقِ الشَّرْعِ جَدًّا .. وَعَرَفْتَ إِيْضًا أَنَّ ظَاهِرَ الْإِخْبَارِ هُوَ
 الْحَرَمَةُ، بَلْ ظَاهِرٌ كَثِيرٌ مِنْهَا التَّشْدِيدُ فِيهَا وَكَوْنُهُ مُوجِبًا لِلدَّخُولِ فِي النَّارِ
 وَفِي عَرْضِ الْمَحْرَمَاتِ الْكَبِيرَةِ مِنْ قَبِيلِ الْإِدْمَانِ عَلَى الْخَمْرِ وَالْقِيَادَةِ
 وَنَحْوِهَا . هَذَا مُضَافًا إِلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُحْرَمًا لَمْ يَكُنْ وَجْهٌ لِعُقُوبَةٍ فَاعِلِهِ
 وَاجْبَارِهِ عَلَى الْبَيْعِ مِنْ قَبْلِ الْحَاكِمِ . كَيْفَ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِرِضَا
 الشَّارِعِ بِعَمَلٍ يُوجِبُ الضَّرَرَ وَالضَّبَقَ عَلَى النَّاسِ؟ فَمِنَا سَبْءُ الْحَكْمِ
 وَالْمَوْضُوعِ إِيْضًا تَقْتَضِي الْقَوْلَ بِالْحَرَمَةِ . هَذَا».

ز - وبعد ايراد اخبار المسألة، وتقسيمها على خمس طوائف، وذكر
 ما يربو على اربعين حديثاً من مصادر الفريقين،^١ يقول بصدد الطائفة
 الخامسة من الاخبار، التي تدلُّ «على أنَّ الحُكْرَةَ المنهيَّ عنها أتما هي
 في امورٍ خاصّة»^٢: «هذه هي الاخبارُ الحاصرةُ للحُكْرَةَ المنهيَّ عنها في
 اشياءٍ خاصّة . ولا يوجد في هذه الروايات الخمس صحيحٌ اعلائيٌّ اصلاً،
 ولا يوجد في الكتب الاربعه الا واحدة منها . فمن حصر الحُجْجَةَ بالصحيح
 الاعلائيّ - كصاحب المعالم والمدارك - يُشكّلُ له الاخذ بها . ومن حصرها
 على الكتب الاربعه يُشكّلُ له الاخذ بغير خبر غياث (ابن ابراهيم). وكيف
 كان، بعد الاخذ بهذه الروايات فالذي تقتضيه الصنعة الفقهيّة في بادئ
 الامر^٣ هو تحكيمها على المطلقات السابقة وحمل المطلقات السابقة

١ - وجاء فيما نقله عن «كنز العمال» (ج ٤، الحديث ٩٧٢١) قول النبي «ص» هذا: «من تمنى على
 أمي الفلاء ليلة واحدة، أحبط الله عمله اربعين سنة».

٢ - الاخبار الحاصرة خمسة، كما اشير اليه في المتن، وسند بعضها ضعيف لمكان ابي البخترى فيه .

٣ - هذا تقييد حسن جداً، لأن تحكيم الاخبار الحاصرة (القليلة) على المطلقات (الكثيرة) بلحنها
 الحاسم الدامع، والذهاب الى تبني الحصر، امرٌ يعيل اليه النظر البدوي، لا النظر الاجتهادي
 القوي الواعي، كما تبناه عدّة من فقهاء الاصحاب، كشيخ الطائفة الطوسي - حيث اضاف الملح
 مع أنه لم يرد ذكره في الاخبار - وصاحب «الجواهر»، والسيد ابي الحسن الاصفهاني، ومن اليهم .

عليها ..»

ح - ثم يَعْمِدُ الى الاستدلالِ على التعميم: «الظَّاهِرُ أَنَّ حَرَمَةَ الاحتكارِ .. ليس حكماً تعبدياً بلاملاك، او بملاكٍ غيبيٍّ لا يَعْرِفُهُ ابْنَاءُ نَوْعِ الانسانِ . بل الملاكُ له - على ما هو المستفادُ من اخبارِ البابِ ايضاً - هو حاجةُ النَّاسِ الى المتاعِ و ورودُ الضَّيْقِ و الضَّررِ عليهم من فقده؛ ففي صحيحِ الحلبيِّ: "إن كان الطَّعَامُ كَثِيراً يَسَعُ النَّاسَ فِلا بَأْسَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ قَلِيلاً لَا يَسَعُ النَّاسَ فَإِنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَحْتَكِرَ الطَّعَامَ وَيَتْرَكَ النَّاسَ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ" يظهرُ من هذه الصَّحِيحَةِ عِلَّةُ الحِكمِ وملاكه، وَأَنَّ نَظَرَ الشَّارِعِ الحَكِيمِ فِي تَشْرِيعِهِ إِلَى كَوْنِ النَّاسِ فِي سَعَةٍ، وَأَنَّ لَا يُتْرَكُوا بِلا طَعَامٍ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ حَيَاتُهُمْ، وَفِي ذَيْلِ صَحِيحَتِهِ الأُخْرَى بِنَقْلِ الكَلِينِيِّ: "وَسَأَلْتُهُ عَنِ الزَّيْتِ فَقَالَ: إِنْ كَانَ عِنْدَ غَيْرِكَ فِلا بَأْسَ بِامسَاكِهِ" ٣. وَاتَّفَقَتِ الرِّوَايَاتُ وَالفِتاوَى فِي الزَّيْبِ، مَعَ أَنَّهُ كَثِيراً مَا تَكُونُ حَاجَةُ النَّاسِ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الأَمْتَعَةِ أَكْثَرَ بِمَرَاتِبَ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الزَّيْبِ. وَقَدْ ذَكَرَ الزَّيْتُ أَيضاً فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الحَاصِرَةِ، ٤ وَافْتَى بِهِ الفُقَهَاءُ، وَأَنَّ تَعَلَّمَ أَنَّ الزَّيْتِ لَيْسَ مِمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ عَامَّةُ النَّاسِ، بَلْ كَانَ إِدَاماً فِي بَعْضِ المَنَاطِقِ كَالشَّامَاتِ وَامثَالِهَا. وَقَدْ كَثُرَتِ البِلَادُ الَّتِي تَنحَصِرُ أَقْوَامُ أَهْلِهَا فِي الأَرِزِ أَوْ الذَّرَّةِ مِثْلاً، وَيَصِيرُ احْتِكَارُهُمَا مَوْجِباً لِصِيرورَتِهِمْ بِلا طَعَامٍ. فَهَلْ يَجُوزُ

١ - «ولفظُ الكراهية بحسب اللُّغة واصطلاحِ الكتابِ والسُّنة، أعمُّ من الحرمة والكراهية المصطلحة عند الفقهاء، بل لعلَّ ظهورها في الحرمة كان أقوى - كما هو ظاهرٌ لمن تتبَّع موارد استعمالِ اللَّفْظِ فِي الكِتَابِ والسُّنة، كقوله تعالى: «وَكُرْهُ اليَكْمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ»، وقوله في سورة الإسراء بعد النَّهيِ عن مثل الزَّنا و قتلِ الأَوْلَادِ واكلِ مالِ اليتيم ونحو ذلك: «كُلِّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا»، ونحو ذلك. وحينئذٍ فإذا دَلَّ دَلِيلٌ عَلَى كَوْنِ عَمَلٍ مَكْرُوهًا لِلشَّارِعِ المَقْدَسِ فَلَا يَجُوزُ ارْتِكَابُهُ إِلاَّ إِذَا وَرَدَ دَلِيلٌ عَلَى التَّرْخِيصِ فِيهِ، نَظِيرَ مَا ذَكَرُوهُ فِي بَابِ النَّهْيِ».

٢ - الوسايل ١٢/٣١٣.

٣ - الكافي ٥ / ١٦٥ - حُجِّلَ عَلَى مَا إِذَا كَانَ بِقَدْرِ حَاجَةِ النَّاسِ - (تعاليق «الكافي»).

٤ - وكذلك اشياء أُخْرَى؛ راجع: الحديث ٢، فِي الصُّلْبِ.

احتكارهما في هذه البلاد ولا يجوز احتكار مثل الزبيب او الزيت فيها؟ وهل تكون حاجتهم الى الأرز او الذرة اقل من حاجتهم الى الزبيب؟.

ط - «بل وربما تكون حاجة الناس الى بعض الاشياء من غير الاقوات ايضاً، في زمان او بلد خاص، اشدّ بمراتب من حاجتهم الى مثل الزيت والزبيب، كما اذا شاع مرض في منطقة خاصّة واشتدّت حاجة الناس الى دواءٍ خاصّ يتوقّف عليه حفظ حياتهم او سلامتهم، فاحتكره بعض الصيادلة. او وقعت الحكرة في جميع الالبسة الصيفية والشتوية وموادّها الاوليّة، او في مثل الوقود والمياه والاراضي ونحوها، ووقع الناس في ضيق شديد لذلك. وقد اوضح امير المؤمنين «ع» في كتابه الى مالك ما هو الملاك في المنع من الاحتكار، فقال في شأن التجار: "واعلم - مع ذلك - أنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات. وذلك بابٌ مضرّة للعامة، وعيبٌ على الولاة، فامنع من الاحتكار". ولم يذكر «ع» الاشياء الخاصّة ولا الاقوات مع كونه في مقام البيان».

ي - «وبالجملة، ليست احكام الشريعة الاسلامية جزائيةً، بلاملاك، بل شرّعت على اساس المصالح والمفاسد، وليست ايضاً لزمان خاص او مكان خاص، بل شرّعت لكافة الناس في جميع البلدان الى يوم القيامة. وحاجات الناس وضروريات معاشهم تختلف بحسب الازمنة والحالات والظروف، واطلاقات الروايات الكثيرة الناهية عن مطلق الحكرة تشمل الجميع. ومناسبة الحكم والموضوع وملاحظة الملاك ايضاً تقتضيان الاخذ بالاطلاق. والاخبار الحاصرة ايضاً بنفسها مختلفة، فترى الزيت مذكوراً فيماروي عن النبي «ص» ولم يذكر فيما روي عن

١ - أمعن النظر في هذه الكلمة (الاراضي)، حيث يجعلها المؤلف من «موضوعات الاحتكار»، وهو الحق.

امير المؤمنين «ع»، وترى الملح مذكوراً في كلام الشيخ ومن بعده ولم يُذكر في كلام من قبله ولا في الروايات. فأحدس من جميع ذلك عدم انحصار الاحتكار المحرم في اشياء خاصة^١.

ومما يؤيد التعميم، هو «العموم» المستفاد من صريح كلمة «المنافع»، الواردة في العهد الأشرقي (واحتكاراً للمنافع)؛ فالحكرة تشمل كل ما ينفع الناس في حاجياتهم المعيشية، في مختلف الفصول والأوساط والقرى والأمصار؛ فالأخبار المعددة تحمل على ذكر المثال لبيان الحصر.

تنبیه

ولا يذهب على الباحث، أن شيخنا النجفي صاحب «الجواهر» يميل أيضاً إلى التحريم والتعميم؛ أما التحريم فبملاكاتٍ أخر، كقصد الإضرار بالمسلمين، أو شراء جميع الطعام وتسعيه بما يشاء، أو تسببه للغلاء، أو اطباق المعظم عليه على وجه يحصل الغلاء والإضرار، وما الى ذلك^٢. وأما التعميم فقد قال: «بل هو كذلك في كل حبس لكل ما تحتاجه النفوس المحترمة ويضطرون اليه ولا مندوحة لهم عنه، من مأكولٍ او مشروبٍ او ملبوسٍ او غيرها، من غير تقييد بزمانٍ دون زمان، ولا اعيانٍ دون اعيان، ولا انتقالٍ بعقد، ولا تحديدٍ بحد، بعد فرض حصول الاضرار. بل الظاهر تسعيه حينئذ بما يكون مقدوراً للطالبين، اذا تجاوز الحد في الثمن. بل لا يبعد حرمة قصد الاضرار بحصول الغلاء ولو مع عدم حاجة الناس ووفور الاشياء، بل قد يقال بالتحريم بمجرد قصد

١ - الاحتكار والتسعير / ١١ - ١٢، ١٤، ١٨، ٣٥، ٤٠، ٤٤ - ٤٦.

٢ - الجواهر ٢٢ / ٤٨٠ - ٤٨١.

الغلاء وحبّه وان لم يقصد الإضرار. ويمكن تنزيل القول بالتحريم على بعض ذلك»^١.

ثم تأمل في كلام هذا الفقيه الكبير، حيث لا يكتفي بتسوية «التسعير» فقط، بل يحدّده بما كان مقدوراً للطالين. هكذا فليكن وعي الفقيه الاسلامي، في رعاية جانب الضعفاء والجماهير، ومقاطعة المستكبرين الاقتصاديين وميولهم.

ايقاظ

لقد سلف ان قلنا - تبعاً للنصوص القرآنية والتعاليم الحديثية - أن القسط واقامته في الناس، هو المقياس الرئيسي الوحيد لكل حكم ورأي وفتوى واتجاه في الاسلام؛ فكل ما قصر عنه او طاوله فهو مرفوض. واذ نظر اي ناظر الى الموضوع بمنظار القسط وارسائه في الجماهير، فلا يبقى له اي ترديد في هذه المسائل الخمسة:

- ١ - حرمة الاحتكار.
 - ٢ - تعميمه لكل ما تحتاج اليه النفوس.
 - ٣ - لزوم اجبار المحتكر على البيع.
 - ٤ - لزوم التسعير عند التضخم والاجحاف.
 - ٥ - تحديد الثمن بما يكون مقدوراً للطالين.
- على حدّ قول شيخنا صاحب «الجواهر» - في صور لا تؤدي الى ظلم بالنسبة الى مالك أو بائع.

الفصل السادس عشر

الإنفاق (١)

- نظرة عامة

ألا! إنَّ الإنفاقَ من أهمِّ الاصولِ التَّعليميةِ والتَّربويةِ، في سياسةِ الاسلامِ الاجتماعيَّةِ ومذهبهِ الاقتصاديِّ. إنَّه أصلٌ جذريٌّ هامٌّ مستوعِبٌ لجوانبِ الحياةِ الانسانيَّةِ، هدَّامٌ لقواعدِ التَّكاثُرِ والِإتِرافِ، بناءً لحياةٍ زاخرةٍ بالقيِّمِ، ملئِةٍ بالانسانيَّةِ والفضيلةِ، متماسكةٍ بالنُّضجِ والقوامِ للجماهيرِ.

والمقصودُ بالإنفاقِ هو بَدْلُ المالِ وعدمُ امساكِهِ، وتصييرهِ دائراً بينِ النَّاسِ، ودفعُهُ للآخرينِ ممَّنِ يحتاجون اليه، لمقاصدِ صالحَةٍ مختلفةٍ، وللمُنظَّماتِ المفيدةِ لشتَّى الغاياتِ الصَّالحةِ.

ويَتَبَلَّوْرُ من إمعانِ النَّظْرِ في الآياتِ القرآنيَّةِ والاحاديثِ الاسلاميَّةِ، اهميَّةُ هذا الاصلِ الجذريِّ، وعمقه الشَّاسِعِ، ودَوْرُهُ الصَّامِدِ، وطابعُهُ الحيائيُّ القويمِ، وتأثيرُهُ الاقتصاديُّ المُطَوَّرِ. ويَتَّضِحُ كذلك أنَّه من اعظمِ التَّكاليفِ الاسلاميَّةِ والاصولِ العمليَّةِ، واعمقها اثراً وابعدها مَدَى.

ونحنَ عَقَدْنَا عَشْرَةَ فصولٍ، للإنفاقِ في هذا البابِ، وسَنَأْتِي ضمنَ عناوينها، بآياتِ الكتابِ السَّماويِّ، واحاديثِ النَّبيِّ «ص» و

ـ اوصيائه الهادين «ع»، لكي نُلقي ضوءاً على مقدار ما لهذا الاصل
العظيم العملي المطوّر من الاهمية، في حقول الحياة الاسلاميّة
عامّة، وفي ابعاد الانسانيّة والحركة والتقدّم والابلاغ والتطوير
كافة، فالى الملتقى:

أ - الإنفاق، مبنى واصل

الكتاب

- ١ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَأَحْسِنُوا، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ *
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ .. ٢
- ٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنْ
الْأَرْضِ .. ٣
- ٤ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ .. ٤
- ٥ .. وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ .. ٥

١ - سورة البقرة (٢): ١٩٥.

٢ - سورة البقرة (٢): ٢٥٤.

٣ - سورة البقرة (٢): ٢٦٧.

٤ - سورة المنافقون (٦٣): ١٠.

٥ - سورة التغابن (٦٤): ١٦.

الحديث

- ١ النبي «ص»: لم نُبعث لجمع المال ولكن بُعثنا لانفاقه !
- ٢ النبي «ص»: ما أُوجيَ اليَّ أن اجمع المال .٢
- ٣ النبي «ص»: طُوبى لمن أنفقَ فضلاتِ ماله ..٣
- ٤ النبي «ص» - قام رجلٌ الى رسولِ الله «ص» فقال: يا رسولَ الله! مالي لا أحبُّ الموت؟ قال: «ألك مالٌ؟» قال: نعم . قال: «فقدّمه!». قال: لا أستطيع . قال: «فإن قلبَ الرجلِ مع ماله، إن قدّمه أحبَّ أن يلحقَ به، وإن أخّره أحبَّ أن يتأخّر معه» .٤
- ٥ الامام علي «ع»: أمسِكِ المالَ بقدرِ ضرورتك، وقدمِ الفضلَ ليومِ حاجتك .٥
- ٦ الامام علي «ع»: كُنْ جواداً مؤثراً، او مقتصداً مقدراً، وأياك والثالث .٦
- ٧ الامام علي «ع»: من الواجبِ على الغنيِّ أن لا يرضنَّ على الفقيرِ بماله .٧
- ٨ الامام الباقر «ع» - في قوله: «والَّذينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ..»: فإنَّ اللهَ حَرَّمَ كَنْزَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وامر بانفاقه في سبيلِ الله ..٨

١ - مشكاة الانوار / ١٨٣ .

٢ - البحار ٧٢ / ٤٧، عن «روضة الواعظين» .

٣ - البحار ٧١ / ٢٨٧ .

٤ - مجمع البيان ٨ / ٤٠٧ .

٥ - نهج البلاغة / ٨٧١: عبده ٣ / ٢٣ .

٦ - غرر الحكم / ٢٤٤ .

٧ - غرر الحكم / ٣٠٤ .

٨ - تفسير القمي ١ / ٢٨٩ .

٩ الامام الباقر «ع»: يا ابن اَوطاة! كيف تَواسيكم؟ قلت: صالح يا ابا جعفر!
قال: «يَدْخُلُ احَدُكُمْ يَدَهُ فِي كَيْسِ اخِيهِ فَيَأْخُذُ حَاجَتَهُ إِذَا احْتِاجَ إِلَيْهِ»
قلت: أمّا هذا فلا، فقال: «لَوْ فَعَلْتُمْ مَا احْتَجْتُمْ»^١.

١٠ الامام الصادق «ع»: المؤمن من .. أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ..^٢

ب - الإنفاق، من اركان الايمان

الكتاب

١ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
إِيمَانًا، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *^٣

* تعدُّ الآياتان للايمان خمسة اركان، فتقولان بكلمة الحصر:

إنما المومنون الذين :

١ - اذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ،

٢ - وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ اِيْمَانًا ؛

٣ - وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ؛

٤ - الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ؛

٥ - وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ .

١ - البحار ٧٨ / ١٨٥، عن «كشف الغمّة».

٢ - الوسائل ١١ / ١٤٧.

٣ - سورة الانفال (٨): ٣ - ٤.

الحديث

- ١ الامام السجاد «ع»: .. إن من أخلاق المؤمن الإنفاق، على قدر الإقتار.^١
- ٢ الامام الصادق «ع»: المؤمن من .. أنفق الفضل من ماله.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: يا ابن جندب! إنما شيعتنا يُعرفون بخصالٍ شتى: بالسَّخاءِ والبذلِ للإخوان ..^٣

ج - الإنفاق، من دعائم الحياة الاجتماعية وبقائها

الكتاب

- ١ ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ، وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ *^٤

الحديث

-
- ١ - البحار ٧٨ / ١٤٠.
 - ٢ - الوسائل ١١ / ١٤٧.
 - ٣ - البحار ٧٨ / ٢٨١.
 - ٤ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٨.

١ الامام السجاد «ع»: .. الذنوبُ التي تحبسُ غيْبَ السَّماءِ : جورُ الحُكّامِ في القضاء .. ومنعُ الزّكاةِ والقرضِ والماعونِ، وقساوةُ القلبِ على اهلِ الفقْرِ والفاقة، وظلمُ اليتيمِ والأرملّة، وانتِهَارُ السّائلِ وردّه بالليل ١.

د - الإنفاق، زينة اليقين

٢ النبي «ص»: بذلُ الموجودِ زينةُ اليقين ٢.

هـ - الإنفاق، اعظم نعمة

٣ الامام علي «ع»: إنّ انفاقَ هذا المالِ في طاعةِ الله، اعظمُ نعمة ٣.

* نجيءُ بالنظرة الى فصول الانفاق، آخر فصوله العشرة،

وهو الفصلُ الخامسُ والعشرون، في الجزء السّادس، فلاحظ .

١ - البحار ٧٣ / ٣٧٤، عن «معاني الاخبار».

٢ - البحار ٧٧ / ١٣١.

٣ - غرر الحكم / ١٠١.

الفصل السابع عشر

الإنفاق (٢)

- عظمته وأهميته

أ- رديف الايمان بالغيب

الكتاب

١ - الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *

ب- رديف اقامة الصلاة

الكتاب

١ - وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ..

١ - سورة البقرة (٢): ٣.

٢ - سورة الرعد (١٣): ٢٢.

٢ قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ..

ج - رديف القتال في سبيل الله والجهاد بالنفس

الكتاب

١ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ .. وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..

* قال الطبرسي: «لَمَّا أَوْجَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، الْقِتَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَقَّبَهُ بِذِكْرِ الْإِنْفَاقِ فِيهِ فَقَالَ: "وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، مَعَاهُ: وَأَنْفِقُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي الْجِهَادِ وَطَرِيقِ الدِّينِ؛ وَكُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَأَبْوَابِ الْبِرِّ فَهُوَ سَبِيلُ اللَّهِ، لِأَنَّ السَّبِيلَ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ وَالِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ، إِلَّا أَنَّهُ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْجِهَادِ، لِأَنَّ الْجُودَ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ. وَالْجِهَادُ هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يُخَاطِرُ فِيهِ بِالرُّوحِ فَكَانَتْ لَهُ مَزِيَّةٌ»^٣.

٢ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا، وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..

* قال الطبرسي: «وهذا يدلُّ على أنَّ الجهادَ بالنفسِ

١ - سورة ابراهيم (١٤): ٣١.

٢ - سورة البقرة (٢): ١٩٣ و ١٩٥.

٣ - مجمع البيان ٢ / ٢٨٨ - ٢٨٩.

٤ - سورة التوبة (٩): ٤١.

والمال واجبٌ على من استطاعَ بهما. ومن لم يستطع على
الوجهين فعليه أن يُجاهدَ بما استطاع»^١.

الحديث

١ الامام علي «ع»: .. الله! الله! في الجهادِ باموالِكُمْ وانفُسِكُمْ والسِّنتِكُمْ في
سبيلِ الله ..^٢

* ومما ينبغي أن يتذكره الملتزمون من المؤمنين، أن الجهادَ
بالاموالِ والانفسِ لا يكونُ جهاداً مشكوراً عند الله سبحانه، الا اذا
كان لله وفي سبيلِ الله . واذا كان لله ووقع لله، فلا يمكنُ أن يَمُنَّ به
صاحبه على الاسلامِ والمسلمين، لأن الله يقول: «يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ
أَسْلَمُوا، قُلْ: لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ
هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *»^٣. فعالمُ غيبِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ، البصيرُ بما يَعْمَلُهُ النَّاسُ، يَعْلَمُ مَا أَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِهِ، فَهُوَ
يَجْزِيكُمْ بِهِ، فَلَا تَمُنُوا بِهِ عَلَى الدِّينِ وَآهْلِهِ، وَلَا تَطْلُبُوا بِهِ جَاهاً أَوْ
نَفْوذاً، أَوْ تَبْدِيلَ حُكْمٍ، أَوْ تَغْيِيرَ قَانُونٍ، لِلْبُلُوغِ إِلَى غَايَاتٍ
لَا يَرْضَى عَنْهَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ «ص».

ولقد اخبر النبي «ص» عن قومٍ من الاغنياء يَمُنُونَ بِدِينِهِمْ

١ - مجمع البيان ٥ / ٣٣.

٢ - نهج البلاغة ٩٧٨؛ عبده ٣ / ٨٦.

٣ - سورة الحجرات (٤٩): ١٧ - ١٨.

على الله، وَيَسْتَحِلُّونَ الْمُحْرَمَاتِ، فقال فيما رواه الامام امير المؤمنين: «يا علي! ان القوم سيفتنون بعدي باموالهم، ويمنون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته، ويؤمنون سطوته، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة، والاهواء الساهية، فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع».

ولعل الايام عوج رواجع، وكان الزمان يرعف في الطالعين بما رعف به في الغابرين. فكم من اناس هناك يمتنون باموال دفعوها للنفقات الدينية على الله وعلى دين الله واهله. وفي حين انهم يتمنون رحمة الله - كما قاله النبي «ص» - يمتنون سطوته، فيستغلون الناس، ويثيروا العراقيل في سبيل آية دعوة او فكر يمكن ان تنتهي الى احقاق حق محروم او اجير، ويستحلوا حرام الله بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية. و مما وصفهم به النبي «ص»، يعلم انهم هم المستوردون واهل الاسواق واصحاب المعامل الكبيرة والاقطاعيين من المتكاثرين واصحاب الاموال، فتأمل في الحديث النبوي المصدر، العلوي المأخذ، حتى ترى العجب العجاب، حيث اخبر «ص» في سالف الزمان، عن اشياء تقع من اصحاب الاوصاف المذكورة، كل يوم وفي كل مكان!

د - رديف السهر لصلاة الليل والتجافي عن المضاجع

الكتاب

١ تَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *

* لعلَّ القارئ لا يخفى عليه امران من مغازي هاتين الآيتين :

١ - سمو وصف الانفاق، حيث جاء رديفًا للتجافي عن

المضاجع ودعوة الربِّ تعالى، خوفًا وطمعًا.

٢ - سمو اجر الانفاق، حيث عدَّ مما لا تصلُّ اليه فكرة انسان.

هـ - رديف الصبر والقنوت والاستغفار بالاسحار

الكتاب

١ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ *

* لا يذهب على الباحث الوقوف على تلك النكتة الهامة التي

جاءت في الآية الكريمة بحق «المنفقين»، حيث قدّموا في الذكر

على «المستغفرين بالأسحار»، مع ما للمستغفرين بالأسحار، من

زُلْفَى وتقرُّبٍ وأجورٍ ودرجات.

١ - سورة السجدة (٣٢) : ١٦ - ١٧.

٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٧.

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: ما بَلَ اللهُ العبادَ بشيءٍ أشدَّ عليهم، من إخراج الدرّاهم.^١

* في هذا التعلّيمِ الصّادقيّ ايضاً نكتةٌ هامّة، وهي أنّ الانفاقَ من اشدّ ما بَلَ اللهُ النَّاسَ به، فعلى المنفقِ أن يكونَ صابراً في الامر، صادقاً في المُعتقَد، مؤمناً بالخلف، حتى يتوفّرَ على الانفاقِ في سبيلِ الله بسهولةٍ وسماحة، غيرَ مانٍّ به على احدٍ حتى يحظى باجرٍ خالصٍ جزيل .

و- رديف النصح لله وللرسول «ص»

الكتاب

١ ليسَ على الضُّعفاءِ ولا على المرضى ولا على الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.^٢

ز- رديف الاستجابة للربّ تعالى

١ - الخصال / ٨ .

٢ - سورة التوبة (٩) : ٩١ .

الكتاب

١ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * ١

ح - احد ملاكات الايمان الحق

الكتاب

١ .. وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * اولئك هم المؤمنون حقا .. ٢

ط - من علائم الصدق والالتزام

الكتاب

١ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * ٣

١ - سورة الشورى (٤٢): ٣٨.

٢ - سورة الانفال (٨): ٣ - ٤.

٣ - سورة الحجرات (٤٩): ١٥.

ي - من سمات المتقين

الكتاب

- ١ .. هَدَى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ .. وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *^١
- ٢ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ..^٢

* قال الطبرسي: «... فأول ما عدّد الله من اخلاق اهل الجنة السخاء . ومما يؤيد ذلك من الاخبار ما رواه انس بن مالك عن النبي «ص» أنه قال: "السخاء شجرة في الجنة، اغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصن من اغصانها قادتّه الى الجنة . والبخل شجرة في النار، اغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصن من اغصانها قادتّه الى النار". وقال عليّ «ع»: "الجنة دار الاسخياء". وقال «ع»: "السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار . والبخيل (بعيد من الله)، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار"^٣.

يا - درجات ومغفرة و رزق كريم

- ١ - سورة البقرة (٢) : ٢ - ٣ .
- ٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٣٣ - ١٣٤ .
- ٣ - مجمع البيان ٢ / ٥٠٥ .

الكتاب

١ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *

يب- النجاة من الخوف والحزن اللّازمين للانسان في احواله الآتية

الكتاب

١ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، سِرًّا وَعَلَانِيَةً، فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *

١ - سورة الانفال (٨) : ٣ - ٤.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٧٤.

الفصلُ الثامن عشر

الإففاق (٣)

- آثاره الخالدة

أ - مكتوب عند الله محسوب

الكتاب

١ ولا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *^١

* قال الشيخ الطبرسي: «اي: ولا يُنْفِقُونَ في الجهاد ولا في غيره من سُبُلِ الخَيْرِ والمعروفِ نفقةً قليلةً ولا كثيرة، يُريدون بذلك إعزازَ دينِ اللهِ ونفعَ المسلمين والتَّقَرُّبَ بذلك الى الله»^٢. وإنَّ من واجبِ المتكاثرين من الاغنياء اليوم، أن يدفَعُوا فضلَ أموالهم^٣.

١ - سورة التوبة (٩): ١٢١.

٢ - مجمع البيان ٥ / ٨٢.

٣ - نقول: «أموالهم»، على حسبِ العرفِ والمصطلح، والآ فانَّ تلك الاموال الباهظة لا تحصلُ ولا تتكَّدَسُ من حلال - بحسبِ القرآن والحديث، كما مرَّ - فهي ليست كُلُّها باموالهم واقعاً.

- وهو كثيرٌ باهظ - لإعزازِ دينِ اللهِ ونفعِ المسلمين في شتى
الاعراض، ولا سيما المحتاجين منهم . وإن لم يفعلوا ذلك يقضوا
على عزّةِ الدينِ وكيانِ المسلمين .^١ فعلى الحكمِ الاسلاميِّ
وعلماءِ الدينِ أن يهتموا بهذا الامر، وأن يؤثروا الجماهيرَ ويوقظوهم
الى ذلك الجانب، قبلَ أن يخرجَ الامرُ من ايديهم؛ فإنَّ اللهَ تعالى،
لا يحبُّ المؤمنَ الواهيَ عزمه، الموهونَ دينه .

ب - إخلاف الله له

الكتاب

١ .. وما أنفقتُم من شيءٍ فهو يخلفه، وهو خيرُ الرّازقين *^٢

الحديث

١ النبي «ص»: يُنادي منادٍ كلَّ ليلةٍ: ..اللَّهُمَّ هَبْ لِلْمُنْفِقِ خَلْفًا؛ وَيُنَادِي مَنَادٍ:
اللَّهُمَّ هَبْ لِلْمُمْسِكِ تَلْفًا ..^٣

١ - ولعلَّ في النَّاسِ مِنَ الْإِعْنَاءِ وَالْمُتَكَاتِرِينَ أَوْ مَدَافِعِهِمْ وَمُخَالَطِهِمْ، مَنْ يَسْتَقْبِلُ هَذَا الْكَلَامَ،
فَلَا جَلَّ ذَلِكَ نُشِيرُ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ «ص» فِيمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ «ع»، عَنْ آبَائِهِ، عَنْهُ «ص»: «مَا
مَحَقَّ الْإِسْلَامَ مَحَقَّ الشُّحِّ شَيْءٌ» - (تفسير البرهان ٤ / ٣٤٤).

٢ - سورة سبأ (٣٤): ٣٩.

٣ - مجمع البيان ٨ / ٣٩٤.

٢ النبي «ص»: كل معروف صدقة . وما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة .
وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامناً، إلا ما كان من نفقة في بُنيان
او معصية .^١

* فَإِذَا اسْتَنْتَى النَّبِيُّ «ص» نَفَقَاتِ الْبُنْيَانِ مِنْ إِخْلَافِ اللَّهِ
تعالى لها، فعلى اصحاب الابنية العظيمة، والقصور الشاهقة،
والبيوت الكبيرة والفسيحة، أن يُنفقوها بنفسها على المستضعفين
والفقراء والمحرومين - ولا سيما المقادير الزائدة والفاضلة منها،
وهي كثيرة وكثيرة - حتى يُخلفها الله لهم، فتبقى ذخراً مذخوراً؛
وإلا فلا تُعقب لهم إلا استبدالاً في الدنيا وخزياً في العقبى .

ج - أجور مضاعفة

الكتاب

- ١ ومثل الذين يُنفقون أموالهم ابتغاء مرضاتِ الله وتثبيتاً من أنفسهم، كمثل
جنةٍ ربوةٍ أصابها وابلٌ فاتتْ أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابلٌ فطلٌّ، والله
بما تعملون بصير *^٢
- ٢ مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيلِ الله، كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل، في
كلِّ سنبلَةٍ مئة حبةٍ، والله يُضاعف لمن يشاء، والله واسعٌ عليم *^٣

١ - مجمع البيان ٨ / ٣٩٤ .

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٦٥ .

٣ - سورة البقرة (٢) : ٢٦١ .

* قال في التفسير: «سبيلُ الله هو الجهادُ وغيره من ابوابِ البرِّ كُلِّها.. فالآيةُ عامَّةٌ في النَّفَقَةِ في جميع ذلك. وهو المرويُّ عن ابي عبدالله «ع». و"كَمَثَلِ حَبَّةِ اَنْبَتَتْ"، اي: اَخْرَجَتْ، "سَبْعِ سَنَابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ" يعني: انَّ النَّفَقَةَ في سبيلِ الله بسبعِ مِئَةٍ ضِعْفٍ»^١.

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الصادق :.. وَمَنْ بَسَطَ يَدَهُ بِالْمَعْرُوفِ اِذَا وَجَدَهُ، يُخْلِيفُ اللهُ لَهُ مَا انْفَقَ فِي دُنْيَاهُ، وَيُضَاعِفُ لَهُ فِي آخِرَتِهِ^٢.
- ٢ الامام الباقر «ع» :.. وَيَحْكُ يَا مَغْرُورًا! اَلَا تَحْمَدُ مَنْ تُعْطِيهِ فَاِنْيَا وَيُعْطِيكَ بَاقِيًا، دَرَاهِمٌ يَفْنَى بِعِشْرَةٍ تَبْقَى، اِلَى سَبْعِ مِئَةٍ ضِعْفٍ مُضَاعَفَةٍ، مِنْ جَوَادِ كَرِيمٍ^٣.
- ٣ الامام الصادق «ع» - في تفسير قوله تعالى: «فَاتَتْ اَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ»: معناه يَتَضَاعَفُ اجْرُ مَنْ اَنْفَقَ مَالَهُ اِبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ^٤.

د - شكران للنعمة

١ - مجمع البيان ٢ / ٣٧٤.

٢ - الكافي ٢ / ١٥٤.

٣ - تحف العقول / ٢١١؛ و ٢٩١، من طبعة الغفاري.

٤ - مجمع البيان ٢ / ٣٧٨.

الحديث

١ الامام علي «ع»: لا يُحْرِزُ الشُّكْرَ إِلَّا مَنْ بَدَّلَ مَالَهُ^١.

هـ - عمل لنفسك

الكتاب

١ .. وما تُنْفِقُوا من خيرٍ فإِلَّا نَفُسِكُمْ^٢ ..

٢ .. وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ^٣ ..

الحديث

١ الامام علي «ع»: اهلُ المعروفِ الى اصطناعه احوجُّ من اهلِ الحاجةِ اليه، لأنَّ لهم اجره وفخره وذكره؛ فمهما اصطنع الرجلُ من معروفٍ، فإنَّما يبدأُ فيه بنفسه، فلا يَطْلُبَنَّ شُكْرَ ما صنَع الى نفسه من غيره^٤.

١ - غرر الحكم / ٣٤٩.

٢ - سورة البقرة (٢): ٢٧٢.

٣ - سورة التغابن (٦٤): ١٦.

٤ - البحار ٧٨ / ٧٩.

الفصل الثامن عشر: الانفاق (٣)

* انظر الى هذا التعليم! كيف يبعث الانسان على اداء المعروف والخير، ويسهله عليه، ويرهف الاحساس المتعالي فيه، باشراقته المنيرة؛ وكيف يصعد بالانسان الى اوج الاخلاص من جهة، ويدفعه الى الاجتناب الشديد من المن على الآخرين عند الانفاق من جهة اخرى، ويحضه على النظر الى العاقبة الخالدة من جهة ثالثة ..

انظر اليه، كيف يصنع من الانسان عاملاً صالحاً نشيطاً يقدم الخدمات الى الجماهير، ويرى نفسه احوج الى اصطناع المعروف من المحتاجين اليه، ويتعالي في النقاء الروحي الى حد لا يطلب شكر من يصطنع عنده معروفاً، بل لا يرى اصطناعه للمعروف الى احد، اصطناعاً الى شخص آخر سوى نفسه بالذات ..

هكذا فليكن التعليم، ان كان من امام الانسانية والفضيلة، ممن على كلامه مسحة من العلم الالهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي .

٢ الامام علي «ع»: يا ابن آدم! كن وصي نفسك، واعمل في مالك ما تؤثر ان يعمل فيه من بعدك .^٢

و- حمل الزاد ليوم المعاد

١ - لاحظ ايضاً: الحديث ١، من الفقرة التالية .

٢ - نهج البلاغة / ١١٩٩؛ عبده ٣ / ٢٠٩ .

الكتاب

- ١ .. وما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ *^١
- ٢ .. وما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ *^٢
- ٣ .. وما تَقَدَّمُوا لَا نُفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ..^٣
- ٤ .. وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا، وما تَقَدَّمُوا لَا نُفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ، هو خيراً و اعظم اجراً ..^٤

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: .. اذا وَجَدْتَ مِنْ اهلِ الفاقةِ مِنْ يَحْمِلُ لَكَ زادَكَ الى يومِ القيامةِ فيوافيك به غداً حيثَ تحتاجُ اليه، فَاغْتَنِمَهُ وَحَمَلَهُ اِيَّاهُ، وَاکْتَبِرْ مِنْ تزويده وانت قادرٌ عليه، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فلا تَجِدَهُ ..^٥
- ٢ الامام علي «ع»: .. اَمْسِكْ مِنَ المَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الفَضْلَ لِيَوْمِ حاجَتِكَ ..^٦
- ٣ الامام علي «ع»: .. فَقدَّمُوا فَضلاً يَكُنْ لَكُمْ، ولا تُؤَخِّرُوا كلاً يَكُنْ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ

١ - سورة الانفال (٨) : ٦٠.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٧٢.

٣ - سورة البقرة (٢) : ١١٠.

٤ - سورة المزمّل (٧٣) : ٢٠.

٥ - نهج البلاغة / ٩٢٢؛ عبده ٣ / ٥٢.

٦ - نهج البلاغة / ٨٧١؛ عبده ٣ / ٢٣.

المحرومَ مَنْ حُرِمَ خَيْرَ مَالِهِ . والمغبوطَ مَنْ ثَقُلَ بِالصَّدَقَاتِ والخيراتِ موازينه، وأَحْسَنَ فِي الْجَنَّةِ بِهَا مِهَادَهُ، وَطَيَّبَ عَلَى الصَّرَاطِ بِهَا مَسْلَكَه ١.

٢ الامام الحسن «ع» : .. فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَزَوَّدُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ يَتَمَتَّعُ ٢.

ز - تجارة لن تبور

الكتاب

١ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ* ٣

ح - شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة

الكتاب

١ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ، أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ* جَنَّاتٍ عَدْنٍ

١ - البحار ٧٣ / ٨٨، عن «المالي الصدوق».

٢ - البحار ٧٨ / ١١٦.

٣ - سورة فاطر (٣٥) : ٢٩.

يَدْخُلُونَهَا، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ *^١

الحديث

١ الامام علي «ع»: .. فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيُفِئِكَ بِهِ الْإِسِيرَ وَالْعَانِي، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحَقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ، فَإِنَّ فَوْزًا بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرْكٌ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.^٢

ط - لا ضرر ولا نقصان في الانفاق

١ الامام علي «ع» - فيما رواه الامام الصادق: لا يزدادن احدكم كبراً وعظماً في نفسه ونياً عن عشيرته، إن كان موسراً في المال .. ولا يغفل احدكم عن القرابة بها الخاصة، أن يسدها بما لا ينفعه إن أمسكه ولا يضره إن استهلكه.^٣

* وإذا كان المال لا ينقص بالإنفاق والبذل، مع ما فيه من إسداء الخير الى الجماهير، والجزاء الخالد المشكور، فلماذا يمسك الموسرون؟

١ - سورة الرعد (١٣): ٢٢ - ٢٤.

٢ - نهج البلاغة / ٤٣٢: عبده / ٢ / ٣٣.

٣ - الكافي / ٢ / ١٥٤.

- ٢ الامام الصادق «ع»: ثلاثة أُقسِمُ باللهِ أَنَّها الحقُّ : ما نَقَصَ مالٌ من صدقةٍ ولا زكاةٍ؛ ولا ظَلِمَ احدٌ بظلامَةٍ فَقَدَرَ أَنْ يُكَافِيَ بِها فَكَظَمَها إِلَّا أَبَدَلَهُ اللهُ مكانَها عِزًّا؛ ولا فَتَحَ عَبْدٌ على نَفْسِهِ بابَ مسألةٍ إِلَّا فَتَحَ عليه بابَ فقرٍ.^١

ي - المال مال بالانفاق لا بالامساك

- ١ الامام علي «ع»: لم يُرْزَقِ المالَ مَنْ لم يُنْفِقْهُ.^٢

* نعم، لم يُرْزَقِ المالَ مَنْ لم يُنْفِقْهُ؛ اذ المنفقُ باقٍ والمُمسَكُ فانٍ، ومن رُزِقَ الفاني فكأنَّه لم يُرْزَقْ شيئاً.

يا - لا توفيق الا في الانفاق

- ١ الامام علي «ع»: لم يُوفَّقْ مَنْ بَخِلَ على نَفْسِهِ بخيرِهِ، وخَلَفَ مالَهُ لغيرِهِ.^٣

يب - ليس لك الا ما انفقت

- ١ الامام علي «ع»: ليس لا حِدٍ من دنياه، الا ما انْفَقَ على اخْراءِهِ.^٤
- ٢ الامام علي «ع»: وَاعْلَمْ أَنَّ افضلَ المؤمنين افضلُهُم تَقَدِّمَةً^٥ من نَفْسِهِ واهلِهِ ومالِهِ؛ فإِنَّكَ ما تَقَدَّمُ من خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذُخْرُهُ، وما تُؤَخِّرُهُ يَكُنْ لغيرِكَ خَيْرُهُ.^٦

١ - البحار ٧٢ / ٢٠٩، عن «كشف الغمة».

٢ و٣ و٤ - غرر الحكم / ٢٥٩.

٥ - اي: بدلاً وانفاقاً.

٦ - نهج البلاغة / ١٠٦٩؛ عبده ٣ / ١٤٢.

يج - لا ينفق المال بلا انفاق

١ الامام علي «ع»: «المال لا ينفقك حتى يفارقك»^١.

يد - شرّ المال ما لم ينفق منه (١)

١ النبي «ص»: «من أدى زكاة ماله، فقد ذهب عنه شره»^٢.

يه - شرّ المال ما لم ينفق منه (٢)

٢ الامام علي «ع»: «شرّ المال ما لم ينفق في سبيل الله منه، ولم تؤدّ زكاته»^٣.

١ - غرر الحكم / ٣٤.

٢ - المهذب، لابن البرّاج ١ / ١٥٧.

٣ - غرر الحكم / ١٩٦.

الفصل التاسع عشر

الإنفاق (٤)

- احوال واوقات

الكتاب

أ - سرّاً

- ١ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً.. ١
- ٢ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا: يُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً.. ٢

ب - علانيةً

- ١ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً
وعلانيةً.. ٣

١ - سورة الرعد (١٣): ٢٢.

٢ - سورة ابراهيم (١٤): ٣١.

٣ - سورة الرعد (١٣): ٢٢.

٢ قل لعبادِي الَّذِينَ آمَنُوا: يُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وعِلَانِيَةً ١..

ج - بالليل

١ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ ٢..

د - بالنهار

١ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ٣..

هـ - في السراء

١ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ ٤..

و - في الضراء

١ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ٥..

ز - فرص مؤاتية والتحذير من فواتها

١ - سورة ابراهيم (١٤): ٣١.

٢ و ٣ - سورة البقرة (٢): ٢٧٤.

٤ و ٥ - سورة آل عمران (٣): ١٣٣ - ١٣٤.

الكتاب

- ١ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ ..^١
- ٢ .. أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ ..^٢
- ٣ .. وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ، سِرًّا وَعَلَانِيَةً، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ^٣.

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - فيما أوصى به ابنه الحسن : وَأَعْتَنِمَ مِنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قِضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ^٤.
- ٢ الامام علي «ع» : يَا ابْنَ آدَمَ! كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ، وَأَعْمَلْ فِي مَالِكَ مَا تُؤْتِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ^٥.
- ٣ الامام علي «ع» - سُئِلَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» : مَنْ اعْظَمُ النَّاسِ حَسْرَةً؟ قَالَ : مَنْ رَأَى مَالَهُ فِي مِيزَانٍ غَيْرِهِ، وَأَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِ النَّارَ وَأَدْخَلَ وَارِثَهُ الْجَنَّةَ ..^٦
- ٤ الامام علي «ع» - لَا بِنَهِ الْحَسَنِ : يَا بُنَيَّ! لَا تُخَلِّفَنَّ وِرَاءَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا،

١ - سورة المنافقون (٦٣) : ١٠.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٥٤.

٣ - سورة ابراهيم (١٤) : ٣١.

٤ - نهج البلاغة / ٩٢٢ : عبده ٣ / ٥٢.

٥ - نهج البلاغة / ١١٩٩ : عبده ٣ / ٢٠٩.

٦ - البحار ٧٣ / ١٤٢.

فإنَّكَ تُخَلِّفُهُ لَا حَـدِيرَ جَلِينٍ : إِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بَطَاعَةَ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ
به، وإِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ، فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ
عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ وَلَيْسَ أَحَدٌ هُذَيْنٍ حَقِيقًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ^١.

٥ الامام علي «ع»: تَنَافَسُوا فِي صَدَقِ الْاِقْوَالِ، وَبِذْلِ الْاِمْوَالِ^٢.

٦ الامام علي «ع»: .. فَاللَّهُ، اللَّهُ، مَعْشَرَ الْعِبَادِ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ، فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ
السَّقَمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَغْلُقَ رَهَائِنُهَا .. وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا اِمْوَالَكُمْ^٣.

ح - اهمية الانفاق في ازمنة العسرة واليأس من غلبة الحق

الكتاب

١ .. لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ
الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا، وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى^٤ ..

ط - الانفاق، بذل و بذل

١ - نهج البلاغة / ١٢٨٠، عبده ٣ / ٢٥٢.

٢ - غرر الحكم / ١٥٦.

٣ - نهج البلاغة / ٦٠٧؛ عبده ٢ / ١٣٦.

٤ - سورة الحديد (٥٧) : ١٠.

الكتاب

١ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً..

* قال الطبرسي: «بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ، كَيْفِيَّةَ الْإِنْفَاقِ وَثَوَابَهُ، فَقَالَ:
”الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً“، فِي هَذِهِ
الْحَالَاتِ، أَي يُنْفِقُونَ عَلَى الدَّوَامِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَوْقَاتَ مُعَيَّنَةٌ
لِلصَّدَقَاتِ، وَلَا وَقْتَ لَهَا سِوَاهَا».^٢

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: ليس من شيعتنا من ملك عشرة آلاف درهم، الا من
اعطى يمينا وشمالا وقدام وخلف.^٣

ي - هم الأخسرون الا المنفقين

١ النبي «ص» - ابوذر الغفاري قال: أتيت رسول الله «ص» وهو في ظل
الكعبة، فلما رآني قد أقبلت قال: «هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ! هُمُ
الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ!». قال: فَدَخَلَنِي غَمٌّ وَجَعَلْتُ أَنْفَسُ وَقَلْتُ هَذَا

١ - سورة البقرة (٢): ٢٧٤.

٢ - مجمع البيان ٢ / ٣٨٨.

٣ - مشكاة الانوار / ٢٧٤.

شيءٌ حَدَّثَ فِيّ . قال (ابوذرّ): قلتُ : من همُ فِداكُ أبي وأُمِّي؟ قال :
«الأكثرُونَ، إلا من قالَ بالمالِ في عبادِ الله هكذا وهكذا، عن يمينه وشماله
ومن خلفه، وقليلٌ ما هم»^١.

في الحديث المذكور في باب الاقتصاد .. (اصول عامّة) ..
قال أبوذرّ: قلتُ : من همُ فِداكُ أبي وأُمِّي؟ قال :
«الأكثرُونَ، إلا من قالَ بالمالِ في عبادِ الله هكذا وهكذا، عن يمينه وشماله
ومن خلفه، وقليلٌ ما هم»^١.

ج - أهمية الإنسان في أزمنة العسرة واليسر من طلبة الحق
شبهات

الإنسان هو كائنٌ خلقه الله عز وجل ليحيى به نبيه وآدم عليه السلام
ويعلمه ما كان ينبغي أن يعلمه من أمور دينه ودنياه
فإن الإنسان من خلق الله عز وجل ليحيى به نبيه وآدم عليه السلام
ويعلمه ما كان ينبغي أن يعلمه من أمور دينه ودنياه

فإن الإنسان من خلق الله عز وجل ليحيى به نبيه وآدم عليه السلام
ويعلمه ما كان ينبغي أن يعلمه من أمور دينه ودنياه
فإن الإنسان من خلق الله عز وجل ليحيى به نبيه وآدم عليه السلام
ويعلمه ما كان ينبغي أن يعلمه من أمور دينه ودنياه

١ - مجمع البيان ٥ / ٢٦ .

الفصلُ العَشرون

الإِنفاق (٥)

- بعض مناشئ اهماله و تركه

أ - سوء الظن بالله تعالى

الكتاب

١ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية..^١

الحديث

١ الامام الصادق «ع»: منع الموجود، سوء ظن بالمعبود.^٢

١ - سورة آل عمران (٣): ١٥٤ .

٢ - البحار ٦٨ / ٢٠٧ .

ب - النفاق والكذب

الكتاب

١ فلما آتاهم من فضله بخلوا به، وتولّوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه، وبما كانوا يكذبون *

الحديث

١ النبي «ص» - قيل نزلت (الآية المذكورة) في ثعلبة بن حاطب، وكان من الانصار، فقال للنبي «ص»: ادع الله ان يرزقني مالاً. فقال: يا ثعلبة! قليل تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه، أما لك في رسول الله أسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده، لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت. ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله! ادع الله ان يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحق، لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه. فقال «ص»: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً». قال فأتخذ غنماً، فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، فنزل وادياً من أوديتها، ثم كثرت نمواً حتى تباعدت عن المدينة، فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة. وبعث رسول الله «ص» اليه المصدق ليأخذ الصدقة، فأبى وبخل وقال: ما هذه إلا

أَخْتُ الْجَزِيَّةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ، يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَاتِ ١..

ج - الكفر

الكتاب

١ وما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى، وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ * ٢

مغبات ترك الإنفاق وإهماله

١ - المغبات الفردية

أ - الدنيوية

الكتاب

١ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي

١ - مجمع البيان ٥ / ٥٣.

٢ - سورة التوبة (٩) : ٥٤.

عنه ماله إذا تردى * ١

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: إن اعطاء هذا المال قنيّة، وامساكه فتنة. ٢
- ٢ الامام الباقر «ع»: قام ابودرّ - رحمة الله عليه - عند الكعبة .. فأكتنّفه الناس، فقال: .. إجعل الدنيا درهمين: درهماً أنفقته على عيالك، ودرهماً قدّمته لآخرتك. والثالث يضر ولا ينفع فلا تردّه. ٣

ب - الأخروية

الكتاب

- ١ .. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ، هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ، فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ * ٢

١ - سورة الليل (٩٢): ٨ - ١١.

٢ - غرر الحكم / ١٠١.

٣ - الخصال / ٤٠.

٤ - سورة التوبة (٩): ٣٤ - ٣٥.

الحديث

١ النبي «ص»: من تَرَكَ كَنْزاً مِثْلَ لَه يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ، لَهُ زَبَيَّتَانِ، يَتَّبِعُهُ وَيَقُولُ: وَيَلِكُ مَا أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ الَّذِي تَرَكَتَ بَعْدَكَ. فَلَا يَزَالُ يَتَّبِعُهُ حَتَّى يُلْقِمَهُ يَدَهُ فَيَقْضِمَهَا، ثُمَّ يَتَّبِعُهُ سَائِرَ جَسَدِهِ.^١

٢ النبي «ص»: مَا مِنْ عَبْدٍ لَهُ مَالٌ وَلَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلَّا جُمِعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفَاتُهَا، يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جَبْهَتُهُ وَجَنْبَاهُ وَظَهْرُهُ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ!^٢

* وَاضِحٌ أَنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ مِنْ مَصَادِقِ تَرْكِ الْإِنْفَاقِ - كَمَا يَلْمَحُ

إِلَى ذَلِكَ كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «ع»: «إِعْطَاءُ هَذَا الْمَالِ فِي حَقِّهِ
اللَّهُ دَاخِلٌ فِي بَابِ الْجُودِ».^٣

٣ الإمام الصادق «ع»: .. يَا إِسْمَاعِيلُ! مَنْ أَنَاهُ أَخُوهُ فِي حَاجَةٍ يَقْدِرُ عَلَى قَضَائِهَا فَلَمْ يَقْضِهَا لَهُ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ شُجَاعاً يَنْهَشُ إِبْهَامَهُ فِي قَبْرِهِ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَغْفُوراً لَهُ أَوْ مُعَذِّباً.^٤

٢ - المَغْبَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ

أ - الدُّنْيَوِيَّةِ

١ و ٢ - مجمع البيان ٥ / ٢٦.

٣ - غرر الحكم / ٥٤.

٤ - البحار ٧٥ / ١٧٤، عن «ثواب الاعمال».

الكتاب

- ١ ها انتم هؤلاء تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ، وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ، وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ *^١
- ٢ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ..^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَخْتَصُّهُمْ اللَّهُ بِالنَّعْمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، فَيُقْرِئُهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَدَّلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ.^٣

ب - الأخروية

الكتاب

- ١ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ،

١ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٨.

٢ - سورة البقرة (٢) : ١٩٥.

٣ - نهج البلاغة / ١٢٨٥ : عبده ٣ / ٢٥٥.

سَيَطُوقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..^١

٣- المغبّة الكبرى: الابتعاد عن الله تعالى

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن آبائه: السخّي قريب من الله ..
والبخيل بعيد من الله ..^٢
- ٢ الامام علي «ع»: .. لا حاجة لله فيمن ليس لله في ماله ونفسه نصيب .^٣
- ٣ الامام علي «ع»: فلا اموال بدلتموها للذي رزقها ..^٤
- ٤ الامام الصادق «ع»: أيما رجل من اصحابنا استعان به رجل من اخوانه في حاجة فلم يُبالغ فيها بكلّ جهدٍ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين . قال ابو- بصير: قلت لأبي عبد الله «ع»: ما تعني بقولك: والمؤمنين؟ قال: من لدن امير المؤمنين «ع» الى آخرهم .^٥
- ٥ الامام الصادق «ع»: أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج اليه وهو يقدر عليه، من عنده او من عند غيره، اقامه الله عز وجل يوم القيامة مسوداً وجهه،

١- سورة آل عمران (٣): ١٨٠.

٢- البحار ٧٣ / ٣٠٨، عن كتاب «الامامة والتبصرة».

٣- نهج البلاغة / ١١٤٦: برده ٣ / ١٨٠.

٤- نهج البلاغة / ٣٦٦: عبده ١ / ٢٣٠.

٥- الكافي ٢ / ٣٦٢: البحار ٧٥ / ١٧٥.

مُزْرَقَةً عَيْنَاهُ، مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَيَقَالُ: هَذَا الْخَائِنُ الَّذِي خَانَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ، ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِهِ إِلَى النَّارِ.^١

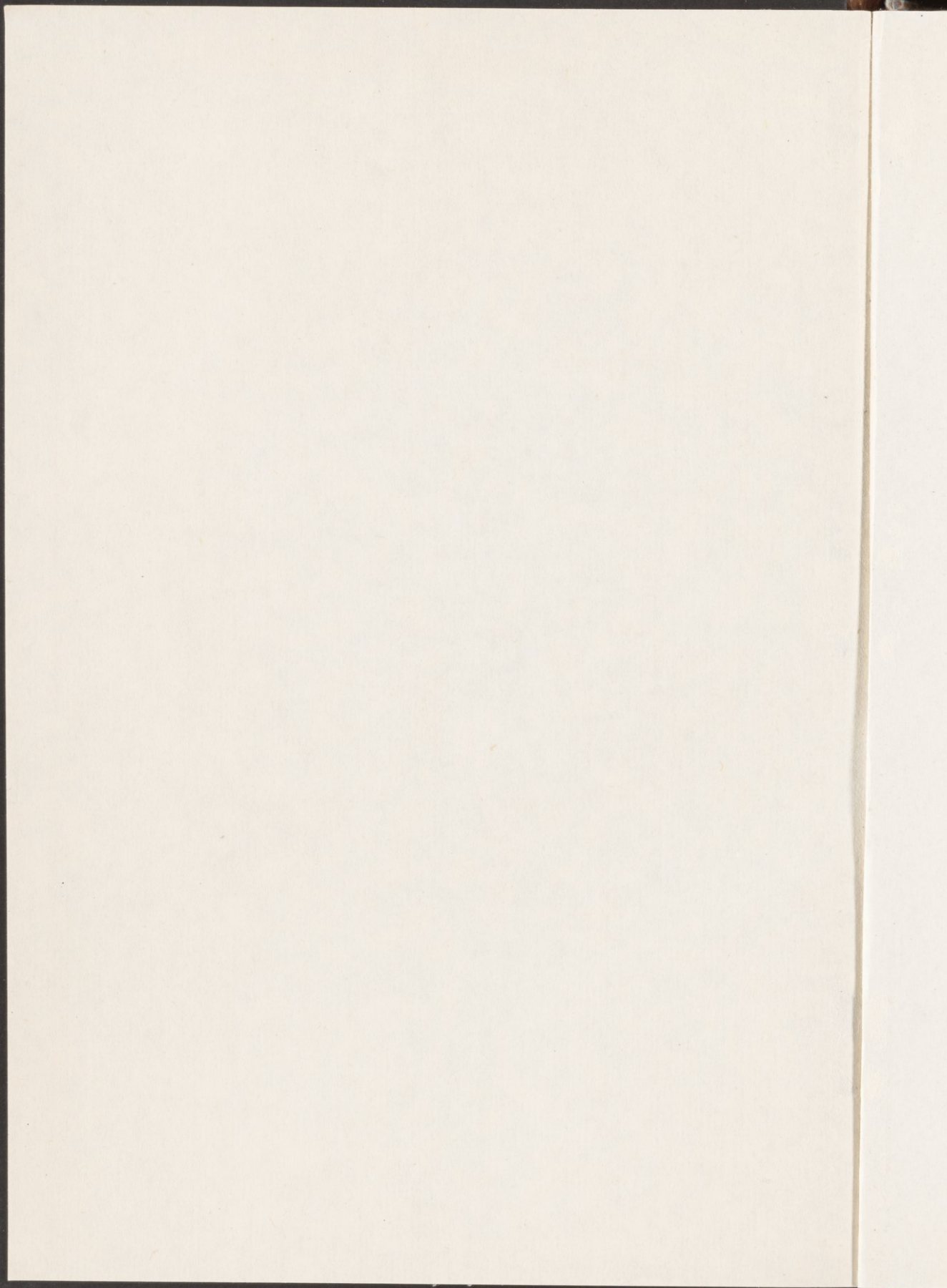
٦ الامام الصادق «ع»: يا يونس! من حَبَسَ حَقَّ الْمُؤْمِنِ اِقَامَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ خَمْسَ مِئَةِ عَامٍ عَلَى رِجْلَيْهِ، حَتَّى يَسِيلَ عَرْقُهُ أَوْ دَمُهُ، وَيُنَادِي مُنَادٍ
مِنَ عِنْدِ اللَّهِ: هَذَا الظَّالِمُ الَّذِي حَبَسَ عَنِ اللَّهِ حَقَّهُ؛ قَالَ: فَيُؤَخَّرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِهِ إِلَى النَّارِ.^٢

اللَّهُمَّ! وَفَّقْنَا لِمَرْضَاتِكَ، وَجَنَّبْنَا مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ.

انتهى الجزء الخامس من كتاب «الحياة»، ويتلوه الجزء السادس - ان شاء الله
تعالى - ويتبدى به «الفصل الحادي والعشرين»، من «الباب الثاني عشر».

١ - البحار ٧٥ / ١٧٤.

٢ - الكافي ٢ / ٣٦٧.



دفتر نشر فرهنگ اسلامی



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**



سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران

کتابخانه ملی